المحاضرات

المجلد التاسع



كتاب
النادي الأدبي الثقافي بجدة
٦٧

١/٩/١٤١١هـ
١٧/٣/١٩٩١م


بسم الله الرحمن الرحيم



تقدمة !

● حين دعا النادي الادبي بجدة نفراً من صفوة الباحثين في شتى المجالات الفكرية ، ليلقوا محاضراتهم الممتعة ، كان من همه أن يسجل هذه المحاضرات في مجموعات متتالية ، لأن المحاضرة بعد سماعها تغيب عن الأذهان بمرور الزمان ، فيكون التسجيل وعاءً حافظاً لزاد قيم يعتز النادي بتهيئته كل الاعتزاز .

● ومقدم المحاضرات يحار في الحديث عنها ، لأن لكل محاضرة طابعاً خاصاً تنفرد به . ومحاولة الحديث عن كل طابع في هذه المقدمة مما لايتيسر إلا في حيز مماثل للمحاضرة نفسها ، لذلك كان علي أن أطوي كثيراً من مشاعري الخاصة وأفكاري الذاتية نحو هذه المحاضرات ، مكتفيا بالاشارة السريعة ، وهي بمثابة شراب سائغ يقدم قبل الطعام ليشوق إلى ما بعده ، إذ لابد من الايجاز اللامح ، والاقتضاب السريع .

● إن هذه المجموعة باقة جمعت شتى الأزهار المختلفة ، وتنوعها الموضوعي مما يبعث الرغبة في استيعابها دون سأم ، لان الكتاب ذا الموضوع الواحد يحوج قارئه إلى الاستراحة بين فصوله ، أما الكتاب المنوع فيبعث الرغبة على مواصلة القراءة ،

حيث يجتاز القاريء آفاقا جديدة ، وتدفعه لذة الارتياد إلى أوج فسيح !

● ولا أحاول أن أيقن بترتيب المحاضرات في الكتاب ، لاني أسجل انطباعاتي كما تفد إلى ذهني تسجيلا عفويا ، هو إلى المسامرة أقرب منه للمقالة ، والكاتب صادق حين يقرر أنه يجهل أسباب تذكره بحثا قبل بحث ، وما إخال الذاكرة إلا وعاءً يمتلىء ثم يفيض عند حد معين ، والماء واحد لاخلاف في جدواه .

● وموضوع الاعجاز التاريخي في القرآن الكريم يفد على ذهني قبل سواه ، إذ كنت أرى ان قضية الاعجاز لاتقف عند زمن معين ، ولكن الأيام تتيح للدارس ان يكتشف الجديد دائماً ، تصديقاً لقول الله عز وجل : «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» ، وقد درس الباحث التاريخ القديم في آثاره الشاهدة ، كما درس ماجاء بالتوراة والقرآن من أخبار تتفق حينا وتتضارب حينا آخر ، وسلك سبيل البحث الجاد لينتهي إلى أن ما جاء به القرآن نوع من الاعجاز الخارق ، حيث قامت الدلائل على صدقه ، ونحن نعلم أن الآثار الفرعونية لم تقرأ إلا بعد الحملة الفرنسية على مصر حين اكتشف حجر رشيد ، فإذا نطقت هذه الآثار بما جاء في القرآن قبل ثلاثة عشر قرنا فذلك هو الاعجاز الفريد ! كما نعلم ان القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، فهو مصدر اليقين .

● أما المحاضرة الخاصة بالصلة التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية فتتعلق بفترة من فترات تاريخنا المعاصر ، ونحن بحاجة إلى بحوث تكشف الروابط الوثيقة بين البلاد العربية ، مستندة إلى التاريخ البعيد والقريب معا ، وصاحب

المحاضرة قد استوفى زبدة مايقال في هذه الناحية . وقد رجع إلى الوثائق الهامة ، والتسجيلات الدقيقة ، ونقل أقوالا لم تدوّن من قبل ، جاءت على ألسنة أولياء الأمر في المملكة العربية السعودية والبحرين ، كما أشار إلى رسائل سياسية تلقي مزيداً من الضوء ، هذا غير ما اهتدى إليه من المصورات الجغرافية ، وكلها مقدم لبنات قوية في جدار التاريخ المعاصر .

● ولا نستطيع أن نلم بدقائق محاضرة (مفهوم البيان في النقد العربي) ، لان المحاضرة دراسة مقارنة تعتمد على نصوص دقيقة ، وصاحبها الفاضل دارس متعمق ، له سطوته في المناقشة والأخذ والرد ، كما له سبقه في الفهم الجديد للنص القديم ، والمحاضرة إضافة إلى المكتبة النقدية المعاصرة ، وتحتاج إلى وقوف طويل .

● وبين أيدينا محاضرتان قيمتان عن كتاب الله ، إحداهما تحت عنوان (نظرات في سورة الكهف) . والأخرى تحت عنوان (معان خاصة ببعض ألفاظ القرآن الكريم) . وكلتاهما تعرض الحقائق القرآنية عرضا واضحا ، يتضح للقاريء في أيسر تناول ، ولا تزال المكتبة القرآنية في حاجة إلى أمثال هذين البحثين ، لان من مميزات البيان القرآني اشعاعه بالنور من كل حرف ، وامداده القاريء بالجديد الرائع ، ولذلك كثرت كتب التفسير دون أن يغني مفسر عن مفسر ، لان كل دارس يفيض بما يفتح الله به عليه . وقد قال الله : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» ! ومن تيسير الذكر ان تكثر حوله البحوث المخلصة ، والشروح الأمينة ، ليشرق ضياؤه الساطع في كل حين ، ومحاضرة لون من ألوان الادب في كتب (التراث) دعوة ملتزمة إلى الارتقاء بالفكر العربي ،

بعيداً عن الاسفاف الشائن والمجون الهابط . وقد وردت نصوص قديمة وحديثه تحبذ الاتجاه إلى تسجيل الادب المنحرف ، فرأى المحاضر ان يتعقبها بالنقد الكاشف ، وأن يقرنها إلى نقول أخرى ، ترتفع بالادب إلى سماء الفضيلة والخلق الكريم ، والمحاضرة في هذا المجال دعوة صريحة إلى الارتقاء الانساني بعامة ، والارتقاء الاسلامي بنوع خاص .

● ونشير إلى محاضرة التقارب الوظيفي لزمانية الفعل ومكانية الفاعل في دائرة عقل المستقبل ، إذ حفلت باسهامات فكرية دقيقة ، حين تحدثت عن النظرة العقلية القائمة على المداخلة بين العلاقات وعن الحوار المعرفي وهيمنة الطبع الوظيفي على المادة المعرفية ، ودور الزمن في إنماء المعارف الانسانية ، ورسالة المعرفة في الماضي والحاضر والمستقبل ، وتلك شعاب دقيقة تحتاج إلى صبر طويل في الدراسة والقراءة معا .

● وقد أوجز صاحب محاضرة (علم الأدب ومنزلته بين العلوم في تراثنا) ايجازا غير مخل ، حين تحدث عن منزلة علم الأدب بين العلوم مستنداً إلى ماجاء في كتاب احصاء العلوم للفارابي ، باعتباره أول محاولة في تصنيف المعارف . وقد أورد علم اللسان في المرتبة الاولى ، لانه قناة المعرفة وطريقها ، ثم انتقل إلى كتاب الفهرست لابن النديم ، مثلثا بمفتاح العلوم للخوارزمي ، ومنتقلا إلى مراتب العلوم لابن حزم ، حتى جاء إلى ابن خلدون فكشف رأيه السديد في هذا النطاق ، والبحث دقيق مركز .

● وتأتي محاضرة (قراءة الشعر القديم مناهجها وقيمتها العلمية) لتعرض بعض الاختلافات المتعارضة لدى الدارسين حول هذا الشعر . وكان الدكتور / طه حسين مجال التطبيق النقدي في

هذه الدراسة ، حيث اختار الدارس كتابيه (مع المتنبي) (وأبو العلاء في سجنه) ليكونا موضع النظر التحليلي ، وطبيعي ان يشير إلى المذاهب المعاصرة في دراسة هذا الشعر ، وهي التفسير النفسي والتفسير الجمالي والتفسير اللغوي ، حيث يحرص أصحاب التفسير الأول على المزاوجة بين الدراسة الموضوعية والتحليل الفني ، مزاوجة لاتكاد تغلب جانبا على آخر ، وقد تبنى هذا الاتجاه اثنان من نقادنا المعروفين ، هما الدكتور / محمد مندور وعبدالقادر القط ، وكلاهما من تلاميذ طه حسين ، أما التفسير الجمالي فينظر إلى النص الشعري باعتباره عالما موضوعيا قائما بذاته ، وان الشكل والمضمون ليسا وعاءين منفصلين ، يفكر الشاعر في كل منهما بعيدا عن الآخر ، ولكنهما يمتزجان ويتفاعلان . أما التفسير اللغوي فهو الاصل الاول لفهم المراد من الالفاظ ، وقد ختم الباحث دراسته مشيرا إلى ان قراءة الشعر لاتزال في انتظار منهج يرد عليها وحدتها الموضوعية .

● ومحاضرة : «الوسطية في هذا الدين» قد ألمّت بتحديد معنى الوسطية لغة فردته إلى الاعتدال وإلى الحس والعقل ، وإلى المعنى الحسي المادي . ثم تحدث المحاضر عن الوسطية في الزمان والمكان ، ملما بحياة الرسول كمثال للوسطية الصحيحة ، ومنتقلا إلى تركيز القول في وسطية المنهج القرآني ، واليسر في تطبيق الأحكام الشرعية ، والنهي عن الغلو والتنطع ، والحذر من التفريط ، وموقف الفرد والمجتمع في ضوء الوسطية ، والبحث هادف جاد .

● ومحاضرة الدكتور عبدالله الغذامي ، جولة مخلصة في تفسير نصوص فنية ، وللأستاذ أصالته القوية وميزة المحاضرة فيما أعقبته من نقاش حافل ، حيث قام نفر من المعقبين بالتعليق

الكاشف . وقد رد المحاضر على ما وجه إليه ، موضحا وجهة نظره في جلاء ، فكانت المحاضرة ثمرا طيبا أدى إلى تلاقح الأفكار ، وتتابع المعاني ، وليتنا نهتم بالنقاش دائما ، لينكشف الموضوع في أبهى صورة مميزة ، دون خفاء ، على أن يكون التحاور في حتمية الموضوع المطروح ، وفي موضوعية ملتزمة .

● أما محاضرة (تقنية التعامل مع النص) فذات اسم مفيد ، لأنها وضحت موقف الناقد من النص الأدبي ووجوب الاهتمام به كضيف أثير ، كما أوجبت دراسة منشىء النص للتعرف عن الينابيع التي ألهمته ووجهته ، واستشهدت بنصوص عربية وغربية تؤكد وجهة المحاضر ، وقد رسم الباحث صورة جيدة للتعامل مع النص القديم ، معززة بالاستشهاد ، مؤكدا منزلة الذوق الأدبي في الفهم والاستشفاف . وتأتي دراسة كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء ومصادر حازم التي رجع اليها) .. لتضيف الجديد حقا ، إذ تمكن الباحث من موضوعه تمكنا جعله يبرز أفكاره في وضوح ساطع ، كما أحسن ايجاز كثير مما تعرض له حازم من قواعد وأمثلة ، وقد ركز في الخاتمة على زبدة أفكار حازم في الشعر ، من حيث الموهبة والصناعة ، مع الدعوة إلى التوسع في الأعاريض ، وتعدد القوافي .

● ونجد محاضرة (الزمن العربي) موفقة في اتجاهها ، إذ أحالت موضوع الزمن الفلسفي إلى منطق أدبي سائغ ، يحفل بالاستشهاد التاريخي ، مع إلمام بالواقع العربي المعاصر ، تحليلا وتعليلا ونقدا .

● وفي الختام أتحدث عن محاضرة (اللغة في أدب طه حسين) كنمط من النظر التحليلي والكلمات والجمل ، ورد طبيعة التأليف

لدى الكاتب الكبير إلى مقومات هامة تأصلت لدى الدكتور طه حسين ، وكان مجال التركيب الاسمي للجملة موضع اهتمام الدارس ، وكذلك اختص المواقع الاعرابية للتراكيب الاسمية بنظر ثاقب ، متنقلا إلى دراسة التراكيب الاسمية بين البساطة والنقد .

● هذه وقفة سريعة بين المحاضرات المختلفة ، نشير إليها من بعيد ، لتدفع القارىء إلى المراجعة الدقيقة ، ولا أظنني ألممت إلماما كافيا بجوهر هذه المحاضرات ، بل كان من همي أن أجذب القارىء إلى رياض يراها بعينه ، ويشم عبيرها بذاته ، وله رأيه الخاص ، وفكره المستقل .

وبالله التوفيق .،،

عبدالفتاح أبو مدين



مفهوم البيان في النقد العربي

الدكتور
مصطفى ناصف

الأحد ١٦/٣/١٤١٠ هـ
الموافق ١٥/١٠/١٩٨٩ م





● الدكتور مصطفى ناصف

● من مواليد مركز سمنود غربية في ٣/٩/١٩٢٢ م

● أستاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس

● درّس في بلاد عربية وقام بالتدريس في جامعة لندن بمدرسة اللغات الشرقية ، حاصل على درجتى الماجستير والدكتوراه في مادة البلاغة .

عنوان الماجستير : بلادغة عبدالقاهر عرض ونقد . ١٩٤٨

عنوان الدكتوراه : البلاغة في الكشاف . ١٩٥٢

● أهم مؤلفاته :

١ ـ الصورة الأدبية

٢ ـ دراسة الأدب العربي

٣ ـ نظرية المعنى في النقد العربي

٤ ـ مشكلة المعنى في النقد الحديث

٥ ـ قراءة ثانية لشعرنا القديم

٦ ـ رمز الطفل في أدب المازني .

٧ ـ اللغة بين البلاغة والأسلوبية ، النادى الأدبى الثقافى بجدة .

٨ ـ طه حسين والتراث ، النادى الأدبى الثقافى بجدة .

إلى جانب بحوث آخرى نشرت في مجلة فصول عن قراءة في دلائل الاعجاز والجانب الانساني من الدلالة ، فضلا على مقالات في مجلة اقلام ، فهارس أعمال المازنى وماكتب عنه من دراسات ، وكتب بحثا في تقديم كتاب عن بيلوجرافيا المازني بعنوان البحث عن التكامل في أدب المازنى ، بالاضافة إلى مقالات في مجلة الأدب التى كان يرأسها المرحوم الأستاذ أمين الخولي .

ooo

○

من الواضح لمن يتتبع كتاب الجاحظ المشهور فى البيان والتبيين ان لفظ البيان كان يعنى عدة اشياء ،كان يعنى صناعة الكلام .هذه الصناعة التى خضعت لنقد اولى منذ نهاية العصر الجاهلى .ولكنه فيما يقول الدكتور طه سديد فى اغلب الاحوال .

والجاحظ كان يعلم ان صناعة الكلام كانت موضوع عناية شديدة منذ القرن الثانى . وقد كان الدافع الى هذه العناية يتمثل فى أمرين : اولهما ما كان بين الأحزاب السياسية من صراع تحول الى عقيدة نظرية ، وثانيهما : الحركة الفكرية القومية التى ظهرت فى ذلك العهد نفسه ، فلم تكن مساجد الكوفة والبصرة مجرد امكنة يتعبد فيها المسلمون ، ويفصل فى اقضيتهم ، بل كانت فوق ذلك مدارس يغشاها العلماء لتدريس اللغة والنحو والحديث والفقه ، والاخباريون ليقصوا على سامعيهم أخبار السيرة والفتوح والفتن ، وزعماء الأحزاب السياسية والفرق الدينية للجدل والمناظرة .

والذى يقرأ كتاب البيان والتبيين يرى طوائف غير قليلة تتحدث عن نشاط اللغة ، ويرى كذلك ان هناك عوائق تحول دون سيطرة الفكر السليم على نطاق واسع . قارىء البيان يلاحظ أن صناعة الكلام ترتبط بعض الأحيان بفكرة المهارة التى تستغنى أو لا تبالى بسلامة التفكير . وبعبارة أخرى يرى ان ما نسميه فصاحة اللسان ووضوح العبارة وظهور الحجة وخفة الروح والقدرة على الإفهام تأخذ مكان الحرص على أمانة العقل وإخلاصه ودأبه فى البحث عن حقائق الأشياء .

لقد نشأ عن العناية بصناعة الكلام متمثلة فى هذه الجوانب طبقة خاصة ذات نفوذ . نشأ فى كنف صناعة الكلام البحث عن بعض المنافع او دفع بعض المضار .

كل من يقرأ البيان مدققا متأملا يرى فطنة الجاحظ الغريبة إلى أن صناعة البيان فى وسعها أن تقلب الاشياء عن وجوهها ، وأن تظهر الأشياء براقة او جذابة وإن لم تكن واضحة محددة تماما . كان الجاحظ يعلم يقينا ما يحيط به فى المجتمع من الشك فى بعض القيم ، وكان يعلم يقينا ان الخروج من المآزق لم يكن رهينا باستقامة النفس وعفة الضمير وسلامة التفكير والولاء للمثل والواجب . كان الخروج من المآزق فضلا على الحصول على مزايا ادبية ومادية رهينا فى بعض الاحيان بإجادة صناعة الكلام ، وما تنطوى عليه من تجربة كل شىء تلذذا بالتجربة دون الارتباط الواضح بنظام عقلى أو اخلاقى متين . لقد قام الجاحظ بدورين متناقضين بعض التناقض . كان خادما مخلصا للثقافة

الخاصة المدققة ، وكان فى الوقت نفسه رائدا يعلم الناس صناعة الكلام .كان الجاحظ يعلم ان الثقافة الخاصة انصارها قليلون وخصومها كثيرون . وكان يعلم ان صناعة الكلام من الممكن ان تنافس صناعة التفكير الدقيق .كان الجاحظ يعلم ان المجتمع فى زمانه يذهب يمنة نحو صناعة الكلام ، ويذهب يسرة نحو التأمل النزيه الحر الدقيق . ويظهر أيضا ان الجاحظ كان يرى ان التوفيق بين المطلبين أمر عسير .

ومع ذلك فقد بذل الجاحظ وسعه فى هذه المشكلة . كان يستطرد لئلا يسأم قارىء مترف لا يقوى على التركيز . كذلك كان يمزج الهزل بالجد . وبعبارة اخرى أسهم الجاحظ فى أمرين : احدهما نسميه الآن باسم الثقافة العامة والثانى هو البيان او صناعة الكلام . وحاول فيما اقول ـ ان يقرب بينهما .

ولكن الجاحظ كما تعرف ذكى ماكر لا يقول كل ما فى نفسه . ولا أشك فى انه كان على يقين من مخاطر إتقان صناعة الكلام . كان الجاحظ مثقفا كبيرا يعرف ما لقوة الالفاظ وسحرها من اثر إيجابى وآخر سلبى ، وكان يعرف ان قوة الالفاظ تصرف القارىء او السامع احيانا عن تهافت المنطق ، وكان الجاحظ خفيف الروح لا يريد ان يثقل على قارئه بالعظات ، ولا يريد ان يقف موقفا مثاليا حالما ، ولا يريد ان يجر القارىء فى عنف إلى ما لا يحسنه . كان الجاحظ واقعيا مجربا فطنا يقدم اليك ثمار العقل ، ويقدم اليك نظرا وعملا ثمار البيان أو صناعة الكلام .

ويترك لك الباب مفتوحا فاما عشقت الكلام ، وإما عشقت التعقل الرصين ومطالبه الصعبة .

كتاب البيان للجاحظ كتاب ثرى ماكر يومىء الى انواع متنافسة من الكمال ، يومىء الى الثقافة العامة التى تعتمد على الأشباه والتقريب ، وترك الخوض فى مجاهل التفصيلات ، ويومىء الى الثقافة الخاصة ، وما يتكبد عشاقها من هزؤ وقراء قليلين وغموض وعجز عن تحويل الحق والخير الى واقع ملموس . فى هذا الجو المعقد يرى الجاحظ ان صناعة الكلام وظيفة ، وبعبارة اخرى كان الجاحظ يدرك ان صناعة الكلام لا تحقق دائما ما يسعى اليه بعض الناس من معرفة وفضيلة نقية .

صناعة الكلام هى صناعة بعض المهارات . واذا حققت شيئا غابت عنك اشياء اخرى . هذا ما يعيه الجاحظ . والمجتمع محتاج الى وظائف متضاربة من بعض النواحى . محتاج الى صناعة البيان والبحث عن المعرفة معا . ومن الباحثين من يذهب الى ان عنوان كتاب الجاحظ هو البيان والتبين . والتبين لفظ خاص ربما يشير بوجه اوضح الى النقد والتحقيق . والواقع ان هذين المعنيين يؤديان بنا الى طائفة من الملاحظات تتعلق فى جملتها بنقد صناعة الكلام ذاتها . ولكن الجاحظ الساخر يجعل الطريق امامنا شاقا احيانا . انظر مثلا الى كلامه عن التروى أكان يمدحه ام كان يهون منه ام كان يعطى باليمنى ما يأخذه باليسرى .

ومهما يكن فقد خدم الجاحظ نوعين اثنين على الأقل من القراء . خدم رجلا عاطلا عن العمل مزهوا طموحا تستهويه فصاحة اللسان ، وخدم رجلا مثقفا نشيطا ولكنه متبرم بحاله غير راض عنها . وهو يريد ان يستكمل ادواته ليحقق من اساليب النجاح ما تعجز عنه الثقافة الخالصة .

ما اساليب النجاح هذه ؟ لعل اجمع هذه الاساليب ما يصح ان نسميه باسم الملاءمة . كان الجاحظ يتصور ان اهم ما يقف فى طريق النجاح قارىء او سامع معاند مشغول الفكر ساهى القلب . لم يكن السامع فى نظر الجاحظ - دائما - فطنا يقظا راغبا فى التأمل والتمحيص والمعاناة . التأمل والتمحيص والمعاناة صناعة اخرى مختلفة عن صناعة الكلام وحذاقها . كان الجاحظ سىء الظن بالقراء ، وكان يرى ان القراء محتاجون الى من يتقرب اليهم ، ويستهويهم دون ان يشق عليهم ويكلفهم ما لا يطيقون . ولم العناء ونحن لا نبحث عن حقيقة صعبة او تكليف شاق او تحرير للعقل والروح . فما الذى يؤرق صناعة الكلام اذن ؟ يؤرقها التجاوب بين الفرد والمجتمع . هذا التجاوب الذى يجعلك ماهرا متقنا للحوار والصمت والإجابة والاحتجاج .

ولأمر ما لاحظ الجاحظ ان الذين يتصدون لتعليم الناس وهدايتهم يتقنون هذا الفن الذى يجور على التعليم النقى آناً ويخدمه آناً آخر .

إن أصحاب الفرق الدينية والأحزاب السياسية مشغولون

بآرائهم واعتقاداتهم وهم يريدون لها ان تذيع بين الناس . فإن اكتفوا بعرض هذه الآراء عرضا أمينا فلن يبلغوا ما يريدون . هم يريدون « الإبلاغ » وفن الإبلاغ اوصناعة الكلام يحقق لهم من المكاسب ما لا يحققه العرض الموضوعى الأمين . هم اذن محتاجون الى بعض « العبث » المعترف به ، اومحتاجون الى ان يلائموا بين آرائهم ومعتقداتهم من ناحية واستجابة الناس وقبولهم من ناحية ثانية . وها هنا نرى ان طلب الاستجابة او القبول كان شيئا يمكن ان يفسد ـ من الناحية النظرية على الاقل ـ التروى والتمييز . وبعبارة اخرى يدرك الجاحظ يقينا الفرق بين أمرين : حاجات الأفكار فى ذاتها من ناحية . وحاجاتها لكى تكون سلعة رائجة فى المجتمع من ناحية ثانية . وهذه هى وظيفة صناعة الكلام .

والقارىء الذى يدقق فى فحص ملاحظات الجاحظ يدرك دون صعوبة أن صناعة الكلام أو النشاط اللغوى يخلق موقفا خاصا به ، وانه ليس من الدقة فى شىء ان نقول ان لكل مقام مقالا . حقا ان هذه العبارة قد وردت اكثر من مرة فى كتاب البيان للجاحظ . ولكن إذا تمهلنا فى قراءة ملاحظات الجاحظ التى يرويها او يصطفيها اصطفاء عن اثر الالفاظ امكننا ان نستنتج فى يسر ان النشاط اللغوى ليس استجابة يسيرة آلية على نحو ما يومىء المرء برأسه موافقا . النشاط اللغوى يغير الموقف ويعد له او يعيد تكوينه او يحدث فيه حدثا . اللغة النشيطة اذن هى فى ذاتها مقام يجتذب الظروف المحيطة به او ينقيها ويخلقها . وقد

شاعت عبارة مطابقة الكلام لمقتضى الحال . والفضل فى تزكيتها يرجع الى الجاحظ . ولكن الذى يدقق فى قرأءة البيان يرى ان لفظ المطابقة غير دقيق لأنه يوحى بأن الكلام قد خضع لغيره من الظروف ، وسيق سوقا لخدمتها دون ان يسود عليها من بعض الوجوه . اعتقد ان الجاحظ كان يدرك ان صناعة الكلام تغير المقامات وربما جعلتها حاشية يسيرة عليها وربما اخضعتها لسطوتها وفاعليتها .

(٣)

ومع ذلك فالقارىء لا يستطيع ان يتجاهل المفارقات المذهلة فى كتابات الجاحظ . لدينا العبارات المشهورة التى يقول فيها الجاحظ المعانى مطروحة فى الطريق . كيف نفهم هذه العبارة . هل كان الجاحظ يرى ان دلالات الالفاظ معلومة للجميع لا تختلف فيما بينها وضوحا وخفاء . هل كان الجاحظ يرى ما يراه عبد القاهر والسكاكى عن دلالات الألفاظ الوضعية . هل كان يرى تبعا لذلك ان الالفاظ الرائعة لا تختلف عما سمى فى عبارات غريبة باسم الدلالات الثانية او الالتزامية .

فاذا زعمنا هذا الزعم فقد قللنا من شأن فاعلية اللغة او ذهبنا فى دلالات الالفاظ مذهبا كثر ناقدوه . ومع ذلك فإن فى وسعنا ان نزعم ان الجاحظ كان يتـردد بين آراء متقابلـة متعارضة . طورا يقول مع القائلين إن الألفاظ محدودة والمعانى غير محدودة ، فلا سبيل لنا فى هذه الحال الى أن نزعم ان هناك

مطابقة بين الألفاظ والمعانى . وطورا يرى ان الألفاظ مجرد علامات مطابقة للمعانى . والمعانى سابقة فى الذهن على نحو ما سيقول عبد القاهر .

لقد وقفنا هنا عند معنيين : اولهما صناعة الكلام ، وثانيهما الملاءمة . وقد جرنا هذا كله الى أن نقف عند مسألة العلامة . وأنا أسوق هنا نصا للجاحظ لعله ان يلقى بعض الضوء على المفارقات العميقة التى زعمناها فى تفكير الجاحظ .

يقول الجاحظ ان البيان هو الدلالة على المعنى الخفى . فما هذه الدلالة او العلامة . يمضى الجاحظ فيصنف الدلالات تصنيفا ، فيحدثنا عن الدلالة باللفظ التى تميز الأنسان عن سائر الحيوان . قال صاحب المنطق حد الأنسان الحى الناطق المبين . والدلالة بالإشارة وباليد والرأس والعين او بالثوب والسيف . والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هى له ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغنى عن الخط .

ثم الدلالة بالخط . وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ فى كتابه فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب .

ثم الدلالة بالعقد وهو الحساب دون اللفظ والخط . وقد جعل الله تعالى الشمس والقمر حسبانا .

ثم دلالة النصبة وهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السماوات والأرض ، وفى كل صامت وناطق ، وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق .

هذه هى صنوف البيان او الدلالات . الجاحظ لا يجعل للالفاظ هنا فاعلية ، وربما كان يمضى فى نفس الطريق الموطأ فى الفلسفة التى ورثها . وكان من أجل ذلك يرى الألفاظ مجرد علامات على افكارنا نستطيع بواسطتها أن نقربها ونوصلها الى غيرنا من الناس .

فى هذا السياق كله يريد الجاحظ ان يكون معلم عقل ، فلفظ الانسان يعنى نفس الشيء الذى كان ارسطو يقول به . وبعبارة اخرى اذا اراد الجاحظ ان يكون معلم عقل ذهب فى دلالة الألفاظ مذهبا مختلفا بعض الاختلاف عما نجده اذا اراد ان يكون معلم بيان او معلم صناعة الكلام . هذه هى المفارقة مرة اخرى بين شخصيتى الجاحظ ، بين فكرة العلامات وفكرة الألفاظ الساحرة الماكرة التى تصنع فى النفوس ما لا تصنعه العلامات .

ومهما يكن من شيء فقد ورث الجاحظ كل من أتى بعده هذا الأحساس المرير بأن صناعة الكلام ليس لها نصير من العقل المحتاط الحذر ، وأن أمام العلماء واجبا ثقيلا فى هذا المجال .

(٤)

وها هنا نستطيع أن نلقى نظرة على كتاب مهم عرف باسم نقد النثر ثم عرف باسم ثان فقيل البرهان فى وجوه البيان . والعنوان الأخير نفسه يحملنا حملا على العناية به ، فماذا كان موقف المؤلف من وجوه البيان التى ذكرها الجاحظ وماذا كان موقفه من التعارض بين صناعة العقل وصناعة البيان .

يستطيع القارىء دون عناء أن يلاحظ أن المؤلفين جميعا يريان أن بيان الأشياء بذواتها لا يتعرض للتلوث الذى يتعرض له البيان اللغوى ، والأشياء فى ذاتها إن صح هذا التعبير تفصح عن حقائق ناصعة مستقرة لا لبس فيها ولا غموض ، وقد كان صاحب البرهان على الخصوص يذكر فى هذا المقام استعمال كلمة الآية والآيات فى القرآن الكريم ، ويذكرنا بما فى هذا الاستعمال من نقاء الحقيقة وصفائها وعمقها .

لنلاحظ دون تردد هذا التقابل الذى ورثه علماء القرن الرابع عن الجاحظ ، وإذا كان هناك جاذبية خاصة للسان والألفاظ فإن للدليل والعقل والفكر وقارا ، من وجوه البيان بعبارة أخرى ما يحفل بهذه الأشياء لأن الانسان يريد أن يتقى الزلل والعثار ، ويريد أن يشفى نفسه إذا استعملنا هذه العبارات الحديثة ، وفى هذا المقام يستعمل صاحب البرهان لفظ الحكمة استعمالا خاصا من أجل التعبير عن هذا الشفاء .

واضح جدا فى كتاب البرهان أن المؤلف يريد أن يميز بين النمو والخير والصواب من ناحية والمهارة اللسانية والمنفعة والملاءمة من ناحية ثانية ، لقد كانت وجوه البيان على هذا النحو تتضارب أكثر مما تتصادق وتتآزر .

الحقيقة أن خير جوانب هذا الكتاب إقراره بأن صناعة الكلام ليست قرينة المعرفة دائما ، كان صاحب البرهان مختلفا عن الجاحظ ، كان داعية ينحاز إلى العقل انحيازا أكثر صراحة

واستقامة ، وكان يحدثنا عما يفسد أحكامنا بين وقت وآخر ، فى القسم الأول يحذرنا مما يجيزه إذا دخل فى فن الكلام ، فى البيان العقلى الملتزم بالاستقامة ملاحظات شائقة ما تزال مفيدة لنا الآن ، يحدثنا المؤلف عن استعمال العبارات أو الصيغ التى تخطر على الذهن بطريقة آلية لاندفاعنا فى التعميم أو المجازفة والتهويل ، وهنا لا تكون الألفاظ محسوبة ، ولا تكون رقابة العقل قاسية ، هنا يضرب المؤلف الملاحظات الكثيرة التى أوردها الجاحظ حيث يزكى التسامح وسماحة الألفاظ دون قيد ، ولنلاحظ أن استعمال كلمة العقل فى كتاب البرهان لا يعنى العقل النظرى المجرد ، وإنما يعنى فى الأغلب العقل المهموم بمصلحة المجتمع وضميره . صاحب البرهان يلاحظ أن الناس يتسامحون ، ولا يحصلون الأشياء تحصيلا دقيقا لأنهم مشغولون بصناعة الكلام ، فى ظل هذه الصناعة يتهاون الناس فى التفكير ، وترتكب مغالطات غير قليلة لم تفت الجاحظ العظيم نفسه ، وقد مضى صاحب البرهان فأشار إلى العبارات الانفعالية التى تقوم على التهاون والاهمال والتحيز ، هذه العبارات قد تأخذ أحيانا شكل تشبيه مؤثر ، وقد تستمد قوتها من علاقات وهمية بين بعض الألفاظ ، وفى كل هذه الحالات نستمتع أو نفتتن دون أن نلاحظ أن ليس لاستمتاعنا وفتنتنا سبب مشروع .

أريد أن أزعم أن صاحب البرهان كان شديد الوعى بمخاطر البيان الحاذق . كان يعرف أن بعض الانفعالات القوية لا نصير

لها من الحكم ، وأن ثم فرقا بين الاقناع والتأمل الحر . صناعة الكلام إذن تقوم أكثر ما تقوم إما على انفعالات لا عقلية او قضايا تأخذ بنصيب من الصواب دون نصيب . لنقل بعبارة اخرى إن صاحب البرهان كان يعرف كما يعرف الجاحظ ان التعامل مع الجمهور يتم فى كثير من الأحيان على حساب التروى والتدقيق ، وبعبارة أخرى إن المطابقة أو الملاءمة التى علت فى كتابات الجاحظ تعرضت لريب غير قليل . وتحت ستار هذه الملاءمة يستباح التفكير غير المدقق ، ويستباح التشيع لبعض الانفعالات التى خرجت عن طور التروى والتمهل والحذر .

لنقل بوضوح وصراحة إن مسألة الملاءمة والمطابقة لقيت معارضة غير قليلة فى تراثنا العربى . ولكن يبدو أننا لا نعثر على كنوزنا فى يسر . تحت ستار الملاءمة وخلابتها يستهوى الناس - كثيرا - الترابط بين الأشياء أكثر مما يستهويهم التمييز بينها . جل التراث البيانى الذى نتعامل معه لا يناصر فكرة التمييز مناصرة صريحة . نحن ما نزال نعشق التناظر بأكثر مما نعشق التفريق . وربما يكون هذا أحد الاعتراضات الأساسية .

ولو قد كان الجاحظ خالص القلب للتمييز لما استعذب تحسين القبيح ، ولما تغنى بالتشبيه دون احتراز ، ولما أعطى للعرف والاعتقاد الشخصى قيمة بحجة أنه يحقق منفعة ويلبى حاجة . حين تعالج صناعة الكلام عبارات يسيرة مثل هذا شجاع أو كريم لا ترى من واجبها أن تسأل فيم كانت شجاعته ومتى . وكيف تميزت . وأى المواقف لفتت أنظار القائل . وهل

احتاط القائل فى الإثبات . وبعبارة اخرى نحن لا نتعلم التروى حين نتعلم صناعة الكلام . هذا واضح فى عقول بعض الكتاب فى تراثنا القديم . حين نتعلم صناعة الكلام نتعلم واعين او غير واعين اشياء كثيرة من مثل التخفى عن انفسنا وعن الناس . واذا رحت اضرب المثل على هذا كله فسوف احتاج الى وقت طويل . والكتاب ماثل بين ايدينا . استطيع ان اؤكد ان فى الكتاب ملاحظات كثيرة نافعة يمكن ان تترجم الى لغة حديثة ، وان تفيد فائدة محققة فى التعرف على مخاطر الثقافة العامة وخطاب الجماهير وتزييف العقل والارادة تحت ستار البلاغة وافهام الجمهور ودعوى مطابقة الكلام لمطالبه .

(٥)

كناب البرهان يوضح بطريقة تدعو الى الأسى الجفوة بين البلاغة والحقيقة ، أوبين التفهم وحسن الإفهام ، أوبين الدقة والتوسع ، أو بين الحدود والمبالغة . والبيان الخطابى والشعرى عند صاحب الكتاب ليس الا صورة لما يسميه باسم البلاغة والإفهام الحسن والتوسع والمبالغة .

الاستعمال الأدبى عند صاحب البرهان يتخلى عن مطالب عزيزة . ومن الواضح ان المؤلف يرى ان المجتمع مطالب بحماية وظائف اخرى للغة حتى يسلم من التحيز لوظيفة البيان الأدبى .

قال صاحب البرهان عن الاستعارة « وهى معقد الشاعرية » : وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها فى كلام العرب لأن الفاظهم اكثر من معانيهم . وليس هذا فى لسان غير لسانهم . ليس هناك ما هو اقسى من هذه العبارات . ومضى فقال : فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره .

ويمضى صاحب البرهان فى اتهام العقل العربى قائلا : واما المبالغة فمن شأن العرب ان تبالغ فى الوصف والذم كما من شأنها ان تختصر وتوجز ، وذلك لتوسعها فى الكلام واقتدارها عليه . لقد شغل التوسع والمبالغة كل انسان فى البيان العربى بلا استثناء . لقد اقض التوسع والمبالغة والاقتدار على الكلام وزيادة الالفاظ كل مضجع . لقد شغل البيان العربى بمداواة هذه الاحاسيس ، ولكنها ظلت تومض من وقت الى آخر متحدية .

ومهما يكن فقد افصح صاحب البرهان بأكثر جدا مما صنع الجاحظ عن التناقض بين وجوه البيان وعدوان بعض الوظائف اللغوية فى المجتمع على بعض ، واوضح - ولو بطريقة غير مباشرة - عن حاجة النظام البيانى الى عقول كبيرة تواجه هذه الاتهامات القاسية التى صدرت عن الاتقياء والمتعصبين والعاجزين عن التذوق وسبر النشاط الأدبى فى اللغة ، والخائفين على مصير المجتمع الإسلامى من اطلاق العنان

للشعر والانفعال ودعاوى ملاءمة الخطاب للجماهير . وكان من السهل ادخال مبدأى التوسع والمبالغة فى هذه الملاءمة التى كانت فى جوهرها فرضا أدل ما يكون على صعوبة مواجهة الموقف واذعانا لكل اعتراض نبيل .

(٦)

ليس من العسير ان ندعى ان بعض الباحثين المتقدمين قد أدرك فى ضوء مثل هذه الملاحظات ان معالجة الشعر والادب اقل من ان ترضى معارضا عنيدا يزعم انه نصير البحث عن الحدود والقيود . ونحن نذكر فى هذا المقام ما صنعه على الخصوص عبد القاهر الجرجانى ثم ابويعقوب السكاكى . فقد رأى كلاهما ـ على الخصوص ـ ان عليهما ما يشبه الثورة فى فهم لغة الشعر من خلال التقريب بينه وبين مطالب التروى . والامر ما افترضا ان الشعر او المجاز يقوم على دعوى الشىء بواسطة بينة او دليل . واذا كان الدليل احيانا عقليا فلسفيا فإنه احيانا اخرى يكون عمليا مستقى من العرف المجرب والواقع الملموس . والغريب فى هذا المنطق انه كان يطوى فى داخله بعض الريب فى استعمال الالفاظ . فالباحثان معا يقران ضمنا بان الشجاعة والكرم اللذين دار حولهما شعر كثير يمكن ان يرتاب فيهما القارىء او يحملهما على التوسع والمبالغة ، ولابد لنا من علاج هذا الاحساس ، او لابد لنا فى منطق هذين الباحثين ان نلتمس فى هذا الشعر الكثير احتجاجا على الصدق والامانة

والقصد . ونحن جميعا نذكر ما قيل فى الدلالة الالتزامية بوجه خاص ، وما قيل فى الانتقال من المتبوع الى التابع والانتقال من التابع الى المتبوع . فى كل هذه الاحوال حاول هذان الزعيمان أن ينقذا الشعر ، وان يلتمسا فى كل شيء وجوها من تأييد المعانى أو اثباتها أو استنقاذها من براثن التوسع والمبالغة . وربما قيل إن عبد القاهر والسكاكى حاولا فى جهد مرير الاستفادة والتنسيق بين الدلالة المتعلقة بالإشارة بوجه عام ودلالة الاشياء بذواتها التى سمعنا بها فى حديث الجاحظ .

جرى زعماء المدرسة المتأخرة من بعض الوجوه الاخرى فى ركاب المعلم الاول النافذ الاثر وهو ابو عثمان الجاحظ الذى كان مفعم الرغبة بالبحث عن اوجه الملاءمة . وكانت الملاءمة فكرة ساحرة حقا . يقول الجاحظ فى وصف قدرة ثمامة بن اشرس أحد رؤوس المعتزلة . كان لفظه فى وزن اشارته ، وكان معناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك أسرع من معناه الى قلبك . فى هذه العبارات نجد التلاؤم الوثيق بين الألفاظ والإشارات وبين الألفاظ والمعانى ، وبين السمع والقلب . كانت الملاءمة مفتاحا للثناء على الشعر والمخاطب والمتكلم جميعا . ويظهر ان المعتزلة بوجه خاص فتنوا بمبدأ الملاءمة فتحدثوا عن حق المعنى الشريف فى اللفظ الشريف وموافقة الحال والصواب الذى لا يخرج عن هذه الموافقة او ما يجب لكل مقام من مقال . واستمر تيار التشيع لهذه المشاكلة المزعومة بين الالفاظ والمعانى والحالات حتى جاء عبد القاهر ومن بعده السكاكى فنقبا عن

وجه جديد من وجوه الملاءمة او المطابقة فى ظل فلسفة هائلة لمعالجة مبدأ الإنكار والمنكرين للشعر . ووقع الجميع أسرى الجاحظ . لم يستطع احد ان ينجو من أثره . اكان ذلك خيرا كله . لا ادرى ولكن من الراجح عندى ان الملاءمة عند الجاحظ كانت قرينة المتعة التى كان يبحث عنها بعد ان أثقله الكلام فى الاعتزال وغلوه فى التأول وبعده عن روح اللغة وعبثه بشخصية التراكيب . كان التلاؤم عنده تعويضا ويسرا ، وكان عند عبدالقاهر والسكاكى رهقا والتزاما . ذلك ان عبدالقاهر والسكاكى على الخصوص عناهما شىء كثير جليل . عناهما ان يفلسفا للظرف الذى اشار اليه الجاحظ مسرعا على عادته ، وعناهما أن يفلسفا لمبدأ مناقض هو الشرف الذى كان يذكر كلما ذكرت أصول العربية الاولى . عناهما ان يقيما صلة بين الفقه والفلسفة واللغة والادب . عناهما ان يستوعبا او يحاولا ايجاد تفاعل ثقافى بين هذه الأنماط جميعا . ربما كانا يحلمان بان ثقافة الادب يجب ان تكون أكثر صمودا لتيارات الشك واعمق تعبيرا عن الحاجة الى وحدة مفترضة بين هموم كثيرة . ولا ازيد فانا مشغول هنا بقضية التلاؤم .

اريد الآن ان اتشكك فى سرف تطبيق التلاؤم او المطابقة . واريد ان اسأل سؤالا ارجو الا تجد فيه غرابة وشذوذا .

اذا كانت الالفاظ كائنات اجتماعية اليس من الجائز ان نفهم العلاقة بينها فى ضوء ما يكتنف هذا التلاؤم من اتقاء

ومجاهدة . الالفاظ يتقى بعضها بعضا ، ويجاهد بعضها بعضا .

هل وضح عند الجاحظ والسائرين على دربه مفهوم المجاهدة الذى يعدل من مفهوم التلاؤم ، ويعدل من دعاوى التوسع والمبالغة تعديلا اكثر عمقا ، ويرفع عن كاهل التراث إصرا كبيرا .

لم يكن من الممكن ان يخطر لجمهور الباحثين مفهوم المجاهدة او ان يتصوروا مبدأ الحياة الاجتماعية المتوترة بين الكلمات . كانوا على العكس يفترضون معنى ثابتا صحيحا للكلمة ينبغى ان تلتزم به او هو حقها ومواضعتها ، ويتصورون ان معنى جملة يبنى من معان منفصلة لكلماتها .

لم تكن معانى الكلمات ظنونا يسعى المرء إلى تكوينها من خلال التركيبات التى تدخل فيها . وهكذا اعان الجاحظ الباحثين على العناية بالمباهاة والمماراة دون التبصر فى معانى الكلمات . ذلك لان التبصر مرده ان الكلمات لا تطابق شيئا ، وأننا نحاول من خلال التركيبات الكبيرة ان نتفهم او ان نتعسس امرا عالقا بالكلمات .

اوحى الجاحظ الينا ان الكلمات تؤدى ببساطة وتلقائية وطواعية غريبة مفهومات وكلت اليها . هذه مأساة التطابق الذى لا يلقى بالا للصعوبات التى تعترض الانسان فى سبيل اقتناص ما يعنيه . فالكلمات اهداف ترى وتغيب ، نتطاول اليها

ونخشع امامها . ولكن كل شيء فى دنيا الكلمات عند الجاحظ مستقر ثابت معلوم ، والعلاقات ساكنة مستريحة مترفة كسول يسودها التلاؤم المثالى والتفاهم التام والبلوغ الذى لا ينال .

(٧)

ان النقاد المتقدمين بلا استثناء عدوا مفهوم التطابق جزءاً اصليا من بنية اللغة ، وقد افسد هذا التطـابق كثيرا من نظراتهم ، او ربما تحيزوا له بأكثر مما ينبغى . ويمكن ان نعد هذه الملاحظة بابا لتغيير أساسى فى فقه المعنى .

من ذلك ان النقاد تحدثوا بطرق مختلفة عن تأدية المعنى الاصلى ، وافادة معان فوق المعنى الأصلى ، وتحدثوا عما سموه مراتب الإفادة الثانية فى الوضوح . وكانت المعانى الثانية ـ غالبا ـ تعيش فى فلك مطابقة المعنى الأصلى ، وقد سميت هذه المطابقة بأسماء مختلفة مثل التقرير وبيان الحال ، وسميت أحيانا باسم البينة على صحة المعنى الاصلى . وفى كل هذه التسميات وقعوا فى أسر التطابق ، ويجب ان نتشكك بكل ما أوتينا من قوة فى طريقة شرح المعنى ، وان نعطى على اقل تقدير نصيبا مساويا للاختلاف الذى هو نقيض البحث عن التطابق .

لقد أهم (الاختلاف) الأستاذ الدكتور عبدالله الغذامى فى بحثه عن العمودية والنصوصية . وسأحاول أن أدير هـذا

المفتاح المفيد . وربما أعطيت له أحد معان ثلاثة .

١ ـ الفرق الذى يعمل مع التشابه أو الترابط .

٢ ـ اجتماع المستويات المتقابلة .

٣ ـ التناكر الساخر بين عناصر المعنى .

الاختلاف أكثر نفاذا من التطابق والتشابه والبينة . الاختلاف بين المواقف لا يذوب تماما فى التشابه والتلاؤم والوحدة . فى داخل كل موقف يوجد موقف مخالف سهونا عنه كثيرا . وترك هذا السهو آثارا مدمرة فى فقه ما سميناه معنى أصليا وما سميناه معنى ثانيا . فاذا تعاملنا مع الألفاظ من حيث هى استجابات لمواقف فإننا غالبا ما ننسى مسألة التخالف أو المسافة أو الثغرة أو التوقف أو المضى الحذر أو قدر من التراجع . وعلى هذا النحو يمكن ان نزعم ان فقه مدلول لفظ كالكرم لا يخلو فى بعض المواقف على الاقل من مثل هذه الايماءات . وقد تشكك التحليل النفسى منذ زمن طويل فى بعض المواقف الوهمية التى نسميها باسم الشهامة والمروءة والبطولة الخالصة . وتشكك فى صفو التقدير والتوافق التام . ولكننا ننخدع بلفظ الإثبات ، كذلك نهمل الاستجابات المضادة او الحذرة فى فهم مدلولات الالفاظ ، ونتناسى فى فحص الالفاظ ما نعرفه معرفة حسنة فى حياتنا العملية دون ان نفيد من هذه المعرفة او دون ان نترجمها الى مبادىء . واذا خرج المرء من منزله فوجد الطريق مزدحما فمن الواضح ان عبارة الزحام

تتضمن الإشارة الى موقف الرفض . واذا وقفنا امام منظر رائع فمن الواضح ان الروعة تخرج بنا عن تيار الملاحظات العادية ونضعها بين قوسين . واذا قلنا هذا رجل شريف تمنينا ان « ننافسه » ، والا يلغى وجودنا . اما اذا استعملنا صيغة التفضيل والتعجب فمن الواضح اننا ننادى بالمخالفة او نجهر بها او نعتز بملاحظتها .

وهكذا يتبدى الخلاف اساسيا . ولكننا نهمله لاننا غالبا لا نهتم بالتمحيص ، ولا نهتم بمقدار التعقيد او التركيب الذى تنطوى عليه مواقفنا . ونتناسى فى الوقت نفسه اننا نعشق المخالفة بنفس عشقنا للتوافق والتطابق . وليس منا من يريد ان « يذوب » فى شىء اخر ، وليس منا من لا يبحث عن التخالف . ومفهوم التصالح او الاتساق او التفاهم لا يخلو فى ثناياه من هذا التخالف او النتوء .

وقد يكون لاهمال التخالف دلالات نفسية او اجتماعية يجب بحثها . وقد يقال اننا لا نقوى على التعامل مع التخالف ، ولا نستطيع ان نكون من التخالف والتوافق علاقة صحية واحدة . ومعظم تصورنا للتخالف يكسر التفاهم والمشاركة ، ولهذا أثر ضار فى حياتنا وقراءتنا .

والمهم الآن ان قدماءنا فى النقد الادبى عافوا التخالف ، وانهم عجزوا عن تبين مدخله فى العبارات النثرية التى لجأوا اليها . والغريب انهم حين استوقفونا طويلا عند قولهم المفضل

رأيت اسدا لم يلمحوا ان هناك اختلافا ضمنيا بيننا وبين هذا الاسد التصويرى ، وان هذا الاختلاف يصعب الغض منه .

(٨)

ان الاختلاف يؤدى دورا لا يقل اهمية عن المشابهة والتوحد والإثبات . وحينما يقال مثلا فلانة بعيدة مهوى القرط نلاحظ ان عنقها ينافس قرطها ، وربما كان قرطها ينافس ايضا عنقها ، وكما يتجاذب العنق والقرط يتخالفان . وقدر من تخالفهما اساسى فى تفهم مثل هذه العبارة . وعلى هذا النحو لا نستطيع ان نقول ان القرط مجرد خادم للعنق . ولا نستطيع ان نزعم ان العبارة خادمة لتوضيح صفة فى العنق . ويمكن ان نزعم ايضا ان هذه الصفة نفسها تتعرض للاختفاء ، كل شىء هنا يتحرك مثل البندول يمنة ويسرة . ولنفرض انك تقول مع عبد القاهر فلان يقدم رجلا ويؤخر اخرى . هذا التعبير ربما لا يكون مجرد خادم للتردد . فهناك نبرة اعتراض على هذا الموقف ، وهناك نبرة اعتراض على المتلقى ايضا لانه يستثيره الى موقف محير ويكاد يعوقه عن الحركة المطمئنة . ومهما يكن فالحركة المتعثرة والحركة المطمئنة تمثلان معا فى التعبير . وليس هذا بالامر الصعب .

اما حكاية نؤوم الضحى عند امرىء القيس فهى اطول من ان تختصر فى عجالة ذات طابع تعليمى . ولكن الذين يقرأون المطولة او هذا الجزء منها يلاحظون ان هذه المرأة (أهى امرأة

حقا ؟) تستغنى عن الضحى او لا تستطيع ان تواجهه ، لانها عاشقة إما للظلام وإما للنفاذ فى اعماق النبات . وهذا كله ليس على مبعدة من معنى الخلاف .

ولا احب ان نتردد فى موضوع كثير الرماد الذى استوقف غير واحد من الباحثين المعاصرين . ومن الخطأ ان ننظر إلى مثل هذه العبارة فى سياق الشعر على إنها علامة . فالعلامة تابعة على حين ان العبارات فى الشعر تتأبى على مفهوم العلامة أو الدلالة المنصوص عليها فى التراث القديم . ولا اتردد كثيرا فى هذا المقام . فقد يعنى الرماد الكثير محاولة فض الخلاف بين الفرد والمجتمع ، قد يعنى ان علاقة التوتر بين الغنى والمجتمع من الصعب التخفيف منها إلا بثمن غال ، وقد يعنى ان الغنى لا يقبل فى المجتمع إلا اذا حط عن نفسه « أوزار » الغنى . فهناك اذن قدر من التوتر أو الاختلاف ، إما بين الفرد ونفسه واما بينه وبين المجتمع . اضف إلى ذلك ان حيوية السياق الادبى تجعل كثير الرماد أكبر من « الكريم » اى انها تذهب بعيدا بفكرة العلامة . إن فكرة العلامة عودة الى المطابقة القديمة على حين يخيل الينا غير ذلك .

ولكن فى كل موضع اهمل التخـالف ، وبحث النقاد عن التلاؤم ، بحثوا عن التلاؤم بين الالفاظ والمعانى وبحثوا عن التلاؤم بين الالفاظ والقوافى ، وبحث المحدثون عن التلاؤم بين موسيقى الاوزان وبعض العواطف . وجرى الجميع خوفا من مواجهة المخالفة .

قل أن نلتفت الى ما يصنعه التنافر بين الألفاظ والمعانى أو التنافر بين الألفاظ والقوافى . وبعبارة اخرى إننا نرى هذا التنافر عيبا على اطلاقه . وعلى هذا النحو أخذنا نشيد بلا تحفظ بالعذوبة والسلاسة والانسجام ، وأخذنا نذم الغريب دون احتياط أو التفات إلى اهمية التفاوت الضمنى بينه وبين المألوف المعتاد .

ومثل هذا كثير . إن العلاقة بين الكلمات فى التراث مدارها التوافق . والتوافق هو الذى يسمى احيانا توضيحا اذا استعملنا لغة مقبولة بوجه ما عند كثيرين منا ، وقد يسمى مبالغة على نحو ما اشار الباحثون ، ولكن هذا التوضيح اخذ اكثر مما يستحق حتى عدا على حقوق بعض المخالفة . ويحضرنى الآن قوله تعالى فى سورة البقرة : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » . ألا ترى هنا الخصومة بين هؤلاء المنافقين وهذه النار التى استوقدوها . ولكننا مستعدون لأن ننسى هذه الخصومة إذا تسابقنا فى تيار الوضوح او التوضيح .

(٩)

ومواقف المخالفة كثيرة ومتنوعة ، والكلام فيها يطول . وانا هنا أهيب بالقارىء لكى يتشكك معى فيما نألفه منذ زمن طويل . إننا نقول مع صاحب الصناعتين وغيره من القدماء ان الأدباء يوضحون غير المعتاد بالمعتاد ، ويوضحون غير المحسوس

بالمحسوس ، ويوضحون النظرى بالعملى ، ويوضحون ما لا تجرى به العادة بما تجرى به العادة ، وقد يكون كثير من الادباء أبرياء . وقد نتوهم اننا نترجم عما يفعلون ترجمة حسنة ، وهذا مبالغ فيه . ان الادباء يربطون بين ما نسميه العادى وغير العادى ، ويأتى الشراح فيضيفون اليهم مبدأ التوضيح وما يشبهه . وقد حان الوقت لكى ندرك اثر التجاور فيما نسميه باسم المعتاد او المحسوس او العملى . لا احد يفترض ان كلا من الطرفين يناوش صاحبه ، وان ما هو فى نظرنا معتاد قد يستحيل فى بعض المواضع الى غير المعتاد ، وبعبارة ثانية اننا نلاحظ ان الافكار تتكاثف بأكثر مما نلاحظ ان المحسوسات قد تتصعد فى نفس الموقف .

والحقيقة ان مبدأ الفصل هو الذى يجنى على تفهمنا ، ويحرمنا من تأمل التناوش المتبادل بين الفكرى والحسى بطريقة تجعلهما معا متنافسين بحيث يستطيع المتأمل ان يقف موقف الساخر من وضوح الحس المزعوم . وليس هناك مبدأ واحد للتفسير ، ولكن من المهم ان نزعم ان الشعر حينما يربط بين الحس وغير الحس يصنع عالما مغايرا قد يجعل ما بينهما ابعد الاشياء عن خدمة احد الطرفين لصاحبه او سيره فى ركابه . يقول البحترى فى بيتين يستشهد بهما عبد القاهر :

دان على أيدى العفاة وشاسع
عن كل ند فى الندى وضريب

كــــالبـــــدر أفـــــرط فى العلـــو وضـــوؤه
للعصبــــة الســـــارين جـــــد قــــريب

هل احتج البحترى هنا للعلاقة بين البعد والقرب أم ساعد فى الوقت نفسه على التساؤل عن مشروعية هذا الموقف . وبعبارة اخرى هل حرص على ابقاء الموقف بعيدا غريبا .

الحقيقة ان هناك مبدأين خطيرين يجب التنبيه اليهما : احد هذين المبدأين هو المشابهة . وقد سرت المشابهة فى التفكير التقليدى مسرى الريح حتى قال الآمدى ان العرب استعارت الشىء لما يشبهه او يدانيه . ولا احد يعرف لماذا يستعير العرب وغير العرب لان الاستعارة عميقة عمق الحياة نفسها ، ومن الواضح ان الآمدى يتصور ما يشاء ، وان العرب تستعير الاشياء لما لا يشبهها . فالخلاف عنصر اساسى فى الاستعارة . وليس من الصحيح ان الخلاف يوجد احيانا ويختفى احيانا . الخلاف اقرب إلى ان يكون مبدأ مشتركا ، يقول تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » . هنا تجد كلمة الذوق قد طاردت استعمالات اخرى كثيرة أو قامت على اقصائها . وهذا واضح ، فان ذوق الموت لا يشبه أى ذوق آخر . وكثيرا ما تقوم الكلمات على استحضار نشاطها فى سياقات اخرى ثم دفعها والقائها على مبعدة . ونشاط الشعر بوجه عام قد يقوم على اطراح ما نسميه باسم عاطفة الحياة حتى تصبح الكلمات وجودا مستقلا بنفسه متساميا عليها . وهذا معنى ما يقال احيانا من ان الفن يخلق عاطفة خاصة به . والمهم اننا قد اعلينا « المشابهة » اعلاء

مسرفا . واكاد اعتقد ان الاسلوب المتعارف الذى يبحث عن التشابه يجنى على الشعر ، فنحن حينما نواجه شيئين لا نلغيهما من اجل البحث عن التشابه على نحو ما يفهم من كلام كثير فى الدراسات القديمة والحديثة . أننا نبقى الشيئين معا لانهما يمثلان معا . وهل منا من يفكر فى ان يلغى وجود ممثلين على المسرح من اجل استخراج علاقة بينهما ، فضلا عن ان تكون هذه العلاقة وهمية نسميها باسم المشابهة ، ان الكلمات يواجه بعضها بعضا . وليس فى نية احد ان يمحو هذا الاختلاف . ونحن نعجب بالمختلفين حين يأتلفان ، ولكننا نعجب فى الوقت نفسه بهذين المختلفين حين لا يستطيع الائتلاف ان يمحو ما بينهما من فروق او مواجهات . ومن اجل ذلك كان البحث عن وجوه التشابه مضيعة للوقت والشعر فى بعض الاحيان على الأقل . اننا حين نربط بين فتاة ووردة او زهرة لا نريد ان نحيل على وجوه شبه ، وانما نريد ان نبقى الفتاة والوردة معا ، نريد احيانا ايضا ان نتأمل فى رغبتنا فى ان تتسامى الفتاة الى الوردة دون ان يتم لها ذلك ، وقل مثل ذلك فى الوردة التى يمكن ان تنمو فى الذهن حتى تنحو نحو الفتاة . ومع ذلك فنحن نتقبل مثل هذه العبارة لاننا ندرك يقينا ان الفتاة والوردة مهما يتعاطفا فهما متفاوتتان تنظر الواحدة الى الاخرى ثم تعود فتنظر الى نفسها . اى ان اعجابنا بأى رباط بين الاشياء يخفى فى داخله اقرارا ضمنيا بأنها متفاوتة ، وليس ثم تعاطف يمكن ان يتم بمعزل عن التراجع . ونحن ننحو نحو

الآخرين ثم نعود الى انفسنا بعد ذلك او فى اثنائه . وعلى هذا النحو كل الرباط الذى نقرؤه . وهذه ملاحظات ليست عميقة ولكنها غريبة بعض الغرابة لاننا قد الفنا منذ وقت بعيد ان نتساءل كلما رأينا شيئين يجتمعان عن وجه الشبه ما هو ؟ حقا قد يكون وجه الشبه مفيدا فى بعض الاحيان ،ولكنى احسب انه لا يفيد فى كل أوان .

(١٠)

أحسب أن مسألة المخالفة اساسية فيما نسميه باسم الاستعارة . اقرأ قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا » . الا ترى معى ان هذا المثل الكريم يطوى فى داخله انكارا ، ونحن نقرأ المثل فنقول ما ينبغى للانسان وقد أهدى اليه كتاب كريم ان يصير مثل حمار مثقل . اى ان الاختلاف باق من بعض الوجوه .

ان فكرة البيان على هذا النحو القديم ضيقة . ان البيان المعتمد على المخالفة ينبغى ان يشغل بالنا . اما البيان الذى يسمونه فى التراث العربى باسم دعوى الشىء ببينة فأمر يحتاج اليه فى الخطابة واقناع الناس بما نرى ، وتحريضهم على سلوك معين دون سواه . ولكننا نحتاج ايضا الى التخفف من عبء الخطابة والاقناع والتحريض ، اونحتاج الى التخفف من عبء الإثبات ، ونستريح الى التقابل احيانا او نستريح الى حرية الحركة والتغنى بهذه الحرية التى تمكننا من ان نرى الشىء

ونقيضه ، فنعود لا نلتزم بوجهة معينة ، ولا يأسرنا ثقل معين . ولكن دعوى الشيء ببينة شديدة الأهمية فى تراثنا عميقة الجذور ، وليست وليدة العصور المتأخرة . قد تكون العصور المتأخرة المسماة بالبلاغة اضافت الى الفكرة اشياء او زادتها جفوة ، ولكن اصول الفكرة كما قلنا تمتد الى القرن الثالث الهجرى نفسه حينما كان المتناظرون يهاجم بعضهم بعضا .

ومهما يكن فأن وقفة الباحثين المتقدمين عند هذه القضية هى جملة نظرتهم الى امر البيان ومعقد القول فيه . ولذلك احب ان اتمهل قليلا . يقول استاذى امين الخولى فى كتابه فن القول ص ١٩٣ ختم القوم علم البيان بفصل وازنوا فيه بين صور التعبير التى تولوها بالشرح فى هذا العلم ، وادأروه عليها ، فقالوا اطبق البلغاء على ان المجاز والكناية ابلغ من التصريح والحقيقة لان الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم ، فهوكدعوى الشيء ببينة . فكان فضل تعبير على تعبير انه انتقال من الملزوم الى اللازم . وبيانهم لهذا الحسن انه كدعوى الشيء ببينة . ثم قال الاستاذ امين وانت واجد فى هاتين الخطوتين منهجين مختلفين لقضية لها منهج ثالث غيرهما . فالمنهجان المختلفان هما المنهج العقلى فى اللزوم والملزوم واللازم ، وان وجود احدهما يقتضى وجود الثانى لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم ، ثم المنهج الشرعى او النقلى فى البينة على الدعوى . والشهادة والرواية ـ كما تعرف ـ حجج نقلية على حين ان المسألة المتناولة وهى حسن التعبير مسألة ادبية منهجها وجدانى فنى لا يغنى

فيه واحد من المنهجين السابقين ،فقضية اللزوم العقلى الذى لا انفكاك فيه بين الملزوم واللازم ليست هى قضية اللزوم الادبى ان كان هناك ما يسمى لزوما ، لان ما فى المعانى الادبية انما هو اتصال عملى وملحظ نفسى عام ليس ذهنيا ولا نظريا .

واما حكاية الدعوى ببينة وما اليها من رواية ونحوها فتلك كما تعرف انما تحدث نوعا من المعرفة او الظن ليس فى شىء من هذا الحسن فى التعبير ، وقال ولا اخوض بك هنا فيما يفيده الدليل النقلى من شهادة رواية . ولكن حسبى وحسبك ان نقدر ان ما يجده القاضى من شهادة الشاهد ، وما يجده السامع من رواية الراوى واثرهما فى نفسه هو فى الحق والحس شىء ليس ابدا من صنف ما يجده المتأثر بالفن القولى . وأين هذا الحق والباطل من ذلك الحسن او القبح . شتان بين مشرق ومغرب .

ولعلك لاحظت أن الأستاذ أمين تشكك في وجود اللزوم بهذا المعنى الدقيق ، وإن عبر هذا التشكك مسرعًا ، وقد كان ما في ذهنه أكثر بكثير مما يجري على قلمه ، كذلك كان الرواد جميعًا ، والمهم أننا نستطيع أن نتشبث بهذا التشكك ، وأن نخطو خطوة أبعد فنزعم أن التعبير الذي يقوم في ظاهره على اللزوم أو الاتصال قد يحمل في ثناياه شبهة الانفصال والانفكاك ، علينا إذن أن نفترض أن هذا الانفصال يظلل الاتصال الظاهر المتحكم ، علينا أن نزعم أن التعبير الذي يبدو في ظاهره دعوى بينة أو دعوى مقرونة ببينة قد يسخر من الدعوى والبينة كما سخر الأستاذ أمين نفسه ، وبعبارة أكثر صراحة نتساءل في

رفق : أليس في قولهم الشائع كثير الرماد إشارة إلى أن صاحبنا كان كثير المال ، واليوم أصبح بدلاً من ذلك كثير الرماد ، وأصبح الكرم والمال والكريم نفسه زائلاً زوال كل شيء ، ومعرضًا لأن يكون باطلاً من بعض الوجوه ، إننا هنا أعتمدنا مفهوم التقابل أو التخالف ، وزعمنا أن كثرة الرماد قد عبثت ـ كما ترى ـ بالعطاء ، ومن المحقق أو المظنون على الأقل ، أنها عبثت بمفهوم الشح أيضًا ، وأصبح الرماد الكثير منافسًا أي منافس للمال والعطاء ، نحن لا نخدم العطاء أو الكرم وإنما نصفيه ونتسامى به من جانب ونعود فنلقي عليه نظرة مشفقة مفارقة أو ساخرة من جانب ثان ، كذلك المفارقة في الأمثلة الأخرى التى شغلت الباحثين ، وما أبلغ الفرق بين السرور والإشباع من ناحية وفصيل مهزول وكلب جبان من ناحية ثانية .

إن التعبير الأدبي أو المجازي أو الكنائي نصف شفاف ، وقارىء الأدب يبحث أو يستمتع بهذه الشفافية الجزئية ، إنه لا يستمتع بالشفافية التامة ، ولا يعنيه الوضـوح المرهق أو الوضوح الشديد ، إنه يستمتع ـ كما ترى ـ بما يشبه حالة الغصن الذي يهفو إلى غصن آخر ثم يعود إلى وضعه الأول متأملاً في ذاته ومراجعًا ـ إذا استعملنا هذا المجاز ـ لما كان من أمره حين هفا وتعاطف واقترب أو اتصل .

لقد اهتم البيان العربي بالاعتراف الساذج ، وغفل أو كاد يغفل عن فكرة الصدع ، لقد تشيع للتحيز والارتباط الكامل بشيء ، ولم نكد نهتم إلا بما يشبه الغرض الواحد النقي ، ولم

نكد نهتم بالعناصر المتنافرة أو المتضادة إلا قليلاً فيما يسميه أجدادنا باسم التعريض والاستعارة التهكمية ، وعلى العكس من ذلك هناك التفاوت الملحوظ بين الدوافع المتميزة ، والحقيقة أن لدينا نوعين اثنين من الشعر في أحدهما يبدو الإنسان وقد كبت بعض الدوافع من أجل أن يفسح السبيل لنمو قليل منها ، وعلى خلاف ذلك يستطيع بعض الشعراء أن يطلقوا سراح ما يكرهون ، هذه الحرية ربما لا تتوفر في كل التجارب الحقيقية الموجهة أو الملتزمة ، في الشعر ربما لا نتخلي عن العناصر التى تقع من الفكرة أو الشعور موقع المجافاة ، ولكن سلطان البيان المتوارث كان يدعم في معظم الأحوال مفهوم الإثارة المتحيزة أو تقرير فكرة واحدة نقية من كل جراثيم المخالفة .

إن الشاعر إذن ربما لا يهمل التعارض بين الفكرة والصورة وربما لا يهمل التعارض بين الفردي والتمثيلي ، ربما يبحث عن الوئام بينهما ، ولكن هذا الوئام لا يتم بمعزل عن الاعتراف بجوانب المفارقة والتعدد والاختلاف ، من أجل ذلك زعم كثيرون في النقد الحديث أن الصفة المأسوية تشكل إدراك الفنان ، والتراجيديا ـ كما تعلم ـ حافلة بالتصارع والتضارب والتوتر ، لكن التنسيق بين الجوانب المتنافرة لا ينحصر في شكل واحد ، ومن الممكن جدًّا أن نغير النظرة إلى الشعر العربي في هذا الضوء بحيث يبدو الشعر في أزهى صور التشيع للحياة والنمو والبطولة حريصًا على استبقاء بعض عناصر الهدم أو التراجع ، فيكون

بذلك قد ارتفع دون أن نشعر على مفهوم الغرض أو الفكرة الواحدة ، أو التحيز والتشيع .

لكن النقد العربي على غرار النقد والبلاغة في العصور الوسطى كان يفهم البيان في ضوء الهوية والتضمن والتداخل حتى إذا جاء التحليل النفسي بوجه خاص أشاد بالتوتر ، وعبث بالهوية وبحث عن الخصام في قلب الوئام ، يحضرني في هذا المقام بعض أبيات للبحتري يقول فيها :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

هذا الربيع الضاحك المختال الطلق المبين قد أتاك ، ولكنك لم تسع إليه ، ولم تجاهد في سبيل تحصيله وتمثله جهادًا واضحًا ، كان هذا الربيع إذن كالصورة المناقضة لشخص مترف كسول يُخدم ولا يخدم ، ويتلقى أكثر مما يرسل ، أليس هذا كله من باب المفارقة التى يتحدثون عنها كثيرًا في حركة سميت آناً باسم حركة النقد التحليلي .

لقد شبه الشعر كثيرًا بالوحدة العضوية ، والتمس النقاد المحدثون ما عدوه نظائر لهذه الفكرة في نقدنا العربي القديم ، ما الوحدة العضوية ؟ في الجسم الحي يخدم كل جزء سائر الاجزاء أو يخدم الكل الذي ينتمى إليه بمثل ما يخدمه هذا الكل ، ولكن هل هذا هو جو الشعر على الدوام ، ألسنا نجد في الشعر أحيانًا على الأقل التنافس بين الجزئي والكلي ، وكيف

يمكن أن نفهم هذا البيت الرائع الذي استشهد به عبد القاهر في دلائل الاعجاز على ما يسميه باسم المجاز في الحكم أو الإسناد :

تجــوب لـــه الظلمـــاء عـــين كـــأنـــهـــا
زجــاجــة شرب غــــير مـــلأى ولا صفــر

هنا يبدو الجمل كالذي يتوارى ليفسح للعين مكانًا ، وتبدو العين جزءًا ينافس الجمل كله ، وهذا الصنيع يعود فيجعل الجمل كائنًا غريبًا ، فمنافسة الجزء للكل تعني إعادة النظر في مفهوم الكل نفسه .

لقد كان لفكرة المطابقة ضرر كبير ، لقد جعلت البيان جزئيًّا متحيزًا حادًا ، لقد انتهت إلى ما يشبه الدعاية ، والمخالفة إحدى وسائل إنقاذ الشعر من براثن هذه الدعاية ، حينما يقول المتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني

نسايره قليلاً ثم نتوقف دونه ونسأل ما معنى قوله «تعرفني» أليس هذا الفعل دلالة عل ارتباط المعرفة بالانكار ، أو ارتباط المتعة بالعذاب أو ارتباط التجاذب بالمناوشة ، ولكننا ننسى كثيرًا في قراءة المتنبي بوجه خاص نبرة المخالفة ذات الطابع الساذج الذي لا يخلو من طفولة ، كثير من الشعر الذي يظهر عليه الاستقامة والاعتدال لا يخلو من آثار التناقض .

لكن البيان في رأي كثير من النقاد المتقدمين يروض ـ مع الأسف ـ كل شيء ، ولا يعترف إلا قليلاً بحالات النافر

المستوحش ، كل شيء يخضع لأسلوب التوافق ، لا يعترف بحالات الانحراف من حيث المبدأ ، كل شيء يزين ، ويعطي له حقيقة واسعة ، ولا نكاد نتأمل ما في هذا التزين من متاعب ، وكل ضرب من الزينة يقوم على إخفاء بعض العناصر التى لا يسمح لها بالتعبير الحر عن وجودها وكرامتها ولو كانت قبيحة ، ومع ذلك تأبى هذه العناصر إلا أن تومىء إلى نفسها ، هذا نمط ثان من قراءة الشعر لا يحتاج إلى أكثر من التشكك في أساليبنا المعهودة التى جنحت إلى الاعتقاد بأننا نحتج لكل شيء متناسين حقيقة هي أننا حين نحتج للشيء نقول للقارىء ضمناً أنظر لقد احتاج هذا إلى دفاعنا ، وليس الأمر موطئًا سهلاً ، كل جهد يشي ـ كما يقال ـ بالعقبات التى تقف في سبيله .

ـ ١١ ـ

في التفكير المتداول نتوهم أن الفنان يقصد إلى معنى يخفيه ثم يحاول أن يعبر عنه بطريقة أُخرى تنوب عنه ، فاذا وجدنا المعنى المقصود استغنينا به عن العمل نفسه على نحو ما رأيت في استغنائنا آخر الأمر عن كثرة الرماد ، واستغنائنا عن الوردة باللون مع الأسف ، لقد زعمنا طويلاً أننا نريد أ من وراء ب ، وبذلك تفقد أهميتها على الرغم من أنها هي كل ما قدمه الشاعر ، أنظر مرة أُخرى إلى عبارة كثير الرماد ، لقد زعمنا أنها «بينة» ثم تركناها إلى الكرم ، وهكذا كان تفهم النشاط اللغوي من حيث هو حيلة أو براعة فى الإخفاء والتكنية ، وهناك بداهة فرق واسع بين

خلق معنى وضرب من الاخفاء ، لقد حرصنا دهرًا طويلًا على بيان التداخل الوثيق بين ما سميناه المعنى الأول والمعنى الثاني ، وقد يصعب الاستغناء عن هذا التداخل ، وبعبارة أخرى إن المستوى الظاهر لا يسخر تمامًا للتعبير عن معنى آخر ، إن المستويين ينموان معًا ، وعملية النمو أو تكوين المعنى ليست هي عملية الانابة أو العلامة أو الدلالة أو البيان ، عملية تكوين المعنى قد تحتاج ـ كما قلنا ـ إلى شيء من التصحيح في بعض الحالات على الأقل ، ذلك أن ما يهز الشاعر يؤدي دورًا مزدوجًا فهو يلفت إلى حقيقة أُخرى متميزة ، ولكنه في الوقت نفسه يلفت إلى ذاته ، وهكذا لا ندمج الرمز والمرموز إليه ولا ندمج مستويي التعبير ، إننا نلاحظ أن أحد مستويي التعبير يميل أحيانًا إلى أن يحجب المستوى الثاني .

لكن في كثير من ضروب الشبه والتسوية الظاهرية نجد آثارًا من الاختلاف ، ويجب أن نمرن على ملاحظة ظهور أحد المستويين مرة واختفائه مرة ثانية ، وأن هناك تشابكًا بين الظهور والخفاء ، أو بين التلاقي والعزلة .

لا أحد ينكر من خلال هذا كله أهمية التوافق والتناسب القلبي فكثير من الشعر يقوم على هذا الأساس ، ولكن كثيرًا من الشعر أيضًا يقوم على الاستمتاع بادراك عالم مملوء بالاختلاط والتضاد والمباغتة .

لقد توهمنا في البيان التقليدي أن كل شيء ينمو من خلال الإضافة والتوسع ، كان مفهوم البيان باختصار هو أن لدينا

تصورًا واحدًا ندخله في علاقات تتكون وتنمو شيئًا فشيئًا ، ولكن هذا التصور لا يفقد هويته في مجموع هذه العلاقات أو الكل الناتج عنها ، كل فكرة تتسق مع المجموع دون أن يضحى بذاتيتها ، ولكن في التفكير الشاعري أو فى النقد الحديث على الأصح نميل إلى ملاحظة المطابقة والمفارقة كلتيهما بين الجزء والكل ، بين الرمز والمرموز إليه ، بين التعبير والمعبر عنه ، بين التجسيم والمجسم .

- ١٢ -

أنظر قليلاً في هذا العالم الثرى المعقد الذي ما يزال مجهولاً ، ونسميه باسم المديح ، ففي بعض النماذج نرى أن المحتفلين بهذا البطل يحسون بوحدتهم جميعًا من خلال مشاعر البهجة المشتركة ، ولكن التميز الناشيء عن الاحترام ملحوظ بين هذا الجمهور من ناحية وذلك المبجل الممدوح من ناحية ثانية ، ولا يستطيع المدح أن ينهض إلا إذا آثار إلى جانب الاندماج التميز ، وإلى جانب الاعجاب الرهب ، وإلى جانب المحبة الخوف ، أي أن الاحساس المتناقض قوام هذا المدح ، ويخطىء من يظن أن عالم المديح قوامه التناسق على الاطلاق ، فعدم التناسق جوهري ، وكثيرًا ما يقوم المدح على مفهوم الثغرة التى تحقق حولها مشاعر كثيرة .

والمديح كغير المديح تختلط فيه الحقيقة والتهويم والتناقضات الأساسية التى تهم الانسان أو التى كشفت عنها

بحوث الدارسين فيما سموه باسم الصور الأولية ، مثال ذلك الدلالات المتناقضة التى يعطيها الماء والنار ، الماء يرمز إلى القبر والرحم ، الماء يغرق ويطهر ، الماء يفيض ويخصب الأرض ، وهذه النار تهلك وتكوى أو تنضج ، قديما كان ابن الرومي يقول :.

تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الأنثى تصدت للذكر

هنا قد نشير إلى مظاهر التفتح والنضج والجمال الذي تلتذ بمرآه العين ، ولكننا نميل أيضًا إلى أن نجعل الحياء والتبرج متعابثين ، يتلاعبان أو يتباريان ، لا يستطيع التبرج أن يمحو تمامًا بشاشة الحياة وقوتها وفاعليتها ، ولكننا أسرى التطابق والتشابه والوضوح وصحة المعنى .

تخلى الشاعر في الظاهر عن الحياء والخفر ، ولكن الشاعر أيضًا جعل الحياء ينمو نموه الغريب حتى يعود تبرجًا في الظاهر على أقل تقدير ، وعلى هذا النحو من بعض الوجوه يفعل شعراء آخرون ، يحضرنى الآن ما قاله صلاح عبد الصبور «أجافيكم لأعرفكم» فقد هاجم هذا التعبير بعض السياقات أو بعض استعمالات لفظ المجافاة ، وأقام على أنقاضها ـ إن شئت ـ علاقات أُخرى ، أو قل إنه جعل الانفصال القديم يزدهر حتى يتمكن المرء من رؤية الآخرين ومعرفتهم ، في هذا كله تلعب المطاردة دورًا لا يقل أهمية عن التوافق والتناسب .

كل شيء في البيان التقليدي مصفى ، فالحذف مثلاً يؤدي إلى التماسك ، وها هنا نتناسى أن بعض التفكك في سياق يسوده التماسك يؤدي وظائف لا يستغني عنها ، ويعطي هزة خاصة لا تشتبه بغيرها .

إن لفظًا مبتذلاً في سياق رصين قد يؤدي وظائف جليلة لو أمعنًا الاخلاص لمبدأ التخالف ، الاختلافات أساس إحساسنا بكثير من مظاهر الأسلوب التى تلفت النظر .

وقل مثل ذلك في الايقاع ، والكلام في هذا الايقاع طويل وصعب لأنه أقل عناصر الشعر احتمالاً للتحليل ، وكثيرًا ما يعتمد الشعر على صورة خاصة لـلايقاع نسميهـا الوزن ، والحقيقة أن الوزن قالب مجرد لايوجد وجودًا كاملاً في القصيدة لأن الحركة الحقيقية تختلف تبعًا للنبرة الطبيعية ، وتعلقها بكلمات أو مجموعات من الكلمات ، والمسألة أننا في أشد الحاجة إلى أنماط من التحليل تبين لنا مدى الاختلاف الكامن في الوزن المجرد في قصيدة واحدة ، إننا نهتم بالتشابه والتكرار مرة أخرى على حساب التمايز والتباين ، ولا خير في ايقاع يتم بمعزل عن المفارقات ، ربما كان الايقاع أداة القارىء في استنباط مفارقات المعنى أيضًا .

-١٣-

إن التفاوت بين السطوح والأعماق قد فات كثيرًا من تحليل عملية البيان لارتباطها في الأذهان بفكرة المقصد التى يعبر عنها أحيانًا بلفظ المطابقة ، ولفظ المقصد لفظ معقد ، وقد يقول الفنان شيئًا مختلفًا عما يقصده دون أن يحذف هذا حذفًا كاملًا ، كان العقاد يقول في شيكسبير :

هل يوثق الهر رئبالًا ليضحكه
فاعجب من الناس لا تعجب من البهم

لقد صور العقاد شيكسبير موثقًا لارضاء الناس وإضحاكهم وعاد فأنكر هذا الوثاق . لقد تعجب العقاد ، ومعنى التعجب أنه لا يستطيع أن يحسم القضية تمامًا ، يحتاج الفنان إلى الجمهور الذي يتعالى عليه ويسخر منه ، وهكذا اختلطت السيادة بالخدمة ، وعلا الفنان على الجمهور حيث استذله هذا الجمهور ، وهذا هو منطق المفارقات التى يقوم عليها الشعر في أكثر الأحيان .

منذ وقت طويل نثر نقادنا الشعر ، ولكننا لم نفد كثيرًا من المقارنة بين الشعر ونثره ، فقد اهتم النقاد اهتمامًا كبيرًا ـ كما رأيت ـ بفن توكيد الدعاوي ، وهذا هو لباب البيان ، وهكذا أهملنا ما في الاثبات الشاعري من الرقة ، هناك بيت بشار المشهور :

بكـــرا صـــاحبـــي قبـــل الـــهجـــير
إن ذاك النجـــاح في التبكـــير

ربما خطر لعبد القاهر نفسه أن جمال هذا البيت في شطريه معًا مدين للزراية بالسببية من بعض الوجوه ، أو مدين لإلغائها بعد الاعتراف بها ، ولكن نثر الشعر يحوله إلى اتجاه قاصد ، ويعطي للإثبات كل قوة ، ويخلص لفكرة التقدم المستمر بطريقة تختلف عن طريقة بشار في تقدمه وتراجعه ، في وصله للطلب «بكرًا» واخلاصه له من ناحية ، وتراجعه خفية عنه من ناحية ثانية .

وقديمًا كان عبد القاهر يظن ـ أيضًا ـ أن هناك معادلًا للتعبير الاستعاري ، وكان يقول في شيء من الاعتزاز غريب إن عبارة رأيت أسدًا تساوى قوله رأيت رجلًا لولا صورته لظننت أنه أسد ، لأنه مساو للأسد في شجاعته ، ثم يعود فيقول متحيرًا ، ولكنك لا تجد لكلامك المزية التى تجدها لقولك رأيت أسدًا ، «دلائل الاعجاز ص ٣٤٤» ، ويخلص من هذه الحيرة بزعمه أن المزية في طريقة الاثبات لا في المثبت ، وقد وقع دون أن يشعر في تناقض ، لقد اعتبر ما سماه مزية في الاثبات مقصورًا على القوة الانفعالية ، وكان أولى به أن يتجاوزها إلى مضمون المعرفة أو الاشارة نفسها ، ولكن هذا المضمون يستعصي على التعادل لأسباب منها أنه يحمل في طياته مـزيجًا خفيًّـا من النفي والاثبات ، لقد خيِّل إلى عبد القاهر والبيـانيين جميعًـا أن

الاستعارة تقبل النثر ، وهذا غير واضح ، يخيل إلينا أن الاستعارة قبل الشرح المتميز من النثر ، وأن هناك هيكلاً هائلاً من الأبحاث قام على الاعتراف بامكانية نثر الاستعارة واعتبارها هذا النثر ترجمة مناسبة لنشاط الاستعارة الذي يقوم كثيرا على المفارقة . ولكن هذه المفارقة لم تكن أسلوبًا واضحًا من أساليب التعرف ، وفي المفارقة نرى الشيء مجاورًا لضده ، ولكن متقدمي النقاد كانوا يقولون عليك أن تختار بين أحدهما ، قديمًا استوقفنا البيانيون عند قول الله تعالى : «وآتوا اليتامى أموالهم» ، وكانوا يقولون إن لدينا مجازًا مرسلاً فنحن إنما نؤتي الراشدين الذين كانوا يتامى ، ولا يستطيعون بداهة شرح مثل هذا التعبير إلا على طريقة الإنابة أو ما يسمونه أحيانًا باسم مراعاة اعتبار ما كان عليه هؤلاء البالغون الراشدون ، والأمر واضح كثيرًا مما قالوا وأعمق ، فالتجاور بين اليتم والرشد مقصود ، والقرآن بين اليوم والأمس موجود فيما نزعم ، ولا بد لنا أن نتمثل هذا الراشد قريب عهد باليتم . ولا يستطيع أي شيء أن يمحو آثار هذا اليتم أو الفقد الأساسي الذي لا يعوضه شيء ، وهكذا نجد أنماطًا غير قليلة من المفارقة بين السطح والأعماق ، ولا تخلو العبارات التقريرية نفسها من هذه الظاهرة كما رأينا في بعض الأمثلة السابقة ، وعلى نحو ما نجد في قول زهير في آخر المطاف :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

المعنى على فهم البيانيين القدماء مستقيم لا ينحرف ، وإن كانوا يقولون أحيانًا ما كان أغناه عن استعمال قبله ، فإنها لا تزيد المعنى - عندهم - ولكننا الآن نقرأ البيت . ولا نملك إلا أن نسأل : أما وقد بان جهلنا بشئون الغد فما أحرانا أن نشك في مفهوم علمنا باليوم والأمس أيضًا ، لم يعد البيت وفقًا لهذا الفهم مستويًا بل ظهر فيه شيء من النتوء ، لقد أصبح التمييز بين العلم والجهل صعبًا ، كان التوتر على مبعدة من البيان ، وهو اليوم يضرب في أعماقه .

- ١٤ -

ويجب أن نكون أُمناء فقد خطر لأجدادنا بعض المواقف التى تحتاج إلى وقفة أخيرة لكي ندعم ما نقول من ناحية ونستوفي قدرًا أكبر من عرض الصورة المتوارثة من ناحية ثانية . هناك باب نعرفه جميعًا يسمونه باسم غليظ هو «أضرب الخبر» . وعلى الرغم من هذا العنوان فقد قال السعد : فالجملة الخبرية كثيرًا ما تورد لأغراض أُخرى غير إفادة الحكم ، وقد اهتم هؤلاء الأجداد بقياس أحوال المخاطب ، وحاولوا ضبط هذه الأحوال فقرأنا قولهم : إن كان المخاطب خالى الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى المتكلم عن مؤكدات الحكم ، وإن كان مترددًا فيه طالبًا له حسن تقويته بمؤكد ، وإن كان منكرًا وجب توكيده بحسب الإنكار ، وهذه هي الأضرب الثلاثة التى سموها أضرب الخبر ووصفوها بالابتدائية والطلبية والإنكارية .

وإلى جانب ذلك نظر البيانيون إلى خوافي الحال أو خلاف مقتضى ظاهر الحال ، وظلوا يتمسكون بالانكار والتسليم والتردد والقبول . وهنا يجعلون غير السائل أو غير الطالب للحكم كالسائل المستشرف له ، ويجعلون غير المنكر كالمنكر ، ويجعلون المنكر كغير المنكر .

وفى هذا المقام كان قدماؤنا على مقربة مما نقول ولكنهم شاءوا أن يجعلوا المقام خالصا لأحد أمرين دون الأمرين جميعا ، فهم لايزعمون أن المقام يحتمل أن يكون المتكلم أو المخاطب سائلا من ناحية وطالبا من ناحية إذا استعملت اصطلاحتهم . وهم لايقولون إن المقام قد يحتمل الأنكار وغير الانكار معا . ومن الواضح أننا إذا صححنا فهم المقامات أو عدلناها بحيث تصبح مواقف تحمل الطابع الوجدانى الحى اضطررنا إلى اقتراض النقيضين فى بعض الأحيان ، وعاطفة المرء نحو أب مريض أثقله المرض ربما لاتخلو مثلا من شبه هذا التناقض . ولكن القدماء على كل حال أقاموا صرحا هائلا لفكرة التقرير . وما كانت ظروفهم الثقافية تسمح بحال ما بإحلال القلق والتوتر محل التوكيد والمبالغة والاقرار الحاد الحاسم . ولكننا لم نخلق لنطرح شيئا وراء ظهورنا . لقد بذل جهد كبير قل أن يبذل أكثر منه فى دراساتنا اليوم . كانت القدرة على التمحيص والمؤاخذة عالية جدا ، وكانت النظرة المجهرية واضحة .

ooo

علاقة الناقد بالنص

تقنية التعامل مع النص الأدبي

الدكتور

ناصر بن سعد الرشيد

الأحد ٣/٣٠/ ١٤١٠ هـ

الموافق ١٩٨٩/١٠/٢٩ م





● الدكتور
ناصر بن سعد الرشيد

ـ خريج كلية الشريعة . اخذ الأدب بعد ان حمل الشهادة العالية من كلية الشريعة .

ـ قدم اكثر من ثلاثين بحثاً في المجالات العلمية المحكمة وله من الكتب التي تعنى بالدراسة والتحقيق اكثر من سبعة كتب . منها : شعر يزيد بن الظثرية .

ـ سوق عكاظ .

وبعض الرسائل منها رسالتينم لابن كمال باشا عن المشاكلة وعن كاد له في التحقيق الكثير منها :

ـ رسالة لمحمد بن عبد الوهاب .

ـ والاثار لابن جرير الطبرى .

ـ وكتابا لابن القيم الجوزية .

ooo

مافتئت مدفوعا إلى الكتابة في هذا الموضوع « تقنية النص » وفهم مراميه منذ أن استلهمت نصين بطلتاهما امرأتان شاكيتان ، إحداهما تشكو زوجها والأخرى تشكو فقرها وعبرتا عن هذه الشكوى بنصين جميلين يحتاج فهمهما إلى فطنة وذكاء ، فكلتا المرأتين كانت مستحية ، وكلتاهما كانت صادقة .

فالأولى يرويها وكيع في « أخبار القضاة » ومفادها[1] : « أن كعب بن سور كان جالسا عند عمر الخطاب (رضي الله عنه) فجاءت امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين : مارأيت رجلا قط أفضل من زوجي ، إنه ليبيت ليله قائما ويظل نهاره صائما في اليوم الحار مايفطر ، فاستغفر لها ، فأثنى عليها ، وقال : مثلك أثنى الخير وقاله ، واستحيت المرأة فقامت راجعة ، فقال كعب يا أمير المؤمنين ، هلّا أعديت المرأة على زوجها إذ جاءتك تستعيدك ؟

(١) ١/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

قال : أوذاك أرادت ؟ قال : نعم ، فردّت ، فقال : لابأس بالحق أن تقوليه ، إن هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك : إنه يجتنب فراشك ، قالت : أجل إني امرأة شابة وإني أتتبّع ماتتتبّع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاءه فقال لكعب : اقض بينهما فإنك فهمت من أمرها مالم أفهمه ، فقال كعب : أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما ، فقال عزمت عليك لتقضين بينهما ، قال : فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن ، فأقضي له بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ، ولها يوم وليلة ، فقال عمر : والله مارأيك الأول بأعجب من الآخر ، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة » .

أما المرأة الثانية فأعرابية عجوز شكت إلى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه فقرها وعوزها بتعبير لم تسبق إليه وهو « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي » فقال لها سعد ـ وقد فهم ماتريد ـ املأوا بيتها خبزا وسمنا ولحما[٢] . أضف إلى ذلك اعتقادي بأن علماءنا ـ خاصة علماء الأصول ـ قد وضعوا من المناهج واستحدثوا من التقنيات إلتي تفيد في فهم النص الكثير ، فحبذا لو قرأنا مامنهجوا واستقرأنا مانهجوا علّنا أن نجد ماينفعنا في فهم النصوص كما انتفعوا هم في فهمها ، خاصة ونحن في سبيل إيجاد مناهج نقدية وتأصيل نظريات في فهم النص تسهم في إبراز هويتنا وتجسيد شخصيتنا بدلا من

(٢) الكامل : ١/ ٦٤١ والمثل السائر ٣/ ٨٥ .

أن نرتمي على الغرب في كل شيء حتى في المناهج النقدية التي نحتاجها في فهم نصوصنا ، شعرية كانت أم شعائرية .

ومن هؤلاء الامام الشافعي رحمه الله تعالى ، فقد روي عنه أنه استخرج مائة مسألة (حكم شرعي) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه « إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : ياأبا عمير ، مافعل النغير »[٣] . وقد جمع أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص الفقيه الشافعي فوائد هذا الحديث في جزء مفرد وقد أوصلها إلى ستين فائدة[٤] .

والشافعي كان مشهورا بما أسماه العرب بعلم « التفتيق » ، وأحسب أن ابن قيم الجوزية أبرز خلف لسلفه الشافعي رحمه الله تعالى فقد عمد إلى بيت ساذج لزين الدين المقرى وهو :

لقلبي حبيب مليح ظريف
بديع جميل رشيق لطيف

وقلبه وفككه واستنبط أنه يمكن أن يركّب منه أربعين ألف بيت من الشعر وثلاثمائة وعشرين بيتا .

وبيان ذلك : أن هذا البيت ثمانية أجزاء يمكن أن ينطبق بكل جزء من أجزائه مع الجزء الآخر فتنتقل كل كلمة ثمانية انتقالات ، فالجزءان الأولان لقلبي حبيب يتصور منهما

---

(٣) البخاري ، أدب : ٢١ ، مسلم ، أدب : ٣٠ .
(٤) فتح الباري : ١٠/٥٨٤

صورتان بالتقديم والتأخير ثم خذ الجزء الثالث فيحدث منه مع الأولين ست صور لأن له ثلاثة أحوال تقديمه عليهما وتأخيره وتوسطه ولهما حالان فاضرب أحواله في الحالين يكن ستة ثم خذ الجزء الرابع وله أربعة أحوال فاضربها في الصور المتقدمة وهي الستة التي لما قبله تكن أربعة وعشرين ثم خذ الخامس تجد له خمسة أحوال فاضربها في الصور المتقدمة وهي أربعة وعشرون تكن مائة وعشرين ، ثم خذ السادس تجد له ستة أحوال فاضربها في مائة وعشرين تكن سبعمائة وعشرين ثم خذ السابع تجد له سبعة احوال فاضربها في سبعمائة وعشرين تكن خمسة آلاف وأربعين ، ثم خذ الثامن تجد أحواله ثمانية فاضربها في خمسة آلاف وأربعين تكن أربعين ألفا وثلاثمائة وعشرين بيتا فامتحنها تجدها كذلك(٥) .

ماهـو النص :

اختلف النقاد في تعريفهم للنص اختلافا بقدر اختلافهم في تصورهم لهذا النص وماالمقصود بدراسة هذا النص وبقدر مايخدم مرئياتهم النقدية جمالية كانت أو خلقية ، أيدلوجية أو نفسية ، فحاول كل فريق من هؤلاء النقاد أن يجد تعريفا للنص الأدبي يسمح له بتناوله من وجهة نظره . فالأخلاقي يعرّفه تعريفا يختلف عن تعريف من يرى الشاعرية في النص . والواقعي لا يرى في النص مايراه الرومانتيكي ، كما أن

(٥) بدائع الفوائد : ٣/٢٤٤ ، ٢٤٥

الشكلاني لا يهتم بالنص إلا بقدر مايعينه على فهمه وهكذا دواليك ، ولذلك فلا بأس من استعراض بعض التعريفات التي تشير إلى توجهات أصحابها النقدية :

١ ـ **النص الأدبي** : عبارة عن وثيقة تعكس تاريخ مجتمع من المجتمعات وتبرز قيما من قيمه الاجتماعية ، ولذلك فلابد لفهم النص من دراسة جميع الملابسات التاريخية والاجتماعية والبيئية الممكنة ، وأصحاب هذا التعريف أو التصور هم أهل « السياق التاريخي »[٦] .

٢ ـ **النص** : كائن حي مستقل لأن أصحاب هذا التعريف من الشكلانيين وعلى رأسهم تي . إس . اليوت (T. S. ELIOT). يرفضون أن يكون النص تعبيرا عن أفكار اجتماعية أو دينية أو أخلاقية أو سياسية ووجه أصحاب هذا التصور إلى « الحقائق الموجودة في العمل الأدبي ، على اعتبار أنها وثيقة الصلة بالأدب كما هو في حد ذاته » ، ذلك أن الشاعر « يهرب من الانفعال والهوية الشخصية إلى القصيدة التي يضعها »[٧] .

٣ ـ **النص وحدة منسجمة** : ويعتمد معتنقو هذا التعريف في تأويلاتهم على « التفريق التقليدي بين التجربة الجمالية والفائدة العملية ، ويعزلون النص بشكل ما عن النصوص الأخرى ، ويفترضون أن العناصر المكونة لنص أدبي ترتبط

---

(٦) انظر مثلا الدكتور نصرت في كتابه « في النقد الحديث » ص ٤٠ وانظر :
Race, Surrounding and Epoch in literary criticism, P. 4869481.

(٧) تعريفات بمداخل النقد الأدبي الخمسة : ٦٥ . انظر دينامية النص : ٤٥ .

بعضها ببعض بكيفية خاصة بحيث تتغير فيما بينها ، ويسمون هـــذه الظـــاهـــرة تبعـــا لكلينيت بـــروكس « السخرية »[المفارقة][8] .

٤ ـ **النص وحدة قائمة** الذات مستقلة عن إدراك القاريء لها : هـذا التعبـير استقـراء لآراء بعض الأسلـوبيـين ويمثلهم « شكلوفسكي » لأنه يفترض « أي محتوى [أي] عمل أدبي ليس شيئا آخر غير « مجموع الوسائل الأسلوبية »[9] وقريب من هذا التعريف تعريف ساقه الأستاذ خزندار[10] : « النص قائم بذاته ومستقل بنفسه بحيث لا نحتاج إلى أن نسقط عليه أي شيء من خارجه لكي نفهمه » ويعزو هذا التصور للبنيويين الذين « لا يكترثون بجمالية النص التي يجعل لها موريتز كل الاعتبار » ، وقد ينطلقون من التصور الذي أطلقه شكلوفسكي وهو « ان النص يمكن أن ينشأ باعتباره غير أدبي وينظر إليه باعتباره أدبا والعكس »[11] .

٥ ـ « **النص الأدبي وجود عائم** » كما يحلو للدكتور عبدالله الغذامي أن يؤكد عليه شارحا هذا التعـريف بقولـه[12] : « فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة سابحا فيها إلى أن يتناوله

---

(٨) مناهج الدراسات الأدبية وخلفياتها دراسات سيميائية : ٢ / ٢٨ .

(٩) نفس المصدر والجزء : ٢١ .

(١٠) الابداع : ١٨ ، ١٩ وانظر ، الخطيئة و التكفير : ٢٧ .

(١١) مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها ، دراسات سيميائية : ٢ / ٢٣ .

(١٢) الخطيئة والتكفير : ٢٦ .

القاريء ، ويأخذ في تقرير حقيقته (والنصوص شوارد) على تعبير أبي الطيب المتنبي » .

٦ ـ **كما يعرفه في كتاب** آخر بأنه « انبثاق لغوي جاء نتيجة استعداد فطري للاكتساب اللغوي لدى المنشيء »[١٣] .

٧ ـ **النص** : نتيجة قرار اعتباطي بالتوقف عند نقطة معينة ، « فمن حق الدارس أن يعرض تصوراته لما كان يحدث قبل وقوع قرار التوقف ولما هو قابل للحدوث بعد ذلك ، أى حول مادخل إلى النص وماأبعد عنه »[١٤] .

٨ ـ **النص عبارة عن نواة معنوية** يمكن التوليد انطلاقا من العنوان أو البيت الأول مثلا عن طريق التخصيص وإضافة عناصر .. إلخ [١٥] .

٩ ـ **النص ليس إلا تجليا تفاعليا للعمليات الذهنية المتفاعلة** ، مهما كانت درجة التفاعل سواء أدى إلى تشعب نماذج أولية أم أدى إلى تشعب دينامية»[١٦] .

١٠ ـ **النص الأدبي** «خبرة محولة إلى شكل فني»[١٧] ولذلك فإن النص «لايدرك أبدا في ذاته ولأجل ذاته ، بل إن عناصر التجربة السابقة للذات المتلقية تتدخل من أجل إعادة تنظيم عناصره

---

(١٣) الموقف من الحداثة : ٨٨ .

(١٤) نقله د . الغذامي من شول Scholes في كتابه الخطيئة والتكفير : ٦١/٦٢ .

(١٥) دراسات سيميائية : ١/١٢ .

(١٦) دينامية النص : ٢٣ .

(١٧) اتجاهات البحث الأسلوبي : ١٩٣ .

وإدماج عناصر جديدة بينها ، وعملية الادماج هاته وما يلازمها من تنظيم لمختلف العناصر (عناصر الخبرة السابقة للذات وعناصر النص) هي ما أطلق عليه الباحث (بارليت Barlett) مفهوم الخطاطة Schema»[١٨] .

١١ ـ النص عبارة عن متتالية من الجمل بينها علاقة من العلاقات ، ومتى انعدمت هذه العلاقة لا يبقى هناك نص ، وهذا هو تصور الدراسات الانكلوسكسونية التي تؤسس انسجام النص في إطار قطريّة العمل «وهي تعني أن كل عمل لا يمكن أن يفهم إلا في إطار أعمال أخرى وبالتالي لا يمكن أن يفهم الفعل إلا في إطار أفعال كلامية أخرى»[١٩] .

وقبل أن أختتم هذا الفصل فلا بأس من عودة إلى التعريف الأول وهو أن «النص كائن حيّ مستقل» لأقف قليلا عند وصف النص بالكائن الحيّ إذ يعتريه بما يعتري الكائن الحيّ من تجدد ونشاط وما يعتريه من شيخوخة وضعف ، فهذا برونتيير وجون سيموندز يفترضان «أن في وسع المرء اعتبار الأنواع الأدبية مماثلة للأنواع في الطبيعة ، فإذا ما بلغ النوع الأدبي درجة معينة من الكمال ، فلابد أن يهزل ويشيخ ثم يموت كما يرى برونتيير ، وفوق ذلك يجري تحول الأنواع إلى أنواع أعلى وأكثر تمايزا .. ويرى برونتيير أن المأساة الفرنسية ، على سبيل

---

(١٨) علم النفس التجريبي وبنية النص الأدبي : ميشال فايول ترجمة حميد الحمداني ـ دراسات سيميائية : ٣/٢٥ ، ٢٦ .

(١٩) دراسات سيميائية (التحليل السيميائي ، أبعاده وأدواته) : ١/١٧ .

المثال ، ولدت ونمت وشاخت ثم ماتت»[٢٠] .

ومهما اختلف النقاد في ذلك فإن هناك اقتناعا بأن «العمل الفني لا يبقى على حاله خلال مجرى التاريخ ، ومن المؤكد أنه توجد هوية أساسية للبنية بقيت هي ذاتها خلال العصور ، غير أن هذه البنية دينامية فهي تتغير خلال عملية التاريخ من جراء مرورها عبر عقول القراء والنقاد والفنانين»[٢١] .

إن الدكتور الغذامي يشرح لنا تجدد النص بطريقة أخرى ألا وهي أن النص الأدبي حين يمارس وظيفة ويؤسس أثرا في نفس القارىء يصبح نصا مطلقا يتجدد مع كل قراءة ، بل ويصبح هذا النص الواحد آلافا من النصوص «في كل إعادة للقراءة يحدث أثر آخر فكأننا مع نص آخر» وكل نص ينجح في تحقيق هذا الأثر يصبح ذا قدرة على التجدد[٢٢] .

وبناء على هذا التصور (شيخوخة النص) فيصف الشكلانيون الاجهاد الذي يصيب التطور الأدبي بأنه عملية «أتمتة» (**Automatization**) ولابد أن تظهر «شرعة جديدة» ، فهم يؤمنون بأن «صفات حرفة الشعر التي كانت فعالة في زمنها تغدو رثة ومبتذلة بحيث يغدو القراء الجدد معبئين ضدها ويتوقون الى شيء مختلف ، شيء من المفروض أن يكون مخالفا لما سبق ، ويتم بسلسلة من الانتفاضات تقود دائما إلى ممارسات جديدة

---

(٢٠) نظرية الأدب : ٢٧١ .

(٢١) المصدر نفسه : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢٢) تشريح النص : ١٤ .

في لغة الأدب والموضوعات وسائر الوسائل الفنية الأخرى»[٢٣] .

تعامل الناقد مع النص :

يتعامل الناقد مع النص الأدبي على أنه مخاطب بهذا النص ، وبغضّ النظر عن اختلاف النقاد في المستقبل هل هو مبدع أو مستهلك فإن الناقد البصير المحترف يختلف عن القاريء العادي بمعنى أنه ليس مستهلكا للنص بل هو على الأقل مستمتع بقراءته ، وبحل عويصه وإشكاله ، وعليه أن يضع نفسه موضع جار الله الزمخشري حين يحل عويص النصوص ويهتز لذلك طربا كما قال عن نفسه[٢٤] .

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ لي
من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة
أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها
أحلى من الدوكاه والعشاق

وأن يحسّ أمام مسئولية كبيرة ـ حتى وإن استمتع به ـ مسئولية كبيرة في محاولة فهمه وتذوقه وتقديمه للقاريء . وقد

---

(٢٣) نظرية الأدب : ٢٨١ .

(٢٤) انظر ملحق الكشاف : ٣/٣٧٥ .

وضع العلماء والنقاد بعض التقنيات والمناهج للتعامل مع النص . هذه المناهج هي ثمرة تجاربهم واستكشافاتهم .

ولنعش قليلا مع تجربة طه حسين من خلال قوله[٢٥] : «إنما أقرأ الأدب بقلبي وذوقي وبما أتيح لي من طبع يحب الجمال ويطمح إلى مثله العليا .. حتى إذا فرغت من قراءة الأثر الأدبي واضطررت بحكم هذا الفراغ إلى أن أفارق الكتاب وأشغل عنه وعن أثره وقتا ما استطعت بعد ذلك أن أعود إلى الأثر الذي بقي في نفسه بعد القراءة فأفكر فيه وأخضعه للنقد والتحليل والتعليل» .

والنقد والتحليل والتعليل من أهم أدوات النقد والناقد الأساسية كما قال ذلك اليوت وريمي دي جورمنت إلا أنه يجب استخدامهما بعناية وحرص شديد «والمقارنة والتحليل لا يتطلبان سوى وضع الجثة فوق منضدة التشريح»[٢٦] . والتعامل مع النص الشعري ليس بالأمر الهين فهو أصعب تعاملا مع أي نص من النصوص الأدبية الأخرى «لأن الشعر من بين الفنون كلها يتطلب صفاء الرأي والمزاج العقلي المستوي وأكثر من هذا يتطلب القدرة على فرز الحاجات الشخصية الخاصة عن التجربة المتمثلة في القصيدة»[٢٧] .

أصبح التعامل مع النص الأدبي اليوم يتطلب النظرة

---

(٢٥) فصول في الأدب والنقد : ٤٧ .

(٢٦) وظيفة النقد (مقالات في النقد الأدبي) : ٢٢ .

(٢٧) دراسات في النقد : تيت : ٦٦ .

الشمولية الفاحصة في فهم النص والتعمق فيه وفهم لغته وإشاراته ورموزه وبنياته الأساسية ونحوه وعروضه وزحافاته وإيقاعاته وكل ما من شأنه أن يفيد في تجلية أي غوص في النص ، ذلك أن الناقد يلتقي مع الناص على الرؤية الشعرية فصرفه همه الى أن يشرك الشاعر في رؤيته «فيجوس خلال مشاعره ويقتص أحاسيسه ليقص علينا من أمرها ما الناس عاجزون عنه وعن مكان الجمال فيه»[٢٨] أو بمعنى آخر إن النقد الحديث يميل إلى أن يحكم على الفن «حكما علميا ، وحكما عمليا وحكما صناعيا حسب وظيفته ، فهم ينظرون إلى الشعر أول ما ينظرون كوسيلة نفعية ، ومن ثم يفحصونه من وجهة نقدية كنتيجة نفعية»[٢٩] .

وإذا كنت غير مقتنع بالنظرة الشمولية للتعامل مع النص أو تشك في صعوبة تطبيق ذلك فلك أن تتساءل كما تساءل قبلك الناقد الأمريكي (ألن تيت) «من أي موضع ينبغي للناقد الذي يعتقد أن النظرة الشاملة ليست نظرة على الاطلاق ، لأن الناقد لم يكن إلها ، ولما كان مقتنعا أيضا بأنه لو رأى كل شيء (وهذا أمر مستحيل) فإن عليه أن يراه من مكان ما كالرسام فيبوتكس الذي وضع نفسه تحت شجرة في صورته عن معركة غيتسبرغ وذلك ليخبرك بأن ما تراه ليس إلا ما يراه فقط تحت تلك الشجرة . أقول تحت أي شجرة حينئذ ، أو من على أي تلّ ، أو

---

(٢٨) النقد والدراسة الأدبية : ٥١ .

(٢٩) دراسات في النقد (تيت) : ٦٧ .

من تحت أي جذع أو ورقة ينبغي للناقد أن يتخذ وقفته التي يمكن أن تكون أقل من وقفة بطولية . وذلك لكي يذكر ما يراه وما يستخلصه أو ما يظنه فقط»[٣٠] ، وبرغم جدلية «تيت» هذه فإن محاولة النظرة الشمولية للنص ليست من المخاطرة أو من التهويل كما قرر ذلك «تيت» .

ومع أن «تيت» يبدو متشائما إلى حدّ ما فإن هناك من هو أشدّ تحرجا من بين النقاد الذين يرون الشعر رؤية مقدسة باعتباره «هبة علوية تستقبل في صمت وخشوع» وهؤلاء ينظرون إلى كل «محاولة للكشف عن آلياته بمظهر التدنيس» فيشككون بإمكانية وجود علم للشعر ، ولهؤلاء يتصدى كوهن قائلا بأن «الشعر واقعة قابلة للملاحظة العلمية مثلها مثل باقي الوقائع» ، وهذا رأي يجب ألا يصدم العامة لأنه يجب التفريق بين اللغة ـ الموضوع (الشعر) واللغة الواصفة (الشعرية) ، ويسوق كوهن في هذا الصدد مثالا دالا : «فالفرق بين التنجيم وبين علم الفلك لا يوجد في النجوم وإنما يوجد في ذهن الإنسان الذي يدرسها»[٣١] .

إن النص الشعري يجب أن يتعامل معه كضيف تقريه وتستقريه وتحاول أن تضاحكه «وأن يخصب عندك والمكان جديب» كما قال شاعرنا العربي في حق ضيفه ، فالنص

---

(٣٠) دراسات في النقد (تيت) : ٤٠ .

(٣١) نظرية الانزعاج عند جان كوهن (دراسات سيميائية) : ٤٨/١ .

الشعري يحقق تأثيره فنيا في شكل متزامن وبامتصاص هذا التأثير نصبح أكثر انسجاما معه» وفي النهاية نجد أنفسنا مدفوعين إلى المشاركة في تجربة هذا النص الشعري وفي الاندماج «نعيد خلق التحليل المتولد ونشعر به داخل أنفسنا»(٣٢) .

وقبل أن يحدث النص فينا انسجامًا معه ، فلا بد أن ينسجم النص جملة مع بعضه في اتساق وتنضيد أجزائه حتى يخدم المعنى المراد من النص ، يقول الدكتور حلمي مرزوق(٣٣) العمل الفنى الموهوب نسق تصويري بالغ الدقة والبراعة ، لا يستطاع التقديم فيه أو التأخير ، أو الحذف أو التبديل إلا بعد النظر وطول الروية أو إن شئت إلا بعد تصوره برمته وإلا اختل هذا النسق الجميل وإنها - بين يديك وأصبح التغيير والتعديل كالرقعة ليست من شاكلة الثوب .

وما حدث بين سيف الدولة وبين المتنبى يبين لنا ما ذهبنا إليه من ضرورة الانسجام في النص ، وذلك أن المتنبي أنشد سيف الدولة ضمن قصيدته الميمية المشهورة هذين البيتين :

وقفتَ وما في الموت شكٌ لواقف
كأنّك في جفن الردي وهو نائم
تمر بك الأبطالُ كَلْمي هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

---

(٣٢) تعريفات باتجاهات نقدية (مقالات في النقد الأدبي) : ٩٠ .

(٣٣) النقد والدراسة الأدبية : ٢٠ .

فقال له سيف الدولة : قد نقدنا عليك يا أبا الطيب ما نقدنا على امرئ القيس (يريد قوله :

كأنيَ لم أركب جوادا للذّة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الرويّ ولم أقل
لخيلي كرِّى كرة بعد إجفال

وهو يقصد أن يكون عجز الأول على الثاني ، والثاني على الأول ليستقيم الكلام فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر وسبء الخمر مع تبطن الكاعب . فقال أبو الطيب : أدام الله عزّ مولانا ، إن صحّ أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جُملة والحائك يعرف جُملتهُ وتفصيلته لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء وأنا لمّا ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسًا وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح لأجمع بين الأضداد في المعنى فأعجب سيف الدولة[٣٤] .

---

(٣٤) انظر ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٣/٣٨٦ .

ويعرف الدكتور مفتاح انسجام النص - وهو ينطلق من منطلق سيميائي - بأنه النص المنسجم بالنسبة إلى تأويل معطى إذ كانت العلاقة الداخلية في النص الذي منحت له «تلك العلاقة» تحتوي الظهور الصريح أو المتوقع لكل حالات الأشياء في حصيلة نهائية للتأويل(٣٥) .

أما أهم ضابط يتحقق به الانسجام هو مفهوم الانسجام ، وهو يضم عدة عناصر ، وفي هذا المفهوم خلاف ويمكن أن نتحدث عن مفهوم الاتساق ومفهوم التنضيد ، فمفهوم التنضيد هي المرحلة الأولى ، أي العلاقة بين الجمل : واو العطف ، فاء السببية إلى غيرذلك : ارتباط الكلام بعضه ببعض وتراصه . ونقصد بمفهوم الاتساق العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمّن ، ومفهوم الانسجام هو أعم ، انسجام النص مع العالم الواقعي ، إذن كل نص هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة (أي بينها علاقة) وحتى انعدمت هذه العلاقة لا يبقى هناك نص(٣٦)

إن النص قد يكون عبارة عن «أصوات مشتقة أو كلمة مشطورة» أو تركيبًا مبعثرًا أو يبدو غامضًا أو عابثًا لكن وظيفة الناقد أن يحاول أن يستكشف انسجام هذا النص خاصة إذا

---

(٣٥) دينامية النص : ٤٤ .

(٣٦) التحليل السيميائي : أبعاده و أدواته (دراسات سيميائية : ١/ ١٧) .

كان من يؤمن بأن «كل نص منسجم مهما تراءت فوضويته وعبثيته وعدم التحام أجزائه [٣٧] . وقد حاول بعض المنظرين من النقاد أن يقترحوا بعض الآليات التى يمكن أن يفهم بها أي نص مهما كان نوعه ومن هؤلاء الدكتور محمد مفتاح وأهمها :

أ ـ التساؤل عمّن فعل ؟ وماذا فعل ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟
ب ـ الارتباط المعجمي بنوعيه الكبيرين : التراكمي والتقابلي .
جـ ـ الارتباط التركيبي الحاصل بالضمائر وبأداة التعريف ، وباسم العلم وبأسماء الاشارة ، وببعض أدوات العطف ، وبالتوازي ، وبالتعادل وقلب البنية .
د ـ نظرية الإطار والحوار والمدونات .

على أن هذه الآليات جميعًا قد لا تسعف المحلل في الرباط بين معاني النصوص المشتقة والمبعثرة الخارقة لكل الأعراف اللغوية المتعارفة ، وحينئذ لا يبقى مكتوف الأيدى وإنما يلجأ إلى تقني الاستنباط بنوعيه المهيمن ليملأ الثغرات الموجودة في النص ، إلا أن على المحلل ألا يتخذ ملء الفجوات ذريعة ليسير في هذيان محموم ، ولكن عليه أن يتقيد بقواعد للقراءة والتأويل وأهمها :

١ ـ مراعاة الانسجام القولي المتمثل في مبدأ المشابهة المستقى من تجارب المحلل السابقة .

(٣٧) دينامية النص : ٤٤ .

٢ ـ مراعاة الانسجام العرفي المستمد من تجاربه الحياتية وتقاليده ،

٣ ـ مراعاة مبدأ التأويل المحلي .

٤ ـ مراعاة المجاورة الزمانية والمكانية .

وأن هذه الآليالت جميعها تتحكم فيها علة أولى هي معرفتنا وتجاربنا للعالم بأنواعها المختلفة ، ويختزن إلى نوعين : المادة اللاَّ لغوية واللغوية اللتين بينهما تداخل لا تناقض ، ولذلك فإن المحلل يراعي النوعين معًا ، يهجم على النص وهو مزود بما يمتلكه فيستعمل منه ما هو في حاجة إليه وينصت إليه ليقدم إليه نفسه وليبوح له ببعض أسراره [٣٨].

ولو رمنا تطبيق بعض ما نظر له الدكتور مفتاح من نصوصنا الأدبية لوجدناه يتأتى في بابين من أبواب البلاغة العربية وربما أكثر :

الأول : الفصل : خاصة في مثل بيت أبي تمام[٣٩] .

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا
إن السماء ترجى حين تحتجب

فقد يقول قائل : إنه لا انسجام ولا التحام بين صدر البيت وعجزه من حيث المعنى ، لكننا لو طبقنا ما أشار إليه الدكتور مفتاح من السؤال : لماذا ؟ لأمكننا أن ندرك الانسجام والوحدة

---

(٣٨) دينامية النص : ٥٢ ، ٥٣ .

(٣٩) البلاغة الواضحة : ٢٢٨ .

بين الصدر والعجز ولذلك سماه البلاغيون «شبه كمال الاتصال وهو من كان الفصل فيه لأنه جواب عن سؤال[٤٠].

الثاني : أسلوب الحكيم «وهو صرف الكلام عمّا يراد به إلى معنى أكثر فائدة» ومنه قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج﴾[٤١] .

كان السؤال مما ورد من أسباب النزول : ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، والسائلان رسول الله ﷺ هما معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم «في بعض الروايات» أو اليهود في رواية أخرى[٤٢] .

قد يتوهم من لا يعرف أسرار القرآن الكريم وانسجام نصوصه «نظمه» أن الجواب يخالف السؤال ، لكن الفخر الرازي الذي يدرك أسرار نظم القرآن يبين الانسجام بقوله[٤٣] : واعلم أن قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلّة﴾ ليس فيه بيان ، إنهم عن أي شيء سألوا لكن الجواب كالدال على موضع السؤال ، لأن قوله ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ يدل على أن سؤالهم كان على وجه الفائدة والحكمة في تغير حال الأهلّة في النقصان والزيادة ، فصار القرآن والخبر متطابقين في أن السؤال كان عن هذا المعنى .

---

(٤٠) الايضاح : ٢٥٥ .

(٤١) البقرة ، آية : ١٨٩ .

(٤٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري : ٢/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤٣) تفسير الرازي : ١٢٠ .

النص وشخصية منشئه :

من النقاد من يرى أن النص ـ من خلال أسلوبه ـ يعكس شخصية قائله وأن الشخص يمكن أن يتحسس من خلال ما يكتبه وقد ظل هذا التصور حيّا منذ أن أطلق «بوفون» مقولته النقدية المشهورة[٤٤] إن الأسلوب هو الرجل نفسه إلى عصر الأسلوبية على يد ليو سبيتزر الذي استفاد من هذه المقولة كما سنرى[٤٥] ، ويرى ستيفن ألمان أن أحد أعضاء ندوة خاصة بالأسلوب في اللغة قال[٤٦] «لكل إنسان أسلوبه المتميز كبصمات أصابعه» وعرف فلوبير الأسلوب بأنه طريقة الكاتب الخاصة في رؤية الأشياء[٤٧] ويقول الفيلسوف شوبنهور[٤٨] : إن الأسلوب هو سحنة العقل : ويرى كل من بندتو كروتشي وكارل فسلر اللغة على أنها تعبير فني خلاق عن الذات[٤٩] . وقد وصف النقاد قصة لامارتين روفائيل بأن روفائيل البطل إنما هو «لامارتين» نفسه وأن «جولي» كانت محبوبته[٥٠] وقد جعل الأسلوبي الشهير «سبتزر» بعض جوانب العمل الأدبي

---

(٤٤) الأدب وفنونه : ٢٨ ، فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة دراسات سيميائية : ١/٧٣ ، اتجاهات البحث الأسلوبي : ٦١ ، ١٠٩ .

(٤٥) انظر دراسات سيميائية : ١/٧٣ ، واتجاهات البحث الأسلوبي : ١١٠ ، ١٣٦ .

(٤٦) اتجاهات البحث الأسلوبي : ١٠٩ .

(٤٧) الأدب وفنونه : ٢٨ .

(٤٨) اتجاهات البحث الأسلوبي : ١٠٩ .

(٤٩) المصدر نفسه : ١١٠ .

(٥٠) الرومانتيكية والواقعية في الأدب : ٤٨ .

وإرجاعها إلى تجربة معاشه لدي الكاتب على أنها سمات تفيد في فهم النص[٥١] ونرى كذلك هنري مورييه Henri Morier يميز ثمانية أجناس أساسية للأسلوب ، ينطبق كل واحد منها على شكل معين للشخصية والمزاج : ضعيف ورقيق ومتوازن وإيجابي وقوي ومختلط ونافذ وناقص ، وكل واحد من هذه ينقسم بدوره إلى أقسام حتى نحصل على سبعين نوعًا ، وثمة أمثلة لكل نوع منها ، ولبعض هذه الأنواع أسماء طريفة أو مبتدعة ، فتحت «الشخصيات الناقصة» مثلاً هناك ستة أقسام : «الأسلوب الأشعث ، اللوائحي ، المبتذل ، الصفيق ، المتأفف الأمسح»[٥٢] وما قول لورانس الناقد النفساني إن الكاتب يسكب مرضه في كتبه والناقد ـ عندئذ ـ يبدو محللاً ببعيد عما نجد فيه من أن الأسلوب صورة صاحبه[٥٣] كما يرى آر . إيه ، سكوت دجيمس أن الناقد لا يستطيع أن يتجاهل حقيقة مؤداها أن هذا العمل ـ في مجموعه الكلي ـ إنما هو تعبير ذاتي عن الفنان ، ومختصر حياة شكسبير ـ الذي وضعه السير والتر راليه ـ مثال رائع للطريقة التى يمكن للناقد الدقيق صاحب الخيال أن يعيد بها عمليًا بناء شخصية إنسان بواسطة دراسة متعاطفة مع عمله[٥٤] ويقول أيضًا[٥٥] وفي الحقيقة أننا يمكن

---

(٥١) اتجاهات البحث الأسلوبي : ١١٤ .

(٥٢) اتجاهات البحث الأسلوبي : ١١٥ .

(٥٣) تعريفات بمداخل النقد الأدبي الخمسة «ضمن مقالات في النقد العربي) ٥٩) .

(٥٤) الناقد الأدبي «ضمن مقالات في النقد العربي : ٣١ .

(٥٥) المصدر نفسه : ٣٠ .

أن نحاول التغلغل داخل الشخصية التى تكمن خلف العمل الأدبي ، وأن تغوص في الجوهر الداخلي الذاتية الفنان التى عبر عنها في كل حدس أصيل ، وفي صياغة أسلوب عقليته وإعطاء الصفة الشخصية لأسلوبه وكونه ـ في الحقيقة ـ ليس إلا عبقريته وحذقه وموهبته الطبيعية .

وقد فهم بعض الدارسين قصة الفونس دوديه «العجائز» من الحوار الآتي :

رسالة يا عم آزان ؟

ـ نعم يا سيدى ، هي من باريس .

كان فخورًا بأن الرسالة من باريس ، هذا الرجل الطيب العم آزان ، أما أنا «فلا فهموا من التركيب» هي من باريس أن قائل هذه العبارة لا بد أن يكون فلاحًا أو رجلاً من عامة الشعب لأن تركيبة «هي من باريس» حسب رأيهم تدل على نقص ثقافة القائل[٥٦] .

ومن هذا المنطلق فقد حاول النقاد أن يربطوا بين النص ومؤلفه ويبينوا العلاقة بينهما ، فهذا «هدسون» يقول [٥٧] : «إن الناقد الذي يقوم بتفسير شخصيته كاتب عظيم كما تظهر في نتاجه ، وبتفسير هذا النتاج في جوانبه المختلفة بوصفه تعبيراً عن الرجل نفسه .. فالكتاب العظيم شيء حيّ كالعمل العظيم» .

---

(٥٦) اتجاهات البحث الأسلوبي : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥٧) الأدب وفنونه : ٥٣ .

ومممن اجتهدوا في تأسيس العلاقة بين النص والمؤلف الناقد الكبير سانت بيف فهو يرى «أن العلاقة بين العمل والمؤلف ـ بما يكتنفه من ظروف عائلية وقومية ، وحقبة تاريخية ، وارتباط تلك الحقبة بالحقب الأخرى ، بما يشكل دوائر ذات مركز واحد ، أمر ضروري لعملية التقييم التي يقوم بها الناقد فما عليه إلا أن يستعين بإدراك حاد الخيال «كي يرهف سمعه طويلا وبحرص للمؤلفين» وحتى لو «تركهم يفشون ما بداخلهم على نحو طليق دون أن يتعجلهم فإنه في النهاية سيظفر بالحيلة المألوفة ، والتجعيدة المتعذرة ، والخط السري للألم المطمور عبثاً تحت الشعر الهزيل» [٥٨] . ومن هؤلاء أيضا «ثين» صاحب «النظرية الوضعية» ، ولكنه يشترط أن يكون لدى الناقد ثقافة كافية ، فإذا توفر فيه هذا الشرط «فإنه يقوى على اكتشاف روح الفنان أو الكاتب من كل ضربة في تمثال أو لمسة في رسم ، ومن كل عبارة في عمل أدبي ، فالإيجاز في الجمل والاطناب فيها ، وطبيعة الاستعارة ، ونبر الشعر ، وتنامي الحوار رمز للفنان أو الكاتب» [٥٩] .

فنرى من خلال هذا النص أن الناقد أقام علاقة بين الكاتب وبين طريقة تعبيره بل واستعارته وطريقة نبر شعره ، وأحسب أن الأسلوبيين وعلى رأسهم ليوسبيتزر لم يذهبوا بعيداً حينما

(٥٨) تعريفات باتجاهات نقدية (مقالات في النقد الأدبي) : ٩٢ .
(٥٩) أنظر في النقد الحديث : ٤١ .

حاولوا أن يفسروا أي تحول أسلوبي بأنه لابد أن يكون وراءه تحول في نفسية كاتبه يقول سبتزر [٦٠] : «قلت وأنا أناقش هذه الفكرة : إن الانحراف الأسلوبي الفردي عن نهج قياسي لابد وأن يكشف عن تحول في نفسية العصر ، تحول شعر به الكاتب وأراد أن يترجمه إلى شكل لغوي» . ويقول أيضا [٦١] : «إن العناصر الأسلوبية المثيرة والانزياحات في النص الأدبي يمكن أن تختزل إلى قاسم مشترك يدلنا على رؤية مؤلفة للعالم» .

ولم يسلم هذا التصور النقدي من الردود والتفنيد خاصة من بعض المدارس النقدية التي جدت ومنها على سبيل المثال البنيوية الشكلانية والتي يمثلها ـ هنا ـ تود وروف والذي ناب عنه الدكتور / الغذامي وقام بتنفيذ الدعوى التي مفادها أن «العمل الأدبي صورة لمؤلفه» فقال ـ وهو يتحدث عن «قراءة الاسقاط» عند تود وروف [٦٢] «هي مرض العصر وصرعه المتطفلين على الأدب الذين يجلبون إلى النص كل ما في ذواتهم من عقد وأوهام فيسقطونها على النص .. حتى صار الباب مفتوحاً لأنصاف المتعلمين ممن يرون الأعمال الأدبية صوراً «أيدلوجية) أو صورة أشعة للمؤلف ترى فيها أمراضه وأمراض جيله» ونرى من تقرير الدكتور / عبدالله هذا أنه أشرك المحلل النفسي مع أهل التصور الذي نحن بصدده .

---

(٦٠) اتجاهات البحث الأسلوبي : ٦١ .

(٦١) مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها : دراسات سيميائية : ٢ / ١٦ .

(٦٢) الموقف من الحداثة : ١٠٦ .

أما ويليك فيحتج على هذا التصور احتجاجاً شديداً يقول فيه (٦٣) «لقد اتضح زيف مجموع الرأي القائل بأن الفن تعبير عن الذات نقي بسيط ، وأنه صورة طبق الأصل عن المشاعر والخبرات الشخصية ، حتى حين توجد صلة وثيقة بين العمل الفني وحياة الكاتب يجب ألا تفسر هذه الصلة على أنها تعني أن العمل الفني ليس إلا نسخة من الحياة .. فالعمل الفني قد يجسّد إلى حدّ كبير «حلم الكاتب» بدلا من حياته الواقعية ، أو قد يكون «القناع» .. الذي يختفي وراءه الشخص الحقيقي أو قد يكون صورة الحياة التي يريد الكاتب أن يفر منها ، أضف إلى ذلك أنه يجب ألا ننسى أن الفنان قد «يجرب» الحياة بشكل مختلف عن غيره وضمن حدود فنه . فهو يشاهد التجارب الواقعية وعينه على فائدتها في الأدب كما أنها تأتي إلى ذاكرته مصوغة صياغة جزئية حسب التقاليد الفنية والمفهومات المسبقة ويمضي ويليك في جدله واحتجاجه ليصل إلى أن علينا بكل جدية أن نستجوب (كلاديس . آى . ويد) (C. I. Wade) عن كتابه «حياة تراهيرن» حيث أخذ كل بيان شخصي في شعره على أنه حقيقة حرفية عن سيرته ، أو الكتب المتعددة عن حيوات أسرة «برونتي» ، حيث تقتبس هذه الكتب فقرات كاملة من «جين آير» أو «فيليت» . هناك كتاب «حياة أميلي برونتي وموتها المبكر» من تأليف فرجينيا مور (Virginia Moore) ، وهي ترى أن

---

(٦٣) نظرية الأدب : ٨٠ ، ٨١ .

اميلي لابد قد خبرت عواطف «هثكيف» ، وهناك آخرون احتجوا بأن امرأة لا تستطيع أن تكتب «مرتفقات وذرينغ» وأنه لابد أن الأخ «باتريك» هو الكاتب الحقيقي وهذا النمط من الجدل هو الذي قاد الناس إلى أن يحاجوا بأن شكسبير لابد قد زار إيطاليا ، ولا بد أنه قد عمل محاميا وجنديا وأستاذا ومزارعا . وقد قدمت إلين ترى (Ellen Terry) ردّا قاطعا على هذا حين حاجت بأن شكسبير ـ إذا اتخذنا هذا المعيار ـ لابد أن يكون امرأة [٦٤] ومهما اختلفت آراء النقاد حول مقولة «بوفون» الآنفة الذكر فإن كثيراً من الشعر العربي ينسجم مع هذه المقولة ، لدرجة أنك تستطيع أن تتحسس الشخص حتى ليكاد يكون ماثلا أمامك من بعض أبياته فتعرف مثلا أن قائله أعور أو أنه أعمى أو أنه أسود أو أجعد ومن تتبع شعر بشار بن برد وأبي العلاء المعرى وعرقلة الكلبي رأى ذلك واضحاً ، ولنستشهد ببعض من نصوصهم الشعرية لنرى مدى صدق ذلك ، يقول بشار بن برد [٦٥] :

عميت جنينا والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

(٦٤) أنظر كذلك : مناهج النقد الأدبي : ٥٠٢ ، في النقد الحديث : ٧٥ ، ٧٦ .
(٦٥) مختار الأغاني : ٢ / ١١٤ ودلائل الاعجاز : ٣٩٢ .

ويقول أيضا [٦٦] :

يـا قوم أذني لبعض الحي عـاشقـة
والأذن تعشق قبـل العـين أحيـانـا
قـالوا بمن لا تـرى تهذي فقلت لهم
الأذن كـالعين تـوفي القلب ما كـانـا

وقد يقول قائل إن هذه النصوص ونحوها ليست مما نحن بصدده فبشار هنا يصف نفسه ، فنقول لهم : اقرأوا بيته المشهور [٦٧] :

والنجم في كبـد السمـاء كـأنـه
أعمى تحـيّر مـالـه من قـائـد

فترون أنه يخلع ذاته على النجم والنجم على ذاته .

أما أبو العلاء المعري فذكر العمى كثيراً في شعره وشكا منه ، وقد تكون هذه إخباراً منه بذلك لا يفيده الأسلوب بقدر ما يؤديه غرضه لكننا حين نقرأ قصيدته الشهيرة التي مدح بها الشريف موسى بن إسحاق ومنها [٦٨] :

رب ليـل كـأنـه الصبـح في الحسن
وإن كـان أسـود الطيلسـان

---

(٦٦) الأغاني : ٣ / ١٥٥ .

(٦٧) ديوان المتنبي بشرح العكبرى : ٢ / ٧٢ .

قــد ركضنــا فيــه إلى اللهــو لمـا
وقف النجم وقفـــة الحـــيران
فكـــأني مـــا قلت والليـل طفـل
وشبـــاب الظلمـــاء في عنفــوان
ليلتي هـــذه عــروس من الـــزنـج
عليهـــا قـــلائـــد من جمـــان
هـــرب النـــوم عن جفـــوني فيهـــا
هـــرب الأمن من فؤاد الجبـــان

نلاحظ أن في هذه الأبيات الخمسة تشبيهين معنويين هما : « وقف النجم وقفة الحيران ، والبيت الخامس كله ، وهـذه التشبيهات المعنوية الحسنة قليلة في الشعر العربي لكن أبا العلاء وبشارا في بيته السّابق الذي وصف به النجم البطيء يجعلان الناقد المتأمل يصل إلى أنهما أعميان ، ذلـك لأن التشبيهات المعنوية أو إن شئت فقل «الصور القلبية» تناسب الأعمى الذي يفقد آلة الصورة الحسية ذات الألوان والتزويق . وما حكم كاتب الخليفة الأندلسي على الشاعر الذي قال هذا البيت الذي أنشد أمامه .

لم أدر حـــين وقفت بـــالأطـــلال
ما الفرق بــين جديـدها والبـالي (٦٩)

---

(٦٩) مقدمة ابن خلدون : ٥٧٩ .

(بأمه شعر فقيه) ببعيد عناء .

وهذا عرقلة الكلبي يقول في غلام طويل [٧٠] :

لي حبيب قــــــــدّه
قــدّ من السّمـر الـرفـاق

من راه ورآني
قـــال ذا غـــير اتفـاق

أعـــور الـــدجـــال يمشي
خلف عـــوج بن عنـــاق

فعرفنا أنه أعور من البيت الثالث وانه لكذلك ، ويظهر ذلك كذلك في قصيدة الصمة القشيري [٧١] :

حننت إلى ريـــا ونفســك بـــاعـدت
مـــزارك من ريّـــا وشعبـــا كمـــا معـــا

فمـــا حسن أن تـــأتي الأمـــر طـــائعـــا
وتجــزع إن داعي الصبابــة أسمعـــا

بكت عيني اليمنى فلمـــا زجـــرتهـــا
عن الجهـل بعد العلم أسبلتـــا معـــا

إن البيت الثالث الذي ذكر فيه أن احدى عينيه وهي اليمنى يدل من أسلوبه على أنه أعور لأن عينا بكت وعينا لم تبك ، وهذا

---

(٧٠) ديوان عرقلة الكبي : ٦٧ .

(٧١) مختار الأغاني : ٦ / ١٥٧ .

لا يكون إلا للأعور لأن العين العوراء كما تزعم العرب لا تدمع لكن الصمة من فرط جواه دمعت عينه الأخرى . وأحسب أن محاولة معرفة الناص من النص أمر هام جداً في مسيرة تاريخ الأدب العربي وتوثيق نصوصه خاصة في النصوص التي تنازعها ـ نسبة ـ أكثر من شاعر ، ولو طبقنا هذا على أبيات الصمة التي نسبت إلى غيره (٧٢) أيضا من الشعراء الذين لا يعرف أنهم أصيبوا بالعور كيزيد بن الطثرية مثلا لأمكن لنا توثيقها ونسبتها إلى الصمة أو ترجيح نسبتها إليه . وما النص الذي نسب إلى يزيد بن الطثرية مرة وإلى سبيك بن السلكة وهو (٧٣) :

ألا عتبت عـــــــــليّ وصرمتني
وأعجبهـــا ذوو اللمم الطـــوال
فـــإني يـــا ابنـــة السعـــدي أبي
عـــلى فعـــل الـــوضيء من الـــرجـال

إلا مثل على ما تقول : فما تشير إليه هذه القصيدة (مفهوما أو منطوقا) هو أن قائلهـا ليس من ذوي اللمم الطوال وليس وضيئا ، إذا عرفنا هذا وعرفنا أن يزيد بن الطثرية كان ذا لمة حسنة وكان ذا وضاءة وأن السليك بن السلكة ليس كذلك رجحنا نسبتها إلى السليك لأن أسلوبها به أليق .

---

(٧٢) أنظر تخريجها في ديوان الصمة القشيري : ١٠٣ أو في شعر يزيد بن الطثرية : ٨٦ .
(٧٣) أنظر شعر يزيد بن الطثرية : ٤١ .

وأخيراً فإن العلاقة بين الناص والنص علاقة تكاد تشبه العلاقة بين الرجل وولده ، فالنص وإن انفصل عن الناص كالولد الذي انفصل أيضا عن والديه ، وحمل بعض سمتهما وجيناتهما ، وقديما أدرك العرب ذلك كما أدركوا التشابه بين أثر القدم وبين الرّجل وبين الخط وصاحبه .

التعامل مع النص القديم :

لا أشك في أن التعامل مع النصوص القديمة أصعب بكثير من التعامل مع النصوص المعاصرة وكلما غير النص كلما صعب التعامل معه ، إننا نتعامل مع نصوص عربية منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة بمنهج أسلافنا النقاد والبلاغيين ونحاول من وقت لآخر أن نضيف جديداً أو نكشف بعضاً مما أضمرته هذه النصوص أو نجدد في بعض مصطلحات نقدها وليس في تقويمها والغوص في أعماقها واستخراج دررها ، والنص القديم يحمل لنا بعض التحديات ذلك أنه قيل في عصر مخالف لعصرنا وفي بيئة قيمها تختلف مع قيمنا بل واصطبغ بثقافات ليست بالضرورة أن تكون ثقافتنا المعاصرة متصلة معها ، فقد تكون وقد لا تكون ، مع ما حظي به من دراسات وشروح وتعليقات إضافية إلى ما تراكم من الأزمنة حوله وما علق به .

وقد تعامل أسلافنا مع هذه النصوص منطلقين من قيم نقدية معينة فهل ننطلق من قيم نقدية جديدة أم نتكيء ونتكل على

ماقاله أجدادنا أم ننطلق مما قالوه لنبدأ محاولة فهم جديد يؤسس نهجا نقديا جديدا فإن فعلنا الأخير - وأظنه أكثر الاحتمالات اجتذابا - فعلينا أن نحسب حسابات دقيقة لاحتمال مصادمات مع مفهومات نقدية سالفة ، ولا بأس بذلك شريطة أن ندين لسلفنا بالفضل فهم - إن لم يستحقوا فضل التميز - بلا شك يستحقون فضل التقدم (فقلت الفضل للمتقدم) ، وأحسب أن من الأمثلة التي قد تثير بعض المصادمات بيننا وبين أسلافنا بعض ما استحسنوه من أبيات أوما استهجنوه من تعبيرات وصيغ ، أمثّل للأول بيتين من نص شعري لعمر بن أبي ربيعة [٧٤] :

قال لي صاحبي ليعلم مابي
أتحبّ القتول أخت الرباب ؟
قلت وجدى بها كوجدك بالعذ
ب إذا ما منعت طعم الشراب

فعمر في بيته الثاني يجيب على سؤال صاحبه له عن حبه «للثريا» أخت الرباب مبينا شدة وجده بها وتعلقه بها - على هيئة تشبيه (صورة) هي أن حبه لها ووجده بها كوجد الظامىء للماء البارد ، وهذه الصورة (أو التشبيه) استحسنها أسلافنا من النقاد والبلاغيين - وهم على حق بمعيار ذلك الزمان - لأنهم نظروا إلى قائلها وإلى بيئته فقائلها تهامي يسكن منطقة حارة

---

(٧٤) ديوان عمر : ٤٢٢ .

وقد لا يكون في الأرض مثلها شدة حرارة وقلة أمطار وندرة أشجار وجداول حتى أن الرجل قد يموت في هاجراتها وتحت لهيب ترابها وحرارة شمسها فليس هناك ما هو أحلى من ماء بارد وأغلى منه يشربه تهامي ظامىء فإذا استحضرنا قائلها التهامي وبيئته أدركنا ـ كما أدرك أسلافنا من قبلي ـ جمال هذا التشبيه وصدقه ، كما أننا لو نقلنا هذه الصورة إلى بيئة أخرى وشاعر آخر ، وليكن شاميا أو أندلسيا مثلا تجرى من تحته الأنهار ويهب الهواء بارداً من كل جهة لما ظفرت باستحسانهم أو استحساننا ولو أننا قسنا قيمة الصورة هذه بمقاييسنا الآن وأخضعناها لعصرنا فلا شك أنها ستبدو ساذجة باردة كماء ذلك التهامي الذي يجد به .

أما الثاني وهو ما يتعلق بالتعبيرات أو المفردات فدعني أمثل له ببيت أمرىء القيس الشهير [٧٥] :

غدائره مستشزرات إلى العلا
تضل العقاص في مثنى ومرسل

وقف أسلافنا البلاغيون عند مفردة «مستشزرات» وحكموا عليها بأنها غير فصيحة وأن فيها تنافر حروف يحدث منه ثقل في اللسان والآذان [٧٦] ، لكن ناقداً آخر معاصراً قد يخالفهم هذا

---

(٧٥) ديوانه : ١٧ .

(٧٦) الايضاح : الايضاح ٧٣ .

الرأي وينظر إليها نظرة مختلفة فيثبت أن لفظة «مستشرزات» ليست غير فصيحة فقط بل إنها جميلة في هذا الموقع وأن السياق يتطلب هذه الكلمة .

هذا وقد حاول بعض النقاد من المتأخرين والمحدثين أن يضعوا منهجا أو ينشئوا رأيا يساعدهم على كيفية تناول النص القديم ، يقول «ولترجاكسون بيت» وهو يتحدث عن سانت بيف وآرائه النقدية (٧٧) : «إن كلاسيكيات الماضي ماثلة هناك أمامنا ويمكن استخدامها بأية طريقة . إما أن نحاكيها ـ على الأقل طبقاً للمعنى الجاري لكلمة «نحاكي» إنما هو أمر أحمق ولا يمثل الرد على السؤال ، ويقول سانت بيف : «دعنا نحاول ـ كما حاول لانجينوس أن نعرفها ونكتشف معانيها» وأن نتصيد بالعدوى قيمة العقل والاخلاص والتلقائية والانفتاحية وكل ما جعلها عظيمة ، فإذا فعلنا ذلك نحن الخلف ـ فإننا سنحبها ونحاول أن نكون أنفسنا ، أما الاستخدام المتطور لهذه الكلاسيكيات فهو «بينما نتكلم لغتنا الخاصة الخاضعة لظروف عصرنا نستطيع أن نستجمع خيالا فسيحا متعاطفا» .

ويبدو لي أن التعامل مع النصوص القديمة باستنباط معان جديدة واكتشاف جمال جديد واستدراكات فاتت على سلفنا هو المذهب الغالب والرأي الراجح ، يقول آر . إيـه ، سكوت ،

---

(٧٧) تعريفات باتجاهات نقدية : ٩٣ .

جيمس [٧٨] : «الأمر لا يهم من حيث اعتبار الأدب أدب ماضٍ أم أدب حاضر فإذا كان أدب ماض فأي مجهود لفهمه وتعيين موضعه يعنيً أن الكثير جداً من الانتماء إلى الماضي قد أعيد استيعابه وتم استقدامه إلى الحاضر، وهو يدخل إلى تيار حياة الثقافة الجديدة مع شيء من قوته الأصلية القديمة» كما يقول في مكان آخر [٧٩] » ويجيب على الناقد ـ إذا ما كان يدرس عملا قديماً، كأن يكون كلاسيكيا أو كتابا معروفا لكل قراء العالم ـ أن يفكر تماما في تراكم الأزمنة حوله، ودراسات الأشخاص الآخرين، وفي كل الأفكار الثانوية التي تجمعت حوله بسبب التعارف الطويل عليه في فصول الدراسة أو بسبب كونه نصّا مدرسيا مقرراً، أو بسبب التعليق عليه أو الاشارات الضمنية إليه، ومن ثم يجب ألا يعجز عن أن يستخدم كل ما يمكن للتاريخ أن يساعده به في إعادة بناء الحياة التي كتبها المؤلف».

وللشكلانيين رأي آخر في دراسة النص القديم فهم يطرحون مبدأ الارتباط التاريخي والاجتماعي وما تراكم عليه ويدرسونه في ضوء دلالات الألفاظ اليوم برغم اختلاف الدلالات اليوم عما هي عليه في النص القديم لأنهم ينطلقون مما عبر عنه موكاروفسكى (Mukarovsky) من أن العمل «ولو في زمان كاتبه يجب تصوره على أنه يبلغ من الثراء حدًّا لا يستطيع معه إلا الجماعة من الناس وليس فرداً واحداً أن يتحققوا من جميع

---

(٧٨) الناقد الأدبي : ٣٤ .

(٧٩) المصدر نفسه : ٢٧ .

طبقاته ومذاهبـــه[٨٠] كما أنه يرى أنه ما من أسلوب يحتفظ بطابع الغرابة» ومن هنا يمكن للأعمال الأدبية أن تفقد وظيفتها الجمالية ثم ربما استعادتها فيما بعد أن يغدو المألوف جدًّا مرة أخرى غير المألوف . وكلنا يعلم بخصوص قصائد معينة ماذا يعني أن «تستنفذها» إلى حين قد نعود إليها في بعض المرات بين الفينة والفينة وفي مرات أخرى يظهر لنا أننا أبليناها كلما تقدم الزمان بتاريخ الأدب يعود الشعراء غرباء تارة أخرى ويبقى آخرون مألوفين .. عندما نرجع المرة بعد المرة إلى عمل قائلين إننا «نرى فيه أشياء جديدة كل مرة» فإننا في العادة لا نعني أننا نرى المزيد من الأشياء من النوع نفسه ، وإنما مستويات جديدة من المعاني ، وأنماط جديدة من الترابط .. فالعمل الأدبي الذي يظل يستحوذ على إعجابنا ـ كأعمال هوميروس أو شكسبير لابدَّ أن يمتلك ما نستخلصه مع جورجي بواس ـ «خاصية تعدد المعاني والقيم» لا بد من أن تبلغ قيمته الجمالية مقداراً من الغنى والشمول تضم معه بين بنياتها بنية أو أكثر تمنح إشباعاً رفيعاً لكل مرحلة من المراحل اللاحقة»[٨١] .

لكن هذه الجرأة التي خاطر بها الشكلانيون أثارت عليهم حفائظ بعض النقاد الذين أشفقوا على النص من تعرضـه لدلالات غير مقصودة فراحوا يمطرونهم بـوابل من النقـد

(٨٠) نظرية الأدب : ٢٥٦ .

(٨١) نظرية الأدب : ٢٥٦ .

والتسخيط ، ومن هؤلاء «فيرنون هول» إذ يقول [٨٢] «ولقد قدم الحمقي المتطرفون من هذه الحركة فرصاً مواتية لهجوم التقليديين ووجد هؤلاء التقليديون متعة يملأها الحقد في استعراض ما يسمى (التفسيرات) التي كانت تعتمد ـ إذا شئت القول ـ على جهل المفسر لحقيقة أن بعض الكلمات في أشعار القرن السابع عشر تحمل معاني تختلف جذريا عن تلك المعاني المتداولة اليوم» .

ومن النقاد من أعتقد بأن كل عصر وحدة مستقلة بذاتها فلا نطبق عليها معايير معاصرة أو غريبة عن معايير ذلك العصر ولا نحاول أن نفسرها بأدواتنا النقدية الجديدة وإنما هي تعبر عن نفسها «من خلال نموذجها الشعري الذي لا يقاس بأي شعر آخر» . وقد بسط هذه النظرة بشرح مقنع فردريك أ. بطل في كتابه «مصطلح الشعر» وسماه «نظرية النقد النسبي» [٨٣] .

وهناك من حكّم مقاصد الشاعر أو الكاتب فيما يريده من نصه فإن كان الكاتب قد وفاها حقها «صار بإمكاننا أن نتخلص من مشكلة النقد ، فقد خدم الكاتب هدفاً معاصراً له ، ومن ثم فلا حاجة ـ بل لا مكان ـ لتعريض عمله للمزيد من النقد» [٨٤] .

ويمكن أن يرد على هؤلاء «المقاصدين» بأن معنى العمل الفني لا يستنفذ أبداً بل لا يتساوى مع قصد الكاتب منه فهو

---

(٨٢) موجز تاريخ النقد الأدبي : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٨٣) نظرية الأدب : ٤٢ .

(٨٤) المصدر نفسه : ٤٣ .

يعيش حياة مستقلة باعتباره منظومة من القيم ، كما أن المعنى الكلي للعمل الفني لا يمكن أن يعرف بحدود معناه لدى الكاتب ومعاصريه ، إنه إلى حدّ كبير نتيجة عملية تراكم أي أن معناه يتجدد بتاريخ نقده على يدي العديد من القراء في العديد من العصور» [٨٥] .

وفي خضم هذا النقاش والجدل يحاول «ويليك» أن يحسم هذا كله فيقول[٨٦] : ومن الأفضل لنا أن نتبنى مذهبا يلائمه اصطلاح «مذهب المنظور» يجب أن يكون في وسعنا أن نرجع العمل الفني إلى قيم عصره وكل المراحل التالية له ، إن «مذهب المنظور» يقرر وجود شعر واحد ، أدب واحد ، قابل للمقارنة في كل العصور ، متقدم ، متغير ، مليء بالامكانات فليس الأدب نسقاً مطرداً من أعمال فريدة لا يوجد بينها شيء مشترك» .

والحقيقة أن النص العظيم يتجاوز عصره ويصلح أن يكون محل دراسة جديدة يتمخض عنها قيم جديدة وفنيات طارفة بجانب فنياته التالدة ، بل إن النص العظيم يتجدد مع كثرة القراءة ومع اختلاف أذواق القراء وأزمانهم وبيئاتهم «ولو أخذنا القرآن الكريم الذي نزل منذ ١٣٨٦ سنة تقريبا لوجدنا معايير النص العظيم بكل مفهومها تنطبق على هذا النص العظيم ويجب أن يكون كذلك ـ وهو كذلك ـ لأن الله أراده كذلك حتى تظل

(٨٥) نظرية الأدب : ٤٣ ، ٤٤ .
(٨٦) المصدر نفسه : ٤٥ .

المعجزة فيه مستمرة وقائمة وباقية ما بقي الدهر ، ولذلك وصفه أفصح العرب محمد بن عبد الله أول مستقبل لهذا القرآن صلى الله عليه وسلم بقوله الخالد [٨٧] : «هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه» .

ولو فتشت في ديوان شعر العرب لما عدمت هذه النصوص الخالدة في شعر شعرائه أو نثر خطبائه ووعاظه كأبي تمام والمتنبي وزياد ابن أبيه والحجاج بن يوسف والحسن البصري وابن الجوزي وابن الجوزية ، ولو فتشت عند غيرهم من الأمم لوجدت أن بعضاً من انتاج اليونانيين ـ شعرهم ومسرحياتهم وملاحمهم ـ لا يزال مستمراً متجدداً ، ومن الأمثلة التي سوف أسوقها هنا قدرة نصين لشاعرين فرنسيين على تحمل ما يلقى فيهما من دفق نقدي يخدم الفن حينا ويخدم الايدلوجيات حينا آخر ، كما سأستشهد بنص ثالث لشكسبير فالنص الأول نص رامبو ممثلا بقصيدته «فصل في الجحيم» الذي قامت في أثره جماعتان من الدراسين أو فئتان من النقاد حاولت كل منهما أن تفسر هذا الفصل في الجحيم طبقا لمعتقدها وتنسبه بالتالي إلى هذا المعتقد . كانت الفئة الأولى من الكثالكة ، الذين كتبوا عن رامبو أروع الدراسات وأعمقها على الرغم من تزمتهم وما يبدو من ضيق عقيدتهم ، والفئة الثانية من المفسرين هي السرياليون سواء منهم السرياليون المذهبيون أو الذين درسوا رامبو باعتباره أديباً سرياليًّا في جوهره . ومن بين النقاد الكثالكة كان

---

(٨٧) سنن الترمذي : ٤/٢٤٥ ، ٢٤٦ .

كلوديل الذي وصف رامبو بأنه «متصوف في حالة بدائية» أما مورياك فقد سماه «المصلوب رغما عنه» ثم جاء ويفيير ليقول عنه إنه «الكائن الخالص من الخطيئة» .. غير أن المذهب السريالي لا يقارن بالعقيدة الكاثوليكية من حيث صعوبة تفصيله أو اكتشافه ، ويبدو أن السرياليين لاموا رامبو لشيء واحد (قد وجهوا هذا اللوم إلى بودلير نفسه) : هو أنه ترك مجالا لتفسير أشعاره وبعض أفعاله تفسيراً دينيًّا [٨٨] .

أما النص الثاني فهو للشاعر الفرنسي بوذلير ، فقد عده السرياليون رمزاً من رموز مذهبهم ، وحينما كتب سارتر فياسوف الوجودية مقدمة لـ «كتابات حميمة» أحد آثار بولير حاول أن يجد في بودلير أحد الوجوديين فهو «نموذج الانسان المجلود» [٨٩] .

أما نص شكسبير فهو مسرحيته «هاملت» وكيف اختلف النقاد في تردد «هاملت» في قتل كلود يوس زوج أمه بعد أبيه ، وقد درسها عشرات النقاد وكل ناقد منهم الدافع وراء هذا التردد ومنهم : ستول ، ومركيد ، وماكنزى وجوته وكولردج وشليجل وبرادلي وأرنست جونز وغيرهم [٩٠] .

وهكذا نرى أن النصوص العظيمة هي النصوص التي تتعدد قراءتها بتعدد اختلاف نقادها في فهمها ، والاختلاف في

(٨٨) عصر السريالية : ٥٩ .
(٨٩) المصدر نفسه : ١٩٨ .
(٩٠) أنظر تفاصيل هذا كله في «التفسير النفسي للأدب» : ١٢٦ ـ ١٤٤ .

فهم النص علامة إثراء له وتزكية لعظمة هذا النص . وفي بعض الأحيان ربما يكون رحمة خاصة إذا كان النص نصا شعائريا .

تفسير النص بالنص :

إن لكل نص منطوقا ومفهوما (أي مضمرا) ، أما المنطوق فليس من العسير التعرف عليه وفهمه ، ولهذا فإن التعامل مع النص الأدبي إنما يجب أن ينصب على المضمر منه وهو المعنى الذي لا يظهر من منطوق النص بمعنى أن وراء الفاظ هذا النص معنى مضمراً وليس معنى ذلك أن فهم هذا المضمر شيء خارج عن دلالات النص وإلا لكان ذلك تعسفاً وحذلقة ، وأسلافنا من علماء أصول الفقه بحثوا هذا وأطالوا فيه وحاولوا أن يقترحوا بعض الوسائل والمناهج التي تمكن الباحث من فهم هذا النص وأمثاله وهناك أيضا نص مجمل ولا بد من تفصيله وهناك مبهم ولا بد من تبيينه ، وهناك خاص وعام وكل هذه المباحث تفيدنا في التعرف على النص وفهمه .

ومن المناهج النافعة في ذلك ما عرف بتفسير النص بالنص ، وهذا المنهج طبقة علماء التفسير على القرآن الكريم باتقان ونجاح بل وعدوه أشرف أنواع التفسير وأتقنها وأجلها «إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله عزّ وجلّ [٩١] . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [٩٢] : «فإن قال قائل : فما

(٩١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ١ /٣ .
(٩٢) مقدمة في أصول التفسير : ٩٣ .

أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضوع آخر» وقد الف العلامة الفاضل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي تفسيراً اعتمد فيه توضيح القرآن بالقرآن وسماه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» .

إذن نستطيع أن نقول أن تفسير القرآن بالقرآن تفسير نص معين بنصوص أخرى لنفس المتكلم ودعني أسق بعض النماذج التي تتعلق بتفسير القرآن بالقرآن .

١ ـ آية الأنعام : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» [٩٣] . فهم الصحابة رضي الله عنهم «الظلم» الوارد في الآية على أنه الظلم (الجور ضدّ العدل) فشق عليهم ذلك لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن معنى «الظلم» في هذه الآية من مدلوله في آية أخرى ، روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «لما نزلت آية» الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين ، فقالوا : يارسول الله ما منّا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه السلام : ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان لابنه : «إن الشرك لظلم عظيم» [٩٤] ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفسّر

(٩٣) آية ٨٢ .

(٩٤) تفسير الطبري : ١٦٨/٧ .

لهم معنى الظلم من الآية الأخرى من سورة لقمان «يا بنيّ لاتشرك بالله إن الشّرك لظلم عظيم» (٩٥) .
٢ ـ آية البقرة : «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» (٩٦) .

في هذه الآية لفظة تحتاج إلى تفسير وتبيين وهي «رفث» . ولما اختلف المفسرون في معناها بحثوا عن هذه اللفظة في آية أخرى تفهمهم المعنى فوجدوها في آيات سابقة بسياق واضح يفيد أن الرفث هو الجماع والآية هي : «أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن» (٩٧) .
٣ ـ آية التغابن : «إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم» (٩٨) .

تصديت للحديث عن هذه الآية في مناسبة ما فوقفت كثيراً عند هذه الآية أتساءل ما هو «القرض الحسن» المذكور في هذه الآية فرأيت أن الرجوع إلى الآيات الأخرى في القرآن التي ذكرت القرض الحسن ستفيد في تبيين هذا المعنى واستعنت بتفسير الفخر الرازي فوجدت أن هناك آيات عديدة ذكرت لفظة «القرض الحسن» مع سياقات أخرى ومنها آية البقرة : «وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض

---

(٩٥) آية : ١٣ .
(٩٦) آية : ١٩٧ .
(٩٧) البقرة آية : ١٨٧ وأنظر تفصيل ذلك عند ابن كثير في تفسيره : ١/ ٢٣٦ .
(٩٨) آية : ١٧ .

ويبصط واليه ترجعون» [99] ، وفي المائدة في سياق الخطاب لبني اسرائيل «لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم .. الآية[100]) . وفي المزمل : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا» [101] .

اختلف المفسرون في معنى «القرض الحسن» ، فقد روي عن عمر رضي الله عنه وغيره من السلف أنه النفقة في سبيل الله ، قيل : هو النفقة على العيال وقبل : هو التسبيح ، ولكل من هذه الأقوال دليله من السنة إلا أننا لو أخذنا مجموع الآيات وسياقاتها خاصة سورة البقرة «وقاتلوا في سبيل الله» وكذلك سورة المائدة «آمنتم برسلي وعزّرتموهم» وما سبق الآية في سورة المزمل من أولها «وآخرون يقاتلون في سبيل الله لتبين لنا أن فهم عمر هو الفهم الراجح [102] .

ولو طبقنا منهج المفسرين هذا على نصوصنا الشعرية لاستفدنا فائدة ظاهرة ، وسأحاول هنا أن أخذ المتنبي وشعره (واخترت المتنبي لظن أغلب النقاد أن شعره أكثر الشعر العربي غموضا وتعقيدا وأمثالا وشوارد :

---

(٩٩) آية : ٢٤٥ .

(١٠٠) آية : ١٢ .

(١٠١) آية : ٢٠ .

(١٠٢) انظر ذلك في مواصفها في تفسير الرازي .

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم [(١٠٣)]

يقول المتنبي ضمن قصيدته التي يذكر فيها حمّاه بمصر [(١٠٤)] :

أبنت الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام

فالمتنبي هنا يخاطب الحمى بكناية عن موصوف «أبنت الدهر» لكن الاستشكال هنا في قوله «عندي كل بنت» ما المقصود بهذه البنت ؟ هل أوردها من باب المشاكلة ؟ قد يكون ، لكن ما معناها . لننظر في جملة شعره فلربما وجدنا فيه ما يبين لنا هذه البنت التي عنده كل أجناسها حتى أنه ليتعجب من الحمى كيف وصلته والزحام عليه من كل بنت من بنات الدهر ، يقول في قصيدته التي رثى بها والدة سيف الدولة [(١٠٥)] .

رماني الدهر بالأرزاء حتى
فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال

(١٠٣) ديوانه : ٣٦٧/٣ .
(١٠٤) ديوانه : ١٤٧/٤ .
(١٠٥) ديوانه : ٩/٣ .

فالمتنبي في هذين البيتين يبين لنا ما يحيط به من رزايا ومصائب فيقول : «كثرت مصائب الدهر عندي لتواليها عليّ ، وقد أصابت قلبي فجائعها حتى صار كأنه في غشاء من سهام الدهر» [١٠٦] إذا عارضنا هذين البيتين ومفهومهما ببيته في الحمى تبين لنا من قصيدته في رثاء أم سيف الدولة أن «البنت» التي ازدحم عليه كل جنسها إنما يقصد بها المصيبة ، كل مصيبة . ولا بأس أن أسوق مثلا آخر ألا وهو قول المتنبي [١٠٧] :

وتــراه في ظلــم الــوغـى فتخــالــه
قمــرا يكــرّ عــلى الــرجــال بكــوكب

«فالمشبه هنا صورة الممدوح الفارس وبيده سيف لامع يشق به ظلام غبار الحرب والمشبه به صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألىء في وسط الظلام» [١٠٨] لكن هذه الصورة التي يسميها البلاغيون «تشبيه تمثيل» يصعب فهمها دون فهم مقاصد كل كلمة ثم تؤخذ جميعها لتشكل الصورة التي هي منتزعة من متعدد . فلو أخذنا «قمراً يكر على الرجال بكوكب» لعرفنا أن الكوكب هنا يعني به السيف ، وهذا مضطرد في الشعر العربي وأقرب مثل هو بيت بشار [١٠٩] .

---

(١٠٦) شرح العكبرى : ديوانية : ٩/٣ .
(١٠٧) ديوانه : ١/
(١٠٨) علم البيان دكتور عتيق : ٨٦ .
(١٠٩) مختار الأغاني : ١١٤/٢ .

كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق رؤسنـــا
وأسيـــافنـــا ليـــل تهـــاوى كـــواكبـــه

لكن الغموض في لقطة «قمر» إذ يتبادر إلى أذهان غالبية الشراح أنه شبه الفارس بالقمر لحسنه أو لبياضه ، وهذا لا يأتي لمن أعمل فيه الفكر للأسباب منها :

١ ـ تشبيه الرجل بالقمر غير مستساغ عند العرب وإنما تشبه به المرأة وهو مطرد في شعرهم كثيراً ، ولا يمدح الرجل بتشبيهه بالقمر لبياضه ، ولو مدح الرجل ببياض الوجه فإنما يقصد به التكنية عن المساحة والكرم .

٢ ـ لو فرض أن الرجل الفارس أبيض الوجه فعلا (على الحقيقة لا على التشبيه) فهل يشع هذا الوجه في الظلام وقد ينقلب المدح إلى ذم لأنه يكون حينئذ للبرص أقرب وهذا مما تذم به العرب .

وما دام الأمر على هذا النحو فلا بد أن «القمر» هنا له معنى آخر ويمكن أن يفهم من أبيات المتنبي وهو يصف كثرة جيوش الروم عدداً وعدة [١١٠] .

أتـــوك يجـــرون الحـــديـــد كـــأنهم
سروا بجيـــاد مـــا لهن قـــوائم
إذا بـــرقـــوا لم تعـــرف البيض منهم
ثيـــابهم من مثلهـــا والعمـــائم

(١١٠) ديوانه : ٣/٣٨٤ .

فجيوش الروم هنا تبرق لكثرة ما لبسوا من الحديد حتى كأن خيولهم لا قوائم لها ، وهذا المعنى واضح في البيتين ، إذا عرفنا هذا من البيتين أمكن لنا أن نعرف بأن «القمر» في البيت السابق إنما يقصد به الرجل الشاكي السلاح والدارع الذي أخذ للحرب عدته ، فهو يبرق كالقمر يبرق في ظلم الوغى .

أما تفسير النص بنصوص أخرى خارجة عنه فلم يغفله علماؤنا الأوائل وما يعرف بالشواهد ما هي إلا تفسير النص بنص آخر خارج عنه ، وقد استعمل العرب هذا المنهج في فهم النصوص القرآنية كما استعملوه في فهم النصوص الشعرية . وسأكتفي بمثل واحد هنا لكل حالة :

ورد في القرآن نصوص مجملة أو مقيدة لا تتبين إلا بنصوص قرآنية أخرى (وقد رأينا ذلك آنفا) وإلا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد في آيات الصيام قوله تعالى : «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» (١١١) . جاء في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين» ثم قال : لا بل هو سواد الليل وبياض النهار» (١١٢) .

---

(١١١) البقرة : آية : ١٨٧ .

(١١٢) صحيح البخاري : ٦/٤٤ .

ونعود مرة ثانية للمتنبي لنبين معنى بيته [١١٣] :

نصيبــــك في حيـــاتـــك من حبيب

نصيبــــك في منـــامـــك من خيـــال

من نصوص أخرى خارج شعره سواء كانت سابقة عليه أم لاحقة : قال التهامي :

فـــالعيش نـــوم والمنيـــة يقظـــة

والمـــرء بينهمـــا خيـــال ســـارى

وقال الطائي : (أبو تمام) :

ثم انقضت تلـــك السنـــون وأهلها

فكـــأنهـــا وكـــأنهم أحـــلام

وتمثل عمر رضي الله عنه الشاعر :

نسرّ بمـــا يغني ونفـــرح بـــالمنى

كمـــا سرّ بـــاللـــذات في النـــوم حـــالم

وقال الآخر :

فكم بـــــاد من معشر أصبحـــــوا

كـــــأنهم حلم أو خيـــــال

وقال ابن طباطبا :

فنلت يقظـــان من ضيـــافتـــه

مـــا نلتـــه نـــائمـــا من الطيف

---

(١١٣) ديوانه : ٩/٣ .

* يلاحظ أنني اخترت القرآن الكريم وشعر المتنبي لأن القرآن أفصح الكلام والمتنبي أعمق الشعراء .

إن معنى المتنبي منتثر في حقيقة الأمر في هذه الأبيات [١١٤] ولعل هذا يقودنا إلى ما نصطلح عليه «بالتناص» .

خصوصية النص :

احتفل البلاغيون العرب بالذوق احتفالا كبيراً وجعلوه مردّ الحسن والقبح في تقويم النص ، بل هو الفيصل أحياناً ، ولهذا اختلف المقومون حسب اختلاف أذواقهم . وإن كان للثقافة أو الحرفة دور لا يستهان به في سبيل تذوق النص [١١٥] ، ولذلك نجد أن ذوق النحوي يختلف عن ذوق الأديب والطبيب ، وقد أشار الجاحظ إلى أبي عمرو الشيباني وذوقه وانتقده في ذلك حينما الحّ أن يؤتى له بدواة وقرطاس ليكتب بيتين أعجباه ، لايرى فيهما الجاحظ شيئا سوى المعنى وهما :

لا تحسبن المـــوت مـــوت البـــلى
فـــإنمـــا المـــوت سؤال الـــرجـــال
كـــــلاهمـــــا مــــــوت ولكن ذا
أفظـــع من ذاك لـــذل السؤال [١١٦]

وحينما سئل بختيشوع الطبيب عن أشعر الشعراء ، قال : الذي يقول :

---

(١١٤) أنظر شرح ديوان المتنبي للعكبري : ٣/٩ .

(١١٥) أنظر تفصيل ذلك في بحثي : أثر الحرفة في الأسلوب .. نشر في العدد الثاني من المجلة العربية .

(١١٦) الحيوان : ٣/١٣١ .

أحمـــد قـــال لي ولم يـــدر مـــا بي
أتحبّ الغـــداة عتبـــة حقّـــا
فتنفست ثم قلت نعم حبـــــــا
جـــرى في العـــروق عـــرقـــا فعـــرقـــا

ويعقب الثعالبي على هذا بقوله : «وانما صار أشعرِ الناس عنده لذكره العروق والجسّ والقرح» [١١٧] .

وكما احتفل العرب بالذوق فقد احتفل به غيرهم من الأمم ، ويكفينا هنا شاهدا قول لا نسون (Lanson) : «لن نعرف قط نبيذاً بتحليله تحليلا كيماويا أو بتقرير الخبراء منه دون أن نذوقه بأنفسنا ، وكذلك الأمر في الأدب فلا يمكن أن يحلّ شيء محل «التذوق» .. فمحو العنصر الشخصي - إذن - محوا تاماً أمر غير مرغوب فيه ، ولا هو ممكن ، فالتأثرية أساس عملنا» [١١٨] .

ومع أن التقدم العلمي المهول بدأت مناهج علمية جديدة تظهر تطالب بإخضاع النصوص إلى المناهج العلمية وما الحتمية التاريخية إلا نموذج لهذا ، وما الدراسات الأسلوبية ذات الاحصاء والجدولة إلا تأثر بعلوم تجريبية ، ومن قرأ طرفاً من تاريخ النقد الأوروبي الحديث فإنه لا شك سوف يرى آثار

---

(١١٧) خاص الخاص : ٧٧ ، ٧٨ .
(١١٨) منهج البحث في الأدب واللغة : ٢٦ ، ٢٧ .

الفيزياء والبيولوجيا وتأثيرها ، بل إن هناك من المنظرين للنقد الحديث من هم علماء طبيعيون تجريبيون ، مثل «تين» صاحب المنهج التاريخي ومثل «توماس بالمر» صاحب نظرية الشكل الهندسي ، وكريماس «صاحب المربع السيميائي» وبنثيطو ، ونتج عن ذلك الاتجاهات الآتيـة : النظريـة السيموطيقيـة النظرية الكارثية ، نظرية الشكل الهندسي ، نظرية الحرمان ، نظرية الذكاء الاصطناعي ، ونظرية التواصل والعمل [١١٩] .

إننا الآن أمام مناهج نقدية كثيرة ـ يحار فيها الحليم ـ ولا يدري ما يأخذ وما يذر ، وكل منهج من هذه المناهج له ماله وعليه ما عليه ، وعلى أن المناهج النقدية تتعدد وتتجدد ويصطدم بعضها ببعض حينا وتتقارب حينا آخر فإن النصوص العظيمة (خاصة القديمة) ـ والتي هي في حقيقة الأمر نماذج تتخذ للدراسة من مختلف المناهج والمدارس النقدية ـ لا تتغير وثابتة لأنها عرفت سواء بالرواية أم بالتدوين ، وبلغ من ثراء هذه النصوص حدًّا يجعلها تتعايش مع أي مدرسة نقدية ، لكن هل جميع النصوص الأدبية يمكن لها أن تنساق وتتشق مع هذه المدارس النقدية وأني بصفتي ناقداً يمكنني أن أوظف أي منهج نقدي أراه ـ (انطباعيا أو أسلوبيا أو بنيويا أو تفكيكيا» ـ لدراسة هذه النصوص ؟

---

(١١٩) انظر : ديناميـة النص : ٨ .

مما لا يختلف عليه أن كل نص أدبي قد يكون محكوما بثقافة خاصة أو بثقافة عامة وأن هذه الثقافة ـ خاصة الخاصة ـ هي التي تتحكم بنوعية المنهج النقدي الملائم ، ولعل نصوصنا ـ خاصة الاسلامية منها ـ خاصة ومتميزة وأن وراء كل مدرسة نقدية «تراكمات ثقافية وحضارية وثورة صناعية وتقنية ، وتفاعلات سياسية» ، لحظ ذلك الدكتور / محمد مفتاح فتساءل : «أوليس في هذا إسقاط على ثقافتنا ذات الخصوصية والمتميزة عن غيرها ؟ أو ليس في تشويه وتعذيب لجسد النصوص «الجميلة وسأزيد على سؤاله» لفظة النصوص العربية المستقرة ؟ فيجيب :

١ ـ إن هذه النظريات فيها ثوابت ليست خاصة بلغة من اللغات فهي ـ إذن إنسانية ، فبما أنه ليس هناك طب أو فيزيا أو كيمياء أو بيولوجيا خاصة بأمة من الأمم فكذلك يمكن أن يقال في «علم النصوص» ، فقد توصلت البحوث إلى نتائج لا مجال للطعن فيها ، كما أنه لا مجال لتخصيصها ، فليس هناك شك في أن النص ينمو كما ينمو الكائن الحيّ ، وفي أنه يصدر عن كائن حيّ يريد أن يشبع حاجاته الأولية والثانوية ، وفي أنه موجه إلى مخاطب حقيقي أو مظنون وفي أن ذلك النمو يحصل بالتفاعل اللغوي .

٢ ـ إن ما قدمناه من ابراز آليات توليد النص وثوابته النفسية والذاكرية والتفاعلية والفضائية ـ الزمانية يعكس الضروريات التي تتسبب في وجود النص إذ لا يمكن أن يوجد بدونها

وخارجها عنها ، ولكنه حينما يوجد ينفرد ، فتكون له خصائص نوعية متميزة عن غيره ، ونعني بالتفرد معنى عاماً ومعنى خاصاً ، فالمعنى العام هو أن لكل ثقافة نصوصاً تعكس خصوصيتها وهويتها ، إذ لا يعقل أن يطابق بين الثقافة العربية والاسلامية وبين الثقافة الغربية المسيحية . وأما المعنى الخاص فهو أن لكل غرضي كلامي تفرده يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار .

بهذا المنظور يمكن أن نوفق بين المكتسبات العلمية العالمية ليصير لنا علم للنصوص وبين الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الثقافة القومية وتفرد النص وتميزه داخل الثقافة وداخل الجنس الأدبي نفسه [١٢٠] .

نعم ، توجد مباديء نقدية ربما يمكن توظيفها على غالبية النصوص الانسانية على أن يتعامل مع كل نص بمعيار وأسلوب قد لا ينطبق على غيره من النصوص الأخرى ، وهذا رأي يعضده ليو سبتسزر وهو ينطلق في نقده مما أسماه «بالدائرة اللغوية» التي حل عن طريقها كما يزعم أي نص أدبي مهما كانت درجة استعصائه وغموضه حين يقول [١٢١] : «إن الخبرة بـ «الدائرة» لا تكفي بذاتها لوضع برنامج صالح للتطبيق في جميع الحالات ، فعند كل قصيدة يحتاج الناقد إلى الهام

(١٢٠) دينامية النص : ٤٥

(١٢١) مناهج البحث الاسلامى ٨٠ ، ٨٨ .

خاص ، إلى نور علوي خاص .. ، والحق أن الناقد يطلب منه أن يكون قادراً على التشكيل دائماً بأشكال جديدة ، لأن الحيلة التي يثبت نجاحها في عمل فني ما يتعذر تطبيقها تطبيقاً آليا على عمل آخر ، وان الاستاذ / الخبير ليجد عنتاً كبيراً في مراقبة المبتدىء حين يعيد - ودائماً يسيء - استخدام مفتاح معين صلح في يد الاستاذ لعلاج كاتب مختلف كل الاختلاف .. والسبب أن في مفاتيح الفهم لا يمكن تحويلها بصورة آلية من عمل فني إلى آخر راجع إلى واقع التعبير الفني ذاته .. ففي أي عمل أدبي يمكن أن توجد استعارة أو تكرار أو سرعة إيقاع ، وقد تكون دلالة أو لا تكون» .

إذن فنحن نحس بميل شديد إلى أن منهج تحليل النص يختلف باختلاف النص ومدى ملائمة هذا المنهج لهذا النص بمعنى أن هناك نصا ربما ناسبه المنهج النفسي . ولعل نصوص أبي العلاء المعري وأبي نواس من النصوص التي يلائمها هذا المنهج ، أضف إلى ذلك أن المنهج المختار يجب أن يخضع لما يبحث عنه الناقد في النص ، فهل يبحث عن فهم نفسية الناص أم أنه يبحث عن مجال الصورة في نصه أم يفتش عن الواقعة التاريخية إن لم يمل إلى هذا التصور فأغلب الظن أننا كمن يجعل العربة أولا ويأتي بالحصان ثانيا . ووضع المنهج قبل النص وتصوره قد يحدث أخطاء كثيرة لأنك سوف تبحث في هذا النص قسراً وتستكرهه حتى تجد فيه ما يلائم هذا المنهج أما إذا تعاملت مع النص أولا وتركته يفرض عليك المنهج الملائم فقد

تسلم من بعض المزالق وتنجو من التخرصات ، فنص كنص القصيبي أو نزار قباني أحسبه ينتظم بسهولة مع النقد النفسي ، وقد يسيخ مع النقد الأسلوبي أو البنيوي . أما نص أحمد الصالح (مسافر) الشعري والذي يملأه بالرموز التاريخية والشخصيات البطولية ، فإن المنهج التاريخي كفيل بأن يعالجه ويحسن التعامل معه . أما النصوص المبهمة أي الغامضة ، خاصة تلك التي لا ينطبق الرمز فيها على مرموزه التاريخي ، والتي لا تظهر فيها ذاتية الشاعر ولا ينفع في فهمها الإسقاط الخارجي ، فلا سبيل إلى فهمها إلا من داخلها فتلك النصوص لابد من فهم بنيتها الداخلية وما فيها من إشارات وأمارات وأيقون ، بمعنى أن دلالاتها اللفظية وما اكتنزته من ايقاع ووصل وفصل وتقديم وتأخير وعروض وانكسار هي السبيل الأمثل ، بل ربما الوحيد لفهم هذه النصوص . ولعل قصيدة التضاريس للشاعر محمد الثبيتي تصلح أن تكون مثلا لهذا النوع من النص .

ooo

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الابداع : عابد خزندار ، القاهرة ١٩٨٨م .
٣ ـ اتجاهات البحث الأسلوبي : شكري عياد ، الرياض ١٤٠٥هـ .
٤ ـ أخبار القضاة : وكيع «تصحيح : عبدالعزيز المراغي ، القاهرة .
٥ ـ الأدب وفنونه : عز الدين إسماعيل ، القاهرة ١٩٨٣م .
٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : الأمين الشنقيطي ، مصر .
٧ ـ الأغاني : الأصفهاني ، دار الكتب بالقاهرة .
٨ ـ الايضاح في علوم البلاغة : القزويني ، تعليق : عبدالمنعم خفاجي ، بيروت ١٤٠٥هـ .
٩ ـ بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية ، المطبعة المنيرية ، القاهرة .
١٠ ـ البلاغة الواضحة : على الجارم ومصطفى أمين : القاهرة ١٩٨٤م .
١١ ـ البيان والتبيين : الجاحظ ، بيروت .

١٢ ـ تشريح النص : عبدالله الغذامي ، بيروت ١٩٨٧م .
١٣ ـ التصور اللغوي عند الأصوليين : السيد أحمد عبدالغفار ، الاسكندرية ١٤٠١هـ .
١٤ ـ تفسير الطبري ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٢٩هـ .
١٥ ـ تفسير الفخر الرازي ، طهران .
١٦ ـ تفسير ابن كثير ، طبعة الحلبي ، القاهرة .
١٧ ـ التفسير النفسي للأدب : عز الدين إسماعيل ، القاهرة ١٩٨٤م .
١٨ ـ الحيوان : الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٣٨م .
١٩ ـ خاص الخاص : الثعالبي ، بيروت ١٩٦٦م .
٢٠ ـ الخطيئة والتفكير : عبدالله الغذامي ، جدة ١٤٠٥هـ .
٢١ ـ دراسات سيميائية أدبية لسانية ، مجلة فصلية ، الرباط .
٢٢ ـ دينامية النص : محمد مفتاح ، الرباط ١٩٨٧م .
٢٣ ـ ديوان الصمة القشيري ، جمع وتحقيق عبدالعزيز الفيصل ، الرياض ١٤٠١هـ .
٢٤ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة : محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٧١هـ .
٢٥ ـ ديوان المتنبي : شرح العكبري ، القاهرة ١٣٥٥هـ .
٢٦ ـ ديوان امريء القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م .

٢٧ ـ الرسالة : الامام الشافعي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٤٠م .
٢٨ ـ الرومانتيكية والواقعية في الأدب : حلمي مرزوق ، بيروت ١٩٨٣م .
٢٩ سقط الزند المعرى ، دار صادر ، ببيروت .
٣٠ ـ سنن الترمذي ، تحقيق : عطوة وشاكر ، القاهرة .
٣١ ـ شعر يزيد بن الطثرية ، جمع وتحقيق : ناصر بن سعد الرشيد ، مكة ١٤٠٠هـ .
٣٢ ـ صحيح البخاري ، الحلبي ، القاهرة ١٣٧٢هـ .
٣٣ ـ علم البيان : عبدالعزيز عتيق ، بيروت ١٤٠٥هـ .
٣٤ ـ فتح الباري : ابن حجر ، تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن باز ، القاهرة .
٣٥ ـ فصول في الأدب والنقد : طه حسين القاهرة .
٣٦ ـ في النقد الحديث : نصرت عبدالرحمن ، عمان ١٩٧٩م .
٣٧ ـ الكشاف : الزمخشري ، القاهرة ١٣٧٩هـ .
٣٨ ـ مختار الأغاني : ابن منظور ، المكتب الاسلامي ، بيروت .
٣٩ ـ الكامل : المبرد ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، بيروت ١٤٠٦هـ .
٤٠ ـ المثل السائر : ابن الأثير ، تحقيق : الحوفي وطبانة ، الرياض ١٤٠٢هـ .
٤١ ـ مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، الكويت ١٣٩١هـ .

٤٢ ـ مقدمة في أصول ابن خلدون : ابن خلدون ، القاهرة .
٤٣ ـ الموقف من الحداثة : عبدالله الغذامي ، جدة ١٤٠٦هـ .
٤٤ ـ النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، القاهرة ١٩٧٩م .
٤٥ ـ النقد والدراسة الأدبية : حلمي مرزوق ، بيروت ١٤٠٢هـ .
٤٦ ـ النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه : سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ .

ثانيا : المراجع المترجمة

١ ـ تطوير النقد الأدبي في العصور الحديث : كارلوفي وفيللو ، ترجمة : جورج سعد يونس ، بيروت ١٩٦٣م .
٢ ـ دراسات في النقد : الن تيت ، ترجمة : عبدالرحمن ياغي ، بيروت ١٩٦١م .
٣ ـ عصر السريالية : والاس فاولى ، ترجمة : خالدة سعيد ، بيروت ١٤٠١هـ .
٤ ـ مقالات في النقد الأدبي ، ترجمة ابراهيم حمادة ، القاهرة ١٩٨٢م .
٥ ـ نظرية الأدب : رينيه ويليك وأوستن وارين ، ترجمة : محيي الدين صبحي بيروت ١٩٨٥م .

ثالثا : المراجع الاجنبية

1 – Barthes R : Elements of Semiology, translated, New York 1983 .

2 – B uffon :Discourssur le Style : Paris 1920 .

3 – Carritt, E, F. : Philosophies of Beautty, Oxford, 1931 .

4 – Eliot (T. S.) : Points of View, London .

5 – Hudson W. H. : An Introduction to Study of Literature London .

6 – Pettit, P. : The concept of Structuralism, Los Angeles, 1977 .

7 – Scholes, R. : Structuralism in Literatare, New Haven, 1982 .

8 – Race, Surrounding and Epoch in literay Criticism .

9 – Reeves, J. : Understanding Poetry, london, 1948 .

10 – Wimsatt, W. K. and C . Brooks : literay Criticism, london 1970 .

ooo



تأملات في سُورة الكهف

فضيلة الشيخ
نور الدين قره علي

الأحـــد ٧ / ٤ / ١٤١٠ هـ
الموافق ٥ / ١١ / ١٩٨٩ م



فضيلة الشيخ نور الدين قره على

تقـــدمة

احمـدك ربى كـما ينبغى لجـلال وجهـك وعـظيم سلطانك ، واصلى واسلم على خير خلقك سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين ، ثم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : ـ

فانى ارحب بكم اجمل ترحيب كما ارحب بضيفنا العزيز فضيلة الشيخ نور الدين قره على الذى أفضل وقبل دعوتنا ليحاضر في نادينا . وقد اختار شيخنا التأمل في سورة من كتاب الله هى سورة الكهف ، ونحن المسلمين أمرنا كثيرا أن نتأمل فى كل شيء ، في ملكوت السموات والأرض ، قل انظروا ماذا في السمـوات والارض ، وفي الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم أفلا تبصرون . والتفكير عبادة . وكان اصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم لايتجاوزون آية يقرؤونها إلى أخرى حتى يفهموها فيم نـزلت وأين نزلت ، يفهمون مدلولها وربما مناسبتها وتفسيريها ، لذلك كانوا فقهاء ، وعبادا ومجاهدين ، جمعـوا كل المحامد ، ولعل في سورة الكهف قضايا بارزة كبرى ، أولاها أنه أحد ، سبحانه وتعالى ، فهو عز سلطانه لم يلد ولم يولد . وفي آية اخرى : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ، ففي سورة الكهف في أولها : وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ماهم به من علم ولالآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا .

والقضية الأخرى اولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم . . هدى ، فروا بدينهم من الطغاة فجثموا في الكهف ، وناموا الحقب التى ذكرها القرآن ، أحياء ولكنهم لايسمعـون لان الله ضرب عـلى آذانهم ، لايسمعون شيئا مما يضطرب حولهم . ولئلا تتقـرح جوانبهم من هذا النوم الطويل ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا . فالله القادر يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال .

والقضية الثالثة : واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعتاب وحففناها بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وبدل أن يحمد صاحب هاتين الجنتين ربه على ما انعم عليه واعطاه أخذ يفاخر بماله وجاهه صاحبه ، ولم يكتف بذلك وانما ظن ان جنتيه لاتبيدان ، باقيتان أبد الابدين . ولم يقف عند هذا الحد الذى ليس فيه عبرة لاحداث الجديدين ، بل ظن أن الساعة غير قائمة . ما هذا ؟ كفر وبطر بالنعمة وجحود لما قدره الله وقضاه ، ومع ذلك مع كل هذا فهو يطمع انه اذا انقلب الى ربه فإنه سيجد خيرا منها منقلبا .

وصدق الله العظيم القائل : ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ، وقوله سبحانه : قتل الإنسان ما اكفره. وتمضى الآيات . قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا الى آخر الآيات .

والقضية الرابعة ، قصة نبى الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، سيدنا موسى يريد ان يتعلم من هذا الرجل الصالح ، حيث قال الله : فوجدا عبدا من عبادنا

آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . هذا الرجل الذى آتاه ربه رحمة منه وعلمه من لدنه علما ، علم الله الذى لاحد له ، ولاندرك منه الا مايدرك طائر يضع منقاره في بحر ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا . حكم مقدما الرجل الصالح علي سيدنا موسى كليم الله ، الجرىء الذى قال لربه يوم آخذ بنى اسرائيل : إن هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا ، والسبب ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . شىء بعيد عن مداركك سيكون ثقيل عليك لاتحتمله ولكن سيدنا موسى كان مصرا على هذه المصاحبة والتعلم .

ووعد صاحبه قائلا : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ، آخر طاعة وانقياد . ولكن الخوارق لم يطقها سيدنا موسى ، العلم الذى قال له العبد الصالح : وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا . وحسم الامر سيدنا موسى وقطع علينا الطريق ، وليته صبر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنرى من عجائب العبد الصالح عبر هذه الرحلة العجيبة ، استحى كليم الله من نفسه ، وهو الذى تعهد

بان يكون مطيعا ، وقبل شرط عبدالله الذى قال له فإن اتبعتني فلا تسألنى عن شيء حتي احدث لك منه ذكرا . وقضي الامر بعد الاعتراض الثالث في بناء الجدار الذى يريد ان ينقض . حسمت القضية بقول العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك .

والقضية الخامسة والاخيرة ، ذو القرنين : إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا . فبلغ مغرب الشمس وبلغ مطلعها ، ووجد اقواما هنا وهناك ، وبنى السد بيننا وبين بأيوج ومأجوج بتقدير الله ، لأنهم مفسدون في الأرض . الذى سيظل إلى أن يأتى وعد الله فيجعله دكّاء وذلك يوم البعث .

مواقف فيها عبر فطوبى للمتأملين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب .

هذه محاور من هذه السورة الكريمة وكل محور فيها يتطلب وقفات ذوى البصائر ، وشيخنا نور الدين من هؤلاء ان شاء الله ، فيسوح بنا خلال الكهف واهل الكهف والإيمان الراسخ الذى حمل اولئك الفتية على تلك الخلوة يعبدون الها واحدا ، ربنا رب السموات

والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذاً شططا ، لقد آووا . . الى الكهف لينشر عليهم ربهم من رحمته ويهىء لهم من أمرهم مرفقا . ومن رحمة الله بعباده الذين احبوه وسعوا في مرضاته القوى القادر القاهر ، بعد هذا النوم الطويل الطويل حينما بعثهم ربهم . لان النائم يشبه الميت ، لاسيما من لايسمع والله قد ربط على قلوبهم بالإيمان .

حينما استيقظوا تساءلوا فيما بينهم : كم ناموا ؟ فقال بعضهم يوما أو بعض يوم ، ولم يجادلوا كما نجادل نحن اليوم في المهم وغير المهم ، وانما تركوا امر مدة نومهم الى ربهم الذى هداهم ، لم يضيعوا وقتهم كما نصنع نحن في جدل عقيم . قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وحسموا القضية بان يبعثوا من يبتاع لهم طعاما من السوق فقد احسوا بالجوع ، ولكنهم حذرون ، اوصوا رسولهم بان يتلطف لئلا يشعر بهم أحد فيرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم ويذهب سعيهم سدى فى الفرار إلى الله يرجونه الهداية والتعبد له . والخالق يحمى عباده ، فحينما كانوا في الكهف لم يتركوا سدى ، وكيف يتركون وهم قد لجأوا إلى العزيز الحى القيوم . لو اطلعت عليهم لو ليت منهم

قرارا ولمئت منهم رعبا . فهنيئا للمتأملين في آيات الله ليعتبروا ، لأن القرآن يخـاطب أولى الالباب واولى الابصار . ويقول لهم فاعتبروا ياأولى الالباب . يا أولي الابصار ذوى البصيرة.اللهم أعنـا على أنفسنـا حتى لانضل ، وانصرنا على اعدائنا حتى لانذل . معذرة لشيخنا الجليل اذا كنت قد تعديت على واجبه أو تجاوزت حدى فيما لم يكن لي ، ولكنى امهد لاهيىء الاسماع ، وهى صاغية ان شاء الله واعية ، وهذا ما قادها الى هذا اللقاء المبارك على مائدة الله في ارضه ، واكرم بها من مائدة هادية ، تشرح الصدور وتنور الابصار . وتذهب الغم والهم . تلكم هى معجزة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الخالدة.اللهم اجعل القـرآن شاهـدا لنا لاشاهدا علينا ، وارزقنا تـلاوته عـلى النحو الـذى يرضيك عنا ، فانه لايعيننا على الحق غيرك ولايؤتيه لنا الا أنت .

عبدالفتاح أبومدين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ، وفي رواية أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق .
أما بعد :

فإني أتوجه بخالص الشكر لأسرة النادي الأدبي بجدة على هذه الدعوة الكريمة وأخص بالشكر رئيس النادي سعادة الأستاذ / عبدالفتاح أبومدين على هذا اللقاء الطيب ، كما أتوجه بالشكر للسادة الحضور على كريم استجابتهم وأنس تفضلهم .

وإني أتحدث اليكم عن سورة من كتاب الله الخالد ونعيش وإياكم مع الهدي الرباني الذي أزال الله بنوره حجب الظلام وجعل تدبر آياته ميزة لأولى النهى والأفهام .

ولئن كانت النوادي الأدبية قد اعتادت على أن تهتم بفنون اللغة وتداول الأبحاث الأدبية فإننا نعلم أولاً وآخراً بأن القرآن الكريم جماع تلك الآداب ومحيط تلك العلوم ولقد كانت الآداب لي ممراً في بداية الطريق ولقد غدت الشريعة لي مقراً في نهاية المطاف ولابد للوصول إلى المقر من سلوك دروب ذلك الممر .

وسورة الكهف قد توسطت هذا الكتاب ومثلت سحر بيانه وعظيم حكمه واحتشدت فيها أروع نماذج آدابه وتوجيهاته ، وتضافرت قصصها مع أمثلتها لإظهار حقائقه وبيان أحكامه .

ولقد اهتم علماء النفس وخبراء التربية بالقصص المعبّر والمثال المؤثر وأولوا هذا الفن عناية قصوى باعتباره من أخطر وسائل الإيضاح وطرائق الإفصاح ، وأوصوا بهما وألحوا على اصطناعهما وذلك لما في القصة والمثل من أثر ناجع في مجال التربية والتقويم وهذه ليست نظريةً جديدة ابتكرها هؤلاء فلقد سبقهم إلى ذلك كتاب الله وهو كتاب التربية المثلى أنزلُه خالق البشر على من أعده لذلك وأدبه لتلك المهمة : « أدبني ربّي فأحسن تأديبي » ولئن اهتم علماء التربية والنفس كثيراً من ميادينهم بالقصص والأمثال الرمزية وبعض كتب التراث مثل (كليلة ودمنة) الذي يسوق من القصص الموضحة لما يجب أن تكون عليه الأخلاق تلميحاً لاتصريحاً .

فإن كتاب الله تعالى يجعل من قصص الأنبياء ومن سبق من العالمين أهم الوسائل لتهيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم للرسالة .

ويضرب للعالمين أدق الأمثـال للبلوغ بهم أعـلى درجات الهداية .

ولقد امتاز القصص القرآني والمثل الرباني بخصائص عظمى فريدة من أهمها أنهما جاءا بالفكرة الحية الواقعية المتجسدة في حياة الخلق وأن القرآن واجه بذلك الإنسان بنفسه من أعماقه وأوضحها أمام صاحبها في كل مواقفها .

وإذا كنا بحاجة إلى تنمية الذوق الفني لدى الأمة فإننا معنيون أيضاً وبشكل أساسي بتنمية الدوافع الإيمانية والسمو الروحي ، وتصحيح كثير من المفاهيم السلوكية والاجتماعية . لأننا أمة أراد الله تعالى لها أن تبرز من خلال تميزها الإيماني ودعوتها إلى الفضائل ونهيها عن كل الرذائل .

وبرزت هذه الخاصية فيها من خلال هذا النهج القرآني العظيم من أول وهلة فلقد استشعرت الجاهلية على لسان الوليد بن المغيرة هذا التمازج ما بين بلاغة النص القرآني وتجليات الحقائق التي تحملها الآيات البينات فهو القائل : « إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه حق يعلو ولا يُعلىٰ عليه » .

نعم إنها رسالتنا في الحياة تنطلق من خلال هذا التكامل سواء عملنا لها في ميدان الدعوة كفقهاء وعلماء أو انطلقنا لبيان خصائصها كأدباء .

وإن ما يحدث اليوم في ساحات الأدب والفنون من محاولات لتنمية الأذواق الفنية والعناية باللمسات الجمالية من خلال

التفريق مابين الظاهرة والمضمون والأساليب والغايات وتقديم الصور والأعمال الأدبية بعيداً عن ملاحظة المضمون والمطالبة بغض الطرف عن أي شذوذ أو انحرافات في المعاني إكراماً لشكليات الألفاظ وتراقص العبارات لايمكن بحال من الأحوال أن يتوافق مع مهمتنا كمسلمين ، ومع تميزنا كخير أمة أخرجت للناس .

وخاصة ونحن نمتلك الكتاب المعجز الذي تضافر فيه الأمران وتناصر فيه الغرضان فلا تطغى فيه جماليات الفاظه على مباديء توجيهاته ولا تعطل روعة بيانه حقائق حكمه وارشاداته .

ولا تجدنا محتاجين أن نستورد نظريات أدبية من أعدائنا لنعطي من خلالها لكل أديب أو فنان رخصة انفلات من كل ما من شأنه أن يصلح حياة الإنسان .

وإن فكرة إطلاق الحرية للكاتب أو الشاعر أن يقول ما يشاء حسب تجربته بغض النظر عن آثارها الاجتماعية فكرةٌ تخالف مبدأ الحرية التي تلزم باحترام حقوق الآخرين .

وقد يعيش بعض الناس تجربة شريرة تثير في نفسه مشاعر دفّاقة قد يسجلها نثراً أو شعراً فهل يتركه المجتمع أن ينشرها على سائر الأمة .

إن هذا لا يتوافق مع مباديء الحق والخير والجمال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكل حزم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » بل حملتنا

رسالتنا إلى العالم أمانة كبرى أن لا نقول للناس إلا حسناً وكيف لا ونحن الذين أنعم الله علينا فقال : « وهدوا إلى الطيب من القول » وقال : « إليه يصعد الكلم الطّيب وَالعمل الصالح يرفعه » فلتتشح آدابنا بالطّيب من القول .. وليسمُ بنا الكلم الطيب إلى معارج الكمالات .. وإلى الذين يرون مايراه أدباء الطرف الآخر من الذين يريدون تحرير الآداب من الأخلاق ويريدون تقديم فنونهم من خلال تراقص القصائد مهما تبدى من مساوىء معانيها .. إلى هؤلاء المبهورين نقول بأن عليهم أن يدركوا قبل كل شيء ان الله تعالى لاينكر عليهم ذلك الإعجاب فهو الذي خلق ذلك الجمال وخلق فيهم تلك الأحاسيس بل إن ربنا جعل ذلك مظهراً من مظاهر حكمته وقدرته وأبرزه في كونه ومخلوقاته وأشار إليه بآيات قرآنه ، وجعله بجانب الغايات من مخلوقاته قال تعالى :

- ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين .
- والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة .
- حدائق ذات بهجة .

ولكن عليهم أن يناسقوا ما بين ذوقهم وأفكارهم ، وبين أحاسيسهم وأهدافهم في الحياة .. وأن لا يؤثروا جمال اللحظة الحسية المتناهية على روعة السمو .. في عالم الوجدان فجماليات المضمون لاتتناهى .. بينما يبقى الاحساس بجمال الظواهر محكوماً بانشغال الحواس .

إني أغمض عيني عن كل ظواهر الوجود وشكلياته عندما أضم ولدي إلى صدري لأعيش بهجة المضمون وأرسلها تتحدى عوامل الفناء .. ففي صلاحه لاجمال شكله استمرارية البقاء وكذلك فليكن علمي وأدبي .

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » ففي المضمون سر البقاء .

لا أطيل بهذه المقدمة بل أعود فأقول إننا نتجاوز اليوم الحديث عن قدرة القرآن الكريم على الامتاع الحسي بألفاظه وجرس تلاوته وعظيم بلاغته لنقف وإياكم عند نقطة تأثيره على العوامل الداخلية في الإنسان وقدرته على تغيير النفس البشرية نحو الأقوم ومجابهة تلك النزعات التي إذا استحكمت هوت بالنفس البشرية إلى مهاوي الهلاك .

وفي سورة الكهف نجد ذلك جليًّا واضحاً فلقد احتشد فيها من القصص الهادفة والأمثال الرائعة ما يؤكد قولنا ويبين بكل وضوح ما رمينا إليه وماذا يريد الواحد منا من القصص أو الأمثال إلّا ما أراده الله وارتضاه لأكرم خلقه عندما قال له : « وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقد ارتضينا هذا حظاً من كل الآداب .. وسائر الفنون

سورة الكهف بينت في بداياتها حكمة خلق الإنسان بقوله تعالى : «إنا جعلناها ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» وذكرت النهاية : «وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا» كما ذكرت سبيل النجاة : « فمن كان يَرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً

ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً » .

ثم ساقت تفصيلات لأحداث الصراع البشري على سطح الأرض وتمايز الناس من خلال ذلك الابتلاء وقدمت لنا بصفحاتها عبرة التاريخ ، وجمعت بين أيدينا حوادث الأزمان ، وطلعت علينا بأول أنبائها تروي قصة أصحاب الكهف مفتتحة الحديث عن بيان شخصيات القصة .. فهم فتية .. شباب في أوج زهوهم وقمة طموحاتهم وأعلى درجات تعلقاتهم يدخلون التجربة ويخوضون الامتحان . أما البيئة .. فهي بيئة منحرفة ، تفشّى فيها الظلم وخيم عليها الاستبداد فقاموا حيث قعد الجميع ، ونهضوا حيث استكان الناس ، وكان بامكانهم القعود ولكن على أساس أن يدفعوا الثمن .. وثمن الخنوع ذوبان الإنسان في الخضم الآسن ، ثمنه أن يخلع الإنسان ثوب كرامته وأن يساق إلى المذبحة بلا اعتراض ، أن يصفق للباطل ويهتف للظالمين وأن ينتظر بعد كل ذلك شيئاً من الفتات رفض هؤلاء كل ذلك وانطلقوا بايمانهم ولكن إلى أين .. فما بعد القصور إلّا الصحاري ورؤوس الجبال ..

وقال قائلهم : فأوا إلى الكهف .. واهربوا بدينكم فإن ربكم لن ينساكم وسينشر عليكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا .. وكان الله عند حسن ظنهم ، وتجاوبت السماوات مع الهمسات .. وأسكنهم الله في رحاب عنايته ، ووسع لهم أبواب رعايته ، و دخلوا الكهف مطمئنين وسرت قصتهم في العالمين .. ويقوم هؤلاء بعد ذلك الرقاد .. فإذا بالعقيدة ندية وبالأنفاس

طاهرة نقية ، والكلمات مشرقة وضيئة .. يتحدّون بإيمانهم كل عوامل التلاشي والغياب .. وينطلقون بأرواحهم خارج أقفاص الذوات إنهم في عالم الحضور .. يتدثرون بالنعمة الربانية التي حركت شمس الوجود في فلك خدمتهم .

ومن نشر الرحمة كانوا يستمدون سر بقائهم تحدّت عزيمتهم دورة الزمن وطيّ الأيام وتعطلت أمام همتهم كل عوامل الفناء .

حتى إذا ما أذن لهم الله بالقيام من جديد فإلى منهج ربهم يقومون .. « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً » .

فلا زالت الرؤية صافية ، والعقيدة مكينة والسلوك طاهراً والحكمة رائدة .. ويلاحظون طيب اللقمة وهم يعانون المسغبة . وينهجون منهج التلطف والحكمة ، ويحضون على الحذر والروية . لأنهم يعلمون أن الطغاة لا يتسامحون ولا يرحمون .. بل إنهم من خوف الحقيقة يرجمون ويجرمون .. يستعملون أبشع وسائل الانتقام ويقذفون بحجارة الاستكبار .. هذا إن لم يستطيعوا أن يلووا كل الأعناق إليهم ، ليلهث الناس كما يلهثون .. وتذوب كل الكلمات في كلمتهم وكل الآراء في أهوائهم وباطلهم حيث يقوم طغيان الذات بدل حرية الجميع وعندئذ لافلاح ولا نجاح « أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً » ثم تبدأ السورة الكريمة بمعالجة قضية .من قضايا الانحراف

النفسي عند البشر وهي التكبر .. من خلال حادثة واقعية جرت على زمن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك .. أن أكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أردت أن نؤمن فاطرد من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك .. وهنا يطنب القرآن في الرد عليهم وتبكيت مطلبهم وبيان فساد اقتراحهم ، ويأمر رسوله أن يتابع الطريق وان يواظب على تلاوة الكتاب وأن يرتبط بهذا النهج في أقواله وتصرفاته وأن لايلتفت لمثل هذه الاقتراحات التي تدل على التعنت والصلف والتكبر .

ولنستعرض كيف باشر القرآن معالجة الموقف لقد بدأ فوجه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » .

وقد جاء نظير ذلك في قوله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » .

وما أجمل هذا التناول نهيٌ عن طردهم أعقبه بالأمر بمجالستهم فنهىٰ عن ازدراء هؤلاء وأن تنبوا العين عنهم لأجل الرغبة في مجالسة الأغنياء وحبسن صورتهم .

فهنا يقظة وهناك غفلة ـ هنا حقيقة إنسانية وهناك زيف وخداع لذا قال الله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه » نعم فإن القلب هو محط نظر الله تعالى .. فإن الله لاينظر إلى صوركم ..

ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

إن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خاليًّا عن ذكر الحق مشحوناً بتيارات الهوى غارقاً في خضم الرغبات فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى الخسران المبين وهذا ماذكرّت به الآية وكان أمره فرطا .

وهذا تصريح بأن قضية الوجود الانساني قضية عقيدة ودين ذاك أمرها وهو ما خلقت له وسخرت من أجله وإن أي تفريط بهذه القضية يلغي المهمة الأساسية لوجود الإنسان وعندئذٍ يهيم على سطح الأرض بلا هدف وهو إلى العدم أقرب منه إلى الوجود .. تتلاشى طاقاته وتندثر مواهبه ، ويشقى بجهده ، ويلهث وراء سراب أحلامه .

اتباع الهوى : تفريط بتاج الكرامة التي اختص الله هذا المخلوق من بين الخلائق عندما ميزه بالإرادة واصطفاه بالاختيار ، فالانسان هو المخلوق الوحيد والكائن الفريد الذي بإمكانه أن يعبد الله .. أو يكفر به .. وأن يختار شريعة الله هداية ، أو دروب الشيطان غواية .. « وهديناه النجدين ـ إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإما كفوراً » ، ولم يكن ذلك لكائن سواه ..

لذا كان الانصراف نحو لذات الدنيا .. والاستجابة لنزوات الشر المادية والمعنوية يورث الغفلة عن هذه الكرامة ويدعو إلى التفريط بأعظم أمانة .. وان التردي لخطير .. وعواقبه وخيمة .. فالهبوط لن يكون إلى درك معين بل إلى ضياع وضلال ولن يتوقف الأمر عند تحوّل الإنسان من كائن متعقل مدرك إلى

كائن بهيمي طائش فبينهما علاقة انضباط فالكائن المتعقل تضبطه تعقلاته والكائن الهمجي تضبطه غرائزه .

أما متبع الهوى من البشر فهو خارج عن دائرة الانضباط متفلت من كل النواميس الكابحة حيث تبعثره أهواؤه ببراعة دهائه وتشتته غرائزه بطاقات فكرة .

ففي الإنسان يمكن أن يجتمع الهوى مع قوة الدهاء والغريزة مع شدّة المكر والمطامع مع تنوعات الحيل ونزعات الشر مع أساليب الخداع ، وعندئذٍ تكون الطامة الكبرى .. وينفرط الأمر ، وصدق الله إذ يقول : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوبٌ لايعقلون بها ولهم آذان لايسمعون بها ولهم أعين لايبصرون بها أولئك كالأنعام بل هُم أضل .

وذلك هو الهُويّ من الكرامة إلى المهانة .. ومن سدة الخلافة إلى قاع الذل والهوان .. تعطيل وسائل الإدراك عن البشرية والتفلت من ضوابط الأنعام الغريزية .. يؤدي إلى شرّ وبيل .. « ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق « وكان أمره فرطا » .

ويصف الله الفئة المؤمنة .. بأنها مستمسكة واعية مدركة لمهمتها في الوجود ذاكرة لفضيلتها في الحياة .. مستقيمة مع كر الليل والنهار ودورة الغدو والعشي لا يفتنها إقبال دنيا ولا يغرها إدبار متاع .. وما أجمل حقيقتها الرائعة .. وقد رآها رسول الله متدثرة بالثياب البالية[١].. فرأى استعلاء الإيمان على المتاع ومصابرة العقيدة لشدائد الحياة .

يروي سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنت جالساً في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضاً من العرى وقارىء يقرأ القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا كنتم تصنعون ؟ فقلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نستمع فقال صلى الله عليه وسلم : « الحمد الذي جعل من أمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم » ثم جلس وسطنا وقال : « أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة » ، ومن جديد تعود الآيات بعد ذلك لتؤكد على هوية الانسان .. وتشير إلى قضية الاختيار « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وتبين مآل الظالمين وعاقبة الصالحين ، ويتابع القرآن .. الحديث عن النقطة ذاتها ، ويضرب المثل الآخر إنه مثل الحياة الدنيا. الأرض ـ غيث السماء نمو الزرع ثم الحصاد ودورة النبات الحياة في النبات كما جاء هناك (الذي أخرج المرعى .. فجعله غثاء أحوى) وكم بين النبات والانسان من نقاط التقاء .. يستخدم المثل كتقريع جديد للمتكبرين .. بأن مقاييسهم لاتصلح للحياة وأن ما يستندون إليه وهمٌ لايصلح للمباهاة ويذكر القرآن .. بأن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً .حقاً لامقارنة بين الباقيات والفانيات ثم تسوق السورة لنا الحديث عن إبليس الذي فسق عن أمر ربّه عناداً واستكباراً وما أروع المناسبة فمجابهة أولئك المتكبرين عن مجالسة الفقراء في مجلس الإيمان بقصة إبليس مع ملائكة الرحمة فيها منتهى الحكمة فهو رد

للفرع إلى أصوله وتذكير للمتجبرين بنهايات تجبرهم وبيان للمتكبرين بما آل إليه تكبر أمثالهم وكأن القرآن يقول لهم : لاتريدون مجالسة الفقراء تكبراً .. تتركون قضية وجودكم من أجل ظواهر أموركم تناقشون الأمور بجدل إبليس .. تقولون ما قاله ذلك المطرود اللعين « أأسْجُد لمن خلقت طيناً » « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو » أو تعيدون سيرته كرة أخرى في أحوالكم .. احذروا .. فستعودون جميعاً إلينا ، وسنحشركم ولن نغادر منكم أحداً وسنضع الكتاب والموازين بالقسط ولن يستجيب أولياؤكم من الجن والإنس هناك لنداءات استغاثاتكم ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً .

ويضرب الله الأمثال .. ويصرّف هذه الأمثال في كل مجال .. وينقلنا القرآن إلى العوالم السابقة .. لنشهد على مسرح الحياة رواية قصيرة وقصة بليغة .. نرفع لرؤيتها أعناقنا .. وتأخذ أحداثها بأبصارنا وبصائرنا ، ونصغي للحوار يدور بين شخصيات القصة .. فينعكس ذلك على مرآة بنفوسنا .. فكأننا نسمع حديث أعماقنا ونرى في تلك القصة ذواتنا ..إننا نشاهد رجلين .. ونرى لأحدهما جنتين نعم هاهي بساتين العنب أمامنا يحيطبها النخل من كل الجوانب وهاهي خضرة الزرع تتناثر هنا وهناك ويشق هذه الحقول نهر يتدفق بالماء الزلال والثمار تتدلى في كل مكان .. إنهما جنتان من نخيل وأعناب كلتاهما آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً .. عجيب ! أرض لم تظلم .. هكذا نردد من

الأعماق أرض معطاء .. ردت الأمانة وقابلت الجهد بالشكر إنها ماضية في ناموس الكون .. لم تظلم لأنها جزء من هذا الكون المطيع .. المذعن لإرادة الله أي شيء نسمع .. أرض لم تظلم .. فذراتها تهتز .. تتكلم تحكي قصتها تجاوبها مع أسرار القدرة وإعجازات الإرادة .. وكأنها تذكرنا بعهدها القديم عندما فوجئت بالنداء الرباني ائتيا طوعاً أوكرهاً قالتا أتينا طائعين .. ويخترق أجواء خشوعنا مع هذه الحقيقة صوت أجش غريب .. لاتناغم فيه .. إنه الرجل صاحب الجنتين يقول لصاحبه يشير لذاته « أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً » .

ونحس بوخزة في عالم الشعور .. ونرى بأننا عُرّينا بين يدي هذا القول .. وأحس بأعماقي يتردد فيها صدى هذا الكلام الأجش .. واستشعر خشونة ما قلته مرة وما أقوله أحياناً .. إني أدرك كيف يدخل الإنسان عالم ذاته ويغيب في انانياته. (ودخل جنّته وهو ظالم لنفسه) يضرب الأرض المعطاءة التي لم تظلم. يدوسها بجبروت ظلمه يخترق ناموسها بتكبره بل يسحق طهرها بلوثة فجوره ويحي .. إنها خطواتي أنا وليست خطواته هو وأحس بأن القصة تضعني في مسرح الحياة ولا هروب .. فالرب عليم خبير وبين أيدنا جميعاً هذا الكتاب، والعجيب أني أسمعه يقول : « ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة » .. المأسور بفنائه يتحدث .. المشغول بالظاهر المحسوس يتكلم. شغلته خضرة الأوراق زهوّ الثمر وتراقص الأشجار ..

وغيّبته .. الجذوة الباسقة عن رؤية الأخشاب اليابسة المتجمعة إنه واقع في أسر اللحظة .. هكذا أراه .. في هذا المشهد .. أريد أن الفته إلى الوراء ، فأجد نفسي هي الملتفتة إني أرى القصة من بدايتها .. وأحس بأن البدايات سبقها عدم مطبق .. والزهو يليه اندثار ومع ذلك أسمعه يتابع فيقول .. لا بل يستمر في جدل المباهاة.ولئن رُددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً.وتنطلق صيحة .. في الأعماق .. بل أسمع على المسرح ذاك الرجل الهادىء الوقور يقول .. أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً.ويأتي المشهد الأخير .. لأرى صاحب الجنتين يضرب كفاً على كف يتمزق ألماً بعد أن كان يتراقص طرباً .

ما الأمر .. إنه وحده هناك أمام الأشجار المحترقة والجذوع المتكسرة .. إنه يتذكر قول صاحبه: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله . •

فيقول وهو مهدود القوى دامع العين .. ياليتني لم أشرك بربي أحداً .. أمنيات تطيش مع الرياح المزمجرة من حوله وآمال تبعثر مع زوابع التراب .. ليست الأرض هي المهشمة .. ولكن النفس الكافرة محطمة.ونغادر المسرح ونحن نسمع هتاف الحق.هنالك الولاية لله الحق .. وأنظر إلى أولئك المتكبرين على مجالسة فقراء المؤمنين .. وأراهم أبعد الناس عن الاعتبار .

وتنتقل الصورة إلى ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وفي مقابل صورة القوم المتكبرين يعرض الله تعالى قصة

تبدو مستقلة ولكنها تعبر في الوقت نفسه على ما هو المقصود في المواقف السابقة فهي رد ضمني على الكفار الذين تكبروا على الفقراء المسلمين بكثرة مال أو أنصار فها هو موسى مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه وجاهه واستجماعه موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى الخضر لطلب العلم وتواضع له ..من هذا يدل على أن التواضع خير وأعظم مثوبة في ميدان التعامل .

أما القصة التي أوردتها السورة فهنالك روايات عدة تروى سبب حدوثها أختار منها واحدة تقول ..بأن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أقرب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى،قال فأى عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علماً إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى.فقال موسى يارب إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه ، فقال أعلم منك الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة حيث تفقد الحوت فهو هنالك .. والمهم أن نلاحظ .. كيف ساق القرآن الكريم هذه القصة العظيمة . الموحية المعبرة،ويشدّنا القرآن إلى مفتتح القصة فنسمع صوت سيدنا موسى وهو يحدث فتاه:لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا.لن أكف عن المسير حتى أبلغ الغاية وغايته أن يدرك الرجل .. ومطلبه من الرجل زيادة العلم. بحر يريد أن يدرك بحراً ولو تمادت الأيام أحقاباً ومجمع البحرين مكان اللقاء .. سعة الزمن .. مع سعة البحار ، وعزيمة لاتحدها هذه الأطر ولا تردها هذه الآفاق.كل ذلك تحمله

إلينا الآية .. تحكي إرادات أولي العزم من الأنبياء .. والحديث لهذه الأمة التي يجب أن تعي أيّ دعوة تحمل وأيّ رسالة يجب أن تنشر في الحياة وكيف يجب أن يتحرك أفرادها ضرباً في الأرض وسعيا وراء المعرفة وطلباً لإدراك حقائق الوجود .

إن هذه الأمة عاشت حياة موسى وأدركت سيرته التي قدمها لنا سفر الحياة الموثق وكتاب الله الكريم عشنا مع موسى أيامه كلها تحركنا مع موكب معاناته وعرفنا قصة متكاملة المراحل .

وللبحر مع موسى مواقف على أمواجه تحرك تابوته الصغير في رحلة الاعجاز والتدبير ودخل قصر فرعون لتحمله يد الجزار ـ وكانت هناك آيات .. هناك عطلت القدرة الربانية ثورة الغضب في أعماق النفوس وشلت الإرادة الإلهية إرادات الجبابرة الظامئة لسفك الدماء،والقى الرب محبة على موسى الرضيع فخضعت القلوب وأذعنت المشاعر وتتعالى الأصوات:عسى أن نتخذه ولداً .. وتبعثرت تجمعات الكهان وتمضي إرادة الله .. أمام البحر تتجمع الفئة المؤمنة الهاربة وأمام البحر يحس الناس بأنهم أحيط بهم وان فرعون قد أدركهم ويستشعر موسى كيف أمضى الله قدره فأنجاه من الظلم بيد الظالم ، ويقول:كلا إن معي ربي سيهديني.وبهذا اليقين فتحت دروب النجاة وأغرق الوهم جحافل المترددين .

وعلى أمواج البحر في قصتنا هذه .. يركب موسى وينطلق وكله عزم .. ينطلق الظامىء متشوقاً لمزيد من العطاء ولمزيد من الفضل .. وتطول الرحلة ويحس موسى بالعناء ويقول لفتاه:آتنا

غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً .. ثم يجتمع البحران ويلتقي الرجلان ويقول موسى وبكل وضوح وأدب:هَل أتبعُك عَلى أن تعلّمن مِمّا عُلِّمتَ رُشداً .. وهنا يمكن أن نقف قليلاً .. فهناك ما يلفت النظر،فعلينا أن لايفوتنا ذلك المعنى الجميل الذي تحمله إلينا هذه الآيات الكريمات،فها هو نبي الله موسى وهو رسول من أولى العزم وحامل شريعة عظيمة إنه كليم الله .. حامل الألواح يراعي أنواعاً كثيرة من الآداب واللطائف ، منها ـ أن جعل نفسه تبعاً لذلك الرجل « هل اتبعك » وثانيها أنه استأذن في اثبات هذه التبعية وهي مبالغة عظيمة في خلق التواضع .

وثالثهما أنه قال « على أن تعلمني » وهذا إقرار له على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم .

ورابعها أنه قال « ممّا علمت » وهذا طلب منه لتعلم بعض العلم وذلك مشعر بالتواضع الجم. وكأنه يقول لا أطلب منك ان تجعلني مساوياً في العلم لك .

وخامسها أن قوله: مما علمت اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.. وسادسها وهي مهمة جداً ان قوله (رشداً) .

طلب منه للإرشاد والهداية .. وذلك يجعلنا نقف كثيراً متأملين توجهات القرآن الكريم لهذه الأمة لتجعل من علومها ومعارفها وسيلة لرشدها وهدايتها .

وأن تنطلق في الحياة حاملة رسالة هداية حتى لاينصبغ أفرادها بما نراه اليوم من استعدادات لتمييع قضايا وجودهم .. والتنازل عن كثير من مباديء عقيدتهم بحجة أنهم

بلغوا مرتبة من العلم يجب أن تحررهم من جمود دينهم أو أوهام شريعتهم.وإننا إذ نعيش جاهلية جديدة وخطيرة .

من خلال مفاهيم مشحونة بالشرك الذي أراد أن يفصل العلاقة ما بين العلوم والمعارف الكونية وبين هداية السماء وشريعة الخلّاق بل وصل الأمر في تأثير هذا الشرك إلى أن غدونا نردّد ونصرح ونكتب ونقرر بأن هناك في العلوم نوعين أو قسمين، فهناك علوم كونية عصرية وهناك في الجانب الآخر وليكن هذا الجانب بعيداً ما أمكن علوم دينية شرعية.وما كان ذاك التقسيم نتيجة ترتيبات فنية بل كان نتيجة توجهات شركية دخلت إلى عالمنا الإسلامي من فلسفة علمانية اخترعتها الصهيونية وسخرتها كمعول من معاول لهدم الدِّين وفصله عن الحياة وتشويه علومه ومدارسه ومعاهده ومؤسساته في أقطار المسلمين ، وأصبحنا نذعن في كثير من مواقفنا التربوية وتوجهاتنا الثقافية لمثل هذه التأثيرات ويجد ذلك استجابة عند من تستهويهم المظاهر أو يخدعهم بريق حضارة الأشياء ..

وتأكيداً على هذا الأمر فإننا بدأنا نسمع عن أسلمة المعرفة بعد ارتدادها وأسلمة العلوم بعد انحرافها .

وقد حدث هذا في الأمة الاسلامية عندما أبعدت في كثير من بلدانها المنهج القرآني فلم تقف عند مدلولات آيات الله .. مع العلم بأن آيته الأولى أفصحت عن هذا الترابط ما بين العلم والإيمان.فجاء الأمر العلوي يخاطب الإنسان بكلمة : « اقرأ » ولكن يربطها بقوله : باسم ربك الذي خلق.أو يجعل المعرفة

نتيجة للتقوى التي تعمر القلوب بقوله : اتقوا الله ويعلمكم الله.. وانما يخشى الله من عباده العلماء.وآياتنا هذه .. هي النهج الصحيح الذي يمكن أن نعلنه أمام العوالم .. وفوق كل المؤسسات بأن جامعات الدنيا ومعارف الوجود إذا لم تثمر رشداً للبشرية في مواقفها ورشداً في تصرفاتها ورشداً في أجيالها .. ذلكم الرشد الذي يحفظ الفكر الانساني من سيطرة الاستعلاء فإن يد الإثم ستسوق معارف الحياة لتجعل منها أداة لتدمير الحياة .

.. نعم إن سيدنا موسى لم يطلب زيادة المعرفة للمعرفة ذاتها ولم يطلب العلم لحشد نظريات في خزائن الفكر وإنما طلب مزيدًا من الرشد من خلال معرفته ومزيدًا من أنوار الهداية من خلال مدلولاته ..

.. ويمكن أن نشير بأن ما يكتنزه إبليس من معلومات وما قرره بين يدي الله تعالى من نظريات ما أسعفته عندما غاب رشده ، وضل رأيه وانطمس فؤاده .. فهو الذي طلب وبكل جرأة من ربه فقال : ربِّ أنظرني إلى يوم يبعثون .. ألا تلحظون بأن معرفته بالربوبية واضحة وإدراكه لصفات الرب بأنه ينظر ويؤخر صريحة ، وإن علمه بيوم القيامة جلي .. ولكن ، أين الرشد في هذه المعرفة ، وأين موطن الهداية .

ولتكن هذه معالم تدلنا بأن المعرفة الإبليسية على هذا المنوال وبال على أصحابها أينما عاشوا وحيثما تطاولوا وهي أولاً وآخرًا وبال على البشرية جمعاء .

وتنقل الآيات إجابة الخضر لموسى فيقول : إنك لن تستطيع معي صبرًا ، وكيف تصبر على مَالم تحط به خبرًا ، يقرر الخضر هنا حقيقة ، ويؤكد نتيجة ويستبق الأحداث عن علم وبصيرة فيقول لرسول الله موسى : إنك لن تستطيع معي صبرًا .

ولا نظن بادىء الأمر بأنه تنبؤ ، أو كشف أو تفرس ، قد يكون ذلك ولكن ألا ترون بأنه علّل قوله وحكمه فقال : وكيف تصبر على مَالم تحط به خبرًا .

وإنه لتعليل عظيم وإدراك لقضية هامة في الحياة ، وربط ما بين قضية التسرع مع مستوى الخبرة والقيمة المعرفية .

هناك إذن تناسب يجب أن نستفيد منه كنظرية في الحياة ، ولعل أُمورًا كثيرة يمكن ترتيبها على هذه القاعدة العظيمة ، قوة التحمل والمصابرة في هذا الوجود لتحقيق المنجزات أنَّى كان نوعها ، لا يمكن أن تتأتّى من أولئك الذين لم يباشروا مجابهة الأحداث ويدخلوا معترك الحياة .

وتعجبني هنا كلمة قرأتها للسيد أحمد عائل فقيه في جريدة عكاظ ، نشرت في الثالث من ربيع الآخر ١٤١٠هـ يقول فيها : إن حركات الإبداع والفكر تفتك بها الأحكام السريعة التي لا تستند إلى قيمة معرفية ، ويقول : إن الأحكام السريعة هي نتاج وعي قاصر ، ويتابع ومن جملة ما قال أيضًا في هذا الموضوع : إن إنكسار الرؤية يحول دون النظر بتأن وروي في الحكم على الأشياء التى ترتبط بإيقاع الحياة .

إذن هل يمكن أن نلاحظ من خلال كلمة الخضر هذه الحقائق التى تشير إلى هذه المعاني ، هل إنكسار الرؤية عند سيدنا موسى في تلك الرحلة جعله يستعجل الأمور .

يقول الإمام الرازي في تفسيره : إن الخضر استبعد حصول الصبر على مالم يقف الإنسان على حقيقته ، وإن متابعة القصة لتؤكد هذا الأمر ، فنحن نرى الخضر يتصرف وبكل ثقة ، وموسى يعترض ولأول وهلة ، فهذا أمر إمر وذاك تصرف نكر .

ويذكر الخضر بشرطه ويتكرر اعتذار موسى عن فعله ، وقد قال ﷺ كما روى أبو داود : «رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر لرأى من صاحبه العجب» ، ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، وفي نهاية الرحلة ندرك مع موسى من خلال كلمات الخضر حقيقة الأمور ، ونستبصر قضايا الوجود ، ونعلم بأن فوق كلِّ ذي علم عليماً ، ونلاحظ بأن وفرة المعلومة عند الخضر وثروة المعلومات التى زوّده الله تعالى بها من خلال عطائه وفتحه ولدنه، إضافة إلى تلك المعلومات التى لاحظها بنور بصيرته وإدراكه لأبعاد القضايا في بيئته جعلته يتخذ الموقف المناسب والاجراء السليم ، فالسفينة عَلِمَ بأنها لمساكين ، فهو استقراء لأفراد البيئة ودراسة لأحوال الناس يعملون في البحر ، بيان لعملهم وطرق تكسبهم ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة ، اهتمام بالسياسة العامة وقوانين المجتمع ، ومن خلال المعلومة كان القرار فأردت أن أعيبها ، والغلام ، كان بالغًا ، وكان يقطع الطريق ويقدم على الأفعال المنكرة ، هي معلومات دقيقة

وتتبع لسلوك الناس ، ووالداه يحتاجان لدفع الشر عنه والتعصب له لتكذيب خصومه ، وهذا سيصير سببًا لوقوعهما بالفسق .

ويذكر بأن الله تعالى قد علم ذلك ووجه إليه الأمر بذلك ، فذكر هنا قوله : «فخشينا» بصيغة مختلفة في الفعل عما قبلها ، فهناك فأردت ، وهنا فخشينا لينبه ، أن الثانية من عظائم الحكم ، فبيّن بأن الإرداة الإلهية أمضت ذلك الحكم على أيدينا ، وأما الجدار ، فالمعلومات عنه كان وكان ، فذكر بأن رعاية اليتيم لأجل صلاح الأب ، فقال : فأراد ربك فنسب الفعل لله ، لأنه المتكفل برعاية عباده الصالحين سبحانه والمسخر هؤلاء لهؤلاء .

ولعل تلك الإشارات والتوجيهات في هذه الآيات تدعونا في كل المؤسسات على اختلاف أنواعها بدءًا من الأسرة إلى أعلى درجة فيها لندرك كيف نصون آراءنا وابداعاتنا وقراراتنا ومناهج تربيتنا من الانفعال ، وذلك بنتيجة الاطلاع وحسن التفهم وطلب المزيد من العلم الراشد .

ooo

ذو القرنين

والقصة الأخيرة في هذه السورة هي قصة الرجل الصالح ذي القرنين ، الذي مكَّن الله تعالى له في الأرض وآتاه الله العلم والحكمة وألبسه ثوب القوة وتوّجه بتاج الهيبة. والتمكين في الأرض له أسبابه ، وقد آتاه الله تعالى تلك الأسباب وشهد القرآن له بأنه استعمل بحكمة تلك الأسباب وتوصل إلى تحصيل مراداته فبذل الجهود المحكمة فأصلح أمر الملك تقرب إلى الله تعالى بحسن التدبير ، فاجتمعت فيه خصال الخير وتوفرت له عناصر الفلاح ، وما اجتمعت هذه الشروط في فرد إلا وأفلح ، أو في أمة إلّا وعزّت ، وحينما يتضافر الجهد مع الإيمان والاستقامة مع نواميس الحياة فإن العدل لا بد إلا أن يسود ، والخير لا بد إلّا أن يعم الوجود .

وها هو ذو القرنين عند مغرب الشمس ، في أقاصي الدنيا يعيش مهمته في دفع الظلم ، وإقامة العدل ، ويسوس الحياة بالقسطاس المستقيم ، فيقتص من الظالمين ، ويكرم الصالحين ، ويرفع عن كواهل الناس العنت ومشاق الحياة ، وها هو يدأب في التحرك فلا يقعده ملك ولا يشغله جاه ، ويبلغ مطلع الشمس الآخر في طرف آخر .

ويؤكد القرآن الكريم على حكمة هذا الرجل الصالح ، فهو لا يمضي في مسيرته بطرًا ولا رياءً ، ولا في توجهاته من خلال أطماع

وأحلام فلا تهزه الانتصارات ، ولا تغريه الفتوح ، بل يطوي ذلك كله وراء بصيرة ينهج نهجها، وحكمة يتخذ أسبابها «ثم أتبع سببًا» ، وبلغ بين السدين ، ووجد قومًا يعانون اضطهادًا وآخرين يعيثون في الأرض فسادًا ، وسمع شكاية الضعفاء والمضطهدين وهم يطالبونه بالنُّصرة ويعرضون عليه في ذلك أجرًا ، وما كان الأجر ليغريه وهو صاحب رسالة ، وما كانت مغانم الدنيا لتستهويه ، وهو حامل أمانة ، لذا قال للقوم : أبقوا أجركم في جيوبكم ، فما مكني فيه ربي خير من عطائكم ، ولكن قوموا إلى العمل وأعينوني بالرجال ، ولنكن يدًا واحدة في عملية البناء .

وابتدأ الحركة على فهم سليم ، غاية سديدة طيبة ، وجهد مشترك واستخدام الخبرة واتخاذ الأسباب ، واجتمعت الطاقات الخيرة ، واستخدمت أفضل الوسائل الممكنة ، وتحركت الشعوب المقهورة المظلومة ، عندما وجدت القيادة الراشدة ، فأحدثت هذه التفاعلات أفضل الانجازات ، وتحقق مراد البشر عندما تحركوا بالمنهج السليم ، وهنا يذكر الله تعالى الكلمة الطيبة الخالدة على لسان ذي القرنين وهو يعلن التبرء من حوله وقوته ، فلا استعلاء ولا غرور ولا إدعاء ولا انتفاش ، فأمام هذا الإنجاز العظيم كان هناك إنجاز أعظم هو استشعار الفضل الإلهي والنعمة الربَّانية (هذا رحمة من ربي) ، مثلما نسمع هنا ، نسمع هناك ، في عالم سيدنا سليمان ، وقد اجتمعت بين يديه طاقات الوجود ، أتاه رجل الحكمة والإيمان

بعرش بلقيس ، ولما رآه مستقرًا بين يديه قال : (هذا من فضل ربي) ،... فلماذا تضيع هذه المعاني في عالمنا اليوم ، لماذا تبعدنا انجازاتنا عن حقيقة الأمور ، ولماذا تباعدنا ثرواتنا عن مواطن كرامتنا ، ما قيمة كل الإنجازات إذا قال أصحابها الماديون ، ما أظن أن تبيد هذه أبدًا ، ما قيمة هذه الكنوز إذا ظن أهلها بأنهم خالدون ... «يحسب أن ماله أخلده»، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وأي حضارة هذه التى يضرب أصحابها على صدرها الفارغ ، وهم يرددون : «إنما أوتيته على علم عندي» .. وفي الحقيقة عندما ضيع منهج القرآن ، انحدرت الإنسانية بمقدار ما ارتفعت ناطحات السحاب ، وافتقدنا الوجود عندما تغافلنا عن حقيقة الفناء ، (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقًا) ، ولا تنتهي السورة إلا وهي تعلن بأن ما قدّمته الآيات فيها ما هو إلا قطرات من بحار المعارف الزاخرة لا ينفد عطاؤها ، ولا تتناهى أسرارها (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مددًا» .

ويكون الختام بعد ذكر تلك العِبر لأولي الأفهام : (فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحًا ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحدًا) .

والحمد لله رب العالمين .

○○○

مَعَانٍ خاصة ببعض ألفاظ الذكر الحكيم

الدكتور

حسن محمد باجودة

الأحد ١٤/٤/١٤١٠ هـ

الموافق ١٢/١١/١٩٨٩ م





● الدكتور
حسن محمد باجودة

- ولد في الطائف عام ١٣٦٠ هـ .
- تلقى تعليمه الابتدائي والأوسط والثانوي في مكة المكرمة .
- ابتعث الى القاهرة للالتحاق بجامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية عام ١٣٧٨ هـ ، وحَصَل منها على الليسانس في مايو ١٩٦٢م بمرتبة الشرف .
- عمل معيداً في كلية التربية بمكة المكرمة لمدة عامين ثم ابتعث إلى انجلترا للالتحاق بجامعة لندن ، وحَصَل منها على درجة الدكتوراه في مايو ١٩٦٨م عن رسالته حول (شعر المدينة المنورة حتى نهاية عصر بني أمية) وقد تناولت جمع وتحقيق شعر مايزيد على ١٥٠ شاعراً .
- عين رئيساً لقسم اللغة العربية ، ومحاضراً بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة بمكة المكرمة . فوكيلاً لها ، فرئيساً لقسم الدراسات العليا العربية منذ

افتتاحه عام ١٣٩٣ هـ وحتى اليوم ، وحَصَل على درجة الأستاذية في محرم ١٤٠٠ هـ .

- منح جائزة البحث العلمي من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٩٤ هـ .
- أشرف على أولى رسائل الدكتوراه في اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية .
- يعمل حالياً رئيساً لهيئة تحكيم الاحتفال السنوي العالمي للقرآن الكريم في المملكة العربية السعودية ومنذ عام ١٤٠٢ هـ .
- قدم فى وقت سابق دراسة بيانية لاثنتى عشرة سورة من القرآن الكريم .

ooo

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

هذه المحاضرة وعنوانها : « معان خاصة ببعض ألفاظ الذكر الحكيم » كتبت تلبية لرغبة كريمة للقائمين على شئون نادى جدة الأدبي الذين أشكر لهم إتاحتهم لي هذه الفرصة كى ألتقي بهذا المجموع الكريم ، والذين أسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجزل لهم المثوبة إنه على كل شيء قدير . ومن البين أن مثل هذا العنوان لايمكن إلا أن يكون ثمرة دراسات واسعة ، لأن أمثال هذه الاستعمالات الخاصة لبعض ألفاظ الذكر الحكيم الذى نزل بلسان عربي مبين ووفق طرائق العرب في التعبير يستطيع الباحث أن ينتهي إليها بفضل الله تعالى ثمرةً لتلك الدراسات الواسعة والجهود المضنية ونتيجة طبيعية تفضى إليها تلك الدراسات والجهود ، دون أن يكون في الذهن ساعة الشروع في الدراسة شيء من تلك الاستعمالات الخاصة والأبعاد النائية . وهذا معناه أن هذه المحاضرة ذاتها ثمرة

لأمثال تلك الدراسات والجهود السابقة ، وإنها لكذلك ، وإن كانت قد خضعت لصياغة جديدة ملائمة للفترة الزمنية التى تسمح بها المناسبة . وهذا معناه كذلك أن للقرآن الكريم الكثير والكثير من الاستعمالات الخاصة به ، إذ لاتكاد الدراسة المتأملة للقرآن الكريم التى بدأتها سنة ١٣٩٣هـ والتى غطت حتى الآن أربع عشرة سورة وتدلف في الألف السابع من الصفحات لاتكاد الدراسة تقطع بضع خطوات حتى ينكشف لها العديد من استعمالات القرآن الكريم الخاصة به المقصورة عليه .

وقد أكتفت هذه المحاضرة بثلاثة نماذج ، الاول يتعلق بلفظ الحافرة من سورة النازعات فى قوله عز من قائل على لسان كفار مكة في الآية العاشرة ﴿ يقولون أئنّا لمردودون في الحافرة ﴾ فقد تتبعت الدراسة بإيجاز استعمالات هذه اللفظة في لسان العرب وفي الحديث النبوي الشريف وفي هذه الآية الكريمة التى انتهت فيها اللفظة إلى غاية الاستعمال ونهاية المطاف .

والنموذج الثانى يتعلق بلفظ مسجد الدّال على مكان العبادة في الإسلام بخاصة والذى يستعمل فى القرآن الكريم بهذا المعنى باستثناء ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم يبدو فيها لفظ مسجد وكأنه يستعمل استعمالا خاصا وفريداً وذلك في الآية الكريمة الرابعة عشرة بعد المائة من سورة البقرة قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين . لهم في الدنيا

خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم ﴾ وفي الآية الكريمة السابعة من سورة الإسراء قال تعالى : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّةٍ وليتبّروا ما علوا تتبيرا ﴾ وفي الآية الكريمة الحادية والعشرين من سورة الكهف . قال تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حقٌ وأن السّاعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربّهم أعلم بهم . قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ .

والنموذج الثالث يتعلق بالآية الكريمة السادسة والأربعين من سورة الأحزاب التى يطلق فيها على المصطفى صلى الله عليه وسلم لفظ سراج بمعنى الشمس وهي نجمٌ مولد للطُاقة ، ويوصف هذا السّراج بأنه منير ، وهذه الصّفة تطلق أساسًا على القمر ، لأنه كوكبٌ يستمد نوره من ضوء الشمس . قال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ﴾ إن الدراسة تحاول الإجابة عن هذا السّؤال : ماهي الحكمة من وصف السّراج هنا بأنه منير وليس بأنّه مضيء تمشياً مع الأصل في الاستعمال الذى نبه عليه القرآن الكريم ذاته في قوله عزّمن قائل في الآية الكريمة الخامسة من سورة يونس ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ . يفصّل الآيات لقوم يعلمون)

أسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى أقوم طريق وأن يهدينا سواء السبيل إنه على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعـين . والحمد لله رب العالمين .

مردودون في الحافرة

أنكر كفار مكة البعث ، وقد عنى المكي من القرآن بقضية البعث بعد الموت كثيرا ، وإن سورة النازعات المكية من السور التى تعتبر قضية البعث بعد الموت المحور الذى تدور حوله قضاياها . ومما جاء على لسان كفار مكة قوله تعالى[1] ﴿ يقولون أئنا لمردودون في الحافرة . أئذا كنا عظاماً نخره . قالوا تلك إذن كرة خاسره ﴾ إن كفار مكة يستنكرون أن يعودوا مرة أخرى أحياء ، خاصة بعد أن تكون عظامهم نخره ، تصفر فيها الرياح ، وأجسامهم بالية قد غدت ترابا إن البعث لو تحقق فإن كرتهم الى الحياة مرة أخرى خاسرة ، وتجارتهم غير رابحة ، ولما كانت لفظة الحافرة ميدان دراستنا فلنصغ إلى معنى الآية الكريمة . جاء في تفسير الطبري[2] : (يقول تعالى ذكره ، يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركى قريش إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت : أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا وقبل مماتنا) ومن البين علاقة لفظة الحافرة بعملية الحفر . وحفر الشىء قلعه سفلاً ، ومن ذلك القول : حفرت الأرض حفراً ، وحافر الفرس من ذلك ، كأنه يحفر به الأرض . ومن الباب الحفر في الفم ، وهو

---

(١) سورة النازعات ١٠ ـ ١٢

(٢) ٣/٢٢

تآكل الأسنان ، ويقال : أحفر المهر إذا سقط بعض أسنانه لنبات ما بعده[١] .

ونحن من جانبنا نودّ أن نعرف أصل كلمة الحافرة والمراحل المعنوية التى مرت بها حتى انتهت إلى هذا المعنى فى الآية الكريمة .

إن ثمة أربع مراحل تقلبت فيها لفظة الحافرة حتى انتهت إلى هذا المعنى .

المرحلة الأولى المرتبطة بالمثل : النقد عند الحافرة ، والنقد عند الحافر. وهذا المثل مرتبط أساساً بالفرس التى كانت لكرامتها تباع نقداً في حالة الاضطرار للبيع لا نساءً . فبما أن الفرس كريمة على العربي فإنه لايبيعها بحالٍ من الأحوال . فإذا اضطر لبيعها جرى على لسانه المثل : النقد عند الحافرة ، أو نقد عند الحافر . ومعنى هذا المثل : إذا قال قد بعتك رجعت عليه بالثمن في الحال . فمعنى المثل دفع الثمن نقداً على الفور . ومعنى القول : النقد عند الحافرة ، نقد الثمن عند بيع الفرس الحافرة ولن تبرح حتى تدفع الثمن فوراً . ومعنى القول : النقد عند الحافر ، النقد عند بيع الفرس ذات الحافر[٢]

وإذا كان هذا المثل في مرحلته الأولى قد ارتبط ببيع الفرس النفيسة عند العرب الكريمة على أنفسهم فإن هذا المثل في

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس « حفر » ٢ / ٨٤

(٢) انظر لسان العرب « حفر » ومعجم مقاييس اللغة « حفر » ٢ / ٨٥ ومفردات الراغب الأصفهانى « حفر » ١٢٤ .

مرحلته التالية ارتبط ببيع كل نفيس عند العرب ، وليس من الضروري أن يكون الفرس وحـده ، ولكن الضروري في كل الاحوال أن يكون الثمن مدفوعا نقداً وعلى الفور . فإذا اضطر العربي لبيع ناقته الكريمة عليه استعمل هذا المثل فى إحدى صورتيه دليلاً على أن المشتري عليه أن يرجع عليه بالثمن نقداً ، وهكذا عند الاضطرار لبيع كل عزيز .

ثم كانت المرحلة الثالثة حينما تخلص العرب من ثلث المثل الاول أي من لفظة النقد بسبب شهرة المثل وكثرة دورانه على الألسنة وإحاطة الجميع بمعناه ودلالته على الفورية ، كما هو الحال في مثل قولهم : التقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة ، أي عند أول ما التقوا[١] وجاء فى حديث أبيّ قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح قال : هو الندم على الذنب حين يفرط منك وتستغفر الله بندامتك عند الحافر لا تعود إليه أبدا . والمعنى يتخير الندامة والاستغفار عند مواقعة الذنب من غير تأخير لأن التأخير من الإصرار[٢] .

ثم كانت المرحلة الرابعة والأخيرة حينما تخلص العرب من ثلثى المثل الأولين واستعملوا لفظة الحافرة في كل أولية ودليلاً على الفورية فقالوا رجع فلان إلى حافره وحافرته[٣] ورجع فلان على حافرته ، إذا رجع على الطريق الذى أخذ فيه[٤] والعرب

---

(١) لسان العرب « حفر »
(٢) لسان العرب « حفر »
(٣) لسان العرب « حفر »
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس « حفر » ٢/ ٨٥

تقول : أتيت فلاناً ثم رجعت على حافرتى أي طريقى الذى أصعدت فيه خاصة ، فإن رجع على غيره لم يقل ذلك(٥)

ومن البين دور الاشتقاق في قدرة لفظة الحافرة منفردةً عل القيام بدور المثل كامل الصيغة أو ناقصها . فإذا كان المثل يدل على الأولية والفورية فإن لفظة الحافرة أو الحافر إنما قامت بدور المثل لقدرة هذه اللفظة على تبين أهم صفة للحافر وهي عملية الحفر في الأرض ، أو عملية الأثر وإن الرجوع الذى يصح في حقه إطلاق لفظ الحافرة أو الحافر فيقال : جاء فلان ثم رجع على حافرته أن يكون الرجوع من ذات الطريق على الفور وقبل أن تمحى آثار الفرس الحافرة أو الفرس ذات الحافر . وليس من الضرورى أن يكون الراجع راكباً فرساً ، بل ليس من الضروري أن يكون راكباً أي شيء ، إنما المهم العودة الفورية من ذات الطريق الذى جاء منه وقبل أن تمحى آثاره فى المجيء .

وإن الآية الكريمة العاشرة من سورة النازعات ، قال تعالى : ﴿ يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ قد بلغت بلفظة الحافرة منتهى مدّها ومبلغ شأوها . إننا بصدد استفهام إنكاري على لسان كفار مكة « أئنا » وإننا أمام القول « لمردودون » وقد دخلت عليه لام التوكيد المقوية لإنكارهم أن يردوا رغماً عنهم وقسراً لهم إلى الحافرة بمعنى الحياة والحال الأولى . والمعروف أن كفار مكة كانوا من أحرص الناس على الحياة . وإذا كان

---

(٥) لسان العرب « حفر »

حرفا الجر إلى وعلى هما المستعملان على ألسنة العرب في مثل القول : رجع إلى حافرته وعلى حافرته فإن الآية الكريمة تستعمل حرف الجرّ «في» : ﴿ أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ أي في أعماق الحياة مرة أخرى . ومن البين أن كل هذه المعانى العميقة والمرامى البعيدة قوة لإنكار كفار مكة البعث بعد الموت والعودة إلى الحياة مرة أخرى : ﴿ يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ .

مسجد

من المعروف أن المسجد اسم يدل على مكان العبادة في الإسلام بخاصة ، وهو مأخوذ من صفة السجود لله رب العالمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[1] وقد جمعت سورة الحج في نسق بين أماكن العبادة في الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام . قال تعالى[2] : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور ﴾ والمعنى بشأن أماكن العبادة هذه أنه لولا

---

(١) البحر المحيط ١/٣٥٨

(٢) سورة الحج ٣٩ ـ ٤١

دفع الله الكافرين بالمؤمنين لهدم الكافرون صوامع الرهبان من النصارى وكنائس العامة من النصارى وصلوات اليهود ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله تعالى كثيرا .

وإذا كنا تبينا بشأن لفظة مسجد علاقة اللفظة بصفةٍ مهمةٍ في الصلاة وهيئة للمصلى فإنا لانكاد نتبين شيئاً من مثل هذه العلاقة بشأن اسماء أماكن العبادة في اليهودية والنصرانية . إنا لانتبين بشأن الصومعة أكثر من دلالة اسمها على لطافتها وعلوّها ودقّة رأسها(١) .

وبشأن البيع ، جمع بيعة بكسر الباء لانكاد نظفر بأكثر من القول بأنها كنيسة النصارى(٢) .

وبشأن الصلوات نصادف مثلاً في اللسان(٣) القول : « قال ابن عباس : هى كنائس اليهود أي مواضع الصلوات » .

أما وقد تبينت معانى أماكن العبادة في الديانات السماوية الثلاث وتبين أن لفظة مسجد وحدها هي التى لها علاقة بصفةٍ من صفات الصلاة وبهيئة من هيئات المصلى فإنا باستعراض استعمال القرآن الكريم لفظة مسجد تبين أن ثمة ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم كان استعمال لفظة مسجد ومساجد خاصاً وفريدا .

---

(١) انظر القاموس المحيط ولسان العرب « صمع » ومعجم مقاييس اللغة « صمع » ٣/٣١٠

(٢) لسان العرب « بيع »

(٣) « صلا »

الموضع الأول في سورة البقرة وقد جاء استعمال لفظة مساجد إثر الحديث عن اليهود والنصارى والعرب . اليهود الذين قالوا إن النصارى ليسوا على شيء صحيح من أمر الدين ، والنصارى الذين قالوا إن اليهود ليسوا على شيء صحيح من أمر الدين ، ومشركو العرب قالوا عن اليهود والنصارى إنهم ليسوا معاً على شيء صحيح من أمر الدين . وقد بين السياق أنه لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله تعالى أن يذكر فيها اسمه جلَّ وعلا وسعى في خرابها ماديًا ومعنويا .

قال تعالى[1] : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم . فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم . ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله . إن الله واسع عليم ﴾ .

وإن من العلماء من ذهب إلى أن الحديث هنا عن النصارى الذين دفعهم بغض اليهود وهم أهل كتاب إلى وقوفهم وهم أهل كتاب مع بختنصر المجوسي البابلي الذى خرب بيت المقدس وبذلك منعوا المصلين من الصلاة في بيت المقدس وبناءً على هذا

---

(١) سورة البقرة ١١٣ ـ ١١٥

الرأي تستعمل لفظة مساجد الدالـة على مكـان العبادة في الإسلام بدلاً من اللفظة الدالة على مكان العبادة في اليهودية . ومن المفسرين الذين ارتأوا هذا الرأي الإمام الطبري . وهذا الرأي ينسب أساساً إلى ابن عباس[١] .

وإن من العلماء من ذهب إلى أن الحديث هنا عن مشركى العرب الذين منعوا عام الحديبية النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصلاة في المسجد الحرام . ومن المفسرين الذين ارتأوا هذا الرأي الحافظ ابن كثير . وهذا الرأي ينسب كذلك أساساً إلى ابن عباس[٢] .

وإن من العلماء من ذهب إلى أن الحديث هنا عن مانعى كل مسجد إلى يوم القيامة ، ومن أدلتهم صيغة الجمع : « مساجد » ومن المفسرين الذين ارتأوا هذا الرأي القرطبي[٣] .

وإن الرأي الذى يذهب إلى أن الحديث هنا عن النصارى وأن في الآية الكريمة عدولاً عن استعمال اللفظ الدّال على مكان العبادة في اليهودية إلى استعمال اللفظ الدّال على مكان العبادة في الإسلام يَشُدُّ من أزره الحديث عن الموضع الثانى في سورة الإسراء الذى تستعمل فيه لفظة مسجد استعمالاً خاصّاً يتمشى

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٣٩٧
(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٥٦
(٣) تفسير القرطبي ٤٦٥

مع استعمال آية سورة البقرة . قال تعالى[1] : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرّةٍ وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربّكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ .

ونوّد أن نشير ابتداءً إلى أن جمهور العلماء يرون أن معنى القول خطاباً لبني إسرائيل ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ وإن عدتم إلى الفساد عدنا إلى الانتقام ، وإلى أن جمهور العلماء والمفسرين يرون أن إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين قد مضى وتمّت المرّتان الاثنتانِ قبل الإسلام « انظر مثلاً تفسير الطبري ١٥/١٧ فما بعدها ، وتفسير القرطبي ٣٨٣٤ فما بعدها ، والبحر المحيط ٥/٩ فما بعدها ، والكشاف ٢/ ٢٢٤ وفي ظلال القرآن ٢٢١٤ » وقد جاء في الأخير : « ولاينص السياق على جنسية هؤلاء الذين سلطهم على بني إسرائيل لأن النص عليها لايزيد في العبرة شيئا » ويرى القرطبي[2] أن الانتقام من بني

(١) سورة الإسراء ٤ ـ ٨

(٢) تفسير القرطبي ٣٨٣٨

إسرائيل في المرة الاولى على يد بختنصر المجوسي من بابل . وفي المرة الثانية على يد ملك الروم قيصر .

كما نود بشأن الآية الكريمة السابعة من سورة الإسراء موضع التأمل ، قال تعالى : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ نود بشأن الآية الكريمة أن نشير إلى أن لفظة مسجد تستعمل بصريح اللفظ في حق المرّة الآخرة أي الثانية وإلى أن اسم الضمير العائد إلى المسجد يستعمل في حق المرّة الأولى . قال تعالى : ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ والمعنى وليدخل هؤلاء العباد المسجد في المرة الأخرى كما دخلوه في المرة الأولى . وبناءً على ذلك يكون دخول هؤلاء العباد الذين سلطهم الله تعالى على بنى إسرائيل المسجد في المرّة الأولى وفي المرّة الأخرى . وهكذا يتبين أن في الآية الكريمة عدولاً عن استعمال اللفظ الدّال على مكان العبادة في اليهودية إلى اللفظ الدّال على مكان العبادة في الإسلام . وإن النص على أن دخول هؤلاء العباد المسجد أومكان العبادة ، إمعاناً في إيذاء بنى إسرائيل ، مرتين اثنتين ، وليس مرّة واحدة ، قوّة لرأي جمهور العلماء بأن المرتين قد مرتا وانقضتا خلافاً لما ذهب إليه بعض المتأخرين من كون المراد بعباد الله تعالى الذين سيدخلون المسجد في المرّة الثانية هم المسلمون . إن المسلمين بإذن الله سيدخلون المسجد الأقصى منتصرين ، ويفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وإن عدتم

عدنا ﴾ ومن مواضع أخرى في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم . أما المرتان اللتان نصت عليهما آيات سورة الإسراء فقد مرّتا بدليل الإشارة إلى المسجد في كل من المرتين ، وعليه يكون المراد بالمسجد مكان العبادة في اليهودية ويكون ثمة عدول عن استعمال اللفظ الدال على مكان العبادة في اليهودية إلى استعمال اللفظ الدال على مكان العبادة في الإسلام .

وإن الموضع الثالث والأخير الذى يستعمل فيه لفظ المسجد استعمالا خاصاً قوة لهذا الرأي . أما هذا الموضع الثالث فإنه في الآية الكريمة الحادية والعشرين من سورة الكهف التى تتحدث عن أهل الكهف وهم من النصارى أتباع عيسى عليه السلام . قال تعالى[1] : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم . قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ والمعنى أن رب العزة كما بعث أهل الكهف من نومهم الطويل أعثر قومهم عليهم ليعلم أولئك القوم المختلفون في أمر البعث ، وهل هو بالروح فقط أو بالروح والجسد معاً ، أن وعد الله تعالى بالبعث بإعادة الروح إلى الجسد حق وأن الساعة لاريب فيها . إن أهل الكهف قد قدّموا بإرادة الله تعالى الدليل المحسوس على أن البعث بالروح

---

(١) سورة الكهف ٢١

والجسد معاً . إن قوم أهل الكهف يتنازعون بينهم أمرهم ويختلفون في شأنهم فقال بعضهم ابنوا عليهم بنياناً وسدوا عليهم باب الكهف ربهم أعلم بهم ، قال المؤمنون الذين غلبوا على أمرهم وكانت السلطة بأيديهم لنتخذن عليهم مسجدا . والمراد بالمسجد هنا الصومعة إذا راعينا بعد المكان وانعزال الرهبان أو البيعة بمعنى الكنيسة إذا راعينا العامة . ومن البين أننا بصدد عدولٍ عن استعمال اللفظ الدّال على مكان العبادة في النصرانية إلى استعمال اللفظ الدّال على مكان العبادة في الإسلام . يقول في هذا الشأن ابن كثير[1] : « والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ، ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، يحذر ما فعلوا . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها » ويقول سيد قطب[2] : « وقال أصحاب السلطان في ذلك الأوان : لنتخذن عليهم مسجداً ، والمقصود معبد ، على طريقة اليهود والنصارى في اتخاذ المعابد على مقابر الأنبياء والقديسين ، وكما يصنع اليوم من يقلدونهم من المسلمين مخالفين لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٨

(٢) في ظلال القرآن ٢٢٦٤

فما هي الحكمة من عدول القرآن الكريم عن استعمال الألفاظ الدالة على مكان العبادة في اليهودية والنصرانية إلى استعمال اللفظة الدالة على مكان العبادة في الإسلام ؟ أما الحكمة من ذلك فهي التأكيد على أن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمداً بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ناسخ لليهودية وللنصرانية وأن الدين عند الله الإسلام وأن القرآن الكريم مهيمن على الكتب السماوية قبله ، مصدق لها ومشتمل على ما تفرق فيها من منافع ، إضافة إلى ماخص الله تعالى به هذا الكتاب من خصائص ونعوت ، وأن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الوارث الشرعي للنبيين السابقين .قال تعالى[٢] ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال تعالى[٣] : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ وقال تعالى[١] : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلاك دينا ﴾ وقال تعالى[٢]: ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وقال تعالى[٣] ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه وكفى بالله شهيدا ﴾ .

إن السّياق حينما اقتضى ذكر أماكن العبادة في الديانات

---

(٢) سورة آل عمران ١٩

(٣) سورة آل عمران ٨٥

(١) سورة المائدة ٣

(٢) سورة التوبة ٣٣ وسورة الصف ٩

(٣) سورة الفتح ٢٨

السماوية الثلاث حقق ذلك في الآية الأربعين من سورة الحج . قال تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ وحينما اقتضى السياق ذكر مطلق مكان العبادة في كل من اليهودية والنصرانية جاء ذكر المسجد الدال على مكان العبادة في الإسلام وحده ، تأكيداً للأدلة الأخرى الكثيرة الدالة على أن الإسلام ناسخ لكل دين آخر وفي مقدمتها اليهودية والنصرانية . والله تعالى أعلم .

سراج منير

حينما نتأمل قوله عز من قائل في سورة يونس[1] : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يلفت نظرنا اقتران الضياء بالشمس والنور بالقمر فلما هذا الاقتران ؟ والجواب على ذلك أن الشمس نجم ، والنجم مضيء بذاته ومصدر للطاقة . ومايصدر عن هذا المضيء بذاته يسمى ضوءاً ، كضوء الشمس والنّار . وأما القمر فإنه كوكب يستضيء بضوء الشمس فيعكسه نوراً ، فما يعكسه القمر من ضوء الشمس يسمى نوراً ، لأنه مكتسب من جسم آخر . ومن هنا كان الضوء أقوى وأسطع من

---

(١) الآية ٥

النور ، ومن هنا استطاع الإنسان أن ينزل على سطح القمر ولكنه لايستطيع أن يدنو من الشمس . ولما كانت الشمس نجماً مضيئاً بذاته عبر عنها بالسراج ، وقد قال عز من قائل[1] : ﴿ وجعلنا سراجاً وهّاجا ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ وكما عبر عن الشمس بالسراج عبر به عن كل مضىء ومن ذلك السراج الزاهر بفتيله ودهن[4] ومن متعلقات السّراج الحسن إضافة إلى الضياء .. إذا الأصل اللغوي « سرج » يدل على الحسن والزينة والجمال ، ومن ذلك السراج ، ومنه السرج للدابة ، هو زينتها ، يقال : سرج وجهه أي حسنه ، وسرجت كذا جعلته في الحسن كالسراج[5] .

أما وقد عرفنا أن الشمس نجم مضىء وأن القمر كوكب منير فماهى الحكمة من وصف سورة الأحزاب المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه سراج ، منير ، وليس بأنه سراج مضىء ، وذلك في قوله عز من قائل[6] : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً

---

(١) سورة النبأ ١٣

(٢) سورة الفرقان ٦١

(٣) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٤) مفردات الراغب الأصفهانى « سرج » ٢٢٩

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس « سرج » ٣/١٥٦ ومفرادت الراغب الأصفهانى « سرج » ٢٢٩

(٦) سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

ومبشراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ﴾ بين يدي المحاولة لتبيين هذه الحكمة نود أن نشير في إيجاز إلى بعض المعانى والمرامى للآيتين الكريمتين . تخاطب الآية الكريمة الأولى المصطفى صلى الله عليه وسلم وتصفه بأنه النبى ، والمعروف أن من خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم أن يخاطب وحده بأنه النبى وبأنه الرسول . والآية الكريمة تجمع للمصطفى صلى الله عليه وسلم بين أكبر نعمتين من الله تعالى على عبد من العباد وهما نعمة النبوة ، ونعمة الرسالة التى تعتبر نعمة النبوة الطريق الوحيد المؤدي إليها ، بمعنى أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا .

﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ﴾ « عن قتادة : شاهداً ، على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم »[٣] ويقول ابن كثير[٤] : « وقوله عز وجل : ومبشراً ونذيرا ، أي بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب ، ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب » .

وبشأن الآية الكريمة الأخرى يقول ابن كثير[١] : « وقوله جلت عظمته : وداعياً إلى الله بإذنه . أي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك . وسراجاً منيرا . أي وأمرك ظاهر فيما

---

(١) تفسير القرطبي ٥٢٨٢

(٢) تغسير ابن كثير ٤٩٧/٣

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣

جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لايجحدها إلا معاند » .

وللإجابة على السؤال الذى طرحنا : ماهى الحكمة من وصف سورة الأحزاب المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير نقول وبالله التوفيق : إن الآية الكريمة تجمع للمصطفى صلى الله عليه وسلم خيرما في كل « من الشمس والقمر . أما خير ما في الشمس فكونها مصدراً للطاقة الشاملة التى لا يستغنى عنها مخلوق واحد فوق هذه الكرة الأرضية . فالمصطفى صلى الله عليه وسلم بمثابة الشمس للأبدان ، فكما لاتستغنى الإنسانية عن ضوء الشمس ودفئها هي لاتستغنى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم البشير النذير والسراج المنير ، ومن هنا كانت رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ فجرها للناس كافة . قال تعالى(٢) : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ وقال تعالى(٣) : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ وقال تعالى(٤) : ﴿ وما أرسالناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وقال تعالى(١) : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن

---

(٢) سورة سبا ٢٨
(٣) سورة الاعراف ١٥٨
(٤) سورة الانبياء ١٠٧
(١) سورة الاحزاب ٢١

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ .

وأما خير ما في القمر فإنه الذى يجىء منه ولايرتبط به أذىً مطلقا بخلاف ضوء الشمس الذى قد يرتبط به نوع من الأذى ، فعلى سبيل المثال سمعنا عن ضربة الشمس وما سمعنا عن ضربة القمر .

وهكذا يتبين أن لفظة سراج التى ترتبط بالشمس يرادبها في الآية الكريمة أن المصطفى صلى الله عليه وسلم ينزل من حيث الخير الذى يرتبط به والأسوة الحسنة التى تتعلق به عليه الصلاة والسلام منزلة الشمس مصدر الطاقة والدفء في هذه الحياة ، وأن لفظة السراج التى من متعلقاتها الحسن ، قوة لخير المصطفى صلى الله عليه وسلم العميم ، وتأكيد للأسوة الحسنة والقدوة المثلى ، وتهيئة للفظة منير التى يرتبط بها الخير المحض لنور المصطفى صلى الله عليه وسلم . رحمة الله تعالى المهداة ، ونعمته جل وعلا المسداه .

بالاضافة إلى الجمال المعنوي الفريد الذى تبيناه في القول : ﴿ وسراجا منيرا ﴾ لايفوتنا أن نشير إلى الجمال الصوتي فقد جاءت لفظة « منيرا » فاصلة بين آية تتقدم عليها في هذه الفاصلة وأخرى تتأخر عنها فهي واسطة العقد . قال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرا ﴾ .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

التناوب الوظيفي لزمانية الفعل
ومكانية الفاعل في دائرة عقل المستقبل

الدكتور

عائض الثبيتي

الأحـــد ٢١/٤/ ١٤١٠ هـ

الموافق ١٩/١١/١٩٨٩ م

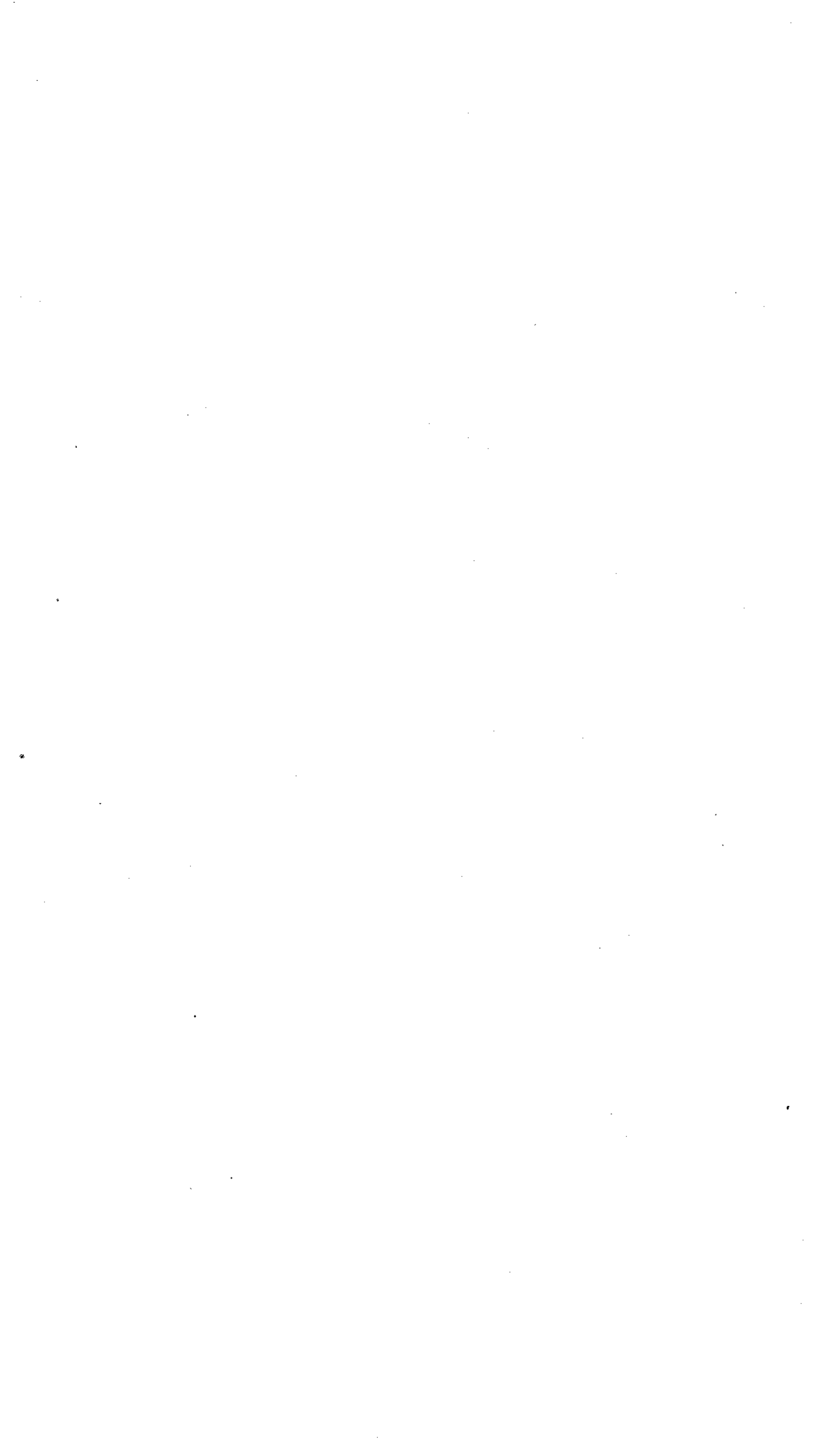




● الدكتور
عائض ضيف الله الثبيتى

- من مواليد الطائف بنى سعد .
- بكالوريوس قسم لتاريخ من جامعة أم القرى .
- ماجستير من دنفر كلورادو في الدراسات الاجتماعية .
- دكتورا ه من جامعة بتسبرج من بنسلفانيا .
- يعمل حالياً استاذا مساعداً بقسم الاجتماعيات بكلية اعداد المعلمين بالطائف .

ooo



○

أحمد الله وأستعينه وأستهديه وأصلي وأسلم على خير خلقه وأنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد :

فلقد توثبت للدعوة ، وتُقت إلى اللقاء ، واشتقت إلى المدينة . ففي الدعوة محبة ، وفي اللقاء أخاء ، وفي الشوق وفاء . وتوثبي للدعوة لأنها نبض من حياة منبر من منابر الأدب ، وصرح من صروح المعرفة ، وميدان من ميادين الفكر . وهي امتداد نابض لرجال يقودون دفة الأمور هنا ، فهم رجال من رجالات المواقف ، وانموذج من نماذج التوجه ، وإبداع من إبداعات العصر ، وشاهد على أن الأدنى طيّع للأدنى وعصيّ على الأعلى . والشوق لجدة اشتياق البر للبحر ، والجبل للسهل ، والمحلية للعالمية ، والسكون للحركة .

أيها السادة :

إن للفكر عقولاً تلتف به ويلتف بها فأنتم عقل هذا العمل وهو بكم يزداد اكتمالاً ويكتسب مرونة ويَشرُف غاية وأنتم له هدف

وأمامه مقصد . ويزداد هذا العمل بعد ذلك نمواً وحركة وديناميكية عندما يلامس أذهان القراء حيث هو جاد في البحث عنهم جاد في صدقهم القول يقبل منهم التعب ويرفض النزق، يقبل النقد ويرفض الجدل يقبل الوعي ويرفض الزيف . وأرغب من هذا العمل أن لا يهدر للقراء وقتاً ولا يفسد لهم ذوقاً ولا يضيع لهم حقاً . وأتمنى من القراء ألا يؤولوا له قولاً أو يُنقصوا له قدراً وأن لا يُشربوه غموضاً .

ان معرفة الإنسان بالمَعرفة ومعرفة المعرفة بالإنسان هي هوية هذه الورقة وهي قضيتها ومسعاها . نتعرف من خلال هذه الورقة على المعرفة الإنسان حيث هو فعل العقل وعقل الفعل وهو « الإنسان » الممتد في الزمن المنغرس في المكان ونتعرف على الإنسان المعرفة حيث هي هو ، انصهار للحدث بروح الفكر وتفكير للفكر فوق جسد الحدث وفقدان أحدهما يعني طلباً للآخر . وتقوم هذه الرؤية المطروحة على إقامة العلاقات والحوار ما بين هذه العناصر المنوه عنها داخل كل نسق على حدة والقيام أيضاً بإجراء الإبدال ما بين النسقين مع عناصرهما لمعرفة البدايات الأولى للوظائف المتناوبة داخل عقل المستقبل .

تلعب النظرة العقلية القائمة على المداخلة بين العلاقات دورها فتحظى العلاقة بين الإنسان وبين المعرفة بالنصيب الأوفر وتشكل هذه النظرة بطريقة تنطوي على البدء المعرفي حتى اقامة الحدث أو الفعل الإنساني الذي يفرز بعداً تاريخياً

ومعرفياً موروثاً . ولنا حق محاكاة هذين البعدين بطريقة تتمشى بل وتخضع لمقولات العقل ومبتغيات المنطق ومن هنا نفسح لأنفسنا مجالاً في الولوج داخل البعد الإنساني والمعرفي . ومقدر للباحث أو الكاتب مَنْ سواهما أن يزج الواحد منهم بنفسه في خضم العلاقات الفردية والجماعية من منظورها المعرفي للقيام ببناء علاقات أو أنماط إضافية توضيحية أو تفسيرية لكي تصبح معرفة إضافية ومتوارثة. وهذا الجهد مقدر له أن يضاف داخل المفهوم المعرفي في ذاته والمعرفي الإنساني في معناه . وهذا القدر المعرفي الإنساني أو العكس قد أخذ موقعه من المعرفة الأولى وقد برز جهد الكاتب لخدمتها ولم ينس ناقل المعرفة في أن يصبح جزءاً معرفياً يأخذ مكانه في الدراسات المستقبلية . وتبرز قضية جديدة من الحوار الذي جاء بسبب التعلق الميداني بالمعرفة كطرف أول في الحوار وطرفه الثاني الذاتي والتفسيري أو التحليلي أو النقدي الذي هو إضافة مبتكرة. وهذا المجموع النهائي عطاء صالح للأخذ والرد . وتظهر عدة نماذج من العلاقات المرتبطة بالمكان ويقابله الإنسان والزمان ويقابله الإنسان والفعل يقابله الفعل . والدراسة العلمية لا تتردد في إحاطة هذه النماذج برعايتها ولا تمانع الدراسة العلمية من أن تنتهك حمى هذه النماذج لصالح حمايتها من جديد . والقيام بمهمة تفكيك هذه النماذج أو الأطر المشار إليها يتيح لنا النهوض بمهمة إعادة تصور الزمن والمكان والإنسان والفعل من أجل أن يواكب التساوق المعرفي ويفسح المجال للعيش أو

التنامي من طرف داخل الطرف الآخر. وعلاوةِ على هذا قد يحدث اكتشاف وجود الوليد الحركي التاريخي الذي جادت به حركة التنامي ما بين عناصر المعرفة وحضور الوسائل الإنسانية ، هذا الوليد جاءت الكتابة به لكي تبرزه على شكل صياغة معرفية يتعامل معها الباحث والقارىء والكاتب وما إلى ذلك . ويتيح هذا المزج داخل النسق الواحد معرفة ألوان من الطاعة والعصيان والمحبة والكراهية والعلم والجهل والخوف والأمان واللذة والشقاء .

يهدف الحوار المعرفي إلى غرس أنماط التكوينات المعرفية المتوافقة مع منحى محاكاة الحيوية الأولى ذات الروح المنتجة ويتوافق أيضاً مع إحياء الجهود الأولى حيث نتمكن بأنفسنا من إجراء عملية انتخابية كانت تقديراً من تقديرات النشوء الطبيعي الذي ازداد شرعية وقبولاً أو نفوراً على مدى الزمن . وتفرز عملية التدخل في مناجاة مرحلة التكوين ومرحلة التوارث المتيقن العلمي والمعرفي لمقدار التطور ومقدار السماح للأحق بإعادة ترتيبات الموروث. وهذان اليقين والاجازة في التدخل يقضيان على الموقف السلبي للإنسان الوارث ويمنحانه صفة التوازن التي لا تتصادم مع مفاجآت كشف أسرار المعرفة ومراحل تكوينها وإعادة تركيبها والاجتهاد في فهم مدلولاتها .

ان المستوى الحواري الذي نصطحبه قائم على ملء الفراغات المتمثلة داخل تكوينات مواضيع هذه المحاضرة وقائم على محاولة إجراء عملية تسلسلية حوارية أيضاً حتى تصل إلى

ذهن المتلقي . وبداخل هذه المستويات من الحوار تصعد تكوينات المواضيع بذاتها لتتمشى مع هذا المنطلق ، ويمتد هذا المستوى وبقدر كبير نحو القارىء أو السامع الذي يقوم بعبء لا يقل درجة عما يقوم به الكاتب ، هذا العبء الاختباري الأولي لقدرة المعلومات على الثبات الافتراضي ، ومرونة المعلومات والفكر لتقبل أطوارها المستقبلية . ولعل وقوف القراء على مثل هذه التحولات تحول في حد ذاته إلى بغية أو أمنية ترجى . أما المادة المعرفية فمن خصائصها أن تكون بعيدة عن حساسية طبعها الاجتماعي (أي المادة المختارة والتي يشار إليها ما بين آونة وأخرى) وطبيعتها الخلقية وأن تكون مستجيبة للنداء وصالحة للانتقاء .

ان هيمنة الطبع الوظيفي على المادة المعرفية غالبة على قياسات العلم المختبرية ولكنها قابلة للطرح الحوارى الخاضع لأداة العقل باعتبار بدء تكوين المادة والسير تحت لواء هذا المفهوم الفكرى قد يفاجئنا بعطاء لانتوقع منه أن البناء المعرفي الأولى قد حدد موقفه منه وان القطيعة بينهما متوارثه ومقبولة .

لاشك أن نشوء الدور الوظيفى واستمراريته شرط لقيام العارف بالبرهنه على حيوية ذلك الدور.وفوق هذا كله فان العارف ينحو بوظيفة المعرفة نحوا يحقق لها الوجود الشرعى والثقل الاجتماعي ، وتتوارى معالم الوظيفة الظاهرية حيث تدع المجال واسعا لرمزية الدور المعرفي الذى يمتنع على القياسات والمعايير فيقع في دائرة الفهم الأبعد والرمز الأعمق . ويصبح

المعيار الوظيفى للمعرفة قوة حيوية باقية ضمن مراحل النمو الانساني وقد يتلاءم هذا القدر من المعيارية مع كثير من الرؤى المنهجية ولكنه غير قادر على سبر أغوار كوامن البعد الانساني والاجتماعي وغير صالح للانابة المعرفية الانسانية التى تستعصى على هذا اللون من المعيارية .

وتقفز اشارية التناوب الى حسبان مضامين هذا الموضوع من حيث قبولها لفعالية أنماط المعلومات المعرفية المنتقاة في أن يحل بعضها كبديل للبعض الآخر وجاءت الفرصة مواتية لاتاحة قدر كبير من الثقل المعرفي لكل من الزمان والمكان وملاحقة هذا الثقل من خلال الايماءات الى الحدث التاريخى المرغوب استكشاف كوامن فعالياته كالذى تسعى لطرحه هذه المحاضرة . ويستعصى سريان مفعول الزمان والمكان داخل الحدث على الذوبان فيبقى شاهدا من الشواهد التي تستميل الباحث لقياس مدى قوة الأثر ومدى ضعفه. ويتحرك هذا المفعول نحو ذهن الانسان الطرف المعرفي المقابل من أجل أن تستمر حركية المعرفه داخل مدارها الحقيقى الخاضع للقياس والقابل لتوليد طاقات معرفية متجددة .

لقد خالجتنى الرغبة في التعامل مع بعض الحركات التاريخية ذات المدلولات الفكرية المتداخلة مع البناء الظاهرى للفعل الواقعى أو الحدث الانسانى وذلك من أجل أزاحة العناصر المؤثرة في الحدث حيث بدايته الأولى وملاحقة المعانى القابلة للامتداد مع المرتبة الثانية من البنية الظاهرية للحدث .

وان اخضاع أبعاد الحدث التاريخى لهذا المنظور ضرورة سعت اليها الفكرة القابلة للامتداد والحدث القابل للقياس . وسوف ترتكز العملية الاستشهادية بطريقة اختيارية ومناسبه للمكان وللصالح العام الذى يعنى بتقديم الرغبة على ماعداها ، وقد يمنح الاتكاء التاريخى فسحة من الزمان والمكان لدائرة العقل التى تسعى لاستصلاح الشظايا المعرفية وزرعها وسط الميدان التاريخي بطريقة مبتكرة يستحضر كينونة الحدث الموغل ف البعد عن الحاضر . والقيام بعملية الاستصلاح ضرورة استدعاها العقل وجلبتها الحاجة ، وقد يخيل للمرء أن الفعل الانسانى المندرج ف طيات الصحائف التاريخية صالح لهدف وغاية الكشف العصرى الذى يسعى لتقريب الهوة الزمانية ما بين الأمس واليوم الكامنة ف خفايا الحلقات المتتابعة. كما يسعى المجهود العصرى لتمكين انسان اليوم من اتاحة الفرصة له في أن يزج بفعله الحاضرخلال الفراغات المسموح بوجودها والمرخص بملء فضائها الأفقى من قبل حركة اليوم وضرورة العصر .

ان للفعل اضاءة تستمد جذوتها من الزمن الذى يحيل الاضاءة الى ضياء يصدر منه وهج متعلق بالزمن ومتواز مع ماهية الفعل . وتصبح العملية أو التحول النوراني شكلا من الاهتداء والاسترشاد . وللتدليل على مانذهب اليه فان التاريخ الوصفى والمعرفى أيضا يحمل ف ثناياه أخبارا عن الدول التى يكتب تاريخها ف زمن ليس كالأزمنة المتحررة من الفعل

الانساني ،وهو الزمن الملتصق التصاقا بالفعل القائم مقام الفاعل وتتبلور الأفعال على أثر ذلك الالتصاق الذى لايلبث وعلى مدى زمن آخر أن يتباعد عن احتكاكه النوراني كي تظهر الظلمة كبديل لذلك الالتصاق وكذلك الضياء فيقوم الزمن الآخر أى الذى ابتعد عن مصدر الفعل والفاعل باغراء اللاحق على اكتشاف معالم الظلمة . وفي الحالة الأولى « النورانية » يتسم الفعل بعدم انصياعه لروح النقاش وجرأة التثبث وكذلك يستعصى الفعل على الحوار . ولعل هذه الاشارة كافية لضمان وعي القارىء لمراجعة مايستحق أن يراجع . أما الحالة المضادة للحالة الايجابية في الكتابة طبعا فهي حالة تمثل سريان الفعل على صورة معاكسة لحالته الأولى التى أشرنا اليها فهو سريان في زمن من الظلمة الى زمن آخر يكشف هذا الزمن اللاحق ظلمة الفعل وزمن الفعل يكشف أيضا تموجات الخواء وفراغات المعانى وضعف الانسان المقابل للفعل ، ولهذا يبدأ المجهود اللاحق بتكثيف عطائه في اعادة الأمور الى نصابها وهكذا يحدث أن الفعل وزمنه يتعانقان مع زمن مغاير وفكر مغاير ويتولد من ذلك فعل جديد ليس من جنس الفعل الأول بل هو ضد من أضداده ويصبح قابلاً للحوار . وخلاصة هذا القول أن المعرفة قد تشكلت بعدة وجوه على أثر البعد الزمني والتبدل الفعلى للانسان . وقد يحدث التناوب العكسى ما بين الفعلين على صبغة أن ماكان مباحا ومطلوبا يصبح محظورا وممنوعا أو العكس . ولاشك في أن مايحدث من الاختلاف القائم على تبدل صورة

الفعل يعود الى فعالية العقل المقترن بالفعل الانساني ، والأمر يفيد أن هذا الحجم من الأفعال المتغيرة كاف للدلالة على عدم الثبات المعرفى المطلوب اثباته وعلى أحقية العقل في أن يعمد الى اجراء وظائفه وواجباته واكتشافاته التى تؤدى الى غرس أفعال صالحة للنمو والعطاء .

ويقرر الزمن قدر الفعل التاريخى منذ بدايته فقد يكفل له البقاء المؤقت أو الدائم أو الفناء ويقرر الفاعل العارف للزمن أيضا مدة وقيمة الفعل الصادر عنه . وتحدد عملية التحول الزمنى مصير الفعل أو الحدث التاريخى ذلك التحول الذى يعنى أن الفعل قد تحول الى مفهوم يكون صالحا للحسابات الزمنية وللطاقة الكامنة في الزمن والفعل نفسه ، وتشير عملية التحول أن الفعل « وبفعل الزمن » قادر على سمة المرونة ومزية الانتاج المستمر حيث كلما جاء زمن أفرز ولادة جديدة فكرية للعقل وهكذا حتى أمد طويل من التوارث . ومن المعروف أن أفعال وأعمال وحوادث الأمم والدول السالفة قد تتلبس هذه القدرة الاستمرارية وقد تعجز عن ذلك والحكم الفاصل فى هذه القضية الأذهان اللاحقة القادرة على استكشاف غوايات وانحرافات الفعل وقادرة أيضا على وعي خصوبة وفعالية الفعل .

وتستجد للأفعال صور متباينة ومتتالية تترك للزمن نصيبا كبيرا في قوليتها (الأفعال) والاسهام باضفاء حركة تاريخية متوافقة مع اطار التعاقب التنازلى حيث يبقى الفعل أسير الزمن

فيكون له الدور الثانوى وللزمن الدور الأساسي في الصياغة والحكم والثبات والمرونة . وهذه الحالة تشير الي أن الزمن الماضوى قد يحقق التمدد الدال على كينونة مستجلية وحيوية مفترضه تناقش كينونة وحيوية الزمن المقابل أو الضد الآخر . والحالة هنا صالحة لأن تتفاعل مع الرؤى الجديدة التى تسعى للاحقة حضور الزمن وغيابه وقياس ذلك والاشتغال بالأسباب والمسببات خلف هذه الظاهرة . وقد تتبلور مقدرة الانسان على التضامن مع زمن غير زمنه عن طريق تسلل أثر فعل ماضوى تسللا يزاحم أو يمنع فعلا آخر . وهذه المعرفة المكتسبة من الزمن الكائن بفعل امتداده قد تتحول به الى نوع من التبجيل والتقديس والاحترام وقد تصبح هذه المعرفة رغبة تحققت وأمنية تجسدت .

قد يتبلد شعور الحاضر بما يزاحمه من تكدس معرفي وغياب آني وهامشية تاريخية فيبقى كيانا موحشا وأرقا مؤلما ، وقد تلجأ المعرفة الى تناسي مرئيات هذا الحاضر والذى يوضح هذه النظرة اختفاء الثقة أو على الأقل فتور الأفعال على تطويع فعاليات اليوم للنقل المعرفى واحراز التقدم نحو بسط الممارسات الاجتماعية. وعلى سبيل المثال لكي تكون ميدانا يقبل التسجيل ومعلما استكشافيا يحقق تنفيذ رغبة انسان اليوم أن يكون هو شكلا من أشكال المعرفة وليس فقط أن يبقى وريثا ومصنوعا . والثقة في فعالية اليوم مدعاة لزعزعة الخوف من هذا اليوم ومدعاة أيضا للامتزاج مع عصرانية وعقلانية الحدث . وجهود

رجل اليوم ستذهب سدى ان لم يجن ثمار مازرع بنفسه وان لم يحقق فكرا بديلا آخر لوجوده القادم وغده المنتظر . وتقوم نظرة اليوم بالعمل على كسر السيلان الزمنى وابدال هذه الصورة المتعاقبة بتكبير حلقة آنية تلقف كل ماورد اليها ليتم التعامل « وداخل هذه الدائرة » مع ماورد بطريقة تتضخم فيها فعالية الانسان وسمات المعرفة وأطر الزمن وبهذا الشكل تتعالى آنية اليوم على الضمور والانعزالية والسلبية فتقرر معرفة ليس لها انفكاك من حاضرها. والحوار امام هذه السمات من البناء المعرفي وفاعلية الانسان وكينونة الـزمن تخلق الفرصـة في المشاركة في البناء الفكرى الذي لايقل أهمية عن البناء الاولى للحدث . ان صلاحية القطاع الانساني العريض للخوض ف المشاركة الحيوية للفعل والحدث التاريخى أمور تستوعبها لحظات اليوم وتفرضها فراغات المستقبل هذه الحيوية تبرهن على أن الانسان وليد هذا الزمن يقاسم الناس المتقدمين شئون البناء وهموم الفناء والانكباب على ايضاح هذه المضامين كفيل بدعوة الحاضر لفعاليته التى تتلبس الغطاء المعرفي .

ان المستقبل ضرب من حسابات الحاضر وطموح من طموحات الانسان فهو تعلق اليوم بالغد القادم وانتظار المعرفة لاستقلالية التنامي وقدرة العيش كبديل عن الإنسان والمستقبل يخفى قدرة المعرفة أو عدمها على كسر الغربة مع انسان الغد . وألفة اليوم غربة في الغد ، وغربة للفكر وغربة للحدث ويطمع العطاء المعرفي في كسر حواجز الغربة حيث يكون البناء المعرف

أمام اختيار التجاوز وتفاوت الفهم . ويفرز المستقبل مرونة الأقتراب من العطاء والتصور التى تفتك بالهوة ما بين طرف الأمس وطرف الزمن الآنى وله « المستقبل » من الحرية للتفاهم ماشاء .

ان اقامة البحث فوق دواعى الزمن تهب المادة المعرفية كينونة ممتلئة بالبراهين الزمنية القادرة على تمكين الخطاب العصرى الدائم في عصريته من اللجوء الى المواءمة الفكرية أو القبول المطلق لهذا المبدأ وهذه المواءمة الفكرية كانت قديما وجودا تائها فى متاهات الزمن ومنحنيات المعرفة . ويمنح هذا الفعل الباحث رخصة تكاد تكون روح الاستمرار الدائم الذى يخلق نوعا من التقارب أو الثقة المعقودة ما بين الأمس واليوم والغد فى كنف التصور العقلى والمنهج المعرفى . ووسط هذا الجو تتنامى الأفكار فوق خيوط الزمن هذه الأفكار التى تمكن الباحث من بناء عالم معرفي له كيانه ومعالمه الواضحة .

والعودة مرة أخرى الى التراكيب المطروحه في الصحائف التاريخية تقضي بالزام الباحث (وهذا الالزام يرتكز على منطلق الرؤية التى تفسح لها المجال هنا لأن تتبلور بشكل واقعى ملموس) مسئولية النظر بعين استحضار علاقات الحدث الغائبة التى تسعى (هذه العلاقات) لأن تعيد للنص التاريخى وللفكرة الكلية مزاولة نشاطهما من جديد ، حين تلقى الفكرة الكلية قبولا وتجاوزا للحدود الزمنية والمكانية ثم القيام بعملية زلزلة الحدث ذاته ومتابعة الانغلاق الزمنى الذى أعاق تحرر

الحدث من مكانية الفعل وزمانية الفاعل .

وقد يؤدى هذا الجهد الى التحالف مع جزئيات الزمن الواحد لضمان النشوء الطبيعى لفعل الانسان أولا وضمان ربطه مع جزئيات الزمن الآخر الذى لايعدو أن يكون صورة مشابهة لذلك الوقت السابق. ان المعرفة التاريخية التى ترتسم هنا فى هذا الطرح ملك للباحث وانها تنتقل عبره نحو الآخر بطريقة تؤكد أن هناك حضورا مكانيا وزمانيا جديدين هذا باعتبار أن رؤيتنا للحدث قد تحققت لغرض تحقيق مزاولة الفكر لنشاطه الذى يتغلب على مزاولة الحدث لنشاطه . ولاشك أن الحدث بناء قابل لاعادة تركيبه وبطريقة تجعل لفعل العقل والمكان والزمان مكانا فسيحا من الحوار والبناء . والأمر هذا ليس بالعسير لو أجرينا دراسة تطبيقية على المعرفة المنتقلة الينا من خلال الموروثات المعرفية .

إن روح الحدث التاريخي تعبير عن ابداع الكاتب ذاته كما تعبر بعد ذلك عن تاريخية الفاعل. ويجوز لنا البحث عن تبعثر قوى الزمن داخل الحدث بوقائعه وروح الفكرة القائمة من خلفه، وذلك عن طريق القيام بعملية الفرز المبدئي الأول لمعرفة تقطعات ، وديمومة وتوقف الزمن داخل الصياغة التركيبية للحدث ثم نقوم ببذل المجهود لاعادة الحيوية في اجزاء وعناصر الحدث المسكوت عنها والاستعانة بمنهجه الاسترداد التاريخي قد تمكننا من فعل ذلك .. وهب أن المجهود قد أوصلنا للقيام بعملية تمديد مرونة الزمن بأبعاده الثلاثة لغاية تمديد

الفكرة عبر هذه الأبعاد وحتى يجوز لنا البحث عن الفراغات التي ستظهر خلال هذه العملية وباكتشافنا للخلل نعوض عن الحدث باظهار الفكرة التي تصلح لأن تتساوق مع الزمن الآني وصولا الى المستقبل وتكون الفكرة رسول الحدث الذي لم يستطع النهوض من كبوة الرواية وضعف المخيلة . وهناك محظور نطرحه وهو يقضي أنه في بعض الأحيان لا يجوز تفتيت أزمة الفعل أو الحدث حيث ان امتداد الزمن الذي يحمل الحدث اللا منهجي والفكرة القابلة للعبور حتى ما لانهاية هذا الأمر يقضي بأن تتجسد ديمومة الزمن ومحموله حتى لا تفسد التركيبة الاسطورية للحدث والزمن والفكرة والتعامل مع مثل هذه الصور أمر يتحقق بالجرأة والاقتدار الفكري والوعي الانساني للتاريخ الملائم للتأقلم مع مثل هذه النوايا واحتسابها لصالح النسق التاريخي والمرونة العقلية ومقدرة المعرفة على التجاوز . واحالة القاريء للمعرفة المطروحة تقوم على مبدأ ضمان الحق للقاريء في ممارسة دوره في القراءة والفهم اللذين يعيدان صياغة الحدث بطريقة ينفرد بها القاريء المأمول وجوده وقد يطول انتظار بروز دور هذا النوع من القراء الذين يؤمل منهم ان يتمكنوا من غرس أدوارهم فوق تربة التاريخ بطريقة تمنع قبول إنابة الغير في القيام بهذا الدور خوفا من الهامشية وخوفا من وسيط يلتهم الوجود الآخر ابتداء من البحث عن الذات وانتهاء بالبحث عن الغير .

عندما نلج عالم الفعل في اطار عزلته من كل علاقة فان الأمر

يتطلب عبور مدلولات الفعل في كونه اولا يحتاج الى طرف آخر يستدعيه الفاعل وهو المفعول . فهو الآمر المحتاج الى مأمور. وبناء على هذه الحاجة يكتمل المستوى الأول للفعل على نحو لايدل على أي شيء من المفهوم النحوي الذي ليس من مهمتنا البحث عنه . ثم ننتقل الى صورة اخرى من صور الفعل الدال على الحركة المتصفة بالنمو داخل الزمن من حيث انه يحقق له « للفعل » هيئة مستقلة ثم مايلبث الزمن ان يتلبس الفعل مبرزا بذلك كينونته ومبينا وجهته ، أما بذل الجهد العلمي في حالة الوقوف على النص التاريخي الذي يحمل روح الآمر والمأمور حيثما يتقابلان فانه يتطلب « هذا الجهد » عناية فائقة في رصد مستويات الحدث داخل التقابل وكذلك يتطلب قياس أو الاحساس بمدى جسارة الفعل الآمر على تخطي الحواجز ، وكذلك يتم الانتقال لكشف حالات المأمور وأشكالها المختلفة التي تتأرجح مابين حيوية وفعالية الى سكون وركود. وقد تضطرنا حالة الكشف هذه للتعرض الى معرفة حالات التمرد او الطاعة مقترنة بالمكان الذي يدور في فلكه الفعل ثم مقترنة بالمكانة التي يتسم بها الفاعل ، وقوة مستوى الفاعل احيانا تكفي الباحث مؤونة البحث في حالة كون الآمر قوة سيطرت على حل أزمة الموقف فجعلت هذه القوة من الآمر سطوة ابتلعت المأمور وجعلت الأمر ذاته المعنى هو المتحرك عبر الزمن بالفعل والمفعول حتى مالا نهاية . وتظهر واجبات الباحث هنا على شكل متابعة الفجوات التي تتداخل من الصورة الكاملة وكذلك متابعة غياب

الوجود المقابل في أنواع هذه الأفعال ذلك الوجود المتسم باكمال صورة الآمر . وغيابه مدعاة للبحث والنظر لكون الفعل لم يكمل نموه او حركته من حيث غياب المقابل ودراسة تراكمات الأفعال الآمرة في أنيثها لدى أي شكل تاريخي لأية أمة من الأمم تجعل من المتمع سبر غور تلك التراكمات التي تتطاول بدورها على الآخر من منطلق زجه للانضواء تحت مستوى الشكل « افعل ولا تفعل » في حالة صدور هذا الشكل من فوق منبر يتسع لواحد واقعيا ويتسع لأكثر من ذلك نظريا . وجس نبض الفعل في هذا الاطار (فعل افعل ولا تفعل) يكسبنا معرفة تطلعنا على قوة تركيب الفعل او ضعفه وقوة تماسك الفاعل ونوعه ومستويات المأمور المتعاطف او الغائب . ومن حقنا ابراز الفراغات ومنحها قدرا من الاهتمام وقت الصياغة الجديدة ونقل الصورة الى وجهة زمنية اخرى وتزرع الكثافة العددية للأوامر شخصيات تتسلق الكثافة العددية للمأمورين فتسعى الى الحد من تنامي الثاني ودفع تنامي الأول وتنامي شخصيته ذاتها . ويتناقص التواجد البشري الفعال فوق هذه الخطوط الممتدة بالتوارث وقد تسعى جهود المتأخر لابراز بعض الفعاليات بطريقة استكشافية فردانية هذه الفعاليات للقطاع العريض من الناس او لفئات نخبوية وهذا على الأغلب ولكن الصورة تبدو منكسرة من حيث انها ارتكزت على اساس غير متين وغير قابل للاتساع ومن الممكن كشف محتويات التاريخ وصحائفه التي بامكانها اظهار ماخفي من اجل ارواء شوقنا للرؤية الجديدة وامتاعنا

بلذة التفكير وقوة المعاناة . ومن اجل مواصلة السير مع هذا النوع من التلازم مابين الأمر ونتائجه وأطرافه فلابد من ركوب مخاطر صيغة الأمر ومواقف الآمر والمأمور ولابد من قياس شدة أو حدة الحضور وشدة وحدة الغياب . ووعي الفعل بهذا الترتيب يوجب ادراك سريان روح الأمر داخل جسد الفعل وعقلية الفاعل والمفعول وقد يخالج المرء الشك في جريان هذه المقولة مجرى الثقة ولكن البرء من هذا السقام يحتاج الى كشف صفحات الأحداث التاريخية وصور الأفعال القابعة بداخله.. والرغبة كبيرة في بذل جزء من الوقت لعقد المقارنة مابين القوى أو التواجد الكامن للعناصر المقصودة عن طريق الانفتاح على مدلولات افعل ولاتفعل .ولعل هذه المقارنة تقوم على قياسات شدة ووطأة الموقف المقابل بنوعيه الايجابي والسلبي والقوة الفعلية للتركيب التاريخي من الأسس المطلوبة للبناء التاريخي المأمول .

وإن لنا وقفات متنوعة مع التاريخ.ولعل العودة مرة أخرى لقراءة التاريخ ولغرض معرفة قوة الفعل تفيدنا في معرفة المعرفة المتعلقة بالإنسان ، إن تحول قوة الفعل من عالمها الأول الذي ولدت فيه أي عالم الوقائع إلى عالم آخر هو عالم الصياغة التاريخية «هذا التحول» يدل على أن الصياغة التاريخية تصبح بديلاً موفقًا فى نقل الصورة وبديلاً حالا محل الفعل الأول حيث يحصل التناسي المرحلي والتباعد الزمني عن الفعل المبدئي الأول ، وهذه الصورة المتنقلة عبر التاريخ تصبح وجودًا يسرى

في مضامين السجل الزمنى الذي يتوارثه الناس ويقفون أمام مقولاته وقوف اجلال واكبار ، ومن أجل الادراك الأنسب للقوة الصياغية أو البديلة للفعل الأول فإن الأمر يقضي بالتعامل مع قياسات الرصد التاريخي ذلك الرصد الذي نسعى لاقامته لمعرفة قوة الفعل الصياغي على تخطي حواجز الزمن وقدرته على الوصول عبر مسافات مكانية بعيدة. كل ذلك بفعل الكلمة والعبارة والصورة والفكرة التى تحمل نوعًا من الخطاب القابل للطاعة من وجهة المواقف الجماعية ، ولا شك أن الفكرة الممتلئة بالصورة الجماعية هي قوة الدفع نحو الغير وهي البديل الأولى للصورة النصية للخطاب ، وبهذا تصبح هي البديل النهائي لمرحلة التتابع للفعل عبر المسافات ، وهذه الفكرة هي جزء من العناية التى تلحق بالحدث بعد مرحلة التحول ، إن القياسات التفسيرية للحدث هي عالم من عوالم الفكر الذي يسعى لملاحقة التتابع التسلسلي للحدث ليقوم ببث روح جديدة في الفعل التاريخي ونتيجة لهذا التدخل يحدث التحول لكي تتشكل نظرة وتركيبة جديدة للتاريخ من كونه كان فعلاً دراميًّا قبل التحول إلى صورة ذهنية مليئة بالمعانى بعد التحول ، ولعل صورة الحروب وما يتلازم معها من فعل «القتل» أو حلول شيء آخر من الأمور الممكن محاكاتها بهذه الرؤية ، حيث توضح أن مستوى الفعل «الحروب ، القتال» هو عمل وقائعي محمول بالتاريخ الظاهري وتبقى هذه الحوادث من أضخم محمولات التاريخ ، لعلها (الحوادث) من أنسب المعارف لمرحلة العقول الساعية للتجاوز

المبدئي والسعي المعرفي الذي يهدف إلى تحويل صورة الحدث من واقعية المادية المرتسمة فوق الميدان إلى صورة فكرية ميدانها الذهن ، ولهذا فإن «القتل» الذي هو فعل بارز في هذه الصورة يمكن أن نزجه في حوار مع نفسه فهو فعل مندفع ضد نفسه ، فالحياة مستوى من الحيوية يهددها الموت أو الفناء ما بين آونة وأخرى ، والحرب الحيوية الفاعلة للإنسان هو انتصار للحياة على مقابلها الضدي الموت وهو انتصار لفريق يطلب الحياة بدفعه الموت عنه ، والمعرفة الذهنية لهذه الصورة تعنى حلول الحياة القوية مكان الضعف المعيشي المتدهور ، وتحتوي الصورة على علامات أكثر جاذبية للبحث من الصورة الوقائعية وهذه العلاقات قادرة على أن تأخذ كيانًا زمنيًا واسعًا وكيانًا مكانيًا ممتدًا ومرنًا وأن الثقل أو الحجم الذي أعطي للفعل بداخل هذا التفسير قد كفل له الضدية وأحالة إلى عالم حي من الحوار من داخل نفسه دون اسقاط عناصر خارجية قد تتنامى مع طبيعة الفعل ، وبهذا أنشطر الفعل نفسه إلى نصفين حيويين هما ولادة تاريخية وحركة فعالة مندفعة نحو الهدم البانى ، فنصف مندفع نحو الحياة والآخر مدفوع نحو الفناء. واقامة الحوار الجدلي بين الطرفين أمر تستدعيه فكرة الحدث وتستوعبه العقلية المعاصرة ، ومن الثابت أن الأفعال التاريخية القابلة للحوار الضدي والقابلة للانشطار الحيوي وافرة وغزيرة، حيث أنها هي ولادة العقلية ملتزمة بأصول النطق وأساسيات التراكيب النصية ، وهذه الغزارة والوفرة قد تكون قابلة للطرح

والنقاش وبصورة قاعدية لا تقبل سوى الصياغة الأولية ، ومع بداية اجراء الحوار يتم انتشال تلك الأفعال من الصورة الظاهرية لها وتوظيف مكنوناتها الخفية ودلالاتها غير المستعصية توظيفًا يؤدي إلى اقامة بناء نسق كلي يقبل مفهوم الدلالة واذابة الزمن والوقائع أمام الفكر والقيام بهذه الحركة الفكرية لا يعنى خروجًا عن المفهوم التاريخي ، بل إنه مرحلة تأصيل التاريخ أو المعرفة التاريخية بطريقة تضمن لها البقاء طويلًا ، والفكرة أيضًا لا تتناسى المساس بالعناصر المكونة للفعل التاريخي محاولة تحريكها والعبث بها ، والصورة الجماعية داخل الحدث الوقائعي تنتظر حملها عن طريق الفعل الذهني ، وتشير الحوادث نفسها إلى أن هناك زخمًا من الحركات التى لا تتجافى عن الكثرة ، وقد تواجدت بداخل هذه التراكيب الطاقات البشرية أي الكثرة ، ولهذا يتطلب الأمر قياس حدتها في التوافق والتباعد وحالات الانفصال وحالات الخروج عن مسار عربة التاريخ ، وأن الامتزاج بين الحدث والتركيب الوصفي له أنموذج حيوي من نماذج المعرفة التى تظهر على شكل بنائي بطريقة الفكرة زائدة التركيب لتصبح بعد ذلك معرفة متوارثة ، والذي يحدث أن المعرفة الذهنية للحدث الوقائعي تمر بمراحل كتابية ومذهبية متنوعة حتى إذا ما وصلت إليها تكون لها أحقية تمثيل الدور بأكمله بتناسي البدايات الأولى ، وقد أمتدت الصورة النهائية فوق جسد الفكرة كما امتدت معرفة الحدث الأول فوق جسد الحدث نفسه ، وصورة الفكرة قد تدخل في

حوار جدلي مع الحدث الأول وتبقى دلالة من دلالات وجوده ، وقد توافق معه وتصبح امتدادًا لحيويته ، وفي الحالتين لا تختفي الروح التاريخية المعبرة بل تظهر بطريقة تجعل الحدث يتيه بداخلها ، وقد ترتمي النصوص على أنها كلمات بداخل الفكرة فتصبح أسيرة لها ومنقادة لتفسيرها وتعابيرها .

تتداخل الهوية والتاريخ والثقافة والإنسان بشكل جدي وفعال مع المكان تداخلاً يفرز علاقات يصلح لأن يكون مجال بحث وموضع نقاش وميدان رؤية وتجربة ، وينبعث المفهوم التاريخي الفكري لتحديد العلاقة ما بين الإنسان العرق والدم والمكان والكيان والقدر ، وبواعث هذا وذاك «المكان والقدر» أحالت جهود الإنسان نحو الالتفاف حول المكان والتفاف المكان حول الفاعلية والقوة المعبرة له «الإنسان» وهذا التداخل يجعل من الصعب اجراء أي عملية فرز وتمييز ، حيث أن التداخل هذا قوة في الحدث والفكر . وأن التوليد من هذا التمازج يبقى فعلاً يدل على قوة فعلين ، هما المكان والإنسان ، وجاز اطلاق لفظ الامتزاج ما بين الإنسان والمكان ببداية اطلاق هذا المفهوم من حالة التكوين الأولى للإنسان حتى التعمير والملكية والتخطيط الأمني والدفاعي وانتهاءً بالفداء والفناء في سبيل الأنزراع فوق التربة ، ولكل حالة من هذه الحالات أبعادها التاريخية المشربة بالأحداث ، وهذه بدورها توجه وتحدد مسار التاريخ وتنحو به إلى عالم الرمز والأسطورة ، وهكذا يتسلق المكان على كتفي التاريخ والإنسان ، فيصبح جهد الإنسان مرتبطًا بصيانته

وحفاظه على المكان وتتأكد بذلك مقدرة الإنسان الفعلي عن طريق امتلاكه للقدر اللازم لكيانه من البقعة المكانية التى تتفاوت بين ما هو مقدس أشد التقديس، وما هو مبجل أو أقل ما فيه أنه قابل للفداء والموت من قبل الإنسان ، ويغدو المكان الوجه الآخر للكرامة والكبرياء ووجه من وجوه المشاعر التى تحلق بالإنسان في عالم يصبح المكان معها «المشاعر» وجودًا في عالم الفضاء حيث لا تمسه أفعال الإنسان العادية ، ومن السهولة بمكان أن يصبح المكان رمزًا حيث هو الوطن الذي يتبلور في شكل رموز متعددة يحظر انتهاكها أو المساس بها ، وأن تمدد المكان دلالة من دلالات تمدد الفعل الأنساني والصدام الحربي ممتلىء بالمكان حيث هو المحرك الأول وهو خاتمة الحركة التاريخية فهو الانتصار والكسب والمغنم .

يجدر بنا متابعة المراحل الجدلية بين المكان والفعل التاريخي بحضور المكان داخل الحدث حضورًا يتم على أوجه ودرجات متباينة ، فللمكان ـ على حسب هذه النظرة ـ مستويات عديدة من التدخل في قولبة الفعل وارغامه على الانحسار داخل الدائرة التى تدعوها المحلية أو هي بمثابة المكان الذي يرفض الانقسام والتعقيد والتشابك في العلاقات والقبيلة في تحركاتها هي من الأمثلة التى لا تأبى الانصياع لهذا المفهوم وهذه الغاية ، وتجدد الرغبة مرة أخرى في محاولة تمديد الدائرة أو خلق دائرة أخرى تكون أكبر حجمًا وأكثر اتساعًا ، فتأخذ بعدًا تاريخيًّا معقدًا وتشابكًا تصادميًّا مع الآخر . وهذا الأمر

يستلزم قوة الفعل ومجابهة المكان ليتحول بعد نجاح الفعل إلى نموذج متضامن مع الفعل ، وتبقى دائرة المكان شكلاً يتميز بالاستقطاب للقوة واغرائها لملاحقته ، فكلما تقدم نحوه الفعل أغـراه المكان بالملاحـقة وهـكذا ، إن الامتداد الاستعماري قد لايخرج عن دائرة هذه النظرة ، وهذه المحاكمة ، ويشير هذا الفهم إلى أنه قد يحدث ما بعد الامتداد ، أن المكان يستعصي على التوافق مع الحدث التاريخي الممتد نحوه لأن عناصر الحدث والمكان غير متوافقة أصلاً ، بل إنها متضادة ، وقد نرى في حركات أخرى أن الفعل التاريخي الممتد يحمل بذور الامتزاج والخصوبة ، مما يجعل الاغراء المنتج واقعًا تاريخيًّا ، وحركة المد الأسلامي أكدت هذا المستوى من تضامن المكان الذي بقي مقترنًا بالحدث الجديد ، والذي أصبح جزءا من هويته وتاريخه ورمزًا من رموزه ، وكفل له الفعل التاريخي الإسلامي مكانه داخل تعليماته تغريه بالانضواء تحت راية الدفاع ، إن هذه الحركة قد صنعت مكانًا امتاز بالقدرة الفائقة على التأقلم مع الفعل والرغبة في الاغراء المتجدد ، وقد تأسست هوية المكان فوق فلسفة الانطلاقة ، وتغذت على ما بذلتـه الحركـة من تضحيات وفداء ومكانة ، ويظل المكان متأرجحًا بين مستويات مكانته في الفعل من شكل مادي إلى رمز معنوي ، وتحول المكان إلى معنى يمنحه أحقية التحول إلى رمز حيث من السهل غرسه في بقعة ما. ومن السهل اطلاقه دون التقيد بالحدود المكانية فيصبح المكان عندها بعدًا غارقًا في الوعي وكيانًا يفسح للقدرة الإنسانية

لعب دورها المتصالح مع المشاعر ، إن كل تمدد مكاني يضمر في حركته التاريخية مفاهيم تدفع الحدث نحو الأمام لتحصل على هوية مصاحبة ومرنة تؤيد التوسع ، وتأتي الحركة المندفعة من أجل اعلان تطاولها على حدود المكان الضيقة ، فتبحث هذه المفاهيم عن مكانها الذي هو في كل مكان ، ونتاج هذه الصورة تتضح في أن المكان بنفسه قد يهب الإنسان فرصة التقارب مع الغير ، ولعل انكماش البعد المكانى على يد التقدم العلمي التكنولوجي فيما هو ظاهر للعيان يكشف لنا صدق مقولة أن العالم قرية صغيرة ، فمن الممكن التعامل مع مدلول هذه القضية من منطلق الفكرة ومن منطلق الأسطورة معًا ، ولعل ما أوردته الأساطير من مشاهدات عديدة لتحرك الأمكنة قد تحقق بطريقة أُخرى تحقق نفس الرغبة القديمة ، ولعل البعد المكاني الذي كان يمثل أرقًا للعلاقات المعلقة على ذلك البعد ما بين أصناف البشرية قد انهزمت تلك الأبعاد أمام قوة الإنسان ، وقد لا تخفي الجهود المبذولة القائمة على صياغة مفاهيم أنسانية واتفق المجهود العلمي لصياغة الإنسان الذي ينتظر أن يتوافق مع المكان بمفهومه الحاضر ، ويبقى المكان حبًا معلقًا بألم وتضحية ويبقى وجهًا سياسيًا ودستوريًا إذ أن صلاحية الدستور والحركة السياسية مشروطة بامتداد المكان نفسه فهو الذي يمنحها الحياة أو يمنحها النهاية .

ويجدر بنا مرة أُخرى أن نتجول مع المكان الملتصق بالهوية والمحرك لها لكي ندرك مدى العلاقة القائمة بين الطرفين ، ولكي

ندرك أيضًا صورة واقعنا في هذا العصر من حيث الانكماش ، وحيث الامتداد المعرفي فوق المكان بطريقة تصالحية ذلك الأمر الذي يهدد الكثير من الناس اليوم أي يهدد الهوية والخصوصية ، حيث يبقى الباب مفتوحًا أمام قوى الاندفاع والانتاج ، هذا مما يلحق الضرر بالهوية ، كما يعتقد ، وقد أتضحت بعض المجهودات لمقاومة هذا الامتداد بمحاولة دفع الوجه المعرفي والبعد المكاني نحو التحدر الماضوي الذي قد يخلق وجهًا آخر مقابلاً للوجه العصري ، ومن أجل أن تقوم حركة الماضوية بواجبها فإنها تأخذ في دفع الحركة الآنية نحو الانتاج المعرفي القائم على تلك الأصول وبهذا تتم تغذية اليوم بالأمس ، ولعل هذه الصورة توضح رغبة الإنسان في ربط الانتاج المعرفي المكاني بالمعرفة الرأسية المتوارثة ، وهذا الارتباط يمنح الإنسان ـ من وجهة النظر هذه ـ قوة متحركة يتولد عنها نتاج جديد قادر على ملء فراغ العصر ، وتسعى هذه الصورة الارتدادية للتعامل مع المعرفة الإنسانية ، كما تهدف الجهود المبذولة من هذه المعرفة للتأقلم مع مخيلة الإنسان الذي تتبدل به وأمامه الأشياء فيصبح المكان الرمز والمكان الدلالة المستوطنة في الذهن .

إن الإنسان الصورة المكانية هو فعالية تبلورت منذ تخلقه وولادته بالمكان فأصبح على أثر ذلك نمطًا متميزًا يتميز مكانه ، ثم أخذت الفوارق تتسع والهوة تتزايد ما بين بداياته الأولى المرتبطة بالجنس الواحد وفعالياته الثانية المرتبطة بالمكان

وتوزعت الأمكنة وتباينت على أثر هذا التوزع أنماط وأشكال الجنس البشري ، فأخذت الأمكنة تسمى بسمات منطلقة من خصوصيتها وخصوصية الأبعاد المعرفية المرافقة ، وأظهرت الصورة المكانية كينونة مخالفة للصور الكلية السابقة (الجنس البشري) هذه الكينونة الجديدة أوجدت للإنسان مميزات وخصوصيات جدت عليه بالتفرد وأقنعته بالتميز وفرضت عليه الدفاع عن حرماته ، وقد تأخذ صور التميز دورها التاريخي بمزاحمة الآخر ومحاولة الهيمنة والسيطرة عليه ومحاولة اخضاعه فتأخذ الحركة وجهًا تاريخيًّا ووجهًا معرفيًّا جديدًا ، فقد تصل هذه الحركة بالإنسان الصور المتميزة إلى حدّ انتهاك الحدود الأخرى المجاورة ، بفعله المضاد لاثبات هذا التفرد أو التميز ، ووسط هذا الصدام مع الغير تنمو الأحداث التاريخية التى تعجل بنضج المكان ونضج الهوية وتفرز بعد ذلك رموزها المكانية والإنسانية تلك الرموز التى تسير بعيدًا عن خط التهافت والتلاشي متجهة نحو النواة الأولى سواءً أكانت مكانية أم إنسانية ، ومن المعلوم أن المكان يبلغ في تضخمه حتى التجاوز وينكمش حتى العوز ، وذلك على حسب تركه لحركته ، إن في هذا التجاوز ترفاً ، وفي العوز نزقاً وأن الفعل التاريخي هو القادر على التعبير عن هذا وذاك وهو المرتبط بحركة المكان ذاته والذي يحدث بناءً على الوجهة المكانية التحتية .

وقد يتضامن الفعل التاريخي البديهي مع الصورة المكانية فيتعهدها بالرعاية . وهناك صور أُخرى للمكان توضح امتناع

هذا الكيان عن الانغلاق ويتوازى هذا الامتناع مع تمدد الهوية نحو الغير وبذلك التمدد يبرز الخوف من الانطماس والانكماش ، وتعد هذه المحاذير من بواعث البدايات الحركية الأولى للتاريخ الانتخابي لهذا اللون ، وللدخول في منعطفات الصراع والمواجهة نلحظ أن الجزء الثاني «الهوية» قد تخضع للتبدل تبعًا لصغر أو كبر حجم الجزء الأول «المكان» فتصغر بصغره وتكبر بكبره ووقوع هذه الصورة مرتبط بأبعاد الأثر الفكري والحدث التاريخي بحيث يظلان أسيرين لعامل المكان ، والهوية المتعلقة يقلقها الامتداد العسكري والتمدد الفكري ، وقد يحدث عكس هذا بفعل قوة الحدث والفكر اللذين ليس باستطاعتهما خلق الهوية الاّ عن طريق الاستعانة بالمكان ، ولكن تهديد الهوية من جانب هاتين القوتين أمر ممكن وميسور ومحتمل ، وأن التصالح ما بين الأبعاد الثلاثة يفرز وجودًا معرفيًّا وتاريخيًّا يستحق أن ينال الاهتمام والمناقشة والهوية التى تبرز كنتيجة للأبعاد الثلاثة «المكان المعرفة الحدث» تصبح كيانًا صالحًا للرصد ومغنمًا ايجابيًّا ، ومن الممكن ادراجها في دائرة الصراعات المحمولة بالتاريخ حيث تؤكد ذاتيتها وانغراسها المكاني الجديد .

إن المكونات المعرفية تسعى للبرهنة على فعالياتها وحيويتها في المقام الأول وذلك عن طريق حركتها مع عناصر التاريخ العديدة ثم تعمد بعد ذلك مبتدئة بكشف تعاملها المكاني الذي يقذف بحدوده وخصائصه كعناصر أولية للتعامل مع المعرفة ،

وهذا يأتي في المقام الثاني ، والتصاق المعرفة بالإنسان المتلك لقدرها قضية أُخرى تفتقر إلى بحث ودراسة ، وبعض من وجوه الحوار يقضي بانتصار البعد المكاني الذي يقوى على احاطة الإنسان واحاطة انتاجه ومقدراته ، وتكفل الأشكال السياسية الانتصار للمكان حينما يصبح بعدًا معرفيًّا ونبضًا تاريخيًّا للدولة ، وذلك اعتمادًا على الاغراءات التى تحتويها ، ويصبح المكان وعاء للصراع وسببًا له ومغنمًا وكسبًا ضمنيًّا له، وتتبلور تبعات الصراع تبعًا لهذه الفسحة من الأرض ، وتقوم بعض المعارف على هذا النوع من الصراعات حيث تصبح معرفة متوارثة ومطلوبة ، والهزيمة المكانية تحفز الإنسان على التعلق بالصورة المعرفية للمكان التى تحل «الصورة» بديلاً مغريًّا أو بديلاً ينشط استثارة المشاعر الإنسانية والتى تغري الحركة التاريخية بالفوران والانتقام .

إن خبرة الإنسان تلتصق بالمكان ويلتصق به كفاحه وعرقه فهو يهرق عرقه ليعيش مدى زمنيًّا معلومًا ويهرق دمه ليعيش على مدى الزمن ، أنه يزرع رغباته ويزرع أفعاله ويزرع تاريخه فيتطلع للزمن القادم بهذه الرغبات ويتطلع للزمن الآني بهذه الأفعال وعندما تكبر هذه الصورة المتحركة فوق الرقعة المكانية جاز للمعرفة أن تقوى وتشتد ، وجاز للتاريخ أن يعلن عن ولادته وجاز للإنسان أن يعلن عن مولد نفسه ومصيره وتوجهاته .

وهناك وجه آخر للحدث الإنساني يظهر من خلال التلازم في العلاقات بين الفاعل والفعل الذي هو دلالة من الدلائل التى

تشير إليه ، ومن المعلوم أنه كلما قويت شوكة الفاعل قويت معها فعاليته ، وبهذا تظهر لدينا وعلى هذا النمط دائرة من العلاقات وأنماط من الأحداث التاريخية التى تتوزع فوق جدار الدائرة ويرسل الفاعل أشعاعاته الفعلية من خلال تمركزه وسط مركز الدائرة ، وتتم عملية التصور في الذهن بمنح الفاعل شكلاً أوليًا فردانيًا ، ثم شكلاً نخبويًا ، وأخيرًا شكلاً يتلبس هيئة عرضية تسعى من أجل منح الحدث الفرصة للوجه العرضي ، ويحمل العطاء المعرفي كثافة دلالية للفردانية التى غاصت الكتابة التاريخية في أعناقها كأحد النماذج المعرفية ، ولقد أصبحت الدلالة الفردية للفاعل وفعله المحتاج للكثرة دلالة حوار وقوة وتحريك أودفع متفوق ، وعلى هذا النحو من العلاقة يتجه الفعل نحو الفاعل ليزداد به قوة يستوعبها المفعول وتدخله إلى عالم الحدث وبعدها إلى عالم المعرفة المكتوبة ، ولقد أضحت الفردية «للفعل والفاعل» روحًا تسري في معظم الكتابات الفكرية وأظهرت الكتابات شوق الناس في متابعة الفاعل عن طريق أفعاله مما جعل الفعل أيضًا يشتاق للعودة إلى فاعله ، وقد يتبدل الاشتياق وتتبدل المعرفة المحمولة بأسرها بتبدل وضع الفاعل في حالة انحدار مكانته وفقدان هيبته ، وقد تصبح الأفعال في قائمة المحظورات والممنوعات بعد أن كانت في قائمة المباح وضرورات الكفاح ، وقد يختفى السر الكامن وراء المعايير والمقاييس التى تم بها القياس الأول للفعل في كونه ايحائيًا ، ثم تبدل إلى قياس جديد ومعايير مختلفة ، ولعل من الواضح أن

القياسات أو المعايير تبدو واضحة حينما نتعامل معها من خلال الحدث التاريخي بصبورته الكلية ، ويظهر الأمر جليًا في حالة هذا التأرجح في أن القياسات تصل أدنى مستوى لها عند فقدان قوة الفعل وصيانة الأفعال وتصل أعلى مستوى لها بقوة الفاعل وحماية الفعل ، وهذا ، وبناءً على هـذا الأمر فـإن الجوانب الوصفية الايجابية منها والسلبية مثل الشرور والآثام والجبروت مقابل الخير والعدل والتقوى ، هذه الصفات تبقى نتائج مرتبطة بالفعل والفاعل ، في حالتيه القياسيتين ، ولعل الأمر يقودنا إلى أن القوة سواءً ما كان منها ماديًا أو معنويًا هي الفيصل في هذه القياسات ، ويظل هذا المفهوم القوة يبحث عن سنده الأساسي وهو القاعدة العريضة التى تحدد تعاملها معه تحديدًا تاريخيًا ثم بعد ذلك يكون معرفيًا .

ويمنح الكشف عن مستويات الفاعل مجردًا من أحاديته متلبسًا جماعية متحركة قوة لمتابعة تموجات الروح الفاعلة والأرواح الجماعية الفعالة وتكون هذه المتابعة عبر التموجات في كنف الحدث نفسه لاستبصار حجم الفاعل وأحجام الجماعة المشتركة في القدر الفعلي ، ويكشف طول المدى الزمنى لامتداد فعل الفاعل وحفاظه على البقاء في الأذهان عن الدور العرضي المتوارث لهذا الفعل وبهذا قد يكون الفعل ذاته القوة القادرة أو الغالبة التى تمنح فاعلها اقامة زمنية طويلة في الأذهان ، ولعل الفعل قد تحسس وجوده الجماعي منذ بدايته وحاز على أحقية ربط الوجود المتسلسل عبر الزمن ربطًا يجعل من نفسه «الفعل»

رمزًا خالدًا ، والفعل الخالد يخلد فاعله ، إن اسطورة الفعل قد تغرينا بالوقوف أمامها ومحاورة الفعل ذاته .

إن من الواضح أن كثيرًا من الأفعال تتلاشى بتلاشي فاعلها في كونه قد فقد صورته القوية والقادرة على حماية فعله وفي كون التوارث الجماعي للفعل قد أصبح قوة مضادة للفاعل ولفعله ، والأنسان ينهض بالعبء الكبير على إمداد الفاعل وفعله بالنمطية المعرفية ، ومقدر للإنسان أن يكمل أدوار الحركة التاريخية الأكبر والأضخم قدرًا فوجوده في ثنايا الفعل شرط لتمرير الفاعل والرفع من شأنه .

تتسلل المعرفة عمدًا نحو ذهن وذاكرة المستقبل حيث هما يمثلان المراحل الأخيرة لاكتمال الصورة المعرفية ومنحها حق التعايش ، وتتحقق الفرصة للمستقبل في المشاركة بما يسهم به من رصد آخر وما يتحقق له من نفع ووجود ، وهذا الدور الذي أنيط بالمستقبل عمدًا يجعل للقضية بعدًا اختباريًّا بحسب التأكد والتمحيص وتصبح القضية في نهاية الأمر «الموقف من المعرفة» موقفًا يقوم جزء منه على الاقتناع والتبجيل وجزء آخر يتبلور على شكل تثبت واختبار ، ولقد تعمد المعرفة على تحديد وقف الإنسان منها ابتداءً فتجعل من الواجب على المرء تناسي أنيته ليصبح متعاملًا ومتحركًا مع اطار معرفي يزوده بصورة متداخلة ومتشابكة لا يقوى على تصورها واقعيًّا ، وقد تصطدم المعرفة هذه بنمط من المستقبلين الذين يتعاملون مع فراغات الرسالة فيعمدون إلى ملء الفراغات بما يطيل عمر الرسالة

نفسه ، ومما لا شك فيه أن الصياغات المعرفية تسعى للتعامل الفردي وما تلبث أن تتدرج في صورة مشروع جماعي قابل للتعامل مع أساسيات الصورة المعرفية التى تسعى نحو المتلقى وفي ذلك فرص قوية للامتزاج بذهن المتلقي والذي يجد الفرصة سانحة أيضًا في التعامل بحرية تامة مع ما اكتسبه وتوارثه ، وقد تكشف صورة التلقي أن المعرفة التى أمتدت مع الزمن قد واجهت جهدًا إنسانيًا قادرًا على القيام بوظيفة الصياغة ، وعلى أثر ذلك فلا يستبعد أن المعرفة قد تمثلت في صورة تكون مغايرة لبدايتها أو تكون قد نمت نموًا يكفل لها وضعًا جديدًا ، إن الفهم الفردي والجماعي المرتقب هو صياغة أو عملية انتقائية تهب المعرفة تلاؤمًا مع العصر الذي تعيش به ، وقد تتفوق هذه العقلية على ما عداها لأن مراجعتها للتراكم المعرفي قد منحها فرصة ابداعية أو فعالية لا تقل عن البدايات الأولى التى تمخضت عن هذا الشكل المعرفي .

إن من الحالات التى تتصف بها المعرفة في هذا السطور حوارها مع فهم جديد. وأن من الوظائف المرتقبة لهذا الحوار مراجعة حسابات المعرفة بطريقة تعين على الاختصار والانطلاق والتوظيف وقد تتغلب حالة التوظيف في النهاية على صورة الفهم. - وبهذا تدخل المعرفة في حسابات أُخرى مع المنفعة وجلب الفائدة ، ومقدر للمعرفة أن تصطدم بالنمو العلمي والنضج العقلاني فتنعقد على أثر ذلك علاقات تكون أقرب إلى الانتاج والخصوبة منها إلى الجذب والعقم ، وتسهم هذه المرحلة

بتقديم صور عديدة من الحوارات والمواقف المتنوعة لهذه الأطراف قد يكون نفعًا معرفيًا جديدًا ، وقد تخلل الحوار مواقف من الكينونة المتأرجحة ما بين الحضور أو الاسقاط أو الغياب ، وقد توضح هذه المواقف القائمة الحالات التى أسهم فيها المستقبل بدور كبير في توجيه دفة الأمور .

إن سمات هذه المعرفة قد برزت في ذهن الإنسان الآني وأن الكتابة التاريخية وعلى سبيل المثال أصبحت جزءًا من ايضاح موقف المستقبل ، وقد يدرك المرء المساحات والمسافات المرتسمة ما بين كيانات إنسان اليوم وذلك من خلال الكتابة والمواقف المعايشة .

أخيرًا فإن مشوار هذه المحاضرة يأخذ في التجسد ابتداءً من الدخول في علاقات مع المستمع والقارىء ، وقد ينحوان بها نحوًا يرفع من شأنها ، وقد يحدث خلاف ذلك ، ولكن لعل الوقفات التى تولدت من خلال التعامل كفيلة بدفع أذهانكم للقيام بالدور الأسمى والدور الأمثل لأن الارتماء في أحضان الاستسلام والراحة معيب وتأكيد على الانسحاق في الآخر .

وختامًا : فلكم الشكر والتقدير على حضوركم ، وما الملل الذي أصابكم الأوجه للتعب الذي اعتراني ، وما هذا وذاك إلاَّ مأزق يبحث عن مخرج وعقول تبحث عن منهج .

وأخيرًا أشكر للنادي دعوته ، ولكم جميعًا شكري واحترامي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ooo



قراءة لغوية في أدب طه حسين

الدكتور

محمد فتيح

الأحد ٥ / ٥ / ١٤١٠ هـ
الموافق ٣ / ١٢ / ١٩٨٩ م



● الدكتور محمد فتيح

- حاصل على الدكتوراه في علم اللغة من جامعة ليدز ١٩٨٣ .
- له مؤلفات وتراجم في الفكر اللغوى في علم اللغة التطبيقي المجاز ومجاز القرآن لأبى عبيدة .
- ترجم مبادىء علم الاصوات . .
- عضو هيئة التدريس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الملك عبدالعزيز - بجدة .

ooo



قراءة لغوية في أدب طه حسين

ذلك هو عنوان محاضرة الليلة للدكتور محمد فتيح ، وقبل أن أقول كلمتى عن المحاضرة والمحاضر ، أتقدم بالشكر الى الأخ الدكتور فتيح لانه ناصر الحق في الاسبوع الماضي . . حين أتيت بكلمة تحاور فى عنوان الندوة عن ادبنا فى آثار الدارسين ، وقال الدكتور محمد عيد الخطراوى ، أنه يجوز حوار وتحاور ، وكان استشهادى بالآية الكريمة من سورة المجادلة ، في قوله الله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع « تحاوركما » .
والدكتور فتيح رجل لغة لاشك فى ذلك ، وعرفناه من خلال تحاوره من هذا المنبر الذى يستقبل الكبار الذين يثرون حركتنا الفكرية ، بمشاركاتهم المتجددة المتصلة في كل موسم من هذه المواسم التى نقدم من خلالها نشاطنا المنبرى . وإذا كانت كلمة ـ حوار صحيحة ، فلا تثريب عليَّ أن استعمل كلمة قرآنة ، لان هذا الكتاب . . اعجز فطاحل وفصحاء العرب البلغاء .

وإذا كانت كلمة ـ حوار ـ صحيحة فلا تثريب عليَّ أن استعمل كلمة قرآنية . لأن هذا الكتاب . . اعجز فطاحل وفصحاء العرب البلاغية .

وقبل أن أقدم ترجمة لمحاضرنا ، لعلى احتاج الى وقفة مع الرائد عميد الأدب العربى ، الذى شغلنى أدبه فكلفت به ، حديثا يذاع . . كانه السحر ، وبيانا يقرأ ، فيه من الطلاوة والحلاوة والجلاء ما فيه ، فيأسرك ، سامعاً وقارئاً ، ويقسرك على أن تتابعه حتى النهاية ، لأنه أوتي من البلاغة وروعة البيان ما يملك عليك نفسك .

وحديث الليلة عن اللغة في أدب طـه حسين ، وفي تصورى أن لهذه اللغة عند الدكتور طه ثلاثة مصادر ، وربما زاد محاضرنا على ذلك ، من خلال دراساته ومتابعاته وتخصصاته . وهذه المصادر الثلاثة هى :

١ ـ القرآن الكريم الذى درسه عند سيدنا في قريته « مغاغة » حيث ولد في الصعيد الاوسط ، وحفظه واحتفل به يوم أتم حفظ الكتاب العزيز .

٢ ـ والمصدر الثانى فى دراسته في الأزهر التى بلغت ست سنوات ، ولعل أقرب الناس إلى نفسه وقلبه سيد بن على المرصفى . وهناك آخرون افاد منهم الدكتور طـه حسين في الأزهر الشريف ، وكان له صاحبان أو رفيقان ، توطدت

بينه وبينهما علاقة الود والإخاء ، هما الاستاذان أحمد حسن الزيات ومحمود زناتى . ووصف مرة الزيات صديقه طــه وهو يتحدث عن ذكائه الخارق ، فقال ما معناه ، كنا نتلقى الدرس ، وكان شيخنا يسائلنا فى اليوم التالى أو بعد ذلك عما قرأنا ، فكنا نلوذ بالصمت ، وكان الوحيد الذى يجيب ما قرأ لايخطىء فى شيء وكأنه يقرأ من كتاب بل إنه يردذ ما تلقينا من درس لايزيد فيه ولا ينقص .

٣ ـ والمصدر الثالث عندى ، هو عكوف الدكتور طــه على قراءة الأدب القديم . قراءة ممعنة عميقة واسعة جامعة .

وقد عرفنا من أحاديث العميد أنه رجل لايريح ولا يستريح ، فهو قد أجهد نفسه ليتقن أدب أمته قبل غيره ، ففرغ له وقتاً طويلاً . ويكفى أن اضرب مثلاً بحديث الاربعاء ، فقد قرب الشعر القديم من الأفهام وذلّله حتى جعله سهلاً سائغاً لاعسر فيه ولاعناء ، وإنما قدمه هيّنا ، أو ألانه ليدرك مراميه القارىء الذى يعشق الأدب والمعرفة ، كان الشعر القديم عسيرا معقدا صعبا على افهام الكثيرين ، ولكن قدرة الدكتور طــه حسين قربته من الناس ويسرت صعبه ، وألانت قناته ، وأصبح سهلاً ، سائغاً محببا إلى القارىء ، وقد كان جافيا له ، معرضا عنه ، نافرا من تعقيد لغته الصعبة المراس ، ولا نجد في العصر الحديث من قرّب هذا الشعر الى القارىء كما صنع عميد الأدب العربى .

بأسلوب جذاب أخاذ ، وعلى الأقل لم يسبقه أحد الى ذلك .

هو إذن عشق لغة أمته حتى بلغ به الوله فى ذلك ، وظل ينافح ويدافع عنها طوال عمره ، أحب هذه اللغة ، وهى كائن حى فملكها ، أو مّلكته نفسها ، وهو حين يتحدثها أو يتحدث بها ، تستمع الى هذه الموسيقا التى تملك عليك نفسك ، سلاسة وقدرة على اعطاء الحروف حقها من مخارجها ، لغة سلسة في غير ابتذال ، وقوية في غير تعقيد ، وعميقة في غير سرف ، وقف جهده عليها فتطوعت له ، إذا سمعته يتحدث تتمنى الا يتوقف ، تستمع اليه كانه جدول رقراق يجرى في جنات يداعبها نسيم رقيق ، من عبق الزهر وطراوة الماء المتحدر من شوامخ الجبال ، فهو برود ونقى وسائغ .

الدكتور طـه هضم أدب أمته القديم فكانت عنده هذه الملكة اللغوية الساحرة ، تفرد باسلوب خاص به ، والذين عابوا عليه التكرار أو ترديد بعض الجمل في تقديم وتأخير ، حرموا الحس الجمالى ، هو في الأدب واللغة ، والالقاء ، وعلوم العربية ، إنه رجل نابغة غاية في الذكاء ، وارجعوا الى كتابه : من حديث الشعر والنثر لتدركوا ذكاءه النادر . ودوام عمله محاضرا وقتا غير قليل ، وعكوفه على تحضير درسه ، اكسبه هذه القدرة على التفرد بلغة طيّعة جذابة ، قوية في سهولة ، وبليغة في يسر .

وأذكر له مرة أنه جاء ليحاضر طلابه ، وحين بدأ وجد نفسه أنه لم يستوعب مايريد ان يوصله الى طلبته ، فقطع الدرس ورجع الى بيته مع سكرتيره ، معلنا له أن لم يستكمل الدرس وقراءة وهضم ما اراد ان يتحدث فيه .
هكذا الشجاعة والرجولة ، وربما بعضنا لاتبلغ به هذه العناية باحترام طلبته ليحترموه ، فيقدم لهم مايتاح له . وتمضى الحال على نحو ما. ولكنها أمانـة فى اعناق من تحملها .

عبقرية طـه ونبوغه هى الرافد الكبير في تميزه ، وكذلك قوة شخصيته وارادته ، ورغم انه صعيدى ، ولعله تهذب وتخلى عن شيء من طبعه حين سافر الى فرنسا ودرس فيها واختلط بالوسط المثقف ، وتزوج من هناك من كان له عونا على نجحه والوقوف معه ، حتى بلغ ما بلغ من المناصب ، والامر يرجع الى قوة شخصيته واستعداده للتعلم والنبوغ ، وكذلك عون الله وتوفيقه ، والاشياء الاخرى كانت عوامل مساعدة ، فهو قد ركب البحر الى فرنسا وليس له سوى عون ربه وارادته وعزمه الذى لايعرف التردد .
يأنا أخشى اذا مضيت في هذا الحديث أن أفسد عليكم الاستمتاع بمحاضرة الدكتور محمد فتيح ، ولابد أن أحد من جماحى وأنا أتحدث عن الرائد الدكتور طـه حسين ، ونحن نعنى باللغة فى أدبه ، فهى لغة فريدة ، وان كانت اللغة

العربية القديمة الجديدة ، وهـذه القراءة فى استعمالاتها ومواءمة الالفاظ بعضها الى بعض . . في هـذا التناسق العجيب الفريد . ولغة طــه حسين هى التى حببت اليَّ قراءة الأدب والشعر القديم .

وحسبى أن اتوقف عند هذا الحد . وربما اتيح لي أن أقول كلمة بعد أن يفضل الدكتور فتيح بالقاء محاضرته ، لألملم فيها شتات بعض الأمـور عن الأستاذ العميـد ، ولعل المحاضرة كذلك تغنينى عن التعقب أو الوقوف ثانية لأقول كلمة . والمحاضرة سوف تتناول أو تقتصر عن اللغة في أدب الدكتور طـه ، والهوامش التى ستقال ستكون حول هذا المنحى ، تحاورا ومساءلة وتعقباً . خلال دقائق معدودة ، لان الشكوى عامة من التأخير ، ولا ذنب لنا في ذلك ، ونحن مقتنعون أن التحاور يثرى البحث ويضيف اليه ، ولكنه ينبغى ان يكون محدودا زمنا ومتكلمين وموضوعية ، هذا الاساس ينبغى الالتزام به بداية ونهاية ، واليوم وغدا ، وأمس ان صح العـودة لــلأمس ، لنكـون ملتزمــين ومنضبطين . لان ذلك شرط في لغة ومنطق التحاور .

عبدالفتاح أبو مدين

○

نحمد الله ونشكره ونستعينه ونستغفره ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وبعد فلا يسعني باديء ذي بدء الا أن أقدم شكري لسعادة الدكتور عبدالله المعطاني رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبدالعزيز على ثقته في وتقديمي إلى سعادة الأستاذ عبدالفتاح أبي مدين رئيس النادي الأدبي الثقافي بجدة الذي وثق مشكوراً في ثقة الرجل فأتاح لي فرصة اعتلاء هذا المنبر الثقافي المتميز الذي اعتلاه من قبلي أساتذة فضلاء لهم قدم راسخة في مجال تخصصهم .

أسأل المولى الكريم أن أكون عند حسن ظن الجميع وأن يوفقني فيما أنا مقبل عليه .

أيها السادة الموقرون ان موضوع محاضرتي « قراءة لغوية في أدب طه حسين » ، هي قراءة بالذات في كتابه « مع أبي العلاء في سجنه » (دار المعارف ، الطبعة الثالثة عشرة) ، بل قراءة لتركيب واحد من التراكيب المتنوعة التي تضمنها ، وهو التركيب الاسمي أحد تراكيب العربية الأكثر شيوعاً وترددا .

وقد بنيت هذه المحاضرة على بحث أعمل على نشره ان شاء الله يتكون من مقدمة تتلوها مجموعة من القضايا .

فأما المقدمة فتشتمل على مايلي :

١ ـ دوافع البحث .

٢ ـ الاسم والتركيب الاسمي .

٣ ـ الموقع ، العلاقة النحوية ، العنصر التركيبي .

٤ ـ أدوات التحليل .

وأما القضايا فهي :

١ ـ بنية التراكيب الاسمية .

وسوف تعالج تحتها الأنواع التالية :

أ ـ التركيب الاسمي الوصفي .

ب ـ تركيب الموصول الاسمي .

جـ ـ تركيب المصدر الصريح .

د ـ تركيب المصدر المؤول .

هـ ـ تركيب الإشارة .

و ـ التركيب السوري .

ز ـ تركيب العطف .

حـ ـ تراكيب أخرى :

تركيب البدل ، تركيب التوكيد ، تركيب العدد التقريبي .

٢ ـ المواقع الإعرابية للتراكيب الاسمية .

٣ ـ رتبة المواقع الإعرابية للتراكيب الاسمية .

ـ التراكيب الاسمية بين البساطة والتعقد .

٥ ـ ظواهر أسلوبية .

٦ ـ تحليل إحصائي .

لكنه لضيق الوقت وغزارة المادة اللغوية وتشعب صور تحليلها لن نتمكن من معالجة هذه الأمور جمعاء ، بل سنكتفي بمعالجة جزئيات المقدمة وبنية التركيب الاسمي الوصفي كنموذج لما سوف نفعله بالنسبة لبنى التراكيب الأخرى .

كذلك سوف تعالج القضية الثانية « المواقع الأعرابية للتراكيب الاسمية » ، لكننا سوف نعالجها في إطار المادة اللغوية الخاصة بالتركيب الاسمي الوصفي .

وأما القضية الأخيرة التي سوف نعالجها فهي القضية الرابعة « التراكيب الاسمية بين البساطة والتعقد » ، وسوف نعالجها في إطار المادة اللغوية جميعها .

ooo



١ ـ مقدمـــة :

١ ـ دوافع البحث :

يمكنني أن أقول إن إبداعية الحركة التأليفية اللغوية المعاصرة لما تتحقق بعد .

وسوف أركز هنا على بيان الأسباب الخاصة بفقدان هذه الحركة في مجال التأليف النحوي خاصة لأنه يتصل كثيراً بموضوع محاضرتنا .

وترجع هذه الأسباب في رأيي إلى مايلي :

أولاً : أن التأليف النحوي المعاصر لايزال واقعاً في إسار النحو التراثي يدور في فلكه ويتحرك في إطاره .

فهو في أحسن صوره محقق لهذا التراث اللغوي الضخم أو معالج لبعض قضاياه معالجة لغوية جادة ، وهو في أسوء صورة يلخص هذا التراث ويعيد صياغته بلغـة عصرية يستبدل فيها خالد بزيد وعلي بعمرو .

ولعل كل واحد منا يحاول أن يتذكر هنا عناوين بعض المؤلفات النحوية المتصلة بهذا المجال : فهي تستخدم ألفاظ التنقيح والتهذيب والإيضاح والكفاية والتصفية .. الخ .

ومن العجيب أن القدماء كانوا أكثر إبداعية منا ومحاولة للتخلص من إسار السابق . فقد ظلت تظهر من وقت لآخر أعمال تشعب البحث اللغوي وتجدده : فظهرت إلى جانب البحوث النحوية البحوث المعجمية العامة والخاصة وبحوث

الدلالة والبلاغة التي فتحت بحق بعداً جديداً للبحث اللغوي . كما حرص النحاة على أن يغيروا من صور التسلسل الذى اتخذته قواعد النحو ومسائله . فإلى جانب أقدم صور هذا التسلسل وهي الصورة المتبدية في كتاب سيبويه ـ ظهرت صور وأنساق أخر ، نذكر منها على سبيل المثال هذا الذي تمثل في المؤلفات التالية .

١ ـ « كتاب الجمل في النحو » تصنيف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي المتوفي سنة ٣٤٠هـ .

٢ ـ « المفصل في علم العربية » لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨هـ .

٣ ـ « شذور الذهب في معرفة كلام العرب » لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفي سنة ٧٦١هـ .

ولعلنا نذكر بهذا الصدد لونا آخر من الفكر الإبداعي للنحاة العرب خرجوا به عن المعالجة الكلية لمسائل النحو وقضاياه ، فقد ركزت بعض حركات التأليف النحوي على المعالجة الراسية لبعض الظواهر النحوية نذكر منها :

١ ـ « الحروف » للأمام أبي الحسن المزني .

٢ ـ « ما ينصرف وما لا ينصرف » لأبي اسحق الزجاج المتوفي سنة ٣١١هـ .

٣ ـ « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » ، لابن هشام الأنصاري .

حقا لما تحاول كتب التأليف النحوي المعاصرة أن تتخلص من إسار الطريقة والتسلسل الخاص المتبع في المعالجة النحوية لمسائل النحو وقضاياه . فهي لاتزال تتبع ـ في هذا التسلسل ـ طريقة الألفية .

ومع ذلك تظهر بارقة هنا وبارقة هناك ، ومنها هذا الذي عثرت عليه بالصدفة المحضة في « جامع الدروس العربية » للأستاذ مصطفى الغلاييني ، وهو مؤلف جيد من ثلاثة أجزاء طبع أربع عشرة مرة ولا غرو . ففي هذا المؤلف خرج الرجل على النسق السائد ـ نسق الألفية ـ واستخدم مصطلحات جديدة أعجبني منها ماذكره تحت عنوان « المركبات » أي التراكيب ، لأنه أشبه في جانب منه بما سوف نستخدمه في معالجة بنى التراكيب الاسمية وتحديد أسمائها ومصطلحاتها .

فالمركبات عنده خمسة :

١ ـ المركب الإسنادي ويسميه جملة أيضا نحو « زيد مجتهد » و« يفلح المجتهد » .

٢ ـ المركب الإضافي وهو : ماركب من المضاف والمضاف إليه مثل : كتاب التلميذ .

٣ ـ المركب البياني وهو كل كلمتين كانت ثانيتهما موضحة معنى الأولى وهو ثلاثة أقسام :

أ ـ مركب وصفي ، وهو : ماتألف من المؤكد والمؤكد نحو : « القوم كلهم » في « جاء القوم كلهم » .

جـ ـ مركب بدلي ، وهو : ماتألف من البدل والمبدل منه نحو : « خليل أخوك » في « جاء خليل أخوك » .

٤ ـ المركب العطفي ، وهو : ماتألف من المعطوف والمعطوف عليه بتوسط عاطف بينهما ، نحو : « خالد وعمر » في « جاء خالد وعمر » .

٥ ـ المركب المزجي ، نحو : « سيبويه » ، و« حضرموت » .

ثانيا : السبب الثاني للقول بأن إبداعية التأليف النحوي المعاصر . كمثال للتأليف اللغوي ، لما تتحقق بعد ـ يتمثل في تجاهل حركات التأليف للنصوص وتجنب الاقتراب منها لمحاولة استخلاص مايسمى بنحو النص ومعرفة تلك الوسائل اللغوية التي تستخدمها العربية لربط الجمل بعضها ببعض لصياغة الفقرات ، والفقرات بعضها ببعض لبناء النص . فلا يزال هذا التأليف النحوي منشغلاً بما انشغل به القدماء ، وهو نحو الجملة .

ثالثاً : إن حركة التأليف النحوي المرتبط بالتراث اللغوي الغربي المعاصر واقعة أيضا في إسار هذا التراث ، فهي تؤلف وكأنها تترجم ، كما أن المصطلحات لما تستقر لديها بعد : إنها متنوعة متعارضة غير واضحة ، لأنها تناقض ما استقر عليه العرف ولا تحاول الإفادة منه .

ولكي تتحقق للبحث النحوي المعاصر إبداعيته ، ولكي يصبح إضافة حقه لابد من أن يجعل هذا البحث همه أمورا ثلاثة :

١ ـ أن يصوغ النظرية النحوية التراثية بمفهومها الواسع

لتتحدد فيه أدوار الأصوات والصرف والتركيب والدلالة والأسلوب ، وتتحد صور ارتباط بعضها ببعض .

وهنا من غير المسموح به إقحام مصطلحات أو فرض منطلقات على النحو العربي ، بل المسموح به أن تتم الصياغة في ضوء معطيات النحاة أنفسهم ، وأن يتم فيها بعدُ التقويم طبقاً لما اتفق عليه من معايير التقويم النحوي المعروفة : بساطة النحو وعموميته وتماسكه .

٢ ـ أن يقترب من المادة اللغوية ذاتها التي استخلص منها النحاة نحوهم ومسائله العديدة ، وذلك بمنهج جديد يرتضيه ويقدم لنا مايمكن أن يتولد من صورة نحوية ، مع تقويمها بنفس الطريقة التي في (١) .

٣ ـ أن يقترب من النصوص اللغوية في عصورها المختلفة ليبين لنا صورة اللغة في حالة عمل وصراع كتابها مع قواعدها محاولة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم .

وهنا يمكن أن تتكشف وجوه النقص في التأليف النحوي القديم ، كما تتبدى صور التراكيب في بيئتها الصحيحة وبأحجامها الطبيعية ، لافي بيئتها الاصطناعية : بيئة الكتب النحوية ، ولا بصورها المبسطة جداً لإنجاح العملية التدريسية .

وفي اطار هذا الهم الأخير تقع محاولتي لمعالجة التراكيب الاسمية في كتاب طه حسين السالف الذكر ـ معالجة بنيوية أسلوبية .

وسوف يذكر في القسم الأخير الطريقة التي جمعت بها المادة اللغوية للتحليل مع محاولة تقديم دراسة إحصائية لها وقراءة ماتدل عليه وتسجيله .

١ ـ ٢ الاسم والتركيب الاسمي :

سوف نحتاج في هذا البحث إلى الاحتكام إلى كتب النحو العربي التراثي والرجوع اليها من وقت لآخر ، والكتاب الذي سوف يؤدي هذا الدور هو « أوضح المسالك » لابن هشام .

فطبقا لما جاء في هذا الكتاب يعد مايلي من قبيل الأسماء :

١ ـ قبل وبعد .
٢ ـ فوق وتحت .
٣ ـ لدن ومع .
٤ ـ إذا وإذ وحيث .
٥ ـ كلا وكلتا .
٦ ـ قصارى وسوى ولبيك وسعديك وحنانيك ووحدك .
٧ ـ أولى وأولات وذو وذات .
٨ ـ غير .
٩ ـ الضمائر المتصلة .
١٠ ـ أدوات الشرط عدا إن وإذما .
١١ ـ أدوات الاستفهام عدا الهمزة وهل .
١٢ ـ الأسماء الموصولة .

١٣ ـ أسماء الإشارة .
١٤ ـ أسماء الأفعال .

والتأمل في السلوك التركيبي لمجموعة الكلمات هذه بعضها بالنسبة لبعض ، أو بالنسبة إلى الوظائف التركيبية التي تقوم بها أسماء كرجل وطالب وصديق ـ يجد أنها لاتمثل جنساً تركيبيًّا طبيعيًّا ، فهي غير متجانسة تركيبيًّا ، كما أنها لاتشغل ما تشغله هذه الأسماء من المواقع الإعرابية التالية :

١ ـ موقع المسند إليه : الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ .
٢ ـ موقع المسند : المبتدأ وخبر الناسخ .
٣ ـ موقع المنعوت .
٤ ـ موقع المضاف والمضاف اليه..
٥ ـ موقع المفعول به .
٦ ـ موقع المنادى .
٧ ـ مصحوب « أل » المعرفة .

ولقد أدرك ابن هشام هذا التنافر بنفسه صراحة أو ضمنا ، فقد قام بتقسيم هذه الأسماء عنده تقسيماً فرعيًّا حتى تصح مقولاته النحوية . فبالنظر إلى الإضافة مثلا قسم الأسماء إلى مايلي :

أ ـ الأسماء التي تصلح للإضافة والإفراد أي عدمها نحو : غلام وثوب .

ب ـ الأسماء التي تمتنع إضافتها كالمضمرات والإشارات

وكغير « أي » من الموصولات وأسماء الشرط والاستفهام .

جـ ـ الأسماء التي تجب إضافتها وهي أنواع وأقسام عدة ، اقتضت تقسيماً فرعيًا آخر ، ليس مجال ذكره هنا .

ولكي نتجنب مبدأ التقسيم الفرعي طالما أن ذلك ممكن ، ولكي نخلق جنساً نحويًا تركيبيًا يحقق الاختصار والبساطة والعمومية المقصودات من تأسيس الأجناس النحوية . ولأن تعريف التراكيب الأسمية سوف نبينه على تعريف الأسماء ـ فاننا نعرف الأسماء تركيبيًا على النحو التالي :

الأسماء ما تشغل موقع المنعوت في التركيب الاسمي الوصفي أي تركيب المنعوت ونعته ، وهي أيضا ما يشغل موقع المضاف في تركيب الإضافة الحقيقية .

ويتركنا هذا التعريف مع الكلمات التالية كأسماء .

١ ـ النكرات والمعرفات بأل فهما يقعان في كلا الموقعين .

٢ ـ الأعلام فهي تقع في الموقع الأول دونما قيد ، وفي الموقع الثاني إذا ما قصد تنكيرها .

كما يخرج التعريف ذاته من باب الاسمية ماعدا هذين النوعين السابقين ، وعلى المتشكك أن يمتحن ذلك بنفسه .

وأما التراكيب الاسمية فهي تلك التي يمكن أن يستبدل بها في مواقعها ـ دونما إخلال بقواعد التركيب العربي ـ أسماء صريحة .

وينطبق هذا على أنماط التراكيب التالية :

١ ـ المصدر الصريح نحو :

يسرني احترامك عليا ←—— يسرني الشرف .

٢ ـ المصدر المؤول نحو :

يسعدني أن تنجح ←—— يسعدني الفوز .

٣ ـ تركيب الاضافة نحو :

هو صديق الطفولة ←—— هو صديق .

٤ ـ التركيب السوري نحو :

جاء كل طالب ←—— جاء طالب .

٥ ـ تركيب الإشارة نحو :

نجح هذا الطالب ←—— نجح الطالب .

٦ ـ تركيب العطف نحو :

جاء الوالد والوالدة ←—— جاء الوالدان .

٧ ـ تركيب البدل نحو :

جاء الصديق عمر ←—— جاء الأستاذ .

٨ ـ تركيب التوكيد نحو :

نجح الطلاب كلهم ←—— نجح الطالب .

٩ ـ تركيب العدد التقريبي نحو :

أخذت نحو خمسين صفحة ← أخذت صفحتين .

١٠ ـ تركيب الموصول الأسمي نحو :

جاء الذي يؤدي واجبه ←—— جاء حسام .

١١ ـ التركيب الاسمي الوصفي نحو :

جاء الصديق المجد ←—— جاء خالد .

وليس هناك من ضعف يوجه إلى هذا التعريف إلا مايرى من إمكان استبدال الاسم بالتركيب الوصفي ، أي التركيب القادر على أن يشغل موقع النعت في التركيب الاسمي الوصفي ، كتركيب الإضافة اللفظية نحو : الرائع العبارة ، وتركيب اسم الفاعل نحو : مستقيماً خلقه ، مثلا ، على نحو مانرى في المثالين التاليين .

١ ـ جاء الرائع العبارة ←── جاء الكاتب .

٢ ـ أكرمت مستقيماً خلقه ←── أكرمت رجلا .

والاجابة عن هذه الإشكالية أن يتصور أن هناك حذفاً في الوصفين السابقين : فالرائع العبارة أصلها « الكاتب الرائع العبارة » و « مستقيماً خلقه » أصلها « رجلا مستقيما خلقه » .

وحينئذ يصبح الاستبدال استبدالا بين اسمين صريحين وتركيبين اسميين هما تركيبان اسميان وصفيان .

١ ـ ٣ الموقع ، العلاقة النحوية ، العنصر التركيبي :

تتحدد بنية أي تركيب اسمي بتحديد المواقع التي يتضمنها وتحديد العناصر التركيبية التي تشغل هذه المواقع وصور التعبير اللغوي عنها .

كما تتحدد باكتشاف نوع العلاقة بين صور التعبير اللغوي بعضها مع بعض في المستوى الأفقي ، وتصوير دلالة العلاقة بينها وبين غيرها من صور التعبير الممكنة لغويا في المستوى الرأسي .

ولكي نفهم ذلك يمكننا أن نتأمل بإيجاز في بنية التركيب الاسمي الوصفي وفي الأمثلة التالية الممثلة لها :

١ ـ شيء من التواضع والاعتدال في الرأي والسيرة .

٢ ـ كلام ينطلق به اللسان .

٣ ـ سجنان آخران .

٤ ـ السفر الطويل .

٥ ـ عصر مهما تفسد فيه الحياة فقد كان فيه استقرار ما للعرف الخلقي والاجتماعي .

٦ ـ الجسم الذي أكرهت النفس على أن تستقر فيه .

٧ ـ حياته القوية .

٨ ـ سجنه الفلسفي .

٩ ـ كآبة وشحوب لاتستريح اليهما النفس .

فالتركيب الاسمي الوصفي يتكون من موقعين يشغل أحدهما عنصرا تركيبيا يسمى المنعوت ويشغل الآخر عنصرا تركيبا ثانيا يسمى النعت ، ولا بد أن يسبق أول العنصرين ثانيهما .

وتسمى العلاقة بين هذين العنصرين العلاقة الوصفية ، وهي علاقة نحوية تركيبية أفقية لها دور في تحديد المعنى النهائي للتركيب .

ومن الصور الممكنة للتعبير اللغوي عن العنصر الأول ـ المنعوت ـ الاسم الفرد نكرة أو محلي بأل نحو : شيء وكلام وسجنان والسفر وعصر والجسم في (١ ـ ٦) ، ومن صور

التعبير أيضا تركيب الإضافة نحو حياته وسجنه (٧ ـ ٨) وتركيب العطف نحو « كآبة وشحوب » في (٩) .

وأما صور التعبير اللغوي عن عنصر النعت فقد تكون جاراً ومجروراً نحو « من التواضع والاعتدال في الرأي والسيرة » في (١) . أو جملة نحو « ينطلق به اللسان » في (٢) و« مهما تفسد فيه الحياة فقد كان فيه استقرار ما للعرف الخلقي والاجتماعي » في (٥) ، و« لاتستريح إليهما النفس » في (٩) .

كما قد تكون اسما موصولا نحو « الذي أكرهت النفس على أن تستقر فيه » في (٦) ، أو وصفاً فرداً نحو اسم التفضيل « آخران » في (٣) ، والصفتين المشبهتين : « الطويل » و« القوية » في (٤) و(٧) ، أو اسماً منسوباً نحو « الفلسفي » في (٨) .

وتمثل مجموعة الصور التعبيرية الممكنة في موقع ما نظاماً خاصاً بالعنصر التركيبي الذي يشغل هذا الموقع . ومعنى هذا أنه لدينا بالنظر إلى التركيب الاسمى الوصفي نظامان : نظام المنعوت ونظام النعت .

وتسمى علاقة رأسية تلك الواقعة بين صورة من صور التعبير اللغوي في موقع ما وغيرها من الصور الممكنة في الموقع ذاته ، التي يمدنا بها نحو اللغة . غير أن صورة التبادل هذه محكومة بما يشغل الموقع الآخر من صور التعبير اللغوي ، كما يؤكد دي سوسير نفسه .

فمن غير الممكن استبدال وصف معرفة بوصف نكرة لأنه سوف يترتب عليه خرق قواعد المطابقة في اللغة ،كما نرى من نتيجة استبدال « الطويل » بطويل في « سفر طويل » فـ « سفر الطويل » تركيب غير صحيح لأنه يضاد قـواعد المطابقة بين المنعوت ونعته في التعريف والتنكير .

١ـ٤ أدوات التحليل :

يتحكم في أدوات البحث المنهج الذي يستخدمه الباحث في تحليل قضايا بحثه ومسائله . والمنهج الذي سوف نستخدمه هنا هو المنهج التحويلي التوليدي . وسوف يفرض علينا هذا المنهج استخداماً لجملة من المصطلحات والوسائل التحليلية غير المعهودة في التفكير النحوي التقليدي . وكما كان نحاة العرب أحراراً في اختيار أدوات بحثهم وتحديد منطلقاتهم فليس عجيباً أن يكون لنا نحن المحدثين وسائل تحليلنا الخاصة ومنطلقاتنا المميزة .

فالمصطلحات التي سيضطرنا المنهج إلى اتخاذها سبق الإشارة إلى بعضها حين الحديث عن أنمـاط التراكيب الاسمية ، وستأتي الإشارة إلى بعضها الآخر . ولكن ينبغي أن نذكرها هنا أن المصطلحات الخاصة بأنماط التركيب لها نظير في الفكر النحوي العربي ولكن آثرنا استبدال غيرها بها رغبة في استخدام مصطلح « التركيب » وتحقيقاً للاختصار أحياناً .

فالتركيب الاسمي الوصفي يناظر **المنعوت والنعت** وتركيب الموصول الاسمي يساوي **الاسم الموصول وصلته** وتركيب المصدر الصريح يساوي **المصدر الصريح** وتركيب المصدر المؤول يعني **المصدر المؤول** وتركيب الإضافة يناظر **المضاف والمضاف إليه** وتركيب الإشارة يساوي اسم **الإشارة والمشار إليه** ، والتركيب السوري يساوي لفظ كل وأمثاله وما يضاف إليه أو يقع بعده من جار ومجرور وتركيب العطف يطابق **المعطوف عليه والمعطوف** وتركيب البدل يساوي **المبدل منه والبدل** وتركيب التوكيد يناظر **المؤكد والمؤكد** وتركيب العدد التقريبي يساوي « نحو » و« قرابة » وما تضاف اليه من أعداد .

وأما الوسائل التحليلية فأبرزها وسيلتان :

١ ـ مايعرف في المدرسة التحويلية التوليدية باسم قوانين التقسيم Categorial rules أو قوانين التفريغ branching rules أو قوانين إعادة لكتابة re – writing rules .

وهذه الوسيلة هامة ومفيدة جداً في إبراز الطريقة التي تتولد بها الجمل والتراكيب . وكشف القوانين المتحكمة في ذلك . كما أنها مفيدة أيضا في إبراز النظام الطبقي للجمل والتراكيب ، أي كيف أنهما لايتكونان من سلاسل متلاحقة Linear من الكلمات وإنما من سلاسل وطبقات متداخلة على نحو ماستحدده الوسيلة الثانية : « محدد التقسيم العبارى » phrase marker .

وتشبه تلك الوسيلة في جانب وتختلف في جانب آخر عما يعرف في تراثنا النحوي التقليدي باسم « الإعراب » : فهي تشبه الإعراب في بيان مواقع الكلمات ، لكنها تختلف عنه في أمرين :

١ ـ انها خلافاً للإعراب لاتحدد الحركة الإعرابية .

٢ ـ أنها هي فقط التي تحدد النظام الطبقي للجملة ، وذلك ببيان موقع التراكيب أفقيًا بالنظر إلى غيرها ، وكشف مكوناتها داخليًا بالاعتماد على العلاقات الرأسية المتصورة . فنحن في إعرابنا لـ « حياته هذه القوية » مثلا في قولنا « منح حياته هذه القوية » نقول : ان « حياة » مفعول به وضمير الغائب مضاف اليه ، و« هذه » نعت لحياة و« القوية » نعت آخر ، فلا نبين صراحة بإعرابنا هذا أن حياته هذه القوية تمثل طبقة تشغل موقع المفعول به وتتكون داخليًا من منعوت ونعت ، وأن « حياته » تمثل طبقة داخلية تتكون من مضاف إليه ومضاف ، وأن هذه القوية تقع في المستوى الطبقي نفسه مناظرة لحياته .

ومن الأمثلة التوضيحية لقوانين التقسيم هذه مجموعة القوانين التالية ، وهي مسئولة عن توليد التركيب الاسمي التالي ، وهو أحد تراكيب المادة اللغوية المدروسة « (وإنما فرض علي نفسه) سجنين آخرين » ص ٣٣ .

تركيب اسمي وصفي ← تركيب اسمي تركيب وصفي .
تركيب اسمي ← اسم .

تركيب وصفي ←──── اسم تفضيل .

ومثال ثان هذه القوانين المسئولة عن توليد تركيب اسمي آخر من تراكيب المادة المدروسة أيضا هو « (وإذن لم منح هذا السجين) حياته هذه القوية العنيفة التي تستتبع الحس والحركة والإرادة والتفكير وتستتبع بحكم ذلك الألم والبؤس والشقاء والحرمان الذي هو أصل الشقاء كله » ص ٤١ .

تركيب اسمي وصفي ←── تركيب اضافة ـ تركيب وصفي .

تركيب اضافة ←──── اسم ضمير متصل .

تركيب وصفي ←──── اسم اشارة وصف وصف

تركيب اسم موصول ←──── اسم موصول ──── صلة .

صلة ←──── تركيب عطف .

تركيب عطف ←──── جملة ١ عاطف جملة ٢ .

جملة ١ ←──── تركيب فعلي ── ضمير مستتر .

تركيب فعلي ←──── فعل ── تركيب عطف .

تركيب عطف ←──── تركيب اسمي ١ عاطف
تركيب اسمى ٢ عاطف
تركيب اسمى ٣ عاطف
تركيب اسمى ٤ .

تركيب اسمى ١ ـ ٤ ←──── أداة تعريف اسم .

جملة ٢ ←──── تركيب فعلي ظرف سببي ضمير مستتر .

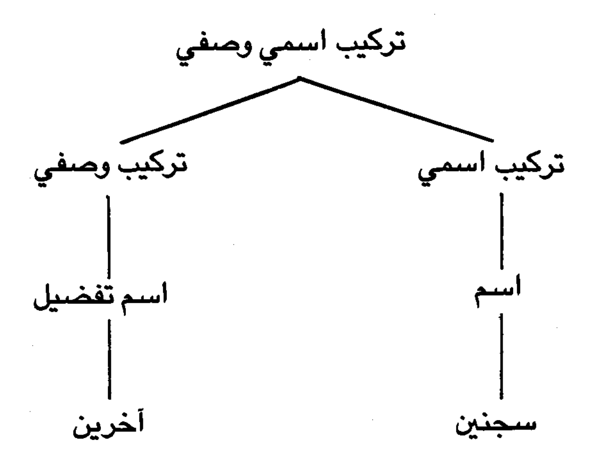
تركيب فعلي ←──── فعل تركيب عطف .

تركيب عطف ←تركيب اسمي ١ عاطف تركيب اسمي ٢
عاطف تركيب اسمي ٣ عاطف
تركيب اسمي وصفي .
تركيب اسمي ١ ـ ٣ ←أداة تعريف اسم .
تركيب اسمي وصفي ـ تركيب اسمي تركيب اسم موصول
تركيب اسمي ← أداة تعريف اسم
تركيب اسم موصول ـ اسم موصول صلة .
صلة ← جملة .
جملة ← ضمير تركيب توكيد .
تركيب توكيد ← تركيب إضافة مؤكد .
تركيب اضافة ← اسم تركيب اسمي .
تركيب اسمي ← أداة تعريف اسم .
ظرف سببي ← جار ومجرور .
جار ومجرور ← جار تركيب إضافة .
تركيب اضافة ← اسم تركيب إشارة .
تركيب اشارة ← اسم إشارة .

٢ ـ الوسيلة الثانية من الوسائل التحليلية المستعارة من النحو التحويلي التوليدي هي ما يعرف في هذا النحو باسم محدد التقسيم العباري phrase marker أو الشجرى tree diagram .

وهي وسيلة حسية نافعة جداً للإبراز المادي لطبقية الجملة أو التركيب اللغوي . فبمجرد النظرة العابرة أو المتأملة قليلا في الرسم الشجري تتضح فكرة طبقية الجملة ،

كما يتضح تداخل هذه الطبقات . وسـوف تعيننا هـذه الطريقة في قياس مدى تعقد التركيب أو بساطته ، فالرسـم الشجري المناظر لمجموعة القوانين الأولى ـ وهي مولـدة لتركيب اسمي بسيط ـ هو كما يلي :



ملاحظة :

تسمى نهايات الرسم الشجري المحتوية عـلى المادة المعجمية باسم المسلسل النهائي terminal string .

وأما ذاك الرسم الشجري المناظر لمجموعة القوانـين الثانية ـ وهي مسئولة عن توليد تركيب اسمي معقد ـ فهو على النحو التالي :

تركيب اسمي وصفي

تركيب اضافة — تركيب وصفي

اسم — ضمير متصل

اسم اشارة — صفة مشبهة — صفة مشبهة — تركيب موصول اسمي

اسم موصول — صلة

تركيب عطف

جملة ١ — عاطف — جملة ٢

تركيب فعلي — ضمير مستتر

فعل — تركيب عطف

تركيب فعلي — ظرف سببي — ضمير مستتر

فعل — تركيب عطف

حياتـــــــــه

هذه القوية العنيفة التي

تستتبع الحس والحركة والارادة والتفكير

تستتبع الالم والبؤس . . . . واصل الشقاء كله

بحكم ذلك

ملاحظة :

يعني المثلث هنا أن مايقع تحته يمكن أن يحلل بنفس الطريقة لتأكيد نفس الهدف ، وهو أن التركيب (أو الجملة) مجموعة طبقات متداخلة وليست مسلسل كلمات متلاحقة .

وغني عن القول التصريح بما يبرزه هذا الشكل حسيا من طبقات التركيب الاسمي الوصفي فتركيب الإضافة والتركيب الوصفي يقعان في مستوى طبقي واحد ، وكذلك يقع الاسم والضمير المتصل واسم الإشارة والصفتان المشبهتان وتركيب الموصول الاسمي . وأما الاسم الموصول وصلته فيقعان في طبقة واحدة مغايرة ، وإن كانت الصلة تعلو طبقة تعلو بدورها طبقة أخرى هي طبقة التركيب العطفي ، وهكذا .

٢ ـ بنية التركيب الاسمي الوصفي :

تكشف البنية التركيبية للتركيب الاسمي الوصفي ، كما تعكسها المادة اللغوية المدروسة عن تعقد هذه البنية وأهميتها ، فهي ترتبط بكثير من الظواهر الأسلوبية ، بل النحوية التركيبية أيضا ، التي أهملها النحو العربي التقليدي والتي تهم كثيرا المشتغلين بالكتابة ، والمشتغلين بتعليم العربية لغير الناطقين بها .

ولا يصح التعلل بالقول بأن هذه الظواهر تنبني وتنغرز في سليقة المتكلم القومي من خلال تعرضه للمواقف اللغوية

المتنوعة قراءة واستماعاً لأنه ـ حتى إن صح ذلك بالنسبة لهذا المتكلم فليس بصحيح بالنسبة للمتعلم الأجنبي المحروم من مثل هذه المواقف والذي لن تسعفه الكتب التقليدية بتلبية طلبه بحثاً عن وسيلة ما لبناء تراكيبه الاسمية الوصفية .

والواقع أنه يجب أن تجد القواعد المتصلة بالظواهر المذكورة طريقها إلى الكتاب الجامعي الخاص بالمتعلمين العرب أنفسهم ، لأن التعويل على اللا شعور والبناء الذاتي للسليقة اللغوية كثيراً ما يخون : يدرك ذلك من يمارسون الكتابة ومن استوقف قلمهم كثيراً العجز عن صياغة تركيب ما لأن الرصيد النحوي والأسلوبي الخاص به لم يكن في بؤرة شعورهم .

لقد تنوعت صور الوصف التي استخدمها طه حسين لشغل مواقع النعت في تراكيبه الاسمية الوصفية ، كما تنوعت صور التعبير اللغوي التي استخدمها لملء مواقع المنعوت أيضا .

ففيما يتعلق بالأمر الأول وصف الرجل بأسماء التفضيل والصفات المشبهة وأسماء الفاعلين والمفعولين كما وصف بعناصر الوصف الأخرى غير المركبة التي يشار اليها في النحو العربي التقليدي على أنها مؤولة بالمشتق فقد وصف بالأسماء المنسوبة وأسماء الإشارة ، ووصف أيضا بغير ذلك من عناصر الوصف ، وهي العناصر المركبة كالجار

والمجرور وتركيب الموصول والجملة وتركيب العطف ، وتركيب غير .

وصف بكل ذلك وحده أو مجتمعاً مع غيره على النحو الذي سوف توضحه الأمثلة وقوانين التقسيم الخاصة بالتركيب الاسمي الوصفي .

وأما تعدد صور التعبير اللغوي عن المنعوت فقد تمثلت فيما نراه من وصفه الأسماء غير المركبة ، نكرات أو معارف مقرونة بأل ، ووصفه للتراكيب الاسمية : كتركيب الاضافة وتركيب العطف وبعض التراكيب المكونة من اسم متلو بجار ومجرور نحو « نوع من مسائل الرياضة » و« نحو من حديث النفس » ، وما يشبه ذلك من التراكيب التي يمكن ان يطلق عليها اسم « الجمع الاطنابي » نحو « الوان من الوعظ » فهي جمع اطنابي للوعظ الذي لايجمع ، أي بديل لـ « وعوظ » . وذلك ان المصدر لايجمع الا إذا دل على تنوع : تذكر مثلا مايلي :

ضرب : والوان من الضرب .

عذاب : وصنوف من العذاب .

تنكيل : وضروب من التنكيل .

وتذكر كذلك : تأملات اتجاهات ، احتياطات تساؤلات .

ويمكن أن يعبر عن كل ما سبق بقوانين التقسيم التالية ، فهى مسئولة عن تحديد بنية التركيب الاسمي الوصفى وبيان مواقعه وصور التعبير اللغوي التى تملؤها :

١ ـ تركيب اسمى وصفي ←—— تركيب اسمى   تركيب وصفى

٢ ـ تركيب اسمى ←——
- اسم
- ال   اسم
- تركيب عطف
- تركيب اضافة
- اسم   جار ومجرور

ويقرأ هكذا : التركيب الاسمى الشاغل للموقع الأول فى التركيب الاسمي الوصفى يمكن أن يعبر عنه لغويا بنكرة (= اسم) أو باسم محلى بأل أو بتركيب عطف أو بتركيب اضافة أو بتركيب اسمي آخر يتكون من اسم وجار ومجرور .

تركيب وصفي ←

جملة		
تركيب عطف		
اسم فاعل		
جار ومجرور		
اسم منسوب		
اسم مفعول		تركيب موصول
اسم تفضيل		تركيب غير
جملة		جملة
جار ومجرور		تركيب عطف
اسم تفضيل		
اسم منسوب		تركيب عطف
تركيب موصول		
جملة		جملة استدراك
اسم تفضيل		تركيب موصول
اسم اشارة	صفة مشبهة صفة مشبهة	تركيب موصول
اسم منسوب		اسم اشارة
اسم منسوب	اسم اشارة	تركيب موصول
اسم تفضيل		جملة
اسم تفضيل		تركيب عطف
صفة مشبهة	صفة مشبهة	تركيب عطف
تركيب تفضيل		تركيب عطف

ويقرأ هذا القانون كما قرىء سابقه : التركيب الوصفي الذى يشغل الموقع الثانى من التركيب الاسمي الوصفى أى موقع المنعوت ـ يمكن أن يعبر عنه لغويا بامكانة من الامكانات الواحدة والعشرين الموجودة بين الاقواس الحاصرة . فيمكن أن يكون جملة أو تركيب عطف أو اسم فاعل أو جارا ومجرورا أو اسما منسوبا أو اسم مفعول متلوا بتركيب موصول وهكذا .

وسوف نذكر فيما يلى قائمة بأمثلة التراكيب الاسمية المعبرة عن الامكانات التى تسمح بها القوانين السابقة ، كما سوف نكتب المنعوت بالخط الثقيل ، وهو مايعنى ان مابقى من التركيب يمثل التعبير اللغوي عن النعت . على أنه ينبغى أن نذكر هنا أن ما بين الأقواس الهلالية في الأمثلة لا علاقة له ببنية التركيب الاسمي الوصفي : انه يذكر فقط لوضع التراكيب في بيئتها اللغوية الحقيقية وبيان الجمل الرئيسية التى تمثل عنصرا قواميا فيها .

١ ـ المنعوت تركيب اسمى والنعت جملة فعلية :

ـ (لن يكون هذا الا) **نحوا من حديث النفس** تعرض فيه كما تريد ذكرياتي والآراء المختلفة التى كونتها لنفسى في شخص ممتاز فنان عظيم قاس قوي الارادة ، قبل كل شيء له ذكاء نادر يقظ دقيق يخفى من وراء الآراء المطلقة والأحكام الصارمة » . ص ٧

٢ ـ المنعوت نكرة والنعت جملة شرطية :

(وعاش أبو العلاء في) **عصر** مهما تفسد فيه الحياة فقد كان فيه استقرار ماللعرف الخلقي والاجتماعي . ص ٦٦

٣ - المنعوت تركيب عطف والنعت جملة فعلية :

- (وفي كثير من آثار أبى العلاء) **كآبة وشحوب** لاتستريح اليهما النفوس التى تألف الاشراف والابتسام » . ص ٧٦

٤ - المنعوت تركيب اسمى والنعت جملة شرط :

- (ثم يمضى أبو العلاء في) **الوان من الوعظ** ان صورت شيئا فانما تصور أخص ما أخذ نفسه به من خصال الخير » ص ٢١٦

٥ - المنعوت نكرة والنعت تركيب عطف :

- (فاني لا أقدم اليك) **كتابا** في البحث العلمي ولا في النقد الأدبى لأبى العلاء » ص ٣١

- (فاذا أنا بين) **رجلين** يدعونى أحدهما الى زهد شاحب مظلم لأنى أشهد لذات الحياة ولا أحصلها ، ويدعونى أحدهما الآخر إلى حياة كلها حس ومتعة لأن جمال الطبيعة ينفذ الى نفسى من كل وجه » ص ١٧ .

٦ - المنعوت اسم محلى بأل والنعت اسم فاعل :

(كان كثيرا مايتحدث عن) **الفن** العالم » ص ٧ .

٧ - المنعوت نكرة والنعت جار ومجرور :

- (وكان يقول ان) **صورة** من الصور (نتيجة لطائفة من أعمال العقل) ص ٧

- (وأدعوه الى) **شيء** من التواضع والاعتدال في الرأي والسيرة معا » ص ١٥

- (منها) **كتب** في الأدب العربي المشرق الممتع » ص ١٨

- (ولايصل الى) **شيء** من هذا الضجيج العنيف الذى يمتلىء به اسفل الفندق » ص ١٩

٨ ـ المنعوت اسم محلى بأل والنعت اسم منسوب :

- (يرون أن) **الأثر** الفني (انما هو نتيجة ...) ص ٧

٩ ـ المنعوت اسم محلى بأل والنعت يتكون من عنصرين : اسم مفعول وتركيب موصول :

- (لايخضع الالـ) **الفكرة** المطلقة التى كونها لنفسه في فنه » ص ٨

١٠ ـ المنعوت نكرة والنعت يتكون من عنصرين : اسم تفضيل وتركيب غير :

- (على أن مايعنينى من حيا رحل من الناس) **شيء** آخر غير هذه الأعراض التى تطرأ له » ص ٩

١١ ـ المنعوت نكرة والنعت يتكون من جملتين لاعاطف بينهما :

- (تلك) **تضحيات** يتكلفها العلماء في سبيل الوصول الى الحق ، لايشبهها الا ما يتكلفه أصحاب العلوم التجريبية من تعذيب الحيوان في سبيل مايبتغون من العلم الخالص أو من العلم الذى ينفع الناس في حياتهم » ص ٢٣

١٢ ـ المنعوت نكرة ، والنعت يتكون من عنصرين : جار ومجرور وتركيب عطف :

(ثم ثبتنى على ما أريد) **بيت** من شعر أبى العلاء ، وقفت عنده فأطلت الوقوف وفكرت فيه فأطلت التفكير وتأثرت به فكان تأثري قويا عنيفا » ص ٢٥

١٣ ـ المنعوت نكرة والنعت اسم تفضيل :

(وانما فرض على نفسه **سجنين** آخرين » ص ٣٢

١٤ ـ المنعوت نكرة والنعت يتكون من عنصرين :

اسم منسوب وتركيب عطف :

ـ (والآخر) **سجن** فلسقي تخيله كما يتخيل الشعراء واشتقه من حقائق الأشياء كما يفعل الفلاسفة » ص ٣٣

١٥ ـ المنعوت اسم معرف بأل والنعت تركيب موصول :

ـ (هذا السجن الخيالى الفلسفي هو) **الجسم** الذى أكرهت النفس ـ كما كان يتصور أبو العلاء ، وكما تصور الفلاسفة من قبله وبعده ـ على ان تستقر فيه لاتتجاوزه ولاتتعدى حدوده الا حين يقضى عليها الموت » ص ٣٣

١٦ ـ المنعوت تركيب اسمى والنعت يتكون من جملة ثم جملة استدراك :

ـ (فقد بلغت) **جنسا من الكائنات** له حظ من حياة ، ولكنه ضيئل بالقياس الى حظ الحيوان » ص ٤١

١٧ ـ المنعوت اسم محلى بأل والنعت يتكون من عنصرين :
اسم تفضيل وتركيب موصول :
ـ (فهناك) **السعادة** العظمى التى لاينغصها شقاء »
ص ٤١
١٨ ـ المنعوت تركيب إضافة والنعت يتكون من العناصر التالية :
اسم اشارة . صفة مشبهة ، صفة مشبهة ، تركيب موصول :
ـ (واذن فلم منح هذا السجين) **حياته** هذه القوية العنيفة التى تستتبع الحس والحركة والارادة والتفكير وتستتبع بحكم ذلك الألم والبؤس والشقاء والحرمان الذى هو **أصل** الشقاء كله » ص ٤١
١٩ ـ المنعوت تركيب اضافة والنعت يتكون من عنصرين :
اسم منسوب واسم اشارة :
ـ (وهو يأخذ **فلسفته** الايجابية هذه » ص ١٦٨
٢٠ ـ المنعوت تركيب اضافة والنعت يتكون من العناصر التالية :
اسم منسوب ، واسم اشارة ، وتركيب موصول :
ـ (ويريد) **مذهبه** الفنى هذا الذى يشتد فيه العوج **والأمت** لأنه محسوس تدركه الأذن وتشقى بما فيه من غريب قد ينبو عنه السمع ، ومن قيد قد يزور عنه الذوق » ص ١٣٨

٢١ ـ المنعوت تركيب اسمى والنعت يتكون من عنصرين :

تركيب تفضيل وتركيب عطف

ـ (لم يكن يرى فى الفن الا) **نوعا من مسائل الرياضة** أدق وألطف من الرياضة المألوفة ، لم يستطع أحد أن يردها الى الوضوح ، ولايستطيع الا قليل جدا من الناس أن يفترضوا وجودها » ص ٧

٢٢ ـ المنعوت نكرة والنعت يتكون من عنصرين :

اسم تفضيل وتركيب عطف :

ـ (و) « **شيء** آخر خدع أبو العلاء عنه نفسه فجر عليه ألما كثيرا وأذى شديدا » ص ١٤٨

٢٣ ـ المنعوت نكرة والنعت يتكون من عنصرين :

اسم تفضيل وجملة :

ـ (وهناك) **عيب** آخر دفع اليه أبو العلاء بحكم هذه القيود الفنية التى يلتزمها » ص ١٤٦ ـ ١٤٧

٢٤ ـ المنعوت تركيب اسمى والنعت يتكون من العناصر التالية :

صفة مشبهة وصفة مشبهة وتركيب عطف :

ـ (يصرف هذا كله في شعره) **تصريفا** جميلا رائعا يشعرك بهذه البداوة الحلوة المرة ويصور لك حكمته هذا التصوير الجزل الذى لايلين كل اللين ولايعنف كل العنف وانما يتخذ بين ذلك سبيلا » ص ١٦٦

تبقى نقطة أخيرة وهى الترتيب بين عناصر التركيب

الوصفى فى التركيب الاسمي الوصفى اذا ما اجتمع أكثرمن واحد منها ، وهى مسألة اسلوبية بنيوية ينبغى ان يوليها الباحثون اللغويون والأسلوبيون قدرا كبيرا من الاهتمام .

وهناك اتجاهات بهذا الصدد :

١ ـ اذا اجتمع تركيب الموصول مع أى عنصر وصفى آخر وجب تأخيره ، كما يتضح من الأمثلة التالية ، التى تضم تركيب عطف يتكون من تركيبي موصول :

ـ (لايخضع الا لـ) لفكرة المطلقة التى كونها لنفسه في فنه » ص ٨

ـ (فهناك) السعادة العظمى التى لاينغصها شقاء » ص ٤١

ـ (والآلام) الكبار التى يشكو منها أبو العلاء في اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة الشاقة » ص ٢١٩

٢ ـ اذا وصف بآخر بمعنى مغاير وأخرى بمعنى مغايرة وجب أن يسبق كل منهما عناصر الوصف الأخرى ،كما يتضح مما يلى :

ـ (وهناك عيب آخر دفع اليه أبو العلاء بحكم هذه القيود الفنية التى يلتزمها » ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

ـ (و) شيء آخر خدع عنه أبو العلاء نفسه فجر عليه ألما كثيرا وأذى شديدا » ص ١٤٨

ـ (لعل للأشياء) مقاييس أخرى أبعد وأوسع من هذه

المقاييس التى نقيس بها الخير والشر ونقدر بها الثواب والعقاب » ص ١٧٢

٣ ـ يقدم العنصر الأصغر على الأطول ، ومن أمثلته مايلى :
ـ (لم يكن يرى في الفن الا) نوعا من مسائل الرياضة أدق وألطف من الرياضة المألوفة ، لم يستطع أحد أن يردها الى الوضوح ولايستطيع الا قليل جدا من الناس أن يفترضوا وجودها » ص ٧
فمن الواجب اسلوبيا تقديم عنصر الوصف الأول تركيب التفضيل على عنصر الوصف الآخر تركيب العطف ، وذلك لصغره عنه .

٤ ـ اذا ما اجتمع أكثر من وصف غير مركب أُخر ذاك الذى يحدث وقفة مستقرة ، كما في المثال التالى :
(شغلت عن الطبيعة بـ) السفر الطويل الشاق ص ١٧

٥ ـ اذا ما كان المقصود من اسم الاشارة أن تشير الى منعوت متميز بصفة ما لا الى المنعوت وحده وقعت بعد هذا العنصر الوصفي لا قبله ، كما في الأمثلة التالية :
ـ (ويريد) مذهبه الفنى هذا الذى يشتد فيه العوج والأمت لأنه محسوس تدركه الأذن وتشقى بما فيه من غريب قد ينبو عنه السمع ، ومن قيد قد يزور عنه الذوق » ص ١٣٨

- (أقام أبو العلاء في) سجنه الفلسفي هذا (نحو خمسين عاما) ص ٥١ .

- (وهو يأخذ) فلسفته الايجابية هذه (من الدين) ص ١٦٨

وأما اذا ما قصد باسم الاشارة أن يشير الى منعوت لوصفه بما يميزه تلت المنعوت مباشرة ، كما فيما يلي :

- (واذن فلم منح هذا السجين) حياته هذه القوية العنيفة التى تستتبع الحس والحركة والارادة والتفكير ، وتستتبع بحكم ذلك الألم والبؤس والشقاء والحرمان الذى هو أصل الشقاء كله » ص ٤١

٦ - اذا اجتمع الوصف بتركيب العطف مع الوصف بالأوصاف غير المركبة تأخر العنصر الأول . وربما كان هذا من قبيل الاتجاه الثالث المشار اليه سابقا وهو : تأخير العنصر الأكبر وتقديم الأصغر .

ومن أمثلة هذا الاتجاه الأخير مايلى :

- (وانما تنتهي به أحيانا الى) سخرية رفيقة باسمة لاتقطع على مخالفيه أسباب التفكير بل لاتقطع عليهم أسباب محاورته والرد عليه » ص ١٧٦

- (يصرف هذا كله فى شعره) تصريفا جميلا رائعا يشعرك بهذه البداوة الحلوة المرة ويصور لك حكمته هذا التصوير الجزل الذى لايلين كل اللين ولايعنف كل العنف وانما يتخذ بين ذلك سبيلا » ص ١٦٦

٣ ـ المواقع الاعرابية للتركيب الاسمي الوصفي :

سوف نتحدث في هذا القسم عن قضيتين :

أ ـ ماهية المواقع الاعرابية .

ب ـ الامكانات الأسلوبية المرتبطة بالمواقع الاعربية للتركيب الاسمي الوصفي .

أما المواقع الاعرابية للتركيب الاسمى الوصفي ـ بوصفه واحدا من التراكيب الاسمية ـ فهى المواقع التى يشغلها في تركيب أكبر يعد فيه مكونا من مكوناته المباشرة .

ويرتبط بهذه المواقع علاقات تركيبية يعقدها التركيب الاسمى الوصفى مع مكون مناظر من مكونات هذا التركيب الأكبر .

ومن هذه المواقع مايلى :

١ ـ موقع الابتداء وهو يتحدد فى اطار تركيب أكبر هو الجملة .

وفي هذا الموقع يعقد التركيب الاسمى ـ وهو هنا التركيب الاسمي الوصفي ـ علاقة تركيبية مع تركيب مناظر ـ هو التركيب الواقع خبرا ـ تعرف باسم « الاسناد » .

٢ ـ موقع الخبر وهو يتحدد أيضا في اطار الجملة ، كما أن التركيب الاسمي الوصفي يعقد فيه علاقة اسناد مع تركيب آخر هو التركيب الواقع مبتدأ .

٣ ـ موقع المفعول به وهو يتحدد في اطار تركيب أكبر هو التركيب الفعلى ، أى تركيب الفعل مع مفعوله .

وفي هذا الموقع يعقد التركيب الاسمي الوصفي علاقة المفعولية مع تركيب مناظر هو الفعل .

٤ ـ موقع مجرور الجار، وهو يتحدد في اطار تركيب أكبر هو تركيب الجار والمجرور .

وفي هذا الموقع يعقد التركيب الاسمي الوصفي علاقة دلالية تركيبية مع تركيب مناظـر هو تـركيب الجار

٥ ـ موقع الفاعل ، وهو يتحدد في اطار تركيب أكبر هو الجملة .

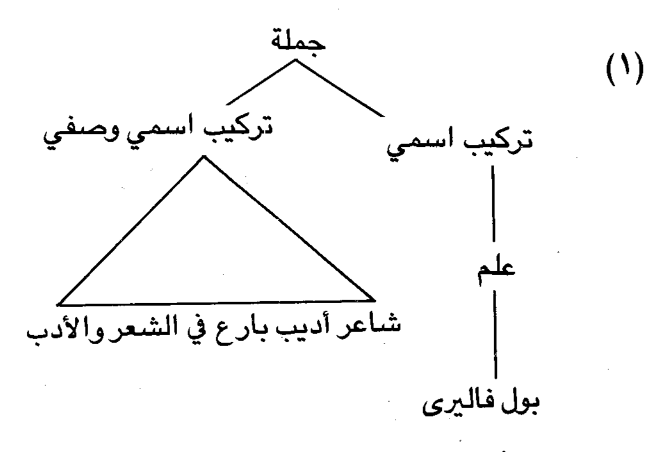
وفي هذا الموقع يعقد التركيب الاسمى الوصفي علاقة تركيبية مع تركيب آخر مناظـر هو التـركيب الفعلى ، تسمى علاقة الفاعلية .

٦ ـ المفعول المطلق المبين للنوع . وهو يتحدد في اطار تركيب أكبر هو تركيب المسند الذى يضم الفعل ومفعوله أو مفاعليه ان كان متعديا والتكملات المتعلقة بهذا الفعل .

وفي هذا الموقع يدخل التركيب الاسمي الوصفي في علاقة تركيبية مع التركيب الفعلي تسمى علاقة المفعولية المطلقة .

ولادراك ذلك والاحاطة به علينا أن نتأمل فى الرسوم الشجرية التالية :

(١)

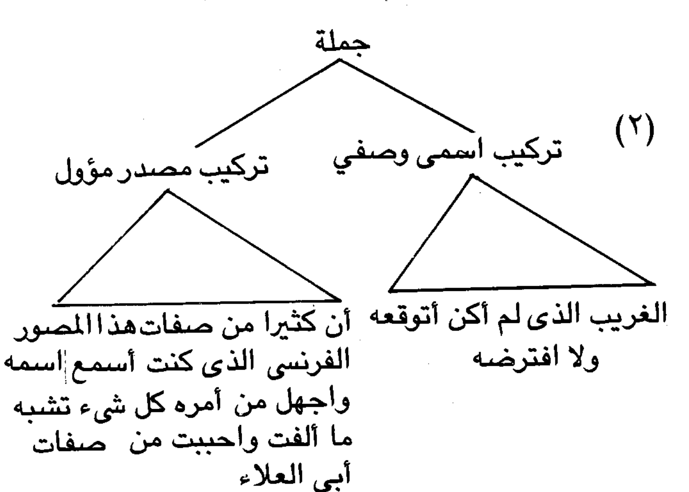


وهو رسم شجرى للجملة :

(ف) بول فاليرى شاعر أديب بارع في الشعر والأدب ص ٢٢

وفيه يحتل التركيب الاسمى الوصفي موقع الخبر في اطار تركيب أكبر هو الجملة . كما يعقد مع العلم علاقة اسنادية .

(٢)

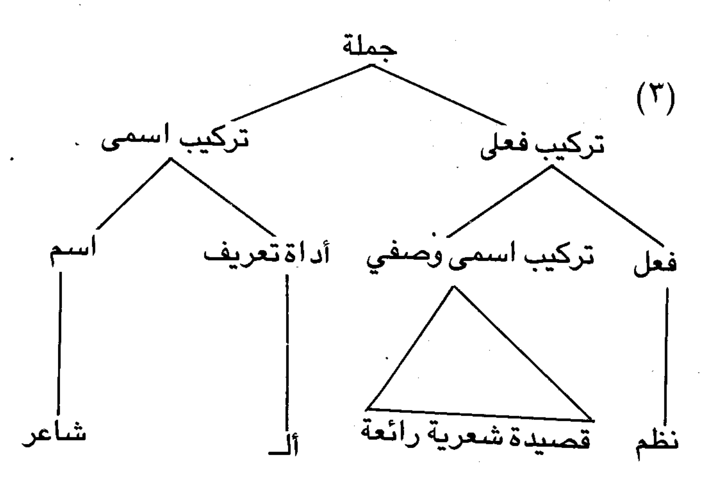


وهو رسم شجري للجملة :

ـ والغريب الذى لم أكن أتوقعه ولا افترضه أن كثيرا من صفات هذا المصور الفرنسى الذى كنت أسمع اسمه وأجهل من أمره كل شيء تشبه ما آلفت وأحببت من صفات أبي العلاء . ص ١١

وفيه يحتل التركيب الاسمي الوصفي موقع المبتدأ في تركيب أكبر هو الجملة . كما يعقد ـ أي التركيب الاسمي الوصفي ـ علاقة اسناد مع تركيب مناظر له ، هو تركيب المصدر المؤول .

(٣)



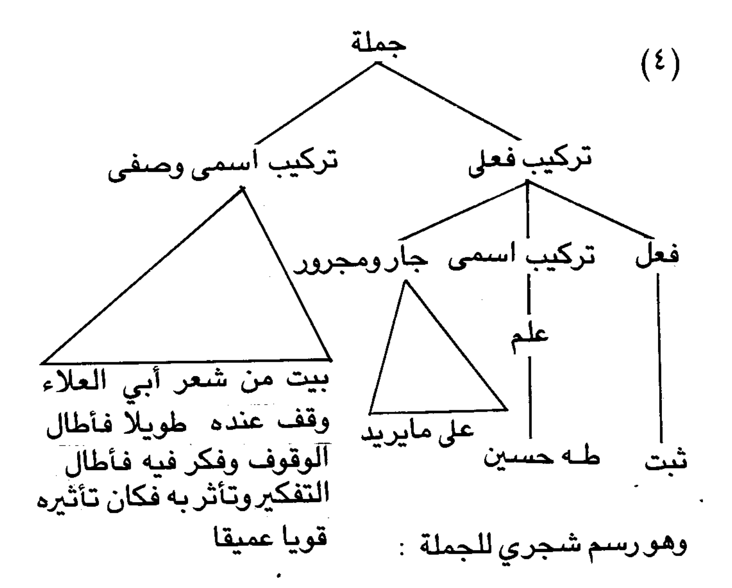
وهو رسم شجري للجملة :

ـ نظم الشاعر قصيدة شعرية رائعة

وفيه يحتل التركيب الاسمي الوصفى موقع المفعول به ،

كما يعقد مع الفعل ـ في اطار التركيب الفعلى ـ علاقة تركيبية هي : علاقة المفعولية .

(٤)



وهو رسم شجري للجملة :

ثبت طه حسين على مايريد بيت من شعر أبى العلاء وقف عنده طويلا فأطال الوقوف وفكر فيه فأطال التفكير وتأثر به فكان تأثره قويا عميقا انظر ص ٢٥

وفيه يحتل التركيب الاسمى الوصفي موقع الفاعل ، كما يدخل فى علاقة الفاعلية مع تركيب مناظر له ، هو التركيب الفعلى .

يأتى الآن دور الحديث عن القضية الثانية ، وتتعلق كما سبق أن ذكر بالامكانات الأسلوبية المرتبطة بالمواقع الاعرابية للتركيب الاسمى الوصفي . وهنا تنقسم المواقع الى قسمين :

أولا : المواقع التى لاتثير ـ لأسباب تتعلق بالصحتين النحوية والسياقية ـ أية قضايا أسلوبية ، وهي هنا قضية امكانات التقديم والتأخير لصور التعبير اللغوية الشاغلة لهذه المواقع .

فهناك من ناحية تراكيب اسمية وصفية تشغل مواقع اعرابية لايمكن تقديمها أو تأخيرها سياقيا . وهي مواقع التراكيب الاسمية الوصفية المؤدية لوظيفة المقصور عليه ، فلا يمكن تقديم صور التعبير اللغوية الشاغلة لها لأن ذلك سوف يغير مقصود الرسالة نتيجة لما يترتب عليه من تغيير ذاتية المقصور عليه .

ومن أمثلة هذه المواقع موقعا التركيبين الاسميين الوصفيين فيما يلى :

ـ لن يكون هذا الا نحوا من حديث النفس تعرض فيه كما تريد ذكرياتى والآراء المختلفة التى كونتها لنفسى فى شخص ممتاز شاذ فنان عظيم قاس قوى الارادة قبل كل شىء ، له ذكاء نادر يقظ دقيق قلق ، يخفى من وراء الآراء المطلقة والأحكام الصارمة . ص ٧

ـ لم يكن يرى في الفن الا نوعا من مسائل الرياضة أدق وألف

من الرياضة المألوفة ،لم يستطع أحد أن يردها الى الوضوح ولا يستطيع الا قليل جدا من الناس أن يفترضوا وجودها . ص ٧

فلا يجوز فى المثال الأول أن يتقدم التركيب الاسمي الوصفي ليشغل موقع « هذا » ،كما لايجوز فى المثال الثاني ان يتقدم التركيب الاسمى الوصفي ليشغل موقع الجار والمجرور » في الفن .

وليس فى ذهنى هنا الامكانة الأخرى التى يتحدث عنها النحاة وهو جواز تقديم الا وما بعدها من مقصور ، وهو التقديم الذى لايترتب عليه تغيير المقصور عليه . وذلك لأن ماهية التقديم هنا سوف تتحول من تقديم تركيب اسمى وصفي الى تقديم لتركيب مستثنى .

وهناك من ناحية أخرى تراكيب اسميه وصفية تشغل مواقع اعرابية لايجوز تقديمها أو تأخيرها لأسباب تتعلق بالصحة النحوية ومنها مايلى :

١ ـ التراكيب الاسمية الوصفية الواقعة مجرورة لجار .
وذلك لأنه لايجوز تقديم المجرور على جاره ، كما أن تقديم الجار والمجرور ذاته خارج عن نطاق مايبحث ، وهو تقديم التركيب الاسمى الوصفى أو تأخيره .

ومن أمثلة هذه التراكيب ، التراكيب الموضوع تحتها خط فيما يلى :

ـ (ولايصل الى) شيء من هذا الضجيج العنيف الذى

يمتلىء به أسفل الفندق .
- (وعاش أبو العلاء في) عصر مهما تفسد فيه الحياة فقد كان فيه استقرار ما للعرف الخلقي الاجتماعى . ص ٦٦

٢ - التراكيب الاسمية الوصفية الشاغلة لمواقع اعرابية في تراكيب كبرى حذف منها التراكيب المناظرة التى يتم التقديم والتأخير بالنسبة اليها .

ومن ذلك التركيب الاسمى الوصفى التالى فهو خبر لمبتدأ محذوف :

- رجل من الناس ولد فى بيئة متحضرة وولدت معه ملكاته الاجتماعية كلها فنشأ مستعدا كل الاستعداد ليكون فردا من الجماعة يشاركها في حياتها العامة والخاصة ، ويأخذ مما يلم بها من سعادة وما يصيبها من شقاء فتأبى عليه غريزته الوحشية وآفته هذه الطارئة الا أن ينفرد من هذه الجماعة ويشذ عما ألفت من نظام » ص ٦٣

٣ - التراكيب الاسمية الوصفية التى تشغل موقعا اعرابيا لايجوز تقديمه . ومثاله التركيب الاسمي الوصفي التالي الواقع مفعولا به لأفعل التعجبية :

- (وما أكثر) الفلاسفة الذين عاشوا عيشة فلسفية خالصة لاءموا فيها أحسن الملاءمة بين حياتهم العقلية العملية دون أن يحتاجوا الى اعتزال الناس ولزوم بيت واحد لايعدونه . ص ٧٩

ثانيا : المواقع الاعرابية المثيرة للتقديم والتأخير كقضية أسلوبية . وهنا يجب أن نكون متأكدين من تصور المواقع الأخرى التى يتم تقديم هذه المواقع وتأخيرها بالنسبة إليها ، وهي المواقع المناظرة فى التركيب الأكبر الذى يضم النوعين معا .

فالخبر يتقدم على المبتدأ والمبتدأ يتأخر عن الخبر في التركيب الذى يضمهما معا وهو الجملة .

والمفعول به يتم تقديمه على الفعل الذى يعقد معه علاقة المفعولية في التركيب الفعلى الذى يضمهما معا ، وان كان من الممكن في هذا التركيب ذاته تصور صور تقديم اخرى كتقديم المفعول الثاني على المفعول الأول مثلا .

والفاعل يتم تقديمه على التركيب الفعلى الذى يعقد معه علاقة الفاعلية . وان كان من الممكن تصور تأخيره أيضا عن مفعول هذا التركيب الفعلى في البنية السطحية .

والمفعول المطلق المبين اللنوع يتقدم على التركيب الفعلى فى التركيب الأكبر الذى يضمهما معا وهو تركيب المسند ، وان كان من الممكن تصور صور تقديم أخرى لهذا المفعول المطلق كتقديمه على الظرف أو المفعول به مثلا .

كما يجب أن نقرر أيضا أن الناتج اللغوي للتقديم والتأخير هنا لاعلاقة له بالصحتين النحوية والسياقية ، فبواعثه أسلوبية محضة تتعلق بالطول النسبي لطرفي التقديم والتأخير . فهناك اتجاه أسلوبى عام أن تتأخر الوحدة اللغوية الأكبر وتتقدم الوحدة الأقصر .

وينبغي أن نتصور بهذا الخصوص رسما بيانيا لما يسمى بالتقبل اللغوي أي تقبل التركيب اللغوي استعمالا شريطة مطابقته لقواعد الصحتين النحوية والسياقية .

وهنا سوف نرى أن الناتج اللغوي الناشىء عن تقديم الوحدات اللغوية أو تأخيرها قد تمثله نقاط تعلو في الرسم البياني أو تتدنى كل التدنى أو لاتمثله أية نقاط على الاطلاق لمضادته الكلية للتقبل اللغوي الذى ينبغى أن يكون الحكم فيه مرهونا بآراء المتكلمين القوميين وأحكامهم .

فمن التراكيب الاسمية الوصفية التى تشغل مواقع اعرابية لايجوز مطلقا تغييرها بالتقديم أو التأخير التراكيب التالية المكتوبة بالخط الاسود . وذلك لما يترتب على تقديمها أو تأخيرها من مضادة كلية لأسس التقبل اللغوي ، فهى تراكيب تتميز بالقصر الشديد مقارنة بما يناظرها من التراكيب الأخرى التى يتم التقديم والتأخير بالنسبة اليها .

١ - (و) **الغريب الذى لم أكن أتوقعه ولا افترضه** أن كثيرا من صفات هذا المصور الفرنسى الذى كنت أسمع اسمه وأجهل من أمره كل شىء تشبه ما ألفت وأحببت من صفات أبي العلاء . ص ١١

التركيب الاسمي الوصفى هنا مبتدأ ولايجوز تأخيره عن خبره (لاحظ الصورة المقابلة) .

٢ - **تلك تضحيات يتكلفها العلماء في سبيل الوصول الى الحق لايشبهها الا ما يتكلفه أصحاب العلوم**

التجريبية من تعذيب الحيوان في سبيل مايبتغون من العلم الخالص أو من العلم الذى ينفع الناس في حمايتهم من العلل والآفات . ص ٢٣

٣ ـ **والآخر سجن فلسفي تخيله كما يتخيل الشعراء واشتقه من حقائق الأشياء كما يفعل الفلاسفة** .

التركيبان الاسميان الوصفيان في (٢ ـ ٣) يشغلان موقع الخبر ولايجوز تقديمهما على مبتدأيهما (لاحظ الصورتين المقابلتين) .

٤ ـ ثم ثبتنى على ما أريد **بيت من شعر أبي العلاء وقفت عنده فأطلت الوقوف وفكرت فيه فأطلت التفكير وتأثرت به فكان تأثري قويا عميقا** .

التركيب الاسمى الوصفي هنا فاعل مؤخر ولا يجوز تقديمه على المفعول الجرى « على ما أريد » (لاحظ الصورة المقابلة .

٥ ـ ويريد **مذهبه الفنى هذا الذى يشتد فيه العوج والأمت لأنه محسوس تدركه الاذن وتشقى بما فيه من غريب قد ينبو عنه السمع ومن قيد قد يزور عنه الذوق** .

التركيب الاسمي الوصفى مفعول به لايجوز تقديمه على فعله (لاحظ الصورة المقابلة) .

٦ ـ لعل للأشياء **مقاييس أخرى أبعد وأوسع من هذه المقاييس التى نقيس بها الخير والشر ونقدر بها الثواب والعقاب** . ص ١٧٢

التركيب الاسمي الوصفي اسم لعل مؤخر ولايجوز تقديمه على خبرها (لاحظ الصورة المقابلة) .

٧ ـ واذن فلم منح هذا السجين **حياته هذه القوية العنيفة التى تستتبع الحس والحركة والارادة والتفكير ، وتستتبع بحكم ذلك الألم والبؤس والشقاء والحرمان الذى هو أصل الشقاء كله** . ص ٤١

التركيب الاسمى الوصفى يشغل هنا موقع المفعول الثانى للفعل « منح » ولايجوز تقديمه على نائب الفاعل الذى هو أصلا المفعول الأول (لاحظ الصورة المقابلة) .

٨ ـ يصرف هذا كله في شعره **تصريفا جميلا رائعا يشعرك بهذه البداوة الحلوة المرة ويصور لك حكمته هذا التصوير الجزل الذى لايلين كل اللين ولايعنف كل العنف وانما يتخذ بين ذلك سبيلا** . ص ١٦٦

التركيب الاسمي الوصفي هنا مفعول مطلق مبين للنوع ولايجوز تقديمه على الفعل أو المفعول أو أن يتوسط بين هذا الأخير والجار والمجرور القائم بوظيفة الظرفية المكانية (لاحظ الصور المقابلة) .

وأما المواقع الأخرى التى تشغلها التراكيب الاسمية الوصفية ويمكن التعرض لها بالتقديم والتأخير ـ فهى نوعان .

تلك التى يترتب على تقديمها أو تأخيرها ناتج لغوي يحتل درجة عليا في سلم التقبل اللغوي ، وتلك التى يترتب على

تقديمها أو تأخيرها ناتج لغوي تتدني درجته في هذا السلم .

وهنا ينبغى أن نكون على بينة من الحقيقتين التاليتين :

أ ـ أن طه حسين قد وضع التراكيب الاسمية الوصفية في مواقعها الأصح أسلوبيا .

ب ـ أننا هنا فى منطقة من مناطق البناء اللغوي التى نحتكم فيها الى الذوق والعرف اللغوي الاستعمالي كما تقره أحكام المتكلم القومى وآراؤه ، ولسنا فى منطقة يمكن أن يقاس الاستعمال فيها بالصرامة الشديدة التى نعهدها فى اطار علم التركيب أو الدلالة .

نعود الآن الى التمثيل للنوعين السابقين . فأما أمثلة النوع الاول ـ الذى يترتب على التقديم والتأخير فيه ناتج لغوي يحتل درجة عالية في سلم التقبل اللغوي ـ فمنها مايلى :

١ ـ وهو يأخذ فلسفته الايجابية هذه من الدين . ص ١٦٨

فالتركيب الاسمى الوصفي يشغل موقع المفعول به الأول للفعل يأخذ . ويمكن تأخيره الى موقع المفعول الثاني « من الدين » ، فيقال :

ـ وهو يأخذ من الدين فلسفته الايجابية هذه .

٢ ـ وانما فرض على نفسه سجنين آخرين ص ٣٣

فالتركيب الاسمى الوصفى مفعول به أول للفعل « فرض » تأخر عن المفعول الثانى « على نفسه ، لكن من الممكن تقديمه الى موقعه الأول ليتولد ناتج مقبول لغويا :

ـ وانما فرض سجنين آخرين على نفسه

وأما النوع الثانى فأمثلته كثيرة ، منها التراكيب الاسمية الوصفية المكتوبة بخط ثقيل فيما يلي . وهي تراكيب يترتب على التعرض لمواقعها بالتقديم والتأخير توليد صور لغوية تحتل درجات متنوعة ، وان كانت متدنية ، في سلم التقبل اللغوي :

١ ـ فاني لا أقدم اليك **كتابا في البحث العلمي ولا في النقد الأدبى لأبي العلاء** .

ص ٣١

لاحظ الصورة المقابلة .

٢ ـ لقد استراح **المؤمنون الذين اطمأنوا الى البعث** .

ص ٣٢

لاحظ الصورة المقابلة .

٣ ـ على أن مايعنينى من حياة رجل من الناس **شيء آخر غير هذه الأعراض التى تطرأ له** .

ص ٩

لاحظ الصورة المقابلة .

٤ ـ منها **كتب في الأدب العربي المشرق الممتع**

ص ١٨

لاحظ الصورة المقابلة .

٥ ـ قبول ڤاليرى شاعر أديب بارع في الشعر والأدب .

ص ٢٢

لاحظ الصورة المقابلة .

تبقى نقطة أخيرة : لقد قررنا فيما سبق أن التعرض للتراكيب الاسمية الوصفية بالتقديم والتأخير ـ اذا لم يكن هناك مانع نحوى أو سياقي ـ تحكمه بواعث اسلوبية ، فهو أمر محكوم بالطول النسبي لطرفي التقديم والتأخير . كما قررنا أن هناك اتجاها لتقديم الطرف الأقصر وتأخير الأطول .

ومع ذلك فقد عثرت على مثالين يناقضان هذه المقولة . أما المثال الأول فهو :

ـ والآلام الكبار التى يشكو منها أبو العلاء في اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة الشاقة ـ قليلة ان أردنا احصاءها .

ص ٢١٩

فقد احتل التركيب الاسمي الوصفي هنا موقع المبتدأ رغم شدة طوله بالقياس الى خبره . ولعل السبب يرجع الى ارتباط الخبر « قليله » بجملة فعل الشرط « ان أردنا احصاءها » ، فلو لم توجد هذه الجملة لقال طه حسين فيما أظن :

ـ قليلة تلك الآلام الكبار التى يشكو منها أبو العلاء في اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة الشاقة .

ويؤكد ذلك أن كل صور تأخير المبتدأ التى تخيلتها ـ ويمكن للقارىء أو المستمع أن يتخيل أخرى ـ تولد تراكيب تحتل في سلم التقبل اللغوي درجة أقل من تلك التى يحتلها استخدام طه حسين ، هذا ان تغاضينا عما يتولد عن هذه الصورة من تغيير للرسالة الاخبارية التى تحملها الجملة ويريد الكاتب أن يقدمها .

من هذه الصور المتخيلة مايلى :

ـ قليلة أن أردنا احصاءها الآلام الكبار التى يشكو منها أبو العلاء فى اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة .

ـ هى قليلة الآلام الكبار التى يشكو منها أبو العلاء في اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة ، أن أردنا احصاءها .

ـ ان أردنا احصاءها فهي قليلة الآلام الكبار التى يشكو منها أبو العلاء فى اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتى دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة .

وأما المثال الثاني فهو :

(فأما) الرجل الذى لم يطمئن الى هذا الايمان ولم يمتلىء به قلبه ولم تسكن اليه نفسه ، ولم يسترح اليه عقله ، وانما هو مضطرب فى أمره أشد الاضطراب : يؤمن مرة فيرجو أو يخاف ، وينكر مرة فيدركه اليأس والجزع ، ويضطرب بين الايمان والانكار في كثير من الأحيان فاذا هو قلق لايستقر على حال ـ هذا الرجل معذب دائما أشد العذاب .

فقد احتل التركيب الاسمي الوصفي الموقع الطبيعي للمبتدأ واحتل خبره موقعه الطبيعى كذلك ، وذلك رغم شدة طول الأول وقصر الثاني . لقد خفف من ذلك هذه التقنية الأسلوبية التى استخدمها طه حسين لكسر طول التركيب الاسمى الوصفي وللتقريب بينه وبين الخبر كطرف آخر للعلاقة الاسنادية التى تربط بينهما . وهي - أي التقنية الأسلوبية - استخدام تركيب اشارة يتكون من اسم اشارة ومشار اليه هو صدر التركيب الاسمى الوصفي يخبر عنه بالخبر .

وقد تركت هذه التقنية الأسلوبية التـركيب الاسمي الوصفي معلقا دونما خبر وان كانت حلت مشكلة طوله وجملت من تأخير الأقصر وتقديم الأطول .

٤ ـ التراكيب الاسمية بين البساطة والتعقد :

ينبغى أولا أن نفرق بين صفتين من الصفات التى يمكن أن يوصف بهما التراكيب الاسمية بوصفهن تراكيب لغوية : صفتا الطول والتعقد .

أما الطول فصفة تتعلق بعدد ما تتكون منه التراكيب الاسمية من كلمات أي بالمساحة الزمنية التى يستغرقها النطق بهذه التراكيب في اللغة المنطوقة أو المساحة المكانية التى تشغلها في اللغة المكتوبة : فكلما زاد عدد الكلمات زادت التراكيب طولا وكلما قل عدد الكلمات نقصت التراكيب طولا .

وأما التعقد فهو صفة تتعلق بالطبقات التى تضمها التراكيب ومدى تضمن بعضها لبعض ، فهي وسيلة بنيوية تركيبية تتعلق بنحو اللغة . وكلما زادت هذه الطبقات وازداد تداخلها زادت التراكيب تعقيدا والعكس صحيح .

ولقد مالت التراكيب الاسمية التى تضمنتها المادة اللغوية الى الطول أو التعقد . على أن طه حسين قد استخدمها أيضا فى صورتها الأشد قصرا أو طولا .

فقد استخدم تراكيب الاشارة المكونة من اسم اشارة ومشار اليه معرفة محلاة بأل ، أو المكونة من اسم اشارة فقط ، والتراكيب الاسمية الوصفية المكونة من منعوت محلى بأل ونعت فرد كاسم الفاعل مثلا ، وتراكيب الاضافة المكونة من مضاف ومضاف اليه معرفة محلاة بأل . والمصدر المؤول المكون من حرف مصدر وأقصر صور الصلة وهي جملة فعلية فعلها لازم وفاعلها ضمير مستتر ، وهكذا .

وأما التراكيب الطولى عنده فكثيرة ، على أنها أحيانا قد تسرف في الطول فتتجاوز سبعة الأسطر . ومنها مايلى من التراكيب .

١ ـ تركيب الاشارة :

- (ولنستمتع بـ) هذه اللذة الحلوة المرة التى نجدها عندما نسمع صوته المشرق الحزين ينشر هذا الشعر الذى ان صور شيئا فانما يصور رجولة قوية ومروءة صادقة وقلبا رحيما وعقلا ذكيا نافذا وشكا مهما يعنف فهو لاينتهي بصاحبه الى

هذا التمرد الوقح الذى نجده عند كثير من الذين أسرفوا في الثقة بعقولهم . وانما ينتهى به الى الخوف والاشفاق والغلو فى الحذر والاحتياط للنفس والاجتهاد في الخير ولاينتهى به الى هذه السخرية اللاذعة التى تقطع الامل على كل آمل والقول على كل قائل ، وانما تنتهي به أحيانا الى سخرية رفيقة باسمة لاتقطع على مخالفيه أسباب التفكير بل لاتقطع عليهم أسباب محاورته والرد عليه .

ص ١٧٦

٢ ـ تركيب الاضافة :

ـ (ما) رأيك في أنى أحب أبا العلاء وأريد أن أسير معه في هذا الحديث سيرة الصادق الوفي الأمين ولا اسوؤه في نفسه ولا في رأيه ولا أذهب فيما سأعرض له من البحث مذهب أصحاب العلم الذين يضحون بموضوع بحثهم فيخضعونه لألوان من التمحيص وضروب من التحليل يحملونه من ذلك ما يطيق ومالا يطيق ويعرضونه من ذلك لما يحب ومالا يحب .

ص ٢٣ ـ ٢٤

٣ ـ تركيب المصدر الصريح :

(وكيف تتصور) القسوة على رجل كان يرحم النحل ويلح فى ألا يشتار ما تجمع لنفسها ! وكان يرحم الدجاج ويفزع اذا قدمت اليه ويرد الناس أشنع الرد عن ايذائها ؟ وكان يحاور الديك هذا الحوار الحلو الذى قد أقف عنده في وقت من

الأوقات ، وكان يترجم عن الضأن للناس فينبئهم بأنها تعذر عدوان الذئب عليها لأنه يقوم على العدوان من غير بصيرة وعقل ، ولاتعذر عدوانهم هم عليها لأنهم يقدمون عن روية وتفكير وعن تعمد للقسوة وأصرار عليها ؟ .

ص ٣٠

٤ ـ تركيب العطــف :

فشدة الرجل على نفسه الى أقصى غايات الشدة وشك الرجل في مقدرته الى أبعد آماد الشك ، وارتياب الرجل بأحكام الناس في أمور الفن ، وزهد الرجل في الشهرة وبعد الصيت وفي الثراء وسعة ذات اليد ، وانصرافه عن الحمد الكاذب والثناء الرخيص ، وتأجيله لذة الظفر بالفوز ، وخلقه المصاعب لنفسه ، وبغضه للطرق القصار والأبواب الواسعة . وايثاره الطرق الطوال والأبواب الضيقة . كل هذه الخصال التى يحدثنا بها بول ڤاليرى عن صديقه وأثيره ديجاس (قد حدثتنا بها القرون والأجيال عن أبى العلاء ...)

ص ١١

٥ ـ التركيب الاسمي الوصفي :

ـ رجل من الناس ولد فى بيئة متحضرة وولدت معه ملكاته الاجتماعية كلها فنشأ مستعدا كل الاستعداد ليكون فردا من الجماعة يشاركها فى حياتها العامة والخاصة ، ويأخذ مما يلم بها من سعادة وما يصيبها من شقاء فتأبى عليه

غريزته الوحشية وآفته هذه الطارئة الا أن ينفرد من هذه الجماعة ويشذ على ما ألفت من نظام .

ص ٦٣

وليس طه حسين بدعا في هذا المجال ، ففي القرآن الكريم تراكيب طويلة خاصة تلك التى لايترتب عليها تعقيد كتركيب العطف الاسمى في الآية الاولى ، وتركيب البدل فيما يليها من آيات :

ـ قال تعالى :

﴿ «ان في» خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض «لآيات لقوم يعقلون» ﴾ .

١٦٤ / البقرة

ـ قال تعالى :

﴿ «أم لم ينبأ بـ)ما فى صحف موسى(٣٦) وابراهيم الذى وفى(٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى(٣٨) وأن ليس للانسان الا ماسعى(٣٩) وان سعيه سوف يرى(٤٠) ثم يجزاه الجزاء الأووفى(٤١) وأن الى ربك المنتهى(٤٢) وأنه هو أضحك وأبكى(٤٣) وأنه هو أمات وأحيا(٤٤) وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى(٤٥) من نطفة اذا تمنى(٤٦) وأن عليه النشأة الأخرى(٤٧) وأنه هو أغنى وأقنى(٤٨) وأنه هو رب

الشعرى[٤٩] وأنه أهلك عادا الأولى[٥٠] وثمود فما أبقى[٥١] وقوم نوح من قبل انهم كانوا أظلم وأطغى[٥٢] والمؤتفكة أهوى[٥٣] .

٣٦ ـ ٥٣/ النجـــم

كما وصف طرفة بن العبد ناقته التى يمضى بها الهم عند احتضاره بتركيب اسمى استغرق خمسة أبيات ونصف :

(وإني لأمضي الهم عند احتضاره ب) عوجاء مرقال تروح وتغتدى

الى ان قال :

تريع الى صوت المهيب وتتقى بذى خصل روعات أكلف ملبد

وهناك مجموعة من الأسباب أدت الى شيوع استخدام طه حسين للتراكيب الطويلة والطولى معا ، وهي كما يلى :

أ ـ يفضل طه حسين استخدام قواعد التوليد التكرارية أى تلك التى يتولد فيها عن التركيب الاسمي تركيب ثان وعن الثاني ثالث أو يتضمن فيها هذا التركيب جملة والجملة أخرى أو تركيبا ، وهكذا .

ولقد أسرف طه حسين في هذا المجال الى الحد الذى يمكن أن يوصف فيه بانه انسان توليدى ، فقد استخدم بكثرة تراكيب الموصول ، وهى من التراكيب القادرة على تضمن اخرى ، بل انها القاسم المشتـرك لمعظم تراكيبــه . كما

استخدم المصدر المؤول والتراكيب التابعة كتركيب العطف أو النعت أو الحال وهى تراكيب قادرة ايضا على تضمن غيرها .

ولعل قليلا من الأمثلة مع رسومها الشجرية يعين على تصور ذلك :

١ ـ (ما) هذا العجز المطلق الذى يضطر العقل اليه اذا أراد أن يعمل ، أو يدفع الى العمل .

ص ٣٨

تركيب اشارة

اسم اشارة

تركيب اسمي وصفي

تركيب وصفي

تركيب اسمى

تركيب موصول

وصف

صلة

اسم موصول

جملة

اسم مفعول

هذا

يضطر العقل الخ

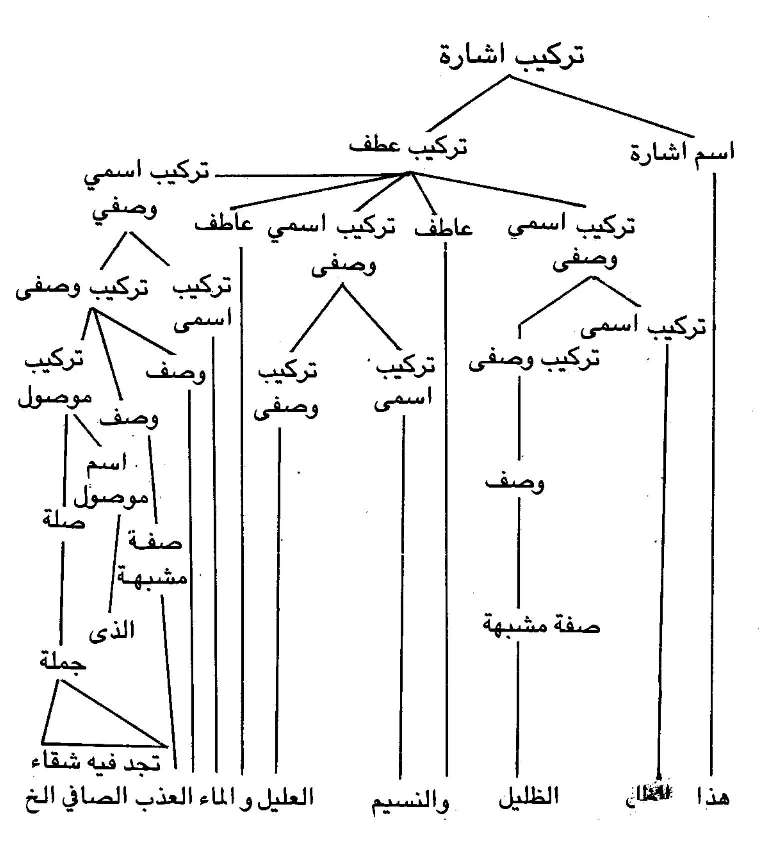
الذى

المطلق

العجز

ففي هذا الرسم الشجرى جملة « يضطر العقل اليه اذا اراد أن يعمل أو يدفع الى العمل » مضمنة في تركيب موصول مضمن فى تركيب اسمى وصفي .

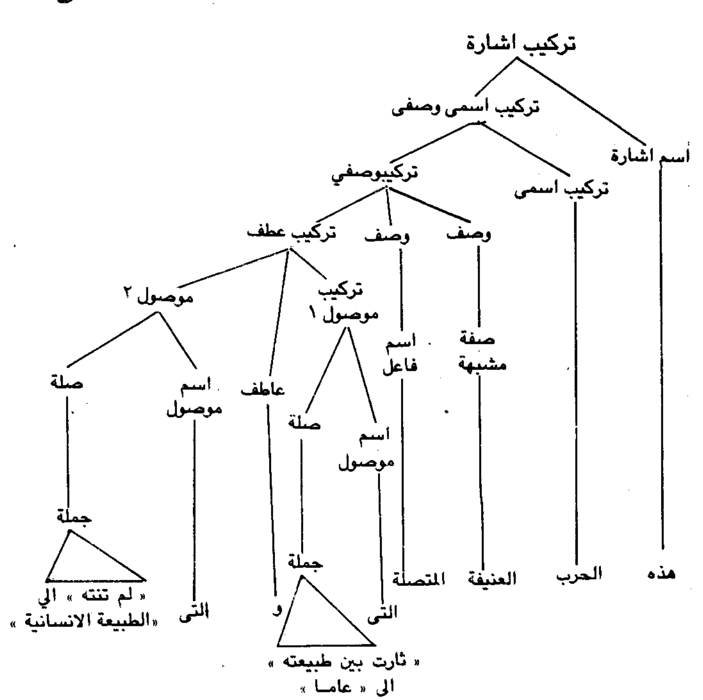
٢ ـ (واسترح الى) هذا الظل الظليل والنسيم العليل والماء العذب الصافي الذى تجد فيه شفاء من هذا الحر المهلك الذى اصطليت ناره دهرا طويلا . ص ٥٤



ففي هذا الرسم الشجرى ضمنت جملة صلة أيضا تركيب موصول مضمنا في تركيب اسمى وصفي .

٣ ـ (من أشد مايملأ قلوبنا اشفاقا على أبي العلاء) هذه الحرب العنيفة المتصلة التى ثارت بين طبيعته الانسانية وغريزته الوحشية نحو ثلاثين عاما ، والتى لم تنته الا حين أزمع العودة من بغداد وانتهت بانتصار الغريزة الوحشية على الطبيعة الانسانية .

ص ٦٣



في هذا الرسم الشجرى هناك جملتان مضمنتان في تركيبي موصول مضمنين في تركيب عطف مضمن بدوره في تركيب اسمى وصفي .

ب ـ يلجأ طـه حسين الى الترادف كثيرا : فقلما لايتضمن تركيب من تراكيبه صورة من صور الترادف ، بل أننا أحيانا مانجد أن جميع الوحدات اللغوية فى بعض تراكيبه مترادفة تماما .

ويمكن التعرف على صور الترادف المتنوعة هذه في الأمثلة التالية :

١ ـ (وأنا اعرف أن العلم يكلف أصحابه أهوالا ثقالا .. فيضطرهم احيانا الى) هتك الاستار وفضح الأسرار واظهار الناس من أمر بعضهم على مالاينبغي أن يظهروا عليه .

ص ٢٣

فالتركيب الاسمى هنا وهو تركيب عطف يتضمن مكونات كلها مترادفة .

٢ ـ (فكرهت أشد الكره) أن أقف منه هذا الموقف وأن أكون منه بهذا المكان .

ص ٢٨

فالمصدران المؤولان في تركيب العطف هذا كلاهما مرادف للآخر .

٣ ـ (ولكنه يبين له في الوقت ذاته) أن أنواع هذا الألم لاتعد وأن ضروبها لاتحصى وأنه لايخلص من بعضها الا لتهجم به غرائزه الخاصة أو الأقدار التى لايملك تصريفها ولا دفعها على ماهو شر منها وأمض وأسوأ عاقبة وأبلغ أثرا .

فالوحدتان الأوليان ـ وهما مصدران مؤولان ـ كل منهما مرادف للآخر .

٤ ـ (وما أرى) أنها تثير في نفوس غيرى من الناس ازورارا عن الرجل أو تنكرا له أو استخفافا به .

ص ٧٢

فتكاد تكون مترادفة تراكيب المصدر الواقعة مفعولا به للفعل « تثير » .

جـ . يلجأ طه حسين الى التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام وهو خيار اسلوبي يؤدى الى طول التراكيب .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك التراكيب الاسمية التالية :

١ ـ (لقد استراح) المؤمنون الذين اطمأنوا الى البعث . بعث الأرواح وحدها أو بعثها مع الأجسام

ص ٣٣

فقد ذكر البعث مبهما ثم حدده ببدله .

٢ ـ (و) الذى يزيد الأمر اشكالا أي يجعله مصدرا من مصادر الألم العقلي الذى هو شر من المادى (أنه لايدرى ...) ص ٤٢

فقد اختار الطريقة الملجئة الى التفسير وكان بامكانه ان يقول بدءا : والذى يجعل الأمر مصدرا من مصادر الألم العقلي الخ .

ولكنها رغبة في التوضيح دعته الى تفضيل خياره رغم ما يستتبعه من . اطالة للتركيب .

د ـ لجوء طــه حسين الى التكرار، فكثيرا مايكرر ألفاظا يمكن الاستغناء عنها بالعطف كما نرى في :

ـ (ولعل صناعتى هي) التى تقف بي عند هذا الطور وتكرهنى على أن أقدر التاريخ الأدبى بما فيه من تفصيل واجمال ، كما أقدر التاريخ السياسى بما فيه من تفصيل واجمال أيضا .

فقد كان بمقدوره ان يقول : « أقدر التاريخين الأدبي والسياسي بما فيهما من تفصيل واجمال » .

هـ ـ حبه التصريح بما هو مفهوم ضمنا ، كما فيما يلي :

ـ (والذى كان يغيظ أبا العلاء الى أقصى حدود الغيظ) أنه كان يفكر ويستقصى فيرى نفسه سجينة في جسم بأدق معانى هذه الكلمة وأقساها ، وقد أدخلت السجن مكرهة وأخرجت منه مكرهة لم تسأل أتريد هذا الدخول أم ترفضه ، ولم تستشر أترغب فى هذا الخروج أم تزهد فيه

ص ٣٦

فقد صرح بقوله « لم تسأل أتريد هذا الدخول الخ » بما هو مفهوم ضمنا من قوله : « قد أدخلت السجن مكرهة

وأخرجت منه مكرهة » .

و- تفضيله تركيب الموصول المتضمن لمن البيانية على غيره من الأساليب التى يمكن أن تعبر عن الفكرة المراد التعبير عنها بصورة أقصر نسبيا : فهو تطويل ناشىء عن اختيار قواعدى ايضا ويمكن أن نستوضح ذلك بتأملنا في المثال التالى :

- (له) مالغيره من الغرائز الطبيعية والاجتماعية التى تدفعه الى ألوان الحياة المختلفة دفعا شديدا وتطالبه بتحصيل ما يحصل غيره من أنواع اللذات والنعيم .

ص ٦٣

فمن الممكن اختصار بعض كلماته بقولنا مثلا :

- له كغيره غرائز طبيعية واجتماعية تدفعه الخ .

ز - حبه استقصاء جوانب الفكرة مع مايترتب عليه من إطناب لغوى كما في المثال التالي :

- (فأما) الرجل الذى لم يطمئن الى هذا الإيمان ولم يمتلىء به قلبه ولم تسكن اليه نفسه ولم يسترح اليه عقله ، وانما هو مضطرب في أمره أشد الاضطراب ، يؤمن مرة فيرجو أو يخاف ، وينكر مرة فيدركه اليأس والجزع ، ويضطرب بين الايمان والانكار فى كثير من الأحيان فاذا هو قلق لايستقر على حال - هذا الرجل (معذب دائما أشد العذاب) .

فقوله يؤمن مرة فيرجو أو يخاف الخ التركيب استقصاء

لامكانات الاضطراب في الأمر اضطرابا شديدا المشار اليه بقوله :

« وإنما هو مضطرب فى امره اشد الاضطراب » .

وعلى الرغم من كثرة التراكيب المطولة التى استخدمها طـه حسين فقد حرص على أن يجعلها واضحة بأن تتبدى فيها العلاقات النحوية على نحو يجعلها مفهومة للقارىء .

وقد استخدم لتحقيق ذلك ما يمكن ان يسمى التقنيات الأسلوبية . وتتلخص فيما يلى :

١ ـ استخدم تركيب اشارة المشار اليه فيه صدر التركيب الاسمى ، وذلك ليقع مبتدأ مخبرا عنه بما كان يمكن أن يكون خبرا لتركيبنا الطويل ، كما في المثال التالى :

ـ (فأما) الرجل الذى لم يطمئن الى هذا الايمان ولم يمتلىء به قلبه ولم تسكن اليه نفسه ولم يسترح اليه عقله ، وانما هو مضطرب فى أمره أشد الاضطراب ، يؤمن مرة فيرجو أو يخاف وينكر مرة فيدركه اليأس والجزع ، ويضطرب بين الايمان والانكار في كثير من الاحيان فاذا هو قلق لايستقر على حال ـ هذا الرجل (معذب دائما أشد العذاب) .

فبديله هو :

ـ (فأما) الرجل الذى لم يطمئن ..... ويضطرب بين الايمان والانكار فى كثير من الأحيان فـاذا هو قلق لايستقر على حال (معذب دائما أشد العذاب) .

مع حذف التقنية «هذا الرجل »

٢ ـ تكرار صدر تركيب الموصول اى الاسم الموصول مع تكرار مادخل عليه من عامل وجزء من الصلة صالح لأن يكون صلة ، وذاك للربط بين الموصول وما تباعد عنه من تركيب « من » البيانية المصاحب له .

ومثال ذلك مايلى :

ـ (اذكر) ما أمليته على صاحبك منذ سبعة أعوام فى ذلك الدفتر الصغير الذى أهملته اهمالا وأبيت أن تسر اليه بذات نفسك . **اذكر ما أمليته على صاحبك** من أنك تعلم حق العلم أن لو ظهر المبصرون على ما تحصل نفسك من حقائق الأشياء ومظاهر الطبيعة لضحك منك الضاحكون وأشفق عليك المشفقون .

ص ١٤

وبديله بدون التقنية الأسلوبية المكتوب بخط ثقيل معقدا جدا .

ولقد استخدم مع هذه التقنية تقنية أخرى مساعدة تتصل بعلامات الترقيم وتتمثل في وضع نقطة قبل التقنية المذكورة .

٣ ـ استخدام التكرار أكثر من مرة لفك طول التركيب وابقاء العلاقات واضحة بين وحداته الوصفية المتباعدة من جهة وبينه وبين خبره من جهة أخرى ، كما في تركيب الاشارة التالى :

- (ف) هذا الرجل الحر الذى لم يعرف المسلمون من يشبهه فيما أباح لنفسه من حرية عقلية لايستطيع ان يتمتع بها مسلم في هذا العصر الحديث ، عصر الدستور والديقراطية النيابية ، وهذا الرجل الحر فى رأيه وتفكيره وفيما تصور وفيما خيل الى نفسه والى الناس وفيما انتهى اليه من حكم وفيما دعا اليه الناس من مذهب . هذا الرجل الذى تجاوز الحرية الى الثورة (قد فرض على نفسه قيودا محكمة وأغلالا ثقاله)

ص ١٣٠ ـ ١٣١

فبديله « هذا الرجل الحر .... والديمقراطية النيابية ، الحر فى رأيه وتفكير .... من مذهب ، المتجاوز الحرية الخ التركيب .

٤ ـ تكرار صدر التركيب بتصرف مع تكرار بعض ما اتصل به ، وذلك للاخبار عن هذا المكرر بما كان يمكن ان يخبر به عن التركيب المطول ذاته ولضمان الربط بين هذا التركيب وذاك الخبر .

وقد عضد هذه التقنية أيضا باستخدام النقطة قبل التكرار وهي مشعرة بحالة التعلق التى أصبح فيها التركيب المطول وحدة معزولة .

ويتضح هذا في المثال التالى لتركيب المصدر المؤول :

- (والمحقق) أن أبا العلاء الذى يحسن بناء القصيدة كل الاحسان في سقط الزند بحيث لاتنتقل من جزء إلى جزء الا

حين يدعـو التفكير المنطقي الى هـذا الانتقال ، وبحيث تستطيع أن تقسم القصيدة الى أجزاء قد أقيم بعضها على بعض وجمعت بعضها الى بعض وحدة التفكير والشعور .

ابو العلاء الذى أحسن بناء القصيدة في سقط الزند (قد أفسد بناءها في اللزوميات افسادا شديدا) .

ص ١٤٧

فبديل هذا التركيب هو :

(والمحقق) أن أبا العلاء الذى يحسن بناء القصيدة .... وجمعت بعضها الى بعض وحدة التفكير والشعور (قد أفسد بناءها ....)

٥ ـ استخدام تركيب سوري المسور فيه تركيب اشارة تشير وحدة المشار اليه فيه الى جزئيات التركيب المطول ، وذلك للاخبار عن هذا التركيب السورى بما كان يمكن ان يخبر به عن التركيب المطول ذاته وتجنبا لهـذا التركيب المطـول وضمانا للربط بينه وبين وحدة الخبر .

ولايخفى ما يترتب على هذه التقنية من تعليق للتركيب المطول أيضا ، ومثال ذلك تركيب العطف التالى :

ـ فشدة الرجل على نفسه الى أقصى غايات الشدة وشك الرجل فى مقدرته الى أبعد آماد الشك ، وارتياب الرجل بأحكام الناس فى أمور الفن ، وزهد الرجل فى الشهرة وبعد الصيت وفي الثراء وسعة ذات اليد ، وانصرافه عن الحمد الكاذب والثناء الرخيص ، وتأجيله لذة الظفر بالفوز ، وخلقه

المصـــاعب لنفسه ، وبغضــه للطرق القصـــار والابــواب الواسعة ، وايثاره الطرق الطوال والأبواب الضيقة . كل هذه الخصال التى يحدثنا بها بول ڤاليرى عن صديقه وأثيره ديجــاس (قد حــدثتنا بهــا القــرون والأجيــال عن أبي العلاء ...)

ص ١١

فبديله هو « فشدة الرجل على نفسه .... وايثاره الطرق الطوال والأبواب الضيقة (قد حدثتنا بها القرون والأجيال عن أبى العلاء)

والى جانب هذه التقنيات الأسلوبية السابقة لجأ طـــه حسين الى تقنيات مناظرة لتجنب التراكيب الطولى ، وذلك بتقسيم ما كان يمكن أن يتولد منها في صياغاته الى جملتين أو أكثر .

ومن هذه التقنيات مايلى :

أ ـ تقنية التكرار فقد لجأ إليها لتجنب ما كان يمكن أن يتولد من صور طويلة للتراكيب التالية :

١ ـ تركيب المصدر المؤول ، كما في التركيب التالى :

ـ (بل هي لاتذكر) انها جنت قبل دخول هذا السجن من الاثم مايضطرها الى دخوله ولقاء العذاب ان كان شرا . (ولا تذكر أنها أتت من الصالحات بما يثيبها بدخوله والاستمتاع باللذات فيه ان كان خيرا) .

فبديله : (بل هي لاتذكر) أنها جنت قبل دخول هذا

السجن ... أو أنت من الصالحات بما يثيبها بدخوله ....
خيرا)

ص ٣٦

٢ ـ تركيب الموصول . كما في المثالين التالين :

ـ (فمن الناس) من ينتصف اذا ظلم فيبطش بظالمه (ومن الناس من يعجزه هذا الانتصاف فيستعدى الله على ظالمه والله شديد الانتقام . ومن الناس من يحلم فلا يبطش بظالمه ولايستنزل عليه غضب الله وانما يعفو ويكون من عفوه أقسى عقوبة للظالم وأعظم تنكيل به ، لأنه يؤذى منه عاطفة الحياء وهى أرق العواطف وأدقها حسا)

ص ٢٧

فبديله تركيب عطف « (فمن الناس) من ينتصف اذا ظلم ، .... ، ومن يعجزه هذا الانتصاف فيستعدى الله على ظالمه ... ومن يحلم فلا يبطش ... »

ـ (ولكن ما) الذى أشعر أبا العلاء بهذا السجن الفلسفى ؟ (وما الذى انبأه بأنه سجين ؟ وما الذى كشف له عما يحيط به في هذا السجن من الحسرات والغمرات ومن الآلام والأحزان ؟)

ص ٥٥

فبديله : « (ولكن ما) الذى أشعر أبا العلاء بهذه السجن الفلسفي وأنبأه بأنه سجين وكشف له عما يحيط به ... »

ب ـ تقنية « كما » . فقد استخدمها لتجنب ما كان يمكن أن يتولد من صورة كبرى لتركيب العطف ، كما في التركيب التالي للمصدر المؤول : ـ (وأكبر الظن) انه حين كان يطمئن الى خلود النفس لم يكن يطمئن الى مايزعمه الفلاسفة من تفصيل ما ستلقاه النفس الخالدة من سعادة أو شقاء (كما أنه حين كان يطمئن الى البعث لم يكن يطمئن الى ما سيلقاه الناس بعد البعث من نعيم أو جحيم) .

ص ٣٥

فبديله : « (وأكبر الظن) أنه حين كان يطمئن الى خلود النفس .... وأنه حين كان يطمئن الى البعث ...... »

جـ ـ تقنية تعبير البداء (أو قل) . فقد استخدمها لتجنب توليد صورة طويلة لتركيب العطف ، كما يتضح من التأمل في التركيب التالي للمصدر المؤول :

ـ (والظريف) أن أبا العلاء قد كان يخدع عن فنه أحيانا فيظن أنه يشق على نفسه ويكلفها الصعب العسير من الأمر ، على حين أنه لم يكن من ذلك في شيء (أو قل انه كان يعرف انه لايتكلف مشقة ولاعناء ولكن الطريق تستقيم له فيمضي فيها ليستوفي الشرط الذى شرطه على نفسه من جهة وليرضى حاجته الى الفلسفة والغناء من جهة أخرى) .

ص ١٤٣

فبديله : « (والظريف) أن أبا العلاء قد كان يخدع عن فنه احيانا .... أو أنه كان يعرف أنه لايتكلف مشقة ... »

د ـ تقنية الضمير . فقد استخدمها لتجنب توليد تركيب طويل للبدل ، كما فى المثال التالى :

(ولكنهم على كل حال مطمئنون الى شىء أساسى وهو) ان خروج انفسهم من هذا السجن لن يدفعها الى المجهول المطلق الذى لاتعرف له أملا ولا حدا ولاموضوعا .

فبديله : « (ولكنهم على كل حال مطمئنون الى) شىء أساسى : ان خروج أنفسهم من هذا السجن .... » .

وبعد

فهذه تأملات في بعض الظواهر اللغوية فى أدب طه حسين أردت بها أن أنقل البحث اللغوي الى النصوص الحية حيث تبدو التراكيب في سياقاتها الخاصة وبأحجامها الطبيعية ، وهو مالا يمكن أن نجده فى كتب القواعد حيث تبدو التراكيب معزولة السياق صغيرة الحجم الا قليلا .

وهى خطوة ضرورية لتوسيع نطاق البحث اللغوى ليشمل نحو الجملة ونحو النص أيضا .

وانه لمن حسن حظى أن جاءت هذه التأملات ابان الاحتفال بالعيد المئوى لطه حسين عميد الأدب العربي .

فلتكن منى تحية تقدير لهذه الشخصية الأدبية الفذة التى قهرت الظلام وتحدت كل عوامل اليأس ، ولتكن أيضا عرفانا بفضلها على اللغة العربية وأدبها هذا الفضل الذى لاينكره الا جاحد ولا يتجاهله الا غر مغرور .

ooo

الصِّلة التاريخيَّة بين البَحرين وَالمملكة العَربيَة السُعودِيَة

الدكتور
علي أباحسين

مدير مركز الوثائق التاريخية في البحرين

مشاركة مركز الوثائق التاريخية فى الاسبوع الثقافى البحرينى فى المملكة العربية السعودية بمحاضرة فى (نادى جدة الأدبي الثقافي) مساء يوم الثلاثاء ١٤١٠/٥/٧هـ الموافق ١٩٨٩/١٢/٥م



● الدكتور
على عبدالرحمن أبا حسين

رجل تربوى مؤرخ في الأدب . . له أكثر من ديوان . . . له بحوث في مناحى الحياة العلمية .

ooo



تقـــدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ،، وارجو الله ان يجعلنا من القليل الذين قال فيهم : وقليل من عبادى الشكور .

● أرحب بالأخ الفاضل الدكتور على عبدالرحمن أبا حسين ، ولا أرحب به كضيف فهو رجل في بلده ، وإنما اعتاد العرب القدماء ان يحتفى بعضهم ببعض إذا سعى بعضهم الى بعض ، ويقدمون القرى ، حتى إنه من آدابهم ان يمر ثلاثة أيام فلا يسأل المضيف ضيفه عن اسمه ، وأنا حين اسوق هذه الخصال أمام رجل ضليع في التاريخ مثلى كثل جالب تمر الى هجر كما تقول العرب .

التقيت بالأخ الصديق الكريم البارحة نحو

الساعة ، واندمجنا معا في الحديث ، وكأننا قد تعارفنا من عقود من الزمن ، ما اسرع ما انسجمنا والتقت أفكارنا معا ، لأن الرجل الذى جلست اليه مرب فاضل ، نذر نفسه للدرس والمعرفة ، فكانت ديدنه ، عرفت ذلك من حديثه ، فهو رجل جاد ، ادرك ان التعليم رسالة ، فادى هذه الرسالة أحسن اداء ، حدثنى ايام كان في كلية الشريعة بمكة نحوا من تسع سنوات ، ثم وهو استاذ مع طلبته في بلدنا البحرين ،

مرت ساعة وكأنها دقائق ، لأن حديث الصادق يصل من القلب إلى القلب ويشد السامع ، ويوشك أن يطمع الا يتوقف ، لانه حديث يبهج القلب ويثرى العقل بهذه المعارف القديمة الجديدة .

ولعل المدنية حولتنا عن سبل القرى المعهود عند القدماء إلى شيء مغاير ، رغم أننا حراص على الاخاء والود والاحترام المتبادل ، ورغم حرارة اللقاء والاحتفاء الذى يوشك ان يكون تقليديا ، غير أن المرء لايعد ضيفا في وطنه كما أشرت آنفا ، ومع ذلك يحتفى به . . اذا انتقل من مدينة الى اخرى .

اعجبت كثيرا بمنهج الأخ الأستاذ الدكتور على أبا حسين في النهوض برسالته مع طلابه ، فهو ينشد فائدتهم لاداء هذه الرسالة ، وهى رسالة ثقيلة لايؤديها ولا ينهض بها الا اولوا العزم من الرجال ، والدكتور أحد هؤلاء الرجال القلائل الذين يقلقهم الواجب حتى لايقصروا فى ادائه ، ولذلك فمثله لايريح ولايستريح ، وكيف السبيل الى الراحة ؟ وقد ادركنا أن الثقافة عبء ثقيل لايقبل عليها الا من نذر نفسه لتقبل هذه المسؤولية وادائها وتحملها ، فهى اثقال الى اثقال .

اعجب بشخصيته الأخ الصديق المربى الفاضل من خلال حديثه وتعامله فى خدمة المعرفة أو توصيلها وتعميقها عند المتلقى ، لاسيما الطلبة ، الذين ينقل اليهم المعارف ويدلهم على سبل البحث عنها ، ليعتمدوا على أنفسهم . والتعليم عند صاحبى ليس وظيفة ولكنه رسالة ، وهو يعنى بما يسمى القدوة في المنزل والمدرسة والجامعة ، فذلك الهدف الأول ، وبدونه يفقد التعليم أهم خصائصه .

أنا اعتذر لأخى وزميلى الدكتور عبدالمحسن القحصانى ، فقد وكلت إليه تقديم ، الأخ الدكتور ،

وضيف النادى « جوازا » وهو ليس ضيفا علينا لانه في بلده ، ولكنها تقاليد ألفناها ، الهدف منها الترحيب بالذى يفضل فيسعى الينا ، ذلك أنه يكرمنا بهذا المجىء وبهذا السعى لاسيما حين يكون وراءه فائدة تمتد إلى الآخرين في مجالات المعارف .

ولعلى لم اظلم زميلى ، فقد تركت له شطرا يتحدث فيه ، وهو الجانب التاريخى بين بلدين شقيقين وشعبين لصيقين ، وكذلك المردود الإيجابى للاسبوع الثقافى السعودى البحرينى واثماره وتجدده بإذن الله . وانما هاته الكلمات تمهيد لهذه المعاملة أو تلك أو لهذا اللقاء المحبب إلى نفوسنا ، لان نلتقى بمرب كريم نذر نفسه للمعرفة ، يقيمها اولا في نفسه ثم ينقلها إلى المتلقى بحرص ودأب ، لاسبيل فيهما إلى التهاون ، ولايتسرب إليهما ما نسميه التقصير ، والعزم يتعب صاحبه ويضنيه ، وسبل المعرفة كثيرة « متعددة ، وذو القلب الحي الذى وعى ثقل الامانة ، يعيش قلقا ، لأنه دائما يشعر بانه مازال في حاجة الى أداء نصيب مما تحمل ، ولم يرض بعدُ بما انجز وقدم . فهو يعنى بالمكتبات والنبش عنها واخراجها من زوايا الاهمال وتحقيق المخطوطة المفيدة ، ويدفع بطلبته

إلى سبل البحث ليغرس فيهم همة المسؤولية ، فلا يكونون متواكلين واتكاليين ، لأنهم رجال الغد ، واذا لم يفيدوا من التعليم فلن يفيدوا في اداء رسالتهم في الحياة ، ويصبح الجهد ضائعا .

كل هذا عرفته من جلسة ساعة ، ومرت كأنها دقائق ، لأن للاخ الكريم جاذبية ، اكبر الظن أن مردها الصدق ، وحرارة القلب الذى يرى الواجب وأداءه ضربا من العبادة ، وأن التقصير في ذلك شيء اشبه بالجناية في اداء الامانة التى حملها الانسان طائعا مختارا .

ان الحديث ممتع ومبدع عن الدكتور على الذى اسعدنا وجوده معنا وبيننا ونحن حظيظون حقا ، لان ظفرنا بما يتلاقى وطموحاتنا ، وائتلفنا من اول لقاء وكأننا على معرفة قديمة متواصلة وأؤكد أن بيننا معرفة ، وهى ذمم عند أولى النهى كما قال الشاعر . معذرة في الاطالة . . وأوشك أن أسمع أخى عبدالمحسن بأنى لم اترك له شيئا ، وفي ظنى انى تركت الكثير عن البحرين الشقيقة تاريخا وشعبا ، وأنما تحدثت عن شطر يختص برجل قابلته لاول مرة فاحببته ، لانه أهلا لذاك . فليتفضل أخى الدكتور عبدالمحسن ، واعتذر الى

الدكتور على اذا لم أوفه حقه من الوصف ، ولعل لقاءً مجددا يتيح لى ما أريد ، فمرحبا به في وطنه وبين أهله مجددا ، وعهده بام القرى ومناهل العلم فيها غير بعيد ، فهو اذن يجدد اياما كانت حفيلة بالدرس الجاد ، وطلبته اليوم دكاترة ، يقدرون علمه واخلاصه وحرصه على التزود بالمعارف ، فذلك هدفه وديدنه ، فهو ذو فضل يذكره له ابناؤه الذين اصبحوا زملاء ولكنهم يعترفون انهم مازالوا طلاب علم أوفياء لمن وفي اليهم ، فلا ينسى ، ولا يتجاهل دوره الرائد في الحث على اكتساب المعارف ، فتلك رسالته الاولى المتصلة والدائمة ، والله سبحانه لايضيع اجر من أحسن عملا .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبدالفتاح ابو مدين

الكلمة التي ارتجلها الدكتور عبدالمحسن القحطاني في تقديم الدكتور علي عبدالرحمن أبا حسين

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ..

محاضرنا الكريم صحبك الكرام أردد قولة أجدادنا : إن التحية فرض عين عرفتها العرب فلن أكتفي بتحية الاستاذ عبدالفتاح أبو مدين بل أردد قول أجدادنا : حللتم أهلا ووطئتم سهلا ، وأعيد قول الشاعر مع الفارق :

يــا ضيفنــا لــو جئتنــا لـوجـدتنـا
نحن الضيـــوف وأنت رب المنـــزل

فأهلا ومـرحبا بـك ، ومن ورائك كـوكبة جـاءت من البحرين . دولة غرست أوتادها في ذاكرة التاريخ ، وثبتت اطنابها بثقافة الأمة وموثّقة حركاتها على شطآن التاريخ ، فامتدت أنظارهم بامتداد البحر .

حينما أتحدث عن البحرين لا أدري أأتي على تاريخها القديم . وأنت صاحب التاريخ . ولكن لا ضير من أن أقول شيئا عن بعض أسمائها . ولمن ذلك الاسم السومري الذي يعني أرض الحياة . والحياة هي الماء والزرع .

ولعله استوقفني شعار الأسبوع الثقافي حينما وجدت النخلة سامقة يحفها علمان : علم البحرين ، وعلم المملكة

العربية السعودية . والنخلة كما هو معروف من أكرم الأشجار حيث أكرم الله بها مريم ، فهي شجرة طيبة مباركة ، ولعلي أدغدغ عاطفتي حينما آتي على اسم أُوال او أَوال بالضم أو بالفتح ـ فأنا أحبذ أن يكون البطل العربي أوال بن ربيعة ذلك البطل الذي جاء إلى البحرين فتسمت باسمه . أما حينما أتحدث عن مسمى البحرين ، فإنه اسم على مسمى كيف هذا الاسم ؟ إن أجدادنا ـ أيها الاخوة يبحرون في الماء الأجاج بقربهم ـ لكي يصلوا إلى النبع العذب الدافىء في أعماق الخليج ، فيخرجون مرة أخرى بماء عذب إلى أهلهم ، إنها الحياة . هذه البحرين إن جئت أتحدث عن العلاقة بينها وبين أختها السعودية فحديثي قديم أرجو أن يجعله محاضرنا متجددا هذه الليلة . اسألوا هجر . اسألوا الأحساء اسألوا المنطقة الوسطى . اسألوا مكة والمدينة . وحلوا في جدة لتروا ، ولكني فوجئت قبل عشر دقائق أن محاضرنا الكريم أخلص لمكة فدرّس فيها ، وألّف لها وهذه هي الصلات الحقيقية ، لا تستغرب العلاقة أو الاتصال نحن أمام قديم نرجو أن يكون متجددا . اللغة واحدة والجنس واحد والدين واحد والهدف واحد . قد نختلف مع بقية البلدان العربية في الوسيلة . ولكنا نتفق وسيلة وغاية مع خليجنا العربي . انه وشيجة القربى ووشيجة الصلة أسر تفرقت في هذه الجزيرة عبر التاريخ البعيد فمازالت الأسر تتلاحم وتتصل فوق كل

شيء . إنها الأرض ، البحرين دولة صغيرة ، تزهو بجامعتها ، وأخرى خليجيا ، ما أوسع هذه الأرض التي تحوي جامعتين . إنسانها فنان شاعر . أديب . عرف البحر فتعامل معه بصبر . بعرق بكفاح . قرأت قبل مدة . أن ثلاثين ألفا من سكان البحرين بحّارة يحسنون التعامل مع البحر وكان عددهم آنذاك مائة ألف بين شباب ونساء وأطفال . إنهم بحارة كلهم . يغوصون ليأخذوا اللؤلؤ والمرجان من هذه الأرض الصافية ، حينما أتحدث عن كل هذا أجد أن وشيجة القربى والصلة قديمة قدمنا . الأسبوع الثقافي ماهو إلا تأكيد على ذلك . كوكبة جاءت . محاضرنا الكريم رمز من رموزها تفرقت على المملكة العربية السعودية . تحاضر وتناقش وتحاور . كنت أحاول أن أتحدث عن سيرته الذاتية ، بيد أن الأستاذ عبدالفتاح أبا مدين جاء بعلاقة حميمة أكثر وأقرب صدقا من ورقة اقرؤها فإنني اكتفي بما قاله الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين عن محاضرنا الكريم ولكتنني أضيف من اللحظة السريعة التي اطلعت عليها أنه يمثل علماءنا «العالم الشامل» رجل تربوي مؤرخ أديب .

جزاه الله خيرا وأرجو أن يتفضل محاضرنا الكريم بإلقاء محاضرته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



أيها السادة الاجلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

كلمة شكر وتقدير للمقدم الجليل

وحسب المرء ان يقف بين اخوته ليرحل معهم في عصور اسلاميات مضريات ونحن نبحث في جوانب من (الصلة التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية) .

انها صلة الوطن الواحد وصلة القربي والنسب والتاريخ المشترك ويتوج تلك الصلات الدينية التى لها كبير الاثر في التواصل والتعاون بين الافراد والشعوب فى كل زمان ومكان . وبحكم موقع البحرين الجغرافي وخصوبة تربتها ووفرة مياهها فقد كانت مأهولة بالسكان حيث اوردت كتب البلدان والمسالك والممالك والوثائق التاريخية على ان في البحرين اكثر من ثلثمائة قرية . ويطلق على البحرين الاقليم الساحلي الممتد غرب الخليج العربي من كاظمة الى شمالي عمان . وقد نزحت اليها بعض القبائل بشكل افراد وجماعات وبفترات من التاريخ فاعتنقت الاسلام وجاهدت في سبيل نشره ومن تلك القبائل :

قبيلة عبدالقيس :

وفدت الى البحرين قبيل الاسلام من تهامة الحجاز وتغلبت على من في البحرين من (اياد والازد) فأجلت اياداً عنها . ولما ظهر الاسلام كانت عبد القيس سباقة للدخول فيه فقد اوردت المصادر التاريخية ان (الاشج) كان قد ارسل صهره وابن اخته عمرو بن عبد القيس مع قافلة تجارية تنقل التمر من هجر الى الحجاز وقد طلب منه ان يحصل على معلومات عن دعوة الرسول ﷺ وفي عام الهجرة وصلت القافلة فقابل عمرو بن عبد القيس رسول الله ﷺ فأسلم وطلب منه الرسول ﷺ ان يدعو خاله الاشج للاسلام فأسلم الاشج . وتشير الروايات التاريخية على ان هناك صلة تجارية وفكرية بين البحرين والحجاز وهذا ادى إلى اسلام عبد القيس في زمن مبكر وان (الاشج) ذهب الى المدينة المنورة على رأس وفد يضم سبعة عشر رجلا ورجع مع (العلاء بن الحضرمي) الذى كان يحمل رسالة الرسول ﷺ الى والى البحرين المنذر بن ساوى التميمي وذلك فى السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م) واعتنق سكان البحرين الاسلام بدون قتال فاسلم العرب وبعض العجم ، كما ارسلت بنو عبد القيس وفادة ثانية برئاسة (الجارود العبدي) تضم اثنى عشر رجلا في السنة التاسعة للهجرة وكان الجارود نصرانيا فأسلم

رسالة الرسول (ص) إلى والي البحرين

أرسلها مع العلاء بن الحضرمي سنة ٨هـ/ ٦٣٠م

سم الله الرحم الرحىم محمد رسول الله ں
المىرر ں ساوى سلام ىك ماى احمد الله
الىك الدى لا اله عىره و اسهد ان لا اله الا
الله و ان محمدا عىده و رسوله اما ىعد ماى ادكر
ك الله عر و حل ماىه مں ىىصح ماىما ىىصح لىمسه و ىطع ر
سلى و ىىىع امرهم مقد اطاعىى و مں ىصح لهم مقد ىصح لى
و ان رسلى قد اىىوا علىك حىر الله و اىى قد سمعىك فى
قومك ماىرك للمسلمىں ما اسلموا علىه و عمو ىعں اهل
الدىوں ماقىل مىهم و اىك مهما ىصلح ملں ىعرلك عں عملك و مں
اقام على ىهودىىه او محوسىىه معلىه الحرىه

الله
رسول
محمد

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد الله
اليك الذي لا اله غيره واشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله اما بعد فاني اذكر
ك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ويطع ر
سلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي
وان رسلي قد اثنوا عليك خير الله واني قد شفعتك في
قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل
الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن
اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية »

الله
رسول
محمد

اسلم المنذر بن ساوى حين بعث الرسول (ص) مع العلاء كتابه لاهل
البحرين سنة ٨هـ/ ٦٣٠م

واصحابه وبقى في المدينة المنورة فترة حتى تفقه في الدين فحسن اسلامه .

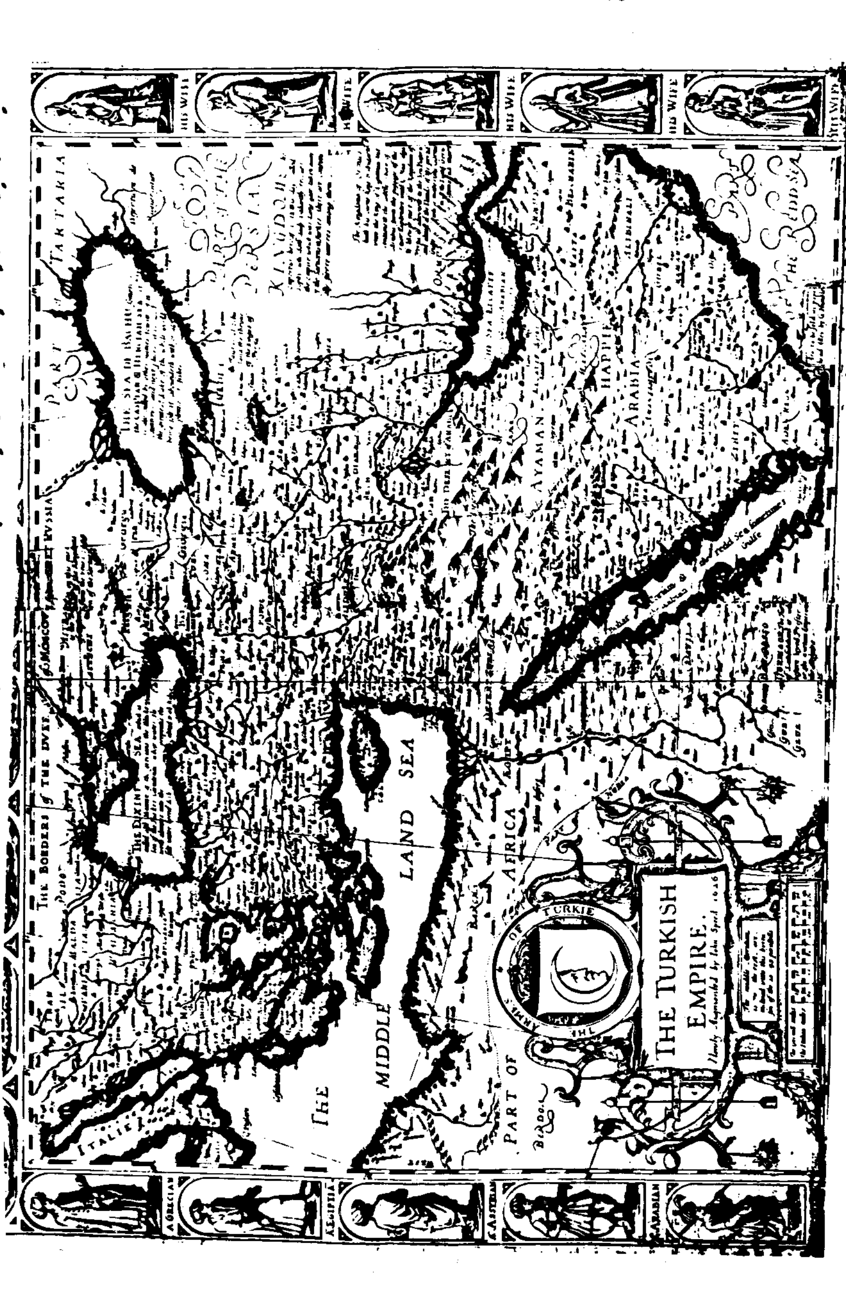
وارتدت عبدالقيس مع من ارتد في البحرين ولكن بجهود (الجارود) تراجعت وتمسكت بإسلامها بل قاد الجارود قومه لحرب المرتدين[1] . واصبح لعبد القيس دور هام في تاريخ البحرين فهم الذين قضوا على القرامطة واستأصلوا شأفتهم على يد العيونيين .

ومن القبائل التى استقرت في البحرين (بكر بن وائل) فقد دخلت البحرين قبيل الاسلام وارتد منها (الحطم) فقضي عليه . واصبحت البحرين من ناحية ادارية تابعة في ادارتها للحجاز . وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الحقت اداريا بالبصرة . ثم صار لها وال خاص إذ أصبحت البحرين ولاية من ولايات الدولة مرتبطة بدار الخلافة الاموية والعباسية وفي عهد هارون الرشيد المتوفى ١٩٣هـ ولى احد كبار قادته وهو (المعلى) ولاه على اقليم واسع في الخليج العربي ومنه (البحرين) و (الغوص) ثم جمعت هذه الاعمال (لمحمد بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب) ثم لغيره . وبذا اصبح والي البحرين يحكم اقليم البحرين مع جميع الجزر والفشوت والهيرات ومناطق الغوص التى فى شرقي الاقليم . وانتقل كثير من

---

(١) عبدالرحمن النجم ، البحرين في صدر الاسلام ص ٤١ , ٤٣ , ١٠٣ , ١٠٤ . وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٤١١ .

خريطة الجزيرة العربية ويظهر فيها بحر القطيف



(تميم) من نجد والحجاز فاستوطنوا البحرين وكان الوالي هو (المنذر بن ساوى التميمي) الذى اسلم في السنة الثامنة للهجرة حين ارسل له الرسول ﷺ كتابا مع العلاء بن الحضرمي .

اما (الازد) فقد هاجروا اثر انهدام سد مأرب فاقاموا في تهامة الحجاز ولما حدثت بينهم الفرقة هاجر بعضهم الى البحرين وعُمان وهجر واوال ورحب الازد بالخوارج الذين يقودهم نجدة بن عامر . وكان لتلك القبائل دورها في تجارة البحرين وخاصة مع مكة المكرمة والمدينة المنورة فصدرت الى الحجاز التمور والملاحف والمنسوجات الهجرية والبرود القطرية والاديم والرماح الخطية والمسك المستورد من الهند الى دارين . بينما استوردت البحرين من الحجاز النقود الذهبية والفضية وخاصة من مكة المكرمة . وكثيرا ما كانوا يبادلون القمح بتمر هجر مقايضة . وعبرت القوافل وهى تحمل سلع البحرين الى الحجاز عن طريق برى عبر اليمامة والافلاج فالحجاز واليمن وهي الطريق التى كانت تعبر عليها القوافل التجارية للجرهائيين ايام السبئيين . وطريق بحرى من الخليج العربي الى البحر الاحمر الذى كان يطلق عليه بحر مكة[2] .

---

(٢) نفس المصدر ص ٨٦ و٩١ و٩٧ وانظر الخريطة المرفقة (قامت دولة سبا في ٩٥٠ق . م واستمرت الى ١١٥ ق . م وانهدم مارب ٥٣٩م وانهدام آخر في ٥٦٥ م وقد بناه سبأ بن يشجب واكمله ملوك حمير) .

وتمر على الامم في تاريخها القديم والحديث احداث جسام فتخلف في نفوس ابنائها اثرا مؤلما وقد مرت على الامة العربية الاسلامية من هاتيك الاحداث ما فعله القرامطة في ديارات الاسلام فقد ظهر القرامطة (وهم من اصل فارسي) في القرن الثالث الهجرى وتركز نشاطهم فى الكوفة وسوادها ثم البحرين ثم تحولت الى حملات هدامة نحو الحجاز والعراق والشام . ولم يكتب لحركة القرامطة النجاح لانحرافها عن الاسلام وقد واكبتها حركة قرمطية انتهكت حرمة البيت العتيق ٣١٧هـ وقتلوا الذرارى والصبيان ونهبوا الاموال وعطلوا الحجيج عشرات الاعوام .

اما في البحرين فقد استطاع العوام بن محمد بن يوسف الزجاج الملقب (ابو البهلول) وهو من قبيلة عبد القيس التى نزحت من تهامة الحجاز استطاع ان يطردهم من أوال وكان قد بنى مسجدا فيها فمنعوه ولكنه اهدى لرؤسائهم هداياه فابقوه وفي ذلك يستنكر ابن المقرب ذلك فيقول :

وما بنوا مسجدا لله نعرفه بل كلما وجدوه قائما هدما

واما الذى استأصل شأفتهم من ولاية البحرين هو (عبد الله بن محمد بن ابراهيم العيوني) وهو الاخر من قبيلة عبد القيس وذلك في ٦٣٦هـ وفيه يقول ابن المقرب :

سل القرامط من شظى جماجمهم فلقا وغادرهم بعد العلا خدما

من بعد ان جل في (البحرين) شأنهم وارجفوا الشام بالغارات و(الحرما)

وفي اواخر القرن الثامن الهجرى او منتصف القرن الرابع عشر الميلادى قامت دولة الجبور في البحرين ومن اشهر حكامها (اجود بن زامل) وكان عصره من أزهى العصور فقد وصفه السمهودي المتوفى ٩١١هـ مؤرخ المدينة المنورة والذى كانت له به صلة قوية فقال : (رئيس اهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت صلاحا وافضالا وحسن عقيدة « ابو الجود اجود بن زامل بن جبر ايده الله وسدده) فلقد اتسع ملكه حتى استولى على كثير من سواحل الخليج العربي واخذ الجزية من بعض ملوك فارس المجاورين له . وحج اجود بن زامل سنة ٩٨٣هـ ومعه خمسة عشر الفا من قومه . وفي سنة اثنتي عشرة وتسعمائة حج في جمع عظيم يقال انهم يزيدون على ثلاثين الفا من البحرين[٣] وذكر صاحب (السلاح والعدة) ان محمد بن اجود ذهب للحجاز لمساعدة اشراف مكة فى عام ٩١٢هـ فاخضع القاطنين قرب جدة وكان عدة جيشه خمسين الفا[٤] ونستنتج ان محمدا كان يشارك اباه في الحكم . واشتهر (مقرن بن اجود بن زامل) سلطان البحرين بحروبه مع البرتغاليين وجرح مقرن وتوفي على اثر جراحه عام

---

(٣) عبدالملك العصامي . تاريخ مكة ص ٤٧٤ مخطوط في مركز الوثائق التاريخية في البحرين وابن بسام. تحفه المشتاق ص ٩ مخطوط .

(٤) ابن فرح . السلاح والعدة في تاريخ جدة . حمد الجاسر ، العرب ج ٩ و ١٠ س ١٣ مارس ١٩٧٩ والجزء السابع السنة الاولى محرم ١٣٨٧هـ (الصفحات ٦٠١ ـ ٦١٠ . الوثيقة ٣/ ٩٠)

بالامتثال والعمل بموجب صورة الامر الباشوي المرسل اليه من مولانا الشريف سعيد بن
الشريف سعد والنداء باسمه في البلد يوم الجمعة سادس عشر جمادى الاولى واخراج
محسن وتغيبته الى الجوف وفي ثامن جمادى الاخرى وصل الخبر بوصول القفطان
الى ينبع يوم الجمعة رابع الشهر المزبور وفي يوم الاثنين رابع عشره كان وصول
القفطان فاذا قفطان من الشريف صحبة عبد الله احمد اغا السلحدار ومعه
صورة الامر السلطاني بانعام الدولة العلية على مولانا الشريف سعد بشرافة مكة
ومعه صورة اعيا نشويان احدهما خطاب للشريف سعد بانعام الدولة العلية
له بشرافة مكة على والده واقامته مقام والده والاخر خطاب للافندي الشرع في
عساكر مصر بالطاعة والامتثال والمعاونة في جميع ما يريده من الانعام والاكرام
وصحبتها ايضا كتابان من مولانا الشريف سعد احدهما للافندي والاخر لطوايف
العساكر بمثل ذلك والتحذير عن المخالفة بالتشديد والتهديد والحث على التأكيد
وقرئ جميع ذلك بالمسجد الحرام بشهود القاضي والعالم والخلق اجمعين ونودي في البلد
باسم الشريف سعد وفتح كل يوم بابا ذلك اليوم ثم نودي بالزينة بعد
سبعة ايام فتمت بابهى منظر وازهى نظام فلما كان اليوم الثامن من ذي الحجة
الحرام هذا اخر ما وجدناه مكتوبا في النسخة المنقول عنها
اللهم ... بامنا بالتمام محسن الختام ... محمد ...
الكريم انه ولي الفضل والانعام ...

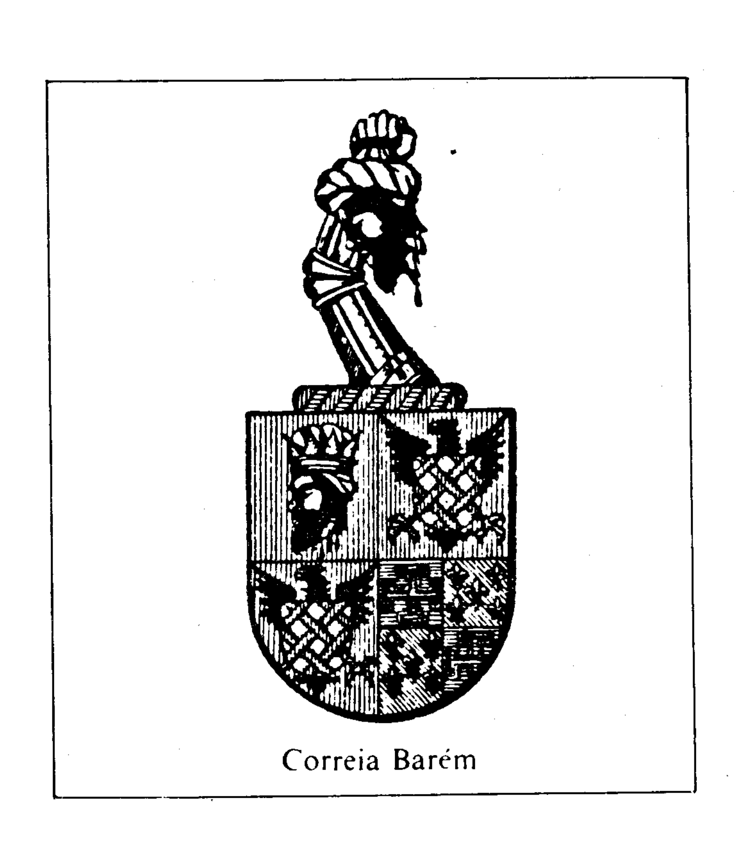
لما وقف على هذا ...
... السنة ...
... واوراق سوا تاريخ ...

(وفي سنة اثني عشرة وتسعمائة حج
الشيخ اجود بن زامل (الجبرى) في جمع
عظيم (من اهل البحرين) يقال انهم يزيد
على ثلاثين الفا ..) .

سنة ٩١٢
وقف على حجة اجود بن ...

... ١٢٣٧ ...
...

وفي سنة احدى عشرة وتسعمائة كان مولد
مولانا الشريف بن بركات كما سيأتي ذكره وفي سنة اثني عشرة وتسعمائة حج الشيخ اجود
بن زامل في جمع عظيم يقال انهم يزيدون على ثلاثين الفا وفي سنة ثلاث عشرة
وتسعمائة وصل مولانا الشريف بركات الى الجبل ... من المدينة الشريفة وقتل مالك
بن زرعة الزبيدي الذي كان سببا في نهب مكة المشرفة وقتل اولاده الثلاثة معرض
... مشهورين ... كثيرة منهم ومن اتباعهم من ذوي روايا
... الناس ... وطيف برؤسهم في البلاد وارسل بها الى مصر فنصبت
... وكانت حجة هنية ... وفي سنة
خمس عشرة وتسعمائة توجه السيد عرار بن عجل ... مولانا الشريف بركات ...
... وعشرين الف دينار ذهبا وعشرين فرسا
... ذلك ... ثلاثة الاف دينار ... السلطان ...
... خلعة ... وخلعة عند تقديم الهدية وخلعة عند الوداع
... هدية عظيمة للشريف بركات وخلعا سنية ثم حلف له ايمانا موكدة



Correia Barém

مقرن بن أجود الجبري

٩٢١هـ فتولى القيادة (حميد) وهو ابن اخت مقرن حيث امر حميد قواته بالانسحاب الى القطيف ومعهم جثمان مقرن ليدفن في الاحساء و (حميد) هو ابن اخت مقرن وابوه الشريف بركات[٥] ولعل حميد هو جد آل حميد من بنى خالد حكام الاحساء والقطيف وماحولها .

وقد حدث ان تقدم البرتغاليون نحو الحجاز في عام ٩٤٨هـ فدخلت طائفة عظيمة من الفرنج في خمسة وثمانين غرابا (سفينة) وخربت غالب البنادر الى جدة فنزل (ابو نمي) من مكة المكرمة وصحبه جمع لايعد ولايحصى من المجاهدين من اهل مكة وصد البرتغاليين[٦] . ولابد ان نذكر دور الدولة العثمانية ايام السلطان (سليمان القانوني) في اتخاذه من اليمن قاعدة عسكرية للدفاع عن البحر الاحمر وغلقه هذا البحر امام السفن الافرنجية غير الاسلامية كاجراء دفاعي عن الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز بصورة خاصة[٧] . كما ان للخليج العربي دورا هاما في التخلص من البرتغاليين فان سلطان مسقط سلطان بن سيف قد طلب المدد من حكام الخليج العربي في عام ١٦٥٠م - ١٠٦٠هـ فأمدته القرين (الكويت سابقا) والبحرين ودبي وابوظبي

---

(٥) الشريف بركات بن محمد بن بركات تولى امارة مكة المكرمة بعد وفاة ابيه ٩٠٣هـ وتوفى ٩٣١هـ انظر الاعلام للزركلي ٢ / ٤٩ .

(٦) العصامي . ص ١٥٢ (مخطوط) .

(٧) عبدالعزيز الشناوى . الصراع بين المسلمين والبرتغاليين ص ٣ . والوثيقة ١٥/ص ٦٥ و ٦٦ .

بخمس سفن برجالها المسلحين وبخمسمائة (محمدى) من المال وهذه بداية للتعاون الخليجي والذى ادى الى انسحاب البرتغاليين عن الخليج العربي في الوقت الذى قامت الدولة العثمانية باحكام السيطرة على منافذ البحر الاحمر وكانت هذه بداية عملية للتعاون الاسلامى واذا اضفنا الى ذلك ما قام به المغاربة من دحر الاسطول البرتغالي في معركة وادى المخازن عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م ولقى ملك البرتغال دون سباستيان مصرعه على يد الجيش المغربى . وقال فيها الوزير القشتالى يمدح العاهل المغربي السلطان احمد المنصور فيقول :

فكم هنأت ارض الفرات بك العلا
ووافت بك البشرى لارض عُمان

وهكذا اجتمع العرب والمسلمون من سكان الخليج العربي والبحر الاحمر والبحر المتوسط ضد البرتغاليين الذين كانوا يهدفون للقضاء على الوجود الاسلامي في هذه المناطق تدفعهم روح صليبية وطمع في خيرات الشرق وتأسيس امبراطورية استعمارية في آسيا وافريقيا ولكن وحدة العرب والمسلمين حطمت احلامهم ودحرتهم الى حيث لارجعة .

وفي العصر الحديث هاجر (العتوب) صوب الخليج العربي ومنهم آل خليفة وآل صباح واسر كثيرة اخرى. وبنو

عتبة كما قال الشيخ (عثمان بن سند)[8] لهم في (عنزة) بن اسد (بن ربيعة) نسبة والذى يظهر انهم متباينو النسب لم تجمعهم في شجرة أم وأب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض وما قارب الشيء يعطي حكمه على الفرض) . ومن هنا يتضح ان (العتوب) حلف يضم بطونا وافخاذا كثيرة تنتمي لعدة قبائل هاجرت من مساكنها في نجد واستقرت على ضفاف الخليج العربي وتحالفت مع بعضها البعض وتصاهرت فيما بينها فاصبحت تمثل قبيلة العتوب .

ولقد كان التاريخ ضنينا علينا بمعرفة بدء هذا الحلف او كيف ولماذا اختاروا اسم العتوب الذى أطلقوه على انفسهم فربما سمى بعد ارتحالهم او عتبهم نحو الشمال فاصبحت الكلمة مشتقة من الفعل (عتب) اى انتقل وارتحل[9] .

والذى نقوله :

ان من العتوب من ينتمى الى قبيلة (عنزة) ومنهم من (تميم) آخرين من (سُليم) وغيرهم فاما اولئك الذين ينتمون الى عنزة فمنهم آل سعود وآل خليفة وآل صباح وآخرون . والدارس لتاريخ العرب يجد الترابط القبلي واثره الواضح حتى يومنا هذا خاصة في الجزيرة العربية او من نزح منها فهم يشعرون انهم ينتمون الى اب واحد وانهم بنو عمومة

---

(٨) عثمان بن سند . سبائك العسجد ، ص١٨ تو في الشيخ عثمان بن سند في ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٦م وفي رواية ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .

(٩) لسان العرب ١/ ٥٧٩ : وديكسن . الكويت وجيرانها ص ٢٦ . والدكتور الخصوصي . دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ١/ص٩٩ .

شأى من قبله ، هذا وحيث اشرنا الى بلده المعمورة وصا ، المكرمة بطلعته عطلها ورفعا ،

الكلام على بلدة الكويت

﴿منقول هي الكويت﴾ بضم الكاف واسكان اليا. بلا خلاف على ساحل بحر العمان ،
بفتح العين في ضبط ذي الاتقان ، لم تعمر قبل ورود ابيه المعظم الثانى ، الاربعة من
الزمان ، سكنها بنو عتبة : ولهم الى عنزة بن اسد نسبه ، والذى يظهر انهم متباينوا النسب …
لم تجمعهم فى شجرة ام واب ، ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض ° وما قارب الشىء يعطى
حكمه على الفرض ، والمقدم عليهم حين ورود ابيه اليهم (عبدالله بن صباح) وفقه الله

ترجمة عبدالله بن صباح شيخ بلدة الكويت

للصلاح ، وكان لاقدم ابو المشار اليه ، يفوض ابرام الامور ونقضها اليه ، حتى انهم قبل …
وصوله شرذمة قليله ، ذوو امسكنة وذله ، وحين جعلوا لا رآئهم قبله ، وفوض خواصهم
الامر اليه كله ؟ شد اسرهم وسد ثغرهم ؟ ورأب صدعهم ؟ ونصب جمعهم ؟ فما فرع الذرو …
فى تلك البلاد ؟ وطفى بحر المكارم وزاد ؟ واقبل الخير بسحره وبحره ؟ واطلع الجد فى …
سمائها وجه قمره ؟ وذلك ايام صغره ؟ فتصدر ابيه فى اموره ؟ ارهاصا لظهوره ؟ وعلامة
على انه صدر بدوره ؟ وانه الدرة التى سمح بها القدر ؟ حتى اغلقت وقفا الجد عن درر
هى لرياض الفضل زهر ؟ ولوجه العدل غرر ؟ على ان اباه كان ذا ايمان ؟ ثابت البنيان
مشيد الاركان ؟ يعمر المجالس بالنفاسة ؟ والمساجد بالتلاوة والدراسة ؟ ذا راى ثاقب …
وتدبير صائب ؟ اثبت من الرعان ؟ انقلب الجمرة الرمثى ، واكرم من السحاب الهتان
عظيم المقدار ؟ خصوصا عند الاخيار ؟ واصلا للارحام ؟ بالهبات الجسام ؟ دائم الابتسام
وافر الاحتشام ؟ يضيق نطاق الحصر عن افراد شانه ؟ ويعجز الزمان عن حمل اعبائه ،
وماذاك الا لاسفار نجله الكريم ؟ على صفحات وجهه الوسيم ؟ فلقد لف الجد اباه بطرف
الجد ؟ وعطف عليه بطرف السعد ؟ حال ايجاده ؟ فى الرحم وقبل ميلاده ؟ فمست السماد …
اباه ؟ مد تلالا سناه ؟ ولقد ابحر فى الثانى ؟ بثلاثة دنانير اقترضها من الوالى ؟ فبلغت فى …
زمان يسير ؟ ثلثمايه على التحرير ؟ كما روى ذلك افضل اصحابه ؟ والطف سامر به
ومواسيه ؟ كما خفف على زوجته ؟ ونشر بعض برود صفته ؟ وذكر اصحابه وسامريه فى

ذكر انتقاله من الكويت الى الاحسا من البحرين

رحابه (الشيخ محمد بن سلوم) حرسه الحي القيوم ؟ وفى عام مبارك البدء والختام ؟ ارخ …
ختامه ... سنة ١١٨٨ انتقل ابو هذا القمقام الى الاحسا من البحرين ، وصار فيها
بعز ... من البين ، فاتخذ فيها الاوتاد واجزل فيها الارفاد ؟ وبذل فيها المعروف
على المجهول والمعروف ، وحصل له ببركة هذا الغلام ؟ تمام الاكرام من الحكام ؟ وصار …
الخاص والعام ، له عزة الخدام ؟ تناخ على بابه الركاب ، وتاتيه الوافدون من كل اوب …
وباب ، وقام فيها نشر محاسنه ؟ ونحمد مساعيه وبيانه ، بطانته خير بطانه ، تامر بالمعروف …

و...

صورة من كتاب سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الاسعد للشيخ عثمان بن سند المتوفى ١٢٤٢ هجرية .

Photocopy of a page from the book SABAYIK AL ASJAD . about Ahmed the son of Rizq al-As'ad, authored by Othman Bin sanad. (d. 1242 A.H.)

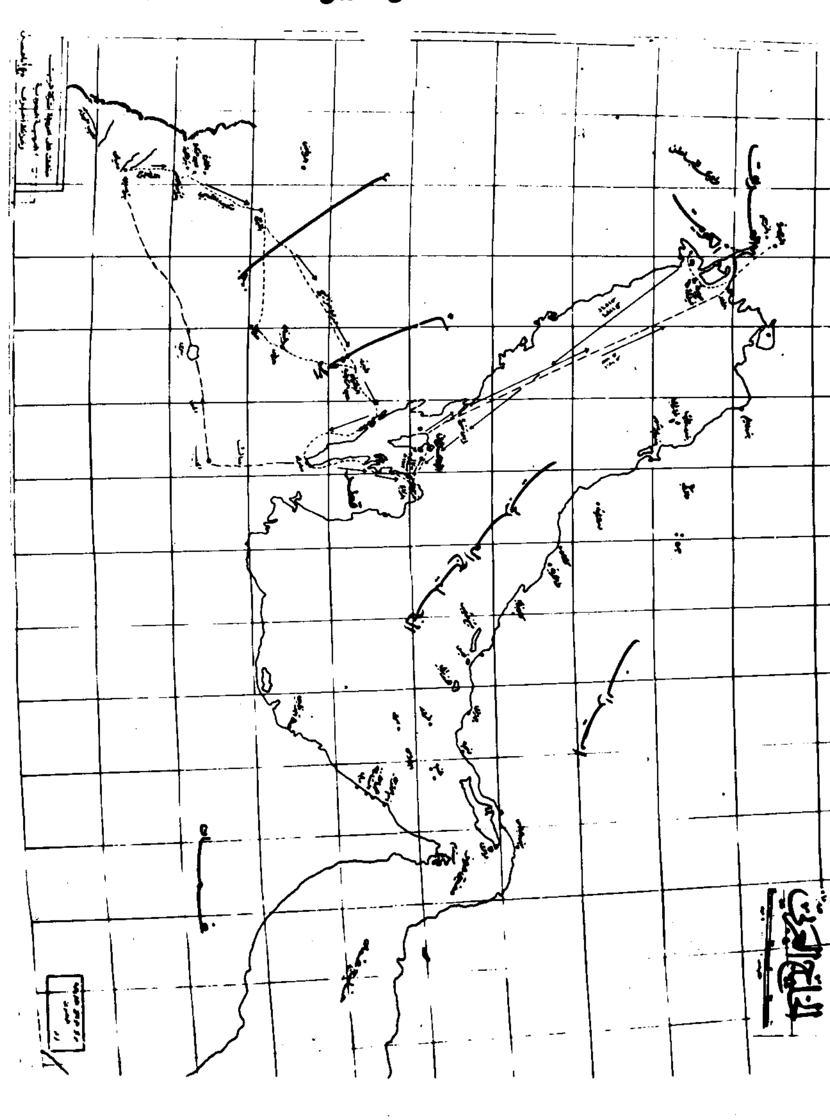
يتناصرون لبعضهم البعض ويتفقون حين يداهمهم العدو وان كانوا من قبل لمختلفين . وهكذا كانت صلة سكان البحرين بسكان المملكة العربية السعودية حكاما ورعية وان صلة القرابة أو ذوي القربي قد اوصى بها ديننا الحنيف في مواضع كثيرة[١٠] وسوف تجد آثار تلك الصلة في التشاور والنصح والتعاون بين آل خليفة وآل سعود بما يحفظ لرعيتهم من خير وأمن واستقرار ولبلادهم من سيادة واستقلال مما ستوضحه الوثائق المصورة والمرفق بعضها في البحث والمتبادلة بين الامام عبدالرحمن بن فيصل وجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود مع الشيخ عيسى بن على آل خليفة وابنائه واحفاده الى يومنا هذا اما اصل هذه الصلة عند الرعية او شعب البحرين والمملكة العربية السعودية فان سكان البحرين عبر التاريخ ينتمون فى الغالب الى قبائل عربية نزحت في فترات تاريخية من الجزيرة العربية وسكن بعضهم في السواحل الشرقية من الخليج العربي ثم تحولوا منها الى البحرين وهم الذين يدعون (بالهوله) . ومنهم من سكن البحرين بعد نزوحهم من نجد واستقروا بها الى الوقت الحاضر لذا فان الصلة بين شعبي البلدين تعود الى فترة طويلة .

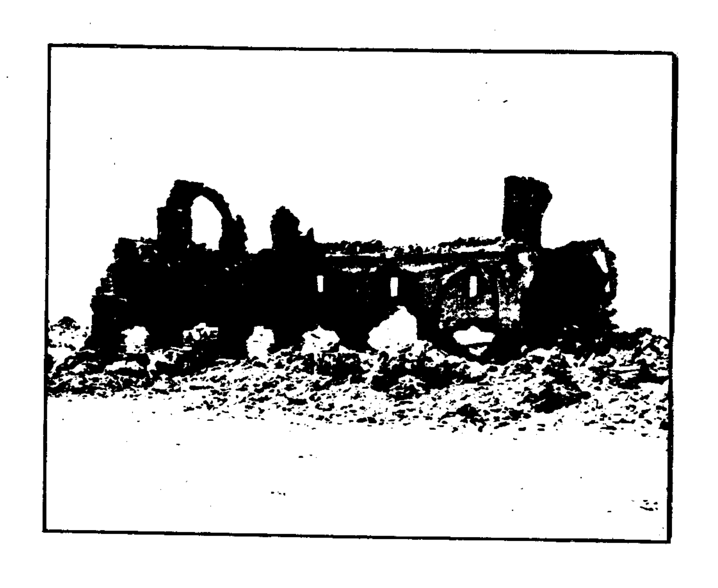
كما تتخذ الصلة بين البحرين والمملكة العربية السعودية

---

(١٠) محمد فؤاد عدالباقي . المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٥٤١ طبع بيروت سورة البقرة ٨٣و ٢ / ١٧٧ / ٢ وسورة النساء ٨ / ٤ و ٣٦ / ٤ وسورة الشورى ٢٣ / ٤٢ .

خريطة الخليج العربى





آثار قلعة مرير

جانبا آخر هو (الوطن الواحد) فان آل خليفة ومن والاهم من سكان البحرين هاجروا مع من هاجر من العتوب في وقت ما في القرن الحادى عشر الهجرى أو القرن الثامن عشر الميلادى من موطنهم (الهدار) و (الافلاج) في نجد تلك المنطقة الغنية بالمياه الكثيرة والعيون الجارية وما فلج (بفتح اوله وثانيه) الا النهر الصغير ، أو الماء الجاري من العين لانفلاجه اى انفتاحه . وكانت ولازالت تلك الاماكن تحمل معنى الماء الكثير أو الجارى او السريع فمثلا (الغيل) وهو ماء على سطح الارض ثم (السيح) وهو ماء ظاهر يرى على الارض و (الهدار) وهو سيل مجلجل متدفق و (برك) و (سحاب) وهو الوادى الذى تقع عليه مدينة (ليلى) و(القمع) والمعيذر) و (نباع) . هذه منطقة الافلاج التى يبلغ طولها نحو مائتي كيلو متر وفيها اكثر من ثمانية عشر واديا . ووادى الهدار تجتمع سيوله في وادي الجدول شرقي قرية (البديع) الذى استوطنته (جميلة) من قبيلة عنزة والبديع تبعد عن (ليلى) باثنين وثلاثين كيلو مترا . ويسقى وادى الهدار قرية تاريخية تسمى (صداء) . من هذه البيئة التى تكثر فيها مياه العيون والآبار وتسود الزراعة الى بيئة البحرين ذات العيون الكثيرة والمياه .. الوفيرة وغابات النخيل المنتشرة نزح آل خليفة مع من نزح من العتوب وتأقلموا في البيئة الجديدة في فترة قصيرة .

ان بعض ما اوردنا من مسميات في نجد هي نفسها في

البحرين فان (صبحا) : وهي القلعة التى بناها (فيصل الجميلي) في الهدار وسماها (صبحا) أو (صبحة) كما بنى أحد احفاده وهو الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة في (الزبارة) قلعة في ١٧٦٢م أو ١١٧٦هـ وسماها (صبحا) وكان سبب بناء فيصل الجميلى قلعة صبحا فى الهدار لانه كان يحمل لشريف مكة (حسن بن أبي نمي)[١١] كل عام الاتاوة المفروضة عليه وبينما هو متوجه ذات مرة الى مكة لدفعها كعادته اذ مر على ضب وقد حفر جحره في سيل الوادى واقام سدا من الحجارة خلف جحره فقام فيصل الجميلي وبنى قصرا عظيما وحفر حوله خندقا ملأه بالماء وامتنع عن دفع الاتاوة وحاصره جيش الشريف وعاد الجيش خائبا وقال القائد للشريف (وجدنا سلمى اسفلها ماء واعلاها سماء)[١٢] وقلعة سلمى وتسمى (صبحا) في الهدار والافلاج وفي الزبارة قلعة سميت باسمها لان الخلف كثيرا ما يحافظ على التسميات ينقلها معه سواء لاسماء الاماكن او الاشخاص أو المعارك وهذا يدل على عمق الصلات الروحية بين المرء واصله وموطنه الذى نزح منه و (مرير) : هو واد من

---

(١١) العصامي . تاريخ مكة، ٤/٣٦٩ (مخطوط) وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، هامش ص ٨١ (حسن بن ابي نمي محمد بن بركات بن محمد توفى ١٠١٠هـ شارك اباه في امارة مكة المكرمة ثم انفرد بها بعد وفاته ٩٩٢هـ وسار الى نجد ٩٨٢هـ وعلى ما نقله ابن بشر عن العصامي انه سار مرة ثانية ٩٨٩هـ الى الخرج والبديع في الافلاج وضبطها) انظر الاعلام للزركلي ٢/٢١٨ .

(١٢) الوثيقة ١/٨٨ . وقافلة الزيت ص ١٢ العدد ٩ مجلد ٢١ سنة ١٩٧٣م .

الافلاج يدفع في منعرج وادى الهدار وكان بـه حضارة وعمران فأطلق على قلعة في الـزبارة بـاسم (مريـر) أو (صبحا) . وفي الطريق الى ليلى الافلاج يوجد موضـع اسمه (الرفاع) وفي البحرين موضـع يسمى الرفاع ايضا . والبديع (بفتح الباء) وتبعد نحو ٣٢ كم عن ليلى قاعدة الافلاج . وفي البحرين موضـع البديِّع (بتشديد الياء المكسورة) .

التاريخ والمصير المشترك : ان الدارس لتاريخ البحرين يجد ان البحرين كانت تضم بقعة واسعة تشمل الساحل الشرقي من كاظمة الى عُمان وكانت ولاية البحرين تضم الاحساء والقطيف بالاضافة الى جزر البحرين وعليها وال يضم اليه اليمامة التى تتسع فتشمل مساحة واسعة من شبه الجزيرة العربية وذلك في عهد الراشدين فالأمويين وخلافة بني العباس[١٣] واستمرت حتى عهد العيونيـين والجبور وكانت الظـروف السياسيـة التى تتعرض لهـا البحرين بمساحتها الواسعة متشابهة الى حد كبير منذ ان دخلت في الاسلام فارتدت ثم عادت الى الحضيرة الاسلامية كما تعرضت الى حركات الزنج والقرامطة ثم الى النفوذ الاجنبي في العصر الحديث خاصة العثمانيين والبرتغاليين والانجليز . حتى كتب الله ان تحكم من قبل أبنائها العرب .

ورغم ذلك فقد تعرضت لضغوط اجنبية تفرض عـلى حكامها العرب السير في ركابها ومنع كل ما من شأنه الاتحاد

---

(١٣) البلاذرى . فتوح البلدان . ص ٨٩ . وياقوت . معجم البلدان جـ ١ /٣٤٧ .

والتقـارب والمحبـــة بينهم وذلــك بـاذكــاء نــار الفتن والاضطرابات الطائفية والعنصرية لكى يتسنى لهم التدخل وتفرقتهم سواء على مستوى الحكام او الشعوب حتى منَّ الله على منطقة الخليج والجزيرة العربية باعلان (مجلس التعاون لدول الخليج العربية) .

واما الفترة التاريخية موضوع البحث فهي تعاصر كلا من عهد (الشيخ عيسى بن على بن خليفة آل خليفة) المتوفى ١٣٥١هـ وابنه (الشيخ حمد) المتوفى ١٣٦١هـ وحفيده (الشيخ سلمان)(١٤) هذه الرحلة الطويلة من العمر التى عاشها المغفور له (الملك عبدالعزيز) والتى عاصرت ثلاثة شيوخ من حكام البحرين تكون جانبا من الصلة العريقة بين المملكة العربية السعودية والبحرين لذا نرى ان نلقى الضوء بايجاز على تاريخ الفترة التى سبقت عهد الملك عبدالعزيز من

---

(١٤) ولد الشيخ (عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة) في عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م .وتولى زمام الحكم في البحرين عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م وله من العمر واحد عشرون عاما وذلك بعد وفاة والده وقد أرّخ الشاعر هذه السنة بقوله :

عصريــة الاثنــين واحــد وعشريــن بــاول جمــاد ســت فــوق الثمــانــين

وتوفى في العاشر من شهر شعبان ١٣٥١هـ/١٩٣٢م وله من العمر ستة وثمانون عاما هجريا . وقد عاصر الشيخ عيسى كلامن الامير (فيصل بن تركى) والامير (سعود بن فيصل) والامير (عبدالله بن سعود بن فيصل) والامير (عبدالعزيز بن سعود بن فيصل والامام عبدالرحمن بن فيصل والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود) .

وخلف الشيخ حمد اباه الشيخ عيسى في الحكم وذلك عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م وقد عاصره الملك عبدالعزيز حتى توفى الشيخ حمد في عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م فخلفه ابنه الشيخ سلمان الذى عاصر الملك عبدالعزيز ايضا .

خلال الزيارات التى قام بها حكام البلدين الشقيقين وذلك لانها ذات صلة بحكم الشيخ عيسى بن على آل خليفة الذى عاصر الملك عبدالعزيز ووالد الملك وهو (الامام عبدالرحمن) وجده وهو (الامير فيصل بن تركى)[١٥] .

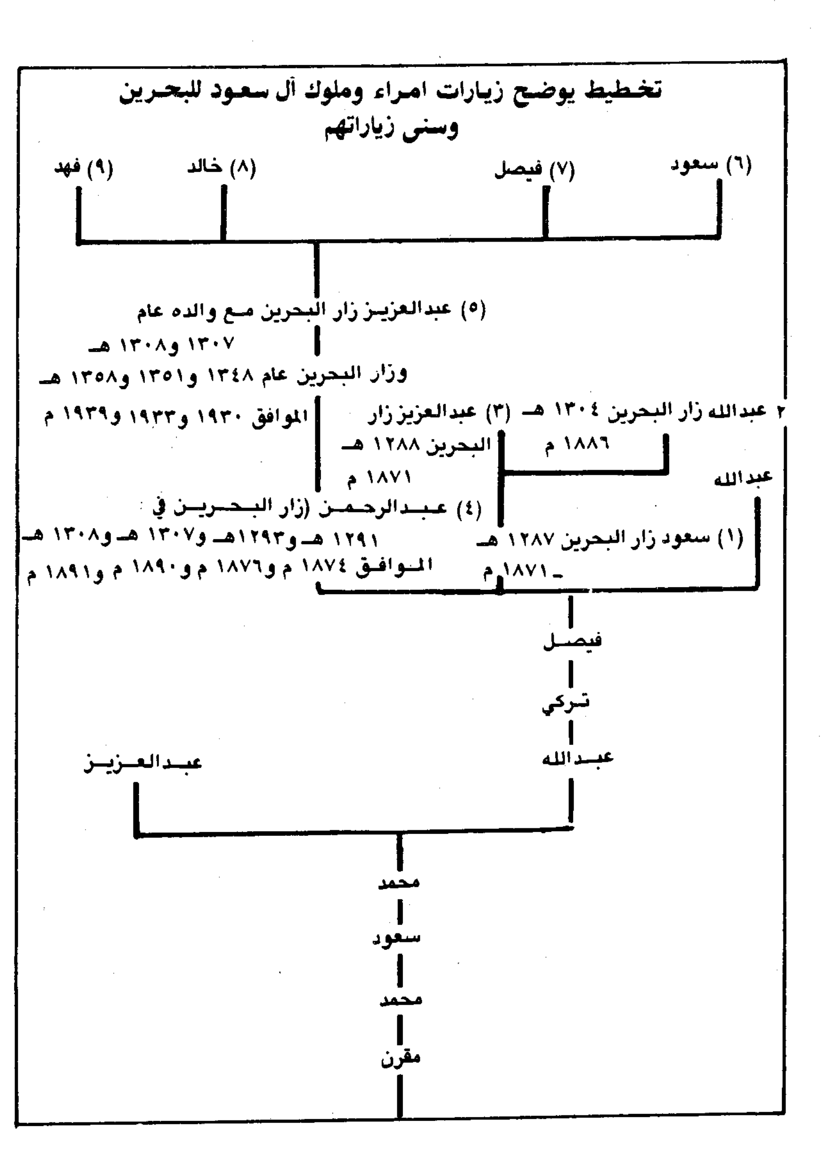
ولاشك ان تلك الزيارات المتبادلة بين الاشقاء امراء وشيوخ البلدين انما تعكس عمق الروابط المتينة بينهم ولابد ان لكل زيارة دافعا اوسببا ظاهرا اوخفيا في ظروف سياسية عصيبة لعب فيها الاجنبى دور التفرقة ونشر الفتن وذلك للسيطرة على هاتيك البلدان . ولم تدع تلك الزيارات بين البلدين الشقيقين مجالا للاجنبي ان يحقق مآربه اذ ان النتائج دلت على ذلك .

فقد زار الامير (سعود بن فيصل بن تركى) البحرين اكثر من مرة ولم تطل اقامته فى البحرين فخرج الى قطر حيث واجه هناك مقاومة شديدة من معارضيه (من انصار أخيه عبدالله) فعاد الى البحرين ثانية[١٦] الا انه غادر البحرين الى الاحساء والقطيف وذلك في السادس من شهر فبراير عام ١٨٧١م الموافق في ١٤ من ذي القعدة ١٢٨٧ هجرية ومعه عدة رجال من أهل البحرين وانضم اليه في العقير العجمان وآل مرة

---

(١٥) وهبة . حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص٢٣٨ (توفى الامام فيصل بن تركى فى شهر رجب ١٢٨٢هـ/يونيو ١٨٦٥م انظر امين سعيد . وتاريخ الدولة السعودية ، ١٧٢/٢ .

(١٦) امين سعيد . تاريخ الدولة السعودية ١٧٢/٢ والانصارى تحفة المستفيد ص ١٦٨ .



تخطيط يوضح زيارات امراء وملوك آل سعود للبحرين
وسنى زياراتهم
(٦) سعود
(٧) فيصل
(٨) خالد
(٩) فهد
(٥) عبدالعزيز زار البحرين مع والده عام
١٣٠٧ و١٣٠٨ هـ
وزار البحرين عام ١٣٤٨ و١٣٥١ و١٣٥٨ هـ
الموافق ١٩٣٠ و١٩٣٣ و١٩٣٩ م
٢ عبدالله زار البحرين ١٣٠٤ هـ
١٨٨٦ م
(٣) عبدالعزيز زار
البحرين ١٢٨٨ هـ
١٨٧١ م
عبدالله
(٤) عبدالرحمن (زار البحرين في
١٢٩١ هـ و١٢٩٣هـ و١٣٠٧ هـ و١٣٠٨ هـ
الموافق ١٨٧٤ م و١٨٧٦ م و١٨٩٠ م و١٨٩١ م
(١) سعود زار البحرين ١٢٨٧ هـ
ـ ١٨٧١ م
فيصل
تركي
عبدالله
عبدالعزيز
محمد
سعود
محمد
مقرن

فدخل الاحساء ، وكان سكان (سيهات) قد سكنوا البحرين فدعاهم الامير سعود للعودة الى بلادهم لانهم من رعاياه السابقين فعادوا واصبحوا خاضعين لحكمه الذى امتد بعد هذا التاريخ ولمدة خمس سنوات من ١٨٧١ الى ١٨٧٥م . وهكذا كانت البحرين في عهد الامير (سعود بن فيصل) مركزا للتشاور وتنسيق العمل مع شيخها في سبيل خطوات لاحقة استطاع بعدها أن يتولى الحكم في بلاده ، وقد اهدى السيف المدعو بالأجرب وهو سيف جده (تركى) اهداه الى الشيخ عيسى بن على آل خليفة(١٧) .

كما زار الامير (عبد الله بن سعود بن فيصل) البحرين في عام ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦م(١٨) وتحدثنا الوثائق المرفقة صورتها عن زيارات الامير (عبد العزيز بن سعود بن فيصل) ومنها تلك الزيارة التى اوردت ذكرها رسالة كتبها (ميرزا ابو القاسم المنشي) الى المقيم البريطاني في الخليج والتى ذكر فيها : ان الشيخ عيسى بن على آل خليفة يقول : ان الامير عبد العزيز بن سعود يريد الاقامة في البحرين(١٩) وتستطرد

---

(١٧) انظر البرقية رقم ٣١٨ ميك ١٩٤ من الشيخ عيسى بن على الى المقيم في الخليج الكولونيل بيلي مؤرخة في ٦ فبراير ١٨٧١م و في تحفة المستفيد ص١٦٨ : ان الامير سعود بن فيصل خرج من البحرين في رجب ١٢٨٧هـ متوجها الى الاحساء ومعه عدة رجال من اهل البحرين . انظر لوريمر . دليل الخليج جـ٧/٤/١٣ (توفي الامير سعود بن فيصل بالجدري عام ١٨٧٦م ١٢٩٣هـ) .

(١٨) لوريمر ، شجرة آل سعود جـ /٧/٤/١٣٠ والزركلي . الاعلام ٢/٨٤ ـ وتحفة المستفيد ص١٦٨

(١٩) سجلات دائرة الهند رقم الوثيقة ٢٩٥ ميك م ١٩٤ مؤرخة في ٥ جمادى الثانية ١٢٨٨هـ الموافق ٢٤ اغسطس ١٨٧١م .

الرسالة بقوله ان الامير ليس معه احد وانما يريد ان يستقر ويزاول مهنة التجارة . وكان الشيخ عيسى بن على آل خليفة يريد ان يدع للامير عبدالعزيز مجالا يستطيع ان يتحرك بحرية وان يتفاوض ويتشاور معه فيجعل من البحرين محطة ينطلق منها بعد ان ينظم اتباعه وفق خطة مدروسة وتحت ستار من التجارة التى يزاولها الامير في البحرين .

وفي تقرير لـ (ميرزا ابي القاسم) من البحرين : ان شيوخ (المرة) كانوا مع الامير عبدالعزيز بن سعود[٢٠] .

وفي السابع والعشرين من شهر اغسطس ١٨٧١م عقد الامير (عبدالعزيز بن سعود) مقابلة رسمية مع حاكم البحرين وكانت المقابلة رائعة على حد قول الكابتن (وليام غتري) قائد السفينة الحربية (هيوغ روز) اذ كان هناك اربعة فرسان يقف كل فارسين منهما على جانبي باب قصر الشيخ عيسى بن على آل خليفة بالمنامة وان حوالي مائة من الاتباع المرافقين للامير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل . وتستطرد الوثيقة بالقول : بان الامير قد بلغ سن الرشد يفهم مسئولياته لاكما اورد (ميرزا) بأنه صغير السن . ويختم صاحب التقرير قوله بان هناك عددا كبيرا من البدو في البحرين حاليا .[٢٢]

---

(٢٠) وثيقة رقم ٣٣٤/ميك م ١٩٤ مؤرخة في ١٣ جمادى الاولى ١٢٨٨هـ الموافق في الأول من اغسطس ١٨٧١م .

(٢٢) وثيقة رقم ٢٩٩ من البحرين ميك م ١٩٤ مؤرخة في ٢٧ اغسطس ١٨٧١م .

نص رسالة من ميرزا ابو القاسم (الكاتب) إلى المقيم فى الخليج

No 297 dated Bahrain 9th Jemadeeool Sanee 1288/26 August 1871.
Translated purport of a letter from Mirza Abool Cassim,Moonshee to Resident
. The Gulf.
Since the return of Gunboat 'Hugh Rose' to Bahrain I have joined her.I land
daily to collect information and return at sunset to inform Capt.Guthrie.
Today according to custom,when I landed I saw a crowd collected round the
house of the late Ali Bin Khuleefa at Manama and in which house the present
chief,Esau bin Ali,now resides.On enquiry I learnt that Abdul Azeez Bin Saood
was visiting Shaikh Esau.I remained at a distance until Abdool Aziz arrived
on horseback with ten attendants following and four in front,together with
a crowd of attending Bedouins.Abdool Azeez is a tall lad and goodlooking.
They say his age is more than that which I formerly reported,and he looks
like a chief.Abdool Azeez then entered Esa Bin Ali's house;as far as I
could learn he,Abdool Azeez,defrays his own expenses.An opportunity
offering I will forward to you these notes.

القلم ٢٩٧/١٩٤/١٨٧١م ٩جمادى الثاني ١٢٨٨/٢٦أغسطس ١٨٧١

نص رسالة من ميرزا ابو القاسم (الكاتب) الى المقيم في الخليج .

بعد عودة السفينه المسلحة (هيوغ روز) الى البحرين قد التحقت بها ، اقوم بدوريات في الجزيره كل يوم لا جمع المعلومات وارجع الى متن السفينه مساء كي أخبر الكابتن (جوثري) بما حصلت عليه من المعلومات .

عندما نزلت اليوم على الجزيره كالعادة رأيت حشدا كبيرا حول منزل الراحل علي بن خليفه بالمنامه الذى يسكنه حاليا الرئيس الحالي الشيخ عيسى بن علي .

لقد قمت بتحقيق الامر بما حدث وعلمت بانهم كانوا في انتظار الامير عبدالعزيز بن سعود فوصل عبدالعزيز بن سعود[٢١] بعد قليل وهو يركب حصانا ومعه عدد من الخدم اربعة منهم في الامام وعشرة في الوراء ويرافقه حوالى مائة من البدو . رأيت ان عبدالعزيز بن سعود شابا طويل القامة جميل الوجه يقول الناس انه اكبر سنا مما اخبرتكم عنه سابقا وله شخصية مهابة ورغم صغر سنة تبدو عليه سمات الرئاسه والسيادة .

دخل عبدالعزيز الى منزل الشيخ عيسى بن علي فيما بعد ، سمعت ان عبدالعزيز متمتع باكتفاء ذاتي ويدفع نفقاته بنفسه . واذا تتاح لي الفرصة سارسل لكم هذه المذكرات .

---

(٢١) هو الأمير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل المتوفى ١٩٠٤م . انظر لوريمر ٣ / ٤

وكان اللقاء بين الشيخ عيسى بن على والامير عبد العزيز بن سعود اثر مرور بعض السفن بالبحرين وهي في طريقها من القطيف الى العقير حاملة بعض المؤن والسلع للاتراك العثمانيين . وقد تعرضت هذه القافلة ـ التى يحرسها ثلاثون فارسا عثمانيا بعد مغادرتها الاحساء ـ الى هجوم ونهب من قبل البدو فقتل من البدو ثلاثون رجلا اثناء مناوشات حدثت بين حرس القافلة والبدو . وتحدث شاهد عيان ممن كان مع القافلة بأن (فروخ باشا) دعى الامير ابن سعود لكى يتفاهم معه حول الاوضاع هناك فلم يستجب الأمير لطلب الوالي العثماني الذي سبق وان احتل الاحساء في ٢٨ يوليو ١٨٧١ ، وعلى اثر هجوم البدو في العقير ونهبهم الجيش العثماني فقد ارسل الاتراك تعزيزات في الاحساء والقطيف خوفا من ابن سعود . اما موقف الشيخ عيسى بن على من هذه التطورات والاحداث التى تمر بها منطقة الاحساء والقطيف فأنه لم يتدخل فيها لانها تحدث خارج بلاده[٢٣] وان كان قد هيأ للامير عبد العزيز فرصة التوقف في البحرين للتشاور وتنظيم الخطة التى سيقوم بتنفيذها ليتولى زمام الحكم فيما بعد .

وقد تكررت زيارات الامير عبد العزيز للبحرين فقد زارها في التاسع من شهر جمادى الآخرة ١٢٨٨هـ / ١٦ اغسطس ١٨٧١م فوصف تلك الزيارة (ميرزا ابو القاسم المنشي) وهو

---

(٢٣) برقية رقم ٣٠٠ ميك م ١٩٤ . مؤرخة في ٢٨ اغسطس ١٨٧١م .

الكاتب لدى المقيم البريطاني في الخليج العربي حين عودة السفينة الحربية (هيوغ روز) الى البحرين . يقول ميرزا المنشي قد التحقت بالسفينة (كجاسوس) وكنت كل يوم انزل على شاطىء البحرين فأجمع المعلومات وارجع عند غروب الشمس الى السفينة لأنقل المعلومات الى القبطان (غوتري) . ويستطرد المنشيء فيقول : واليوم كالعادة لما نزلت رأيت زحاما حول منزل الراحل الشيخ (على بن خليفة آل خليفة)[٢٤] بالمنامة حث يسكن فيه الحاكم الحالى عيسى بن على الخليفة . لقد قمت بتحقيق الامر وعلمت بأن يتوقع زيارة (عبدالعزيز بن سعود) فمكثت على بعد حتى جاء عبدالعزيز راكبا فرسا وحوله عشرة من الخدم اربعة منهم يسيرون امامه ومعه جماعة من البدو . كان عبدالعزيز شابا طويل القامة حسن الوجه والمظهر ويقولون بأنه اكبر سنا مما يبدو في مظهره كما اخبرتكم عنه سابقا . وتعكس شخصيته عن نبل الرئاسة . ثم دخل (عبدالعزيز بن سعود) الى منزل الشيخ عيسى بن على آل خليفة . ولحد معرفتي ان عبدالعزيز يدفع نفقاته بنفسه .

وختم المنشي رسالته بقوله : واذا تتاح لى الفرصة سارسل لكم هذه المذكرات .

(٢٤) توفى الشيخ على بن خليفة بن سلمان بن احمد آل خليفة مقتولا عصر يوم الاثنين في الحادى والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٦٩م في (معركة الرفاع) بالبحرين .

الامير عبد العزيز بن سعود والذى زار البحرين في هذا العام وذكره صاحب التقرير ميرزا ابو القاسم المنشي هو ليس بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لإن تاريخ الرسالة ١٢٨٨هـ بينما ولد الملك عبد العزيز سنة ١٢٩٧هـ . كما ان عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركى المذكور في الوثيقة قد اسر في الدمام حين غزا الاتراك الاحساء ونجا من الاسر سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١هـ ثم ذهب الى البحرين في زيارة للشيخ عيسى بن على آل خليفة[٢٥] .

ان زيارة الامير عبد العزيز بن سعود للبحرين واجتماعه مع الشيخ عيسى بن على آل خليفة اثر تولى الشيخ عيسى مشيخة البحرين بعد سنة وبضعة شهور وقبل ان يعود الامير عبد العزيز الى حايل انما جاء للتشاور مع شيخ البحرين في الوقت الذى كان يسود المنطقة الاضطرابات نتيجة التوسع العثمانى في الاحساء المتاخمة للبحرين .

فان احتلال الاحساء من قبل العثمانيين كان قبل شهرين من قدوم الامير عبد العزيز للبحرين واجتماعه بالشيخ عيسى الذى حدث في ٢١ مايو ١٨٧١م / ١٢٨٦هـ وكان محتملا ان يتقدم الاتراك العثمانيون نحو البحرين . فربما أن الامير عبد العزيز تباحث مع الشيخ عيسى بن على آل خليفة حول اطماع الدول الاجنبية في الاستيلاء على البحرين وان الشيخ

---

(٢٥) لوريمر شجرة آل سعود ٣/٤ الطبعة الانجليزية . توفى الامير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل في حايل ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م .

طمأنه بان العثمانيين لن يبذلوا اية محاولة بالنسبة لاحتلال جزر البحرين[٢٦] خاصة وقد حصل شيخ البحرين على رسالة (ناصر بن مبارك آل خليفة) مرسلة بواسطة رجل من بنى هاجر وموجهة الى شيخ قطر يخبره ان العثمانيين ينوون احتلال البحرين . كانت هذه الرسالة مؤرخة فى نفس الشهر الذى قدم فيه الامير عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركى على الشيخ عيسى بن على آل خليفة وكان قدومه للبحرين في شهر اغسطس ١٨٧١م . المهم ان الشيخ عيسى بن على اتخذ الحيطة وتشاور مع (كرانت والرائد (بيلو) الذى وصل الى البحرين فيما بعد . وفي ديسمبر ١٨٧١م طلب القائمقام التركى فى القطيف الى شيخ البحرين تسليم قاربين كان الامير (سعود) قد قدمهما لبعض اهل البحرين قبل وصول الاتراك الى الاحساء ، فوافق شيخ البحرين على اعادتهما له .

ويحتمل ان الامير عبد العزيز تباحث مع الشيخ عيسى آل خليفة حول القاربين اللذين قدمهما لكى لاتكون ذريعة لتقدم العثمانيين نحو البحرين او تدخلهم في شئون بلاده[٢٧] . وممن عاصر الشيخ عيسى بن على آل خليفة هـو الامام (عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) ويحدثنا كثير ممن كتبوا عنهما سماعا عن الملك عبد العزيز او عن الشيخ عيسى بن على

---

(٢٦) لوريمر ٣/١٣٨٥ .

(٢٧) لوريمر ٣/١٣٦٢ و ١٣٨٥ .

آل خليفة ومن هؤلاء (محمد المانع) الذى يبلغ من العمر ثمانين عاما او يزيد ، وكان مترجما خاصا ومرافقا لجلالة الملك عبد العزيز منذ سنة ١٩٢٦ ولمدة تسع سنوات وقيل ١٢ سنة ملازما له في حله وترحاله مرافقة في حملاته وحروبه ثم كتب كتابا بعنوان .Arabia Unified, A Portrait of Ibn Saud ومما قال فيه :

ان الملك عبد العزيز كان بمعية والده الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وبعض افراد اسرة آل سعود لما تركوا الرياض عام ١٨٩٠م/١٣٠٧ ـ ١٣٠٨هـ واتجهوا صوب البحرين اولا حيث استقبلوا بالترحيب من قبل حاكم البحرين عيسي بن على آل خليفة[٢٨] .

ويذكر الشيخ حافظ وهبه ان الامام (عبد الرحمن بن فيصل) حينما ترك بغداد سنة ١٢٩١هـ ١٨٧٤م ذهب الى البحرين وفي تقرير من الكولونيل روس المقيم في الخليج الى اتيشون في وزارة خارجية الهند بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٨٧٤م/ شوال ١٢٩١هـ وجاء في الفقرة الخامسة منه ان الامام عبد الرحمن بن فيصل وصل الى البحرين عائدا من بغداد فرحب به الشيخ عيسى بن على آل خليفة وانزله ضيفا عليه ثم اختار له مسكنا مستقلا واستطرد (روس) بقوله : ولما جاء موعد مغادرته البحرين قدم له ما طلب من المساعدات . ثم

---

(٢٨) Al Mana, Mohammed. Arabia Unified. A Portrait of Ibn Saud, p.15 London 1982 ولد الملك عبد العزيز في الرياض ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م .

اتجه الى الاحساء وحاول احتلالها فلم يفلح فرحل للرياض ولما توفى أخوه الامير (سعود) ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بايع اهل الرياض الامام (عبد الرحمن بن فيصل) ومضى ذلك نحو سنة ثم اتجه من الرياض الى البحرين[٢٩] .

والمعروف ان الامير (سعود بن فيصل) لم يقتل كما ذكر الاستاذ حافظ وهبة بل توفى اثر اصابته بمرض الجدرى فتوفى ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م بعد ان تولى الحكم كأمير من ١٨٧١م الى ١٨٧٥م[٣٠] .

كما انه لم يذكر متى اتجه الامام عبد الرحمن من الرياض الى البحرين لكنه يفهم من سياق الكلام انه اتجه الى البحرين بعد وفاة اخيه الامير سعود سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦ . فاذا صح هذا الخبر فان اول زيارة للبحرين (للامام عبد الرحمن بن فيصل) كانت سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م بعد نحو سبع سنوات من تولي الشيخ عيسى بن علي الحكم في البحرين قبل ولادة الملك عبد العزيز باربع سنوات ولازال كثير من المعمرين في البحرين يذكرون هذه الزيارة حيث الامام ومعه احد اتباعه ونزلوا ليلا في البحرين فاتجهوا الى (المحرق) وهناك

---

(٢٩) حافظ وهبه . ص ٢٤٢ / تقرير (روس) رقم ٣٣٦ ص ٣ / ١٣٩١ / ٣٣٦ بي (اى) ٢٩٢ .

(٣٠) لوريمر . شجرة آل سعود جـ/٣/٣/١٤ (ولد الامام عبدالرحمن (والد الملك عبدالعزيز في ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م وتوفى فى اول يونيو ١٩٢٨م . انظر البرقية رقم ١٨٢ / ميك ٢١٧ ص ٢٣٣ مؤرخة في ١٢ يونيو ١٩٢٨م من المعتمد في البحرين الي المقيم في بوشهر . ويذكر جون فلبي ان الامام عبدالرحمن توفى عن عمر يناهز ٧٨ عاما . انظر : فلبي . العربية السعودية ص ٢٣٩ الطبعة الانجليزية ١٩٥٥م .

باتوا ليلتهم في مسجد يدعي (مسجد بن خاطر) وفي الصباح ذهبا للسلام على الشيخ عيسى بن علي آل خليفة[٣١] .

أما الزيارة الثانية هى التى اشار اليها المانع والتى كانت في ١٨٩٠/١٣٠٧ ـ ١٣٠٨هـ وكانت هي الزيارة الاولى لجلالة الملك عبد العزيز للبحرين بصحبة والده واسرته . هذه الزيارة تتزامن مع اهتمام الدولة العثمانية بتقوية ادارة سواحل البحرين ونجد والاحساء وتوثيق الروابط بين سكان هذه المنطقة والدولة العثمانية[٣٢]. ويستطرد المانع بقوله : وكان الشيخ عيسى مقدرا للامير الشاب عبد العزيز وله من العمر وقتئذ نحو عشر سنين وظل صديقا ومستشارا ناصحا وامينا للامير طوال حياته ـ ورغم ان ترحيب الشيخ عيسى للامام عبد الرحمن آل سعود حارا وكريما الا انه لم يكن وقتئذ في موقف تقديم المساعدة لآل سعود في استرداد حكمهم فقرر الامام عبد الرحمن آل سعود مغادرة البلاد وربما نقل معه اسرته واتباعه واستقر في قطر نحو ستين يوما[٣٣] ثم غادر قطر لان الظروف لم تساعده لان توفر له قاعدة الانطلاق منها ، فقضت الاسرة السعودية بعض الوقت في الربع الخالى برفقة قبيلة (المرّة) وقيل ان الامام

---

(٣١) تسجيل بصوت حفيد محمد بن خاطر البوعينين في مركز الوثائق التاريخية بالبحرين .

(٣٢) وثيقة عثمانية رقم ٤٦٩٩ مؤرخة في ٢٠ جمادى الاولى ١٣٠٧هـ وهي مذكرة قدمتها دائرة الصدر الاعظم الى رئيس الكتاب .

(٣٣) عسه ، احمد ، معجزة فوق الرمال . ص ٤٥ ، ط ٢ ، ١٩٦٦م .

محل وجود الوثيقة .. أرشيف رئاسة الوزراء

محـل وجود الوثيقـة : ارشيف رئاسـة الوزراء
اسم التصنيف : ارادة
القسم : داخليـة
رقم : ٤٦٩٩
التاريخ : ٢٠ جمادى الاول ٣٠٧ ــ ٣١ كانون الاول ٣٠٥

(الوثيقـة عبارة عن عرض التحريرات من قبل الصدارة الى سركاتب شهرياري لتقديمها هو بدوره الى السلطان)

تـقدم الضبطـة التى نظمها مجلس مخصوص للوكلاء والتى تتعلق بالإجراءات [...]زمة حول تقوية روابط سكان سواحل البحرين ونجد ولحسا بالدولة العلية وحماية [...]ه المناطق من الاعتداءات الخارجية منتظرين ظهور الارادة السنيـة حول الموضوع [...]حل بمقتضى الاوامر الشريفة الصادرة بذلك .

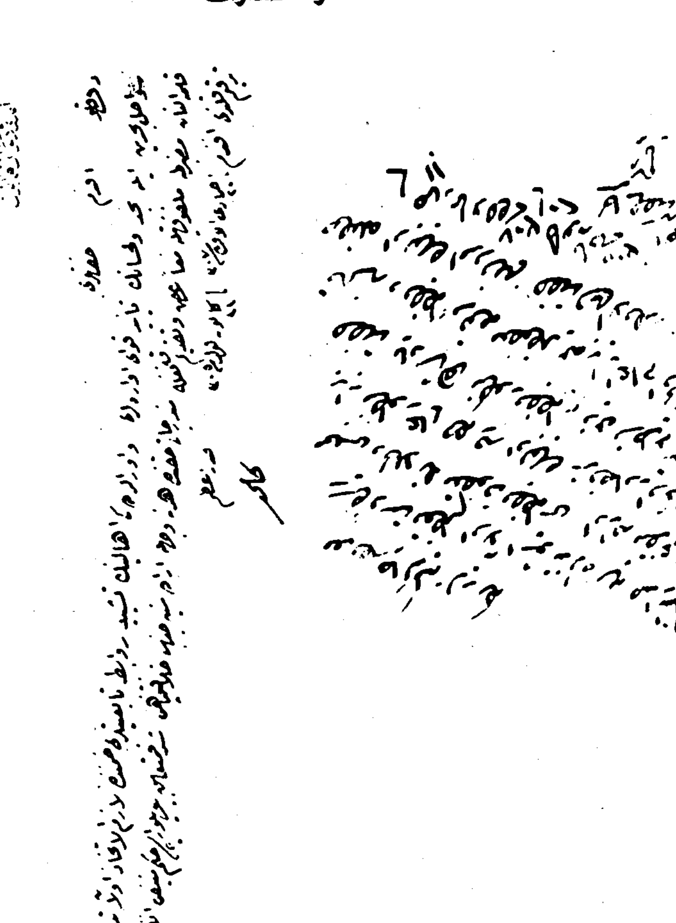
[...] جمادى الاولى ٣٠٧ الامر والفرمان لمن له الامر
[...] كانون الاول ١٣٠٥ صدر اعظم
كامل

(اوثيقـة عبارة عن رد سركاتب شهرياري على التذكرة الصدارة والتى تعكس ارادة السلطان فى الموضوع)

[...]ذكرة المقدمة من قبل الصدارة صارت من معلوم حضرة السلطان وتم كتابة الارادة السنية [...] ذيل الضبطة المنظمة من قبل مجلس مخصوص للوكلاء وقد تم اعادة التذكرة والضبطة [...]ع ملفوفاتها . الامر والفرمان لمن له الامر .

١١ جمادى الاخر ١٣٠٧
٢٠ كانون الثانى ١٣٠٥
سركاتب شهرياري
ثريا

دائرة اصدارات



١٠ جمادى الاولى سنه ١٢٨٨ ... تاريخلو مجلس مخصوص ... تبيض اوليه ايام ... صدور بيوره

[illegible]

مجلس مخصوصك اشبو مضبطهسى ... بر ... اولنه رق مواد معروضه دن ... تعلقى تذكر اولندقى وجهله ... بغداد ولايتى ...
... سفينه همايونك تبديلى ... واپور ...
... ماده لرى ... اوله رق مواد ... تذكره ... اولنماسى ...
... تذكر واستيذانه ... خصوصنه ... اراده سنيه ... اولنه رق ... اولبابده امر وفرمان
حضرت ولى الامركدر ١١ جمادى الاولى سنه ١٢٨٨ و ١ آغستوس سنه ١٢٨٧

[illegible]

٢٠٥٧

١٠ جمادى الاولى سنه ١٢٨٨ و ... تاريخنده ... باب عالىيه ... صدور بيورلمشدر

... مجلس مخصوص ... وكلا ... اراده سنيه موجبنجه ... عسكريه ... بغداد ... اولنمق ... ايجابنك ... اولنمشدر

عبدالرحمن آل سعود ، مكث قرب الاحساء نحو سبعة اشهر[٣٤] . وقد استفاد الملك عبدالعزيز ولاشك من حياة البادية في اطراف الربع الخالى وما فيها من قساوة الصحراء فتعلم كثيرا من مهارات سكانها فكانت دروسا قيمة مما ساعده في حياته المقبلة كثيرا[٣٥] .

ويبدو ان الامام (عبدالرحمن بن فيصل) دخل البحرين سنة ١٨٩٠م الموافق ١٣٠٧/١٣٠٨هـ[٣٦] حين قدم من الرياض مع اسرته ثم ترك اسرته في البحرين وذهب الى قطر ليستقر فيها ستين يوما[٣٧] وبعدها خرج الى الربع الخالي فالاحساء حيث لحقت به اسرته فكان بقاء اسرة آل سعود في البحرين من ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ الى جمادى الاولى ١٣٠٩هـ الموافق نوفمبر ١٨٩٢م[٣٨] أما فيلبي فيقرر ان الامام عبدالرحمن بن فيصل اتجه الى البحرين بعد ٢١ يناير ١٨٩١م واسكن عائلته فيها ثم رجع الى الرياض ومنعه البدو دون ان ينوي البقاء هناك فاتجه الى حريملا لكن ابن رشيد هاجم حريملا هجوما مفاجئا فخرج عبدالرحمن واتباعه الى الصحراء وكان ينتظر جوابا من الاتراك في الاحساء ومن شيخ الكويت ليجد مكانا مناسبا لينظم صفوف اتباعه وفي

---

(٣٤) حافظ وهبه . ص ٢٤٥ .

(٣٥) AL Mana, PP.29–30.

(٣٦) نفس المصدر السابق ص ٢٩ . ويذكر لوريمر ان الامام عبدالرحمن بن فيصل دخل البحرين في ١٨٩١ بعد معركة بريدة انظر لوحة النسب رقم (١) /جـ٧

(٣٧) عسه ص ٤٥ .

(٣٨) لوريمر ٣/ ١٦٩٤ .

نهاية سنة ١٨٩١م ذهب الى قطر ومكث هناك شهرين ثم فاوض الاتراك ليبقى مع عائلته في الاحساء فوافقوا كماوافق شيخ الكويت فيما بعد فاختار الكويت ليراقب التطورات في نجد ومن نص فيلبي هذا يبدو ان عائلة الامام عبد الرحمن ومنهم الملك عبد العزيز بقي في البحرين اكثر من سنة[٣٩] لان الامام عبد الرحمن عاش في قطر في الفترة من شهر صفر الى شهر جمادى الاولى من عام ١٣٠٩هـ الموافق من شهر اغسطس الى نوفمبر ١٨٩٢م وكان قد ترك اسرته في البحرين في ١٨٩٠م ثم لحقت به الاسرة السعودية في الاحساء حيث ظل مقيما في الاحساء فترة قصيرة بعد موافقة الوالي التركي في البصرة حمدى باشا[٤٠] وترك الامام عبد الرحمن الاحساء ١٣٠٩هـ ليستقر في الكويت .

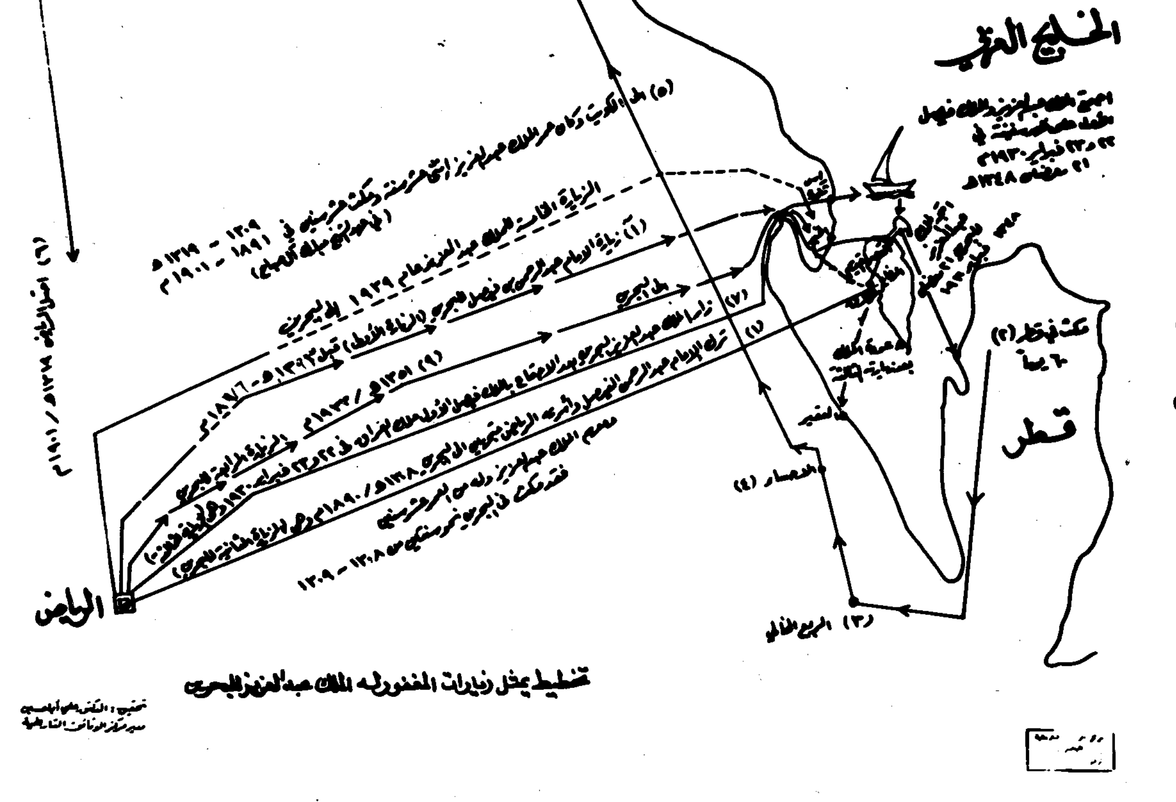
زيارة الملك عبدالعزيز للبحرين عام ١٩٣٠م :

وجهت دعوة الى جلالة الملك عبد العزيز للاجتماع مع الملك فيصل الاول ملك العراق بهدف دعم العلاقات الودية بين الدولتين الشقيقتين . فوافق الملك عبد العزيز على الدعوة واتجه الى (رأس تنوره) ومن هناك استقبل سفينة تابعة لشركة الاتصالات السلكية (باتريك ستيوارت) وكان بمعيته كاتبه ومترجمه الذى كتب يقول : وبينما وصل الملك فيصل

---

(٣٩) Philby. J., Saudi Arabia. P.235 Lebanon 1955.& AL Mana P.139

(٤٠) النبهاني . محمد . التحفة النبهانية . ص٦٦ ، ١٣٤٢ ولوريمر ٢/ ١٦٩٤ .


الخليج العربي
قطر
الرياض
(٣) الربع الخالي
(٤) الاحساء
العقير
تخطيط يمثل زيارات المغفور له الملك عبدالعزيز للبحرين

على ظهر سفينة اخرى تسمى نيركس ثم وصل القنصل العام ١٩٣٠ الموافق ٢١ رمضان ١٣٤٨هـ[٤١] .

وذلك على متن سفينة الشركة كما اورد ذلك (المانع) الذى كان على ظهر السفينة يكتب ويترجم للمجتمعين لاكما ذكر (حافظ وهبة) و (امين سعيد) اللذان ذكرا ان الاجتماع حدث على ظهر سفينة لوبين[٤٢] وبذا قام السعوديون بدور المستضيف وبدأ اول اجتماع على سفينة المواصلات باتريك ستيوارت في ٢٧/فبراير ١٩٣٠ . وقد صدرت رسالة من القبطان (سي جي برايور) المعتمد في البحرين الى المقيم في الخليج وفيها ان الملك عبدالعزيز وصل الى البحرين في ٢٥ فبراير وانه غادر الى العقير في نفس اليوم[٤٣] وهنا تبدو ان رسائل اوما تسمى اليوم وثائق ليست من الدقة بمكان بحيث ان برايور اعطى تاريخا يسبق تاريخ الاجتماع وجعله تاريخ عودة الملك عن طريق البحرين الي العقير لذا فنحن نعتمد التاريخ الذى ذكره المانع لانه المترجم والكاتب الذى دوَّن محضر الاجتماع ثم نشره في كتابه . وبعد ان تمت الاجتماعات حيث عقدت ثلاثة لقاءات اعرب فيه الملكان عن

---

(٤١) أمين سعيد ص ٧٥ و ٧٦

(٤٢) وهبة ، ٣٤٥ وامين سعيد ٢ /٢٤٨ .

(٤٣) سجلات دائرة الهند ص ١١٠/١٨ ميك م ٢١٥ الرسالة مؤرخة في ٥ مارس ١٩٣٠م . ١٣٤٨هـ وقد ذكر وهبة وامين سعيد ان الاجتماع في يومي ٢٢ و ٢٣ فبراير وربما كانا يعنيان ان هذا التاريخ هو من ٢٢ و ٢٣ من شهر رمضان ١٣٤٨هـ وليس من شهر فبراير . وقد ذكر (المانع) ان الاجتماع بدأ في ٢٧ فبراير ١٩٣٠م . انظر توحيد الملك عبدالعزيز للمملكة العربية السعودية ص ١٣٩ النص الانجليزى .

MOHAMMED ALMANA

Arabia Unified

A Portrait of Ibn Saud



HUTCHINSON BENHAM
LONDON

وفي أثناء مفاوضات خباري وضحا دعا المسؤولون البريطانيون جلالته إلى مقابلة ملك العراق، فيصل، في الخليج العربي علامة على حسن النوايا وإنشاء صداقة حديثة بين بلديهما. فوافق الملك على ذلك. ورتّب البريطانيون أن تأتي سفينة تابعة لشركة «كيبل آند وايرلس» إلى رأس تنورة لتنقل الملك ويسكن فيها خلال المحادثات. وقد جرت تلك المحادثات بشكل غير عادي في وسط الخليج العربي. وقد أتى الملك فيصل إلى هناك على ظهر سفينة تدعى (نرحس). وأتى السير فرانسيس همفرز، القنصل العام البريطاني في العراق، على طرّادة تسمى لوبين. وكان أول لقاء للمؤتمر في السابع والعشرين من فبراير سنة ١٩٣٠ على ظهر السفينة المقلة جلالته حيث قام السعوديون باستضافة الآخرين. وحين صعد الملك فيصل إلى ظهر السفينة حيّاه حرس ابن سعود الخاص. وقد أثار المنظر الفذّ لهؤلاء المحاربين في نفس فيصل الذكريات القديمة لحروبه الصحراوية العظيمة مع لورانس

وبعد ذلك اللقاء اتجهت السفينة المقلة جلالته إلى الأحساء. وفي طريقه إلى هناك قرر أن يزور صديقه القديم الشيخ عيسى آل خليفة، حاكم البحرين التي كانت حينذاك تحت الحماية البريطانية. وكان الشيخ عيسى، كما ذكر سابقاً، قد بذل مساعدة وحماية لابن سعود وأبيه خلال فترة جلائهما عن الرياض. وكان دائماً متعاطفاً مع آمال الملك الشاب. ولذلك أعطى جلالته أوامره إلى قائد السفينة ليتجه إلى ميناء المنامة في البحرين. وفي الطريق إلى هناك أمرني أن أبعث برقيتين؛ إحداهما إلى الشيخ عيسى، والثانية إلى القنصلية البريطانية للإخبار بما كان قد عزم عليه. وقبيل أن ترسو السفينة هناك عند منتصف الليل وصلت برقية جوابية من القنصل البريطاني تفيد بأن الشيخ عيسى كان مريضاً وليس موجوداً في المنامة، ولذلك فإنه لا يستطيع استقبال جلالته. فقرر الملك على مضض أن يظل على ظهر السفينة ويتجه إلى العقير. لكن اتضح بأن البرقية كانت كاذبة. ففي الصباح الباكر من اليوم التالي سمع أبناء الشيخ عيسى بأن ابن سعود قد قرر أن لا ينزل في البحرين فأتوا فوراً على عدة قوارب إلى سفينته وطلبوا منه أن يأتي إلى الشاطىء لأن أباهم كان

During the conference at Khabary Waddaha, the British officials invited His Majesty to meet with King Faisal of Iraq in the Arabian Gulf as a gesture of goodwill and to cement the new friendship between the two countries. The King agreed, and the British arranged for a ship belonging to the Cable & Wireless Company to call at Ras Tanura to collect the King and accommodate him during the talks. The meeting was unusual in that it took place literally in the middle of the Gulf. King Ibn Saud came in the Cable & Wireless vessel; King Faisal in a ship called the *Nearchus*; and Lieutenant-Colonel Sir Francis Humphrys, the British Consul-General for Iraq, in a sloop named the *Lubin*. The three steamers anchored near to each other. The first meeting took place on 27 February 1930 on the Cable & Wireless ship, where the Saudis acted as hosts. As King Faisal came onto the deck of our vessel, he was saluted by Ibn Saud's personal guard. The sight of these magnificent warriors stirred in Faisal old memories of his great desert expeditions with Lawrence of Arabia and his first words were, 'I feel honoured and elated to be among such great soldiers.' With his ever-

Sheikh Isa, it will be remembered, had given help and protection to Ibn Saud and his father during the period of their exile, and he had always been sympathetic to the young King's aspirations. His Majesty therefore gave directions for the ship to sail to the port of Manama in Bahrain. On the way, he instructed me to send two telegrams, one to Sheikh Isa himself and the other to the British Consulate informing them of his intentions. At midnight, just as we were about to anchor, a reply was received from the British Consul to the effect that Sheikh Isa was ill and not in Manama, and therefore could not receive His Majesty. The King decided reluctantly to stay on his ship and proceed to Uqair. But the message proved to be a lie. Early the following morning, the sons of Sheikh Isa heard that Ibn Saud was not proposing to land. They immediately came in several launches to his ship and implored His Majesty to come ashore as their father was waiting at the pier. They said to the King, 'Either you land and see our father or we will all go to Riyadh with you.' As they insisted, the King readily agreed to come ashore, but he said emphatically, 'I have no wish to see the British Consul

الصداقة وحسن النية نحو بعضهما البعض . ثم غادر جلالة الملك عبد العزيز الى الاحساء وفي طريقه قرر زيارة صديقه القديم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين ويستطرد الاستاذ المانع في مذكراته فيقول : ومما يجدر ذكره ان الشيخ عيسى كان قد قدم المساعدة والحماية لابن سعود والى ابيه أيام وجودهما في البحرين وقبل دخولهما الكويت وكان دائما متعاطفا مع طموحات الملك ، فأمر الملك قبطان السفينة ان يتوجه الى المنامة في البحرين . ويقول الاستاذ المانع وهو خير من يعتمد عليه في نقل هذه الاخبار لانه شاهد عيان فهو في صحبة الملك عبد العزيز فيقول : لقد امرني جلالة الملك ان ابعث برقيتين احداهما الى الشيخ عيسى بن علي في البحرين ولكنه تلقى رد من القنصل البريطاني في منتصف الليل والسفينة علي وشك الارساء في البحرين وجاء في رد القنصل البريطاني بان الشيخ عيسي بن علي مريض وليس هو الآن في المنامة لذا لايمكن ان يرحب بصاحب الجلالة كما نصح المقيم البريطاني الملك بعد القيام بالزيارة في نفس الوقت ابلغ المقيم الشيخ حمد بأن الملك الغى زيارته .[٤٤] اضطر جلالة الملك عبد العزيز على كره ان يبقى

---

(٤٤) وثيقة من سجلات دائرة الهند ص ١١٠ ، ميك م٢١٥ / ١٨ مؤرخة في ٥ مارس ١٩٣٠
أما المعتمد البريطانى في البحرين فهو الكابتن (جارلس جوفرى بريور) من ١٩٢٩ - ١٩٣٢م اما المستشار في البحرين وقتئذ فهو (جارلس بيلكريف) الذى عين مستشارا فيها ١٩٢٦م ثم اصبح وكيلا سياسيا بعد سنة ١٩٢٨م والبرقية بتوقيع القنصل البريطانى دون ان يذكر (المانع) اسمه الا ان القبطان (برايور) ارسل رسالة من البحرين الى المقيم في =

على ظهر السفينة ثم يغادر في وقت لاحق الى العقير ، لكن البرقية المزعومة من القنصل البريطاني كانت كاذبة . ففي الصباح الباكر عندما سمع أبناء الشيخ عيسى بان الملك لاينوى النزول فى الميناء بل يبقى على ظهر السفينة انهم جاءوا جماعة في مراكب صغيرة والتمسوا من جلالة الملك النزول في الميناء حيث ينتظره ابوهم . لقد قالوا لصاحب الجلالة : اما تنزل وتجتمع مع والدنا والا نحن نسافر معك الى الرياض انهم كانوا مصرين علي ذلك فوافق الملك على النزول لكنه قال بالتأكيد لا أريد ان ازور القنصل البريطاني في البحرين . لقد غضب الملك من حيلة القنصل على الرغم من تفهمه السبب الذى كان وراء الاحتيال[٤٥] ويصف القبطان (برايور) المعتمد في البحرين الاستقبال الرائع الذى استقبل فيه الملك عبدالعزيز في البحرين من قبل نحو خمسة الاف شخص معظمهم من العرب وخاصة من النجديين حتى ان

= الخليج يخبره بوصول برقيتين من الملك الى الشيخ عيسى واخرى الى الشيخ حمد حول وصول الملك للبحرين كما يشير (برايور) في رسالته الى انه وصلت برقية المقيم في اليوم التالي والتي نصحت الملك بعدم القيام بالزيارة وابلغ الشيخ حمد بأن الملك الغى زيارته لذا فان البرقية هذه ارسلت من المقيم في الخليج ولدى مراجعتنا لاسماء المقيمين في الخليج وجدنا ان الكولونيل (فنسنت Lt Col Hugh Vincent Biscoe) الذى كان مقيما في الخليج من نوفمبر ١٩٢٩ يوليو ١٩٣٢م ولم نعثر لحد الان على البرقيتين اللتين ارسلهما المقيم الي الشيخ عيسى والشيخ حمد (انظر قائمة المعتمدين السياسين والمقيمين والفترات التى كانوا في الخليج والبحرين من كتاب (لتوسن ص ١٨٥) . (والمانع ص ١٤١ الطبعة الانجليزية) .

(وحسن بن صالح الرويعي الشاعر) تسجيل بصوته وهو الذى كان يسوق السيارة التى اقلت جلالة الملك والشيخ حمد) .

(٤٥) تسجيل بصوت حسن بن صالح الرويعي . و Al Mana, Op Cit, p.141

حرس الشرف شاركوا الجماهير في الاستقبال . ودخل الملك في السيارة بصعوبة واتجه الى القصر حيث رحب به الشيخ عيسى وابتهج بلقاء الضيف الكريم بعد عدة سنوات مرت منذ لقائهما الاخير ، ومما قال الشيخ عيسى لضيفه الملك انني كنت خائفا ان اموت دون ان اراك ثانية لكنى الان سأموت وانا مطمئن ومرتاح البال بعد ان تشرفت بلقائك وانت في هذا الشرف والعز ..

فاجابه ابن سعود قائلا : لقد توفى والدى وليس هناك من استشيره عداك(٤٦) ودار حوار بينهما لعدة ساعات تضمنه طرح المشاكل التى واجهها الملك من جهة (الاخوان) واعرب عن رغبته في انشاء مملكة موحدة حيث يعيش فيها الجميع بأمان ورخاء ثم تناول جلالة الملك العشاء مع الشيخ عيسى واسرته وبعد قليل قام الملك والشيخ حمد بزيارة لمدينة الرفاع وبصحبتهما مندوب الملك في البحرين وهو القصيبي وعند مغادرة جلالة الملك رافقه الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة لتوديعه علي شاطىء الزلاق) . لقد كان الشيخ حمد رجلا وشيخا بحق . وقد عرض عليه جلالة الملك ان يؤدى فريضة الحج اذ قال جلالته فى اخر كلمة له وهو يودعه : لن

---

(٤٦) لقد روى هذه المقولة من سمعها عن جلالة الملك مباشرة او سمعوها عن ابائهم ومنهم الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وحسن بن صالح الرويعي والشيخ خالد بن محمد بن عبدالله آل خليفة والشيخ راشد بن عبدالله بن حمد آل خليفة عن والده وغيرهم وانظر وثيقة من سجلات دائرة الهند رقم ٤٧/٤٩ ميك ٢١٤/سي ٩٣٣ - ١١/١٢ .

ارضي حتى اراك في مكة[٤٧] ولبى : الشيخ حمد دعوة الملك عبدالعزيز فحج سنة ١٣٥٦هـ وذلك عن طريق البحر .

ومما كتبه القبطان (برايور) من البحرين الى المقيم في الخليج ان برقية وردت من المقيم بعدم الموافقة على الزيارة وابلغ الشيخ حمد بان الملك الغى زيارة لكن لم يلبث الشيخ حمد الا ان كان على ظهر سفينة (باتر ستيورات) التى كان يستقلها الملك وحاشيته وذلك في الصباح الباكر دون ان يخبر المعتمد السياسي او المستشار في البحرين . ويستطرد القبطان برايور بقوله : ان ابن سعود ذو تأثير قوى على شخصية الشيخ حمد كالتأثير القوى للقيصر الالماني على الحكام في عهده[٤٨] .

ان وجهة نظر القبطان (برايور) هذه ليست بالامر الغريب فهو كغربي لايدرك عادات العرب وخاصة بين اولئك الذين تربطهم روابط القربي والصداقة والمصير المشترك ويرى ذلك الاستقبال الرائع اكثر من رسمى كما هو العادة عند الغربيين .

لم ينس جلالة الملك عبدالعزيز البرقية الكاذبة التى وجهها (المقيم) أو القنصل في البحرين وفي العام التالى تسنت

---

(٤٧) تسجيل بصوت حسن بن صالح الرويعي الذى سمع ذلك اللقاء التاريخي بين : جلالة الملك والشيخ عيسى والشيخ حمد . وذكر الشيخ احمد بن محمد بن خليفة آل خليفة ان الشيخ سلمان بن حمد استقبل والده الشيخ حمد في بومباي لدى عودته من الحج عام ١٣٥٧هـ .

(٤٨) سجلات دائرة الهند ميك م ٢١٥ ص ١١٠/١٨ وثيقة مؤرخة في ٥ مارس ١٩٣٠م .

للملك الفرصة ليرد بالمثل اذ جاء له طلب الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها في جدة لاصدار تصريح لكل من الأميرة السر وايـرل ارثلون Earl of Arthlone & Princess Alice لزيارة جلالة الملك ومرورهما عبر الجزيرة العربية من جدة الى العقير ، وهنا رفض الملك ويستطرد الاستاذ المانع بقوله : وامرني بارسال برقية جوابية تتضمن الرفض[٤٩] مما أشعر بريطانيا بان سبب الرفض هو موقف المقيم البريطانى من زيارة الملك للبحرين فعالجت الموقف بالاعتذار لما بدر من المقيم ، وتحقق لـلانجليـز صـورة احتـرام شخصيـة جلالته .[٥٠]

وجدير بالذكر ان القبطان (برايور) كتب الى المقيم في الخليج عن نتائج زيارة الملك عبدالعزيز للبحرين بانهـا شجعت الوعي القومي وكشفت ضعف السيطرة البريطانية على البحرين بكل وضوح واذا تكررت زيارات جلالة الملك ابن سعود فسوف تكون نتائجها وخيمة جدا (والقول للقبطان برايور) لذا ارجو ان لايسمح لابن سعود ان يقترب الى البحرين . وان الاسلحة البريطانية فقط هي التى تمنعه من الاقتراب الى البحرين[٥١] .

---

(٤٩) وختم البرقية بالمثل العربي القائل (والذنب لمن يحرض على الصراع)

(٥٠) Al Mana, Op Cit, P.143

(٥١) سجلات دائرة الهند ص ١١ / ٣٨ ميك م ٢١٥ تقرير مؤرخ في ٥ مارس ١٩٣٠م من برايور في البحرين . الى المقيم في الخليج .

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد ٤٤ - ١ - ٢٤

الرياض فى ٨ شعبان سنة ١٣٥٠

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة البارع فرنك هولمز - المحترم

اما بعد فقد تلقينا كتابكم المؤرخ فى ١ د يسمبر ١٩٣١ . واحطنا علما بما ذكرتم وانا نشكركم على ما ابديتموه من حسن وفا ئكم بصداقتكم واهتمامكم باطلاعنا عليها تقومون به من الاعمال و قد طالعنا باهتمام اخبار اعمالكم العظيمة التى تقومون بها لاستخراج النفط فى البحرين و نتمنى ان تتكلل اعمالكم بالنجاح . اما من قبل رغبتكم فى مقابلتنا فنحن نحب ذلك ولكن ما ندرى ان كنا نتمكن من القدوم للاحسا لتقابلون فيها او لا نتمكن و على كل حال سننظر فى الفرصة المناسبة لذلك . واقبلوا احترامنا الفائقة .

وعود على بدء فان الصلات التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية تزداد تطورا على مر السنين وفي مختلف المجالات فقد كان جلالة الملك عبد العزيز على اتصال بما يجرى في البحرين من تطورات اقتصادية اذ ارسل جلالته رسالة مؤرخة فى ٨ شعبان ١٣٥٠هـ/ديسمبر ١٩٣٠م الى فرنك هولمز مدير شركة النفط بالبحرين يبدى اهتمامه بالاعمال التى تقوم بها شركة استخراج النفط في البحرين ويبدو ان مدير الشركة قد ارسل رسالة يريد مقابلة جلالة الملك الذى رحب به على ان يحدد موعد المقابلة في وقت لاحق . وربما تكون المقابلة في الاحساء حين زيارة جلالته الى هناك .[٥٢]

(٥٢) الرسالة مرفقة و برقهم ٤٤ ـ ١ ـ ٢٤ صادرة من الرياض في ٨ شعبان ١٣٥٠هـ .

وفي مجال (الترانسيت) فقد اعفيت السلع التى تنقل الى المملكة عبر البحرين من ضريبة المرور وخاصة السلع التى تخص الملك شخصيا وذلك منذ شهر مارس ١٩٣٥م .(٥٣)

وفي عام ١٩٣٦م حاول الانجليز وشركات النفط الوقوف ضد انشاء مرفأ في راس تنوره لتصدير النفط حتى ولو اكتشف النفط فى الاحساء فيجب ضخه الى البحرين للتكرير والشحن لذا حاولت شركة النفط عرقلة انشاء أو تطوير المرفأ فى راس تنوره(٥٤) وكان جلالة الملك عبدالعزيز يؤكد على ضرورة انشاء مرفأ على ساحل الاحساء ويمارس الضغط على شركة نفط ستاندرد كاليفورنيا رغم اعتراض الشركة على ذلك(٥٥) طلبت شركة النفط من شركة كريما كنزى ان تتولى كافة عمليات الشحن والتفريغ وغيرها في رأس تنوره لكن السلطات السعودية لم تسمح بذلك بل ارادت ان تقوم بهذه المهمة أيد عاملة سعودية ويكون لشركات سعودية الاشراف على ذلك(٥٦) .

وعقب ذلك زار الامير سعود البحرين في ١٥ ديسمبر ١٩٣٧ الموافق ١٠ شوال ١٣٥٦ هجرية وكانت هذه الزيارة في عهد الشيخ حمد بن عيسى بن على آل خليفة ويصف الوكيل

---

(٥٣) انظر بنود الاتفاقيات في كتاب الخليج العربي ص ٢٣٥

(٥٤) من القيادة البحرية في لندن الى دائرة الهند بتاريخ ٦/١١/١٩٣٦ الموافق في شعبان ١٣٥٥هـ برقم ١٦ ـ ب ر /١/ ٧٩٥٤ ص ٤١١

(٥٥) ١٦ /ب ر/١/ص ٤١٦ في ١٧/١١/١٩٣٦

(٥٦) ١٦/ ب ر/ ٥٩٧٩/ص ٤٢٩ في ١٧/٨/١٩٣٨/ جمادى الاخر ١٣٥٧هـ .

السياسي في البحرين زيارة الامير سعود الى المنامة فقد رحب به لدى وصول سفينته كل من الشيخ (محمد بن عيسى آل خليفة) وكذلك الابن الاكبر وهو الشيخ (سلمان) وبعض افراد الاسرة الحاكمة وحوالي اربعين من التابعين الذين رافقوا الامير الضيف الى سمو الشيخ (حمد) الذى كان في انتظاره مع المعتمد السياسي وضباط ادارة البحرين وذلك حين نزول الامير من سفينته وكانت ترتيبات الاستقبال حسنة للغاية في الميناء وكان حشد كبير من المستقبلين خارج الميناء ليشهدوا موكبه وقد نزل الامير في قصر المنامة وحضر حفل عشاء اقامه صاحب السمو الشيخ حمد[٥٧] .

هذه الزيارة لم تكن لها اهمية سياسية في نظر المعتمد السياسي لذا لم يكن لديه اعتراض عليها خاصة بعد ان استشار المستشار بلكريف وعلم ان الشيخ حمد شديد الرغبة في تحقيقها[٥٨] .

وسبق ان ارسل المقيم برقية الى وزارة الخارجية البريطانية في لندن للحصول على الموافقة لزيارة الامير سعود للبحرين فتمت الموافقة على الزيارة على شرط ان يحضر المعتمد السياسي في البحرين الاستقبال وجميع الحفلات كما

---

(٥٧) سجلات دائرة الهند . ميك ٢١٤ ص٤٧/٤٩ سي ١١/١٢/٩٣٣ .
وثيقة مرسلة من الوكيل السياسي في البحرين الى المقيم في البحرين في ٢٥/ديسمبر ١٩٣٧م .

(٥٨) سجلات دائرة الهند ميك ٢١٤/ص ٤٢/٤٤ سي ١٦٣/١٩ رسالة مؤرخة في ٢٩ سبتمبر ١٩٣٧م من المعتمد في البحرين الى المقيم في شيراز .

يقيم للامير حفلة في مقر الوكالة البريطانية بالبحرين[٥٩] .

وفي عهد الشيخ حمد بن عيسى بن على توطدت العلاقات فقد اجتمع مع الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة فى ١٦ فبراير ١٩٣٨م ١٤/ذى الحجة ١٣٥٦هـ حين ادائه فريضة الحج ورافقه الامير سعود بن عبدالعزيز وكتب (بولارد) السفير البريطانى في تقريره الذى رفعه الى السير انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية قوله : حدثني الملك ابن سعود معربا عن تقديره العميق للشيخ حمد وذكر لى ببالغ الارتياح انه تلقى رغبة الشيخ حمد في اداء فريضة الحج والاجتماع به ببالغ الارتياح وذلك لان الشيخ حمد من اجل الرجال خلقا . وعلق السير بولارد على ذلك بان كلا من الملك ابن سعود والشيخ حمد ينتميان الى قبيلة عنزة وكان يخاطبه بصاحب السمو وسألنى الملك عن عدد الطلقات التى تطلق للشيخ تحية عند وصوله فاخبرته بأنها احدى عشرة طلقة تحية له فقال الملك بانه يحييه باحدى وعشرين طلقة واطلقت بالفعل احدى وعشرون طلقة وكان الاستقبال السعودى لشيخ البحرين رائعا فقد حلقت ست طائرات سعودية عدة مرات فوق السفينة (لندن درى) حين اخذت تقترب من الميناء فى جدة ووصل الامير فيصل وكان اللقاء وديا للغاية وقد قرأ ضابط سعودى تفاصيل المراسم الرسمية للاستقبال . وكان برنامجا حافلا طيلة الايام التى قضاها فى مكة المكرمة ولقي

---

(٥٩) سجلات دائرة الهند ٢١٤/٤٤/٤٦/١٦٣/١٩ .

ترحيبا وتكريما من الملك عبدالعزيز وابنـائه واستطـرد (بولارد) بقوله بان الشيخ حمد كان صورة حية للحماس والجاذبية وذلك حين اجتمع في حفل اقيم له فى جدة وتكلم الشيخ حمد بكلمة في ذلك الحفل الذى ضم بعض الاجانب فاشاد بكرم الضيافة التى قوبل بها من الملك عبدالعزيز واشاد باستقرار الامن في الجزيرة العربية وتطور العلاقات بين البحرين والمملكة وقد نشرت ام القرى في ٢٨ يناير ١٩٣٨ مقالا تحت عنوان (ان جلالة الملك عبدالعزيز يمثل قدوة حسنة رائعة للصداقة الاسلامية والاخوة العربية) . وذكر السفير البريطانى في تقريره ان ذلك يذكرنا بالترحيب الذى لقيه الملك عبدالعزيز حين زيارته للبحرين كمظهر للوحدة الاخوية واننا واثقون بان الامة العربية التى وحدها جلالة الملك عبدالعزيز لتخطو خطوة الى الامام مستمرة من التفاهم والاخلاص ما بين ملوكها وشعوبها وأمرائها وافرادها وان هذه المظاهر الاسلامية الجليلة تشكل اساسا متينا لبناء الوحدة . هذا ما اورده (بولارد) السفير البريطانى فى تقريره الذى رفعه الى انطوني ايدن وزير خارجية بريطـانية في ١٩٣٨م[٦٠] .

وتلبية لدعوة من الشيخ حمد بن عيسى بن على وجهها الى الملك عبدالعزيز لزيارة البحرين فقد زار الملك عبدالعزيز

---

(٦٠) التقرير رقم ١٢/ ب ر/ ١/ اى ٩٧٧/ ٣٠/ ٩١ ص ٩٨ و ٩٩ بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٩٣٨م من بولارد السفير البريطانى في جدة الي السير انطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا .

البحرين فى العام التالي وذلك يوم ٣ مايو ١٩٣٩م والموافق ١١ ربيع الاول ١٣٥٨هـ وكان جلالته يريد التباحث والتشاور مع شيخ البحرين حول الامور ذات الاهمية في ذلك الوقت وكانت هذه الزيارة لجلالة الملك قد سبقتها زيارة شيخ البحرين للدمام بعد ان وجه جلالة الملك دعوة للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ليزوره في المنطقة الشرقية فقبل الشيخ حمد الدعوة(٦١) .

وكان يرافق الملك كل من الامير سعود والامير فيصل وافراد من الاسرة السعودية وقد كان الملك مسرورا لحفاوة الاستقبال ودامت زيارته سبعة ايام حيث غادر البحرين في السابع من مايو ويصف المعتمد السياسي في البحرين تلك الزيارة وما دار بين الشيخ حمد آل خليفة وبين جلالة الملك من مباحثات(٦٢) .

واعتاد شيوخ البحرين ان يسلموا على جلالة الملك عبد العزيز حين يزور المنطقة الشرقية فقد اتجه الشيخ حمد بن عيسى بن على آل خليفة الي الظهران حيث استقبله جلالة

---

(٦١) وثيقة رقم ٢٥٥٢ ـ ١٩٣٩م/رقم ٢٦٠٧/١١٧٧/١٠/د . ١٩٨٠/ن/٤٠/اى ٧٥٩٣/٩١ من سفير بريطانية في جدة الى مكتب الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٨ اكتوبر ١٩٣٩م . والوثيقة رقم ١٦ ـ ب ر (٢٦١٤) ص ٨٥ في ٢٥/٤/١٩٣٩ من المقيم الى وزير المستعمرات الهندية .

(٦٢) سجلات دائرة الهند . ميك م ٢١٤ برقية رقم ١٢٣/١٢٢ من الوكالة الى لندن في ٢ مايو ١٩٣٩ وبرقية رقم ١٢٦/١٢٧ وتفاصيل الزيارة ص ١٢٩/١٣٠/١٩/١٦٣ من المقيم في الكويت الى لندن . وانظر : الزايد ، عبدالله . صحيفة (البحرين) . وفيها وصف الزيارة . والتقرير السنوى لعام ١٩٣٩م .

الملك هناك وكان الهدف من هذه الزيارة هو توجيه الدعوة لجلالته فقبلها جلالته[٦٣] كما قدم الشيخ حمد للملك سيف الامير تركي بن عبد الله المتوفى ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م ويسمى السيف الذى قدمه (بالسيف الاجرب) فما كان من الملك عبد العزيز الا ان قال (هذه ذكرى منا عندكم فابقوه لديكم) وكان هذا السيف قد سبق وان اهداه الامير سعود بن فيصل بن تركى حين زار البحرين اذ قدمه الى الشيخ عيسى بن على حينما كاتب الشيخ علي بن خليفة آل خليفة في انه يرغب ان يقدم للبحرين فقال له الشيخ على آل خليفة (حياك الله) ولما توفى الشيخ على بن خليفة خلفه ابنه الشيخ عيسى كتب له سعود يخبره بان له اتصالا بوالده فجاء للبحرين واستقبله الشيخ عيسى بن على بالاكرام وطلب منه المساعدة فساعده الشيخ عيسى بن علي فقدم له سيف جده (السيف الاجرب) وكان ذلك في السنوات الاولى من حكم الشيخ عيسى .

وشهدت الفترة ما بين سنة ١٣٤٥ وما بعدها فترة من العلاقات الطيبة التى تدلل عليها الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز والشيخ عيسى بن على وابنه الشيخ حمد من بعده لابل وحتى مع بعض افراد الاسرة ووجهاء البحرين . لقد حوت كثير من الرسائل التطورات السياسية والحربية في نجد والحجاز وغيرهما من المناطق التى جرت فيها المعارك وكان

---

(٦٣) سجلات دائرة الهند ميك م ٢١٤/ص٧٢/٢٣/١٦٣/١٩س ١٢٠٠ . رسالة من الوكالة في البحرين الى المقيم في بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٣٩م .

الملك عبد العزيز يخبر الشيخ عيسى بن على آل خليفة اولا بأول عن الاحداث وبشكل تفصيلى حتى ان تلك الرسائل تعتبر سجلا تاريخيا لاغبار عليه خاصة وانها كتبت في نفس الوقت الذى حدثت فيه الاحداث التاريخية وختمت بختم جلالة الملك عبد العزيز . ومن اللقاءات والاجتماعات المتواصلة بين العاهلين السعودى والبحرينى فقد زار الشيخ حمد في أواخر عام ١٩٤١م الموافق ١١ ذى القعدة ١٣٦٠هـ واجتمع مع الملك عبد العزيز هناك وحضر شيخ الكويت ذلك الاجتماع[٦٤] .

وفي ١٩٤٩م/١٣٦٨هـ/ ٦٩ صدر مرسومان يحددان المياه الاقليمية للبلدين الشقيقين وذكر القرار ـ الذى يتسم بروح الصداقة وحسن النية ـ الانشطة المختلفة في قاع البحر المجاور للبلدين دون المساس بالمياه الاقليمية للدولتين[٦٥] .

وكان سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة امير دولة البحرين قد زار المملكة العربية السعودية في صيف ١٩٤٩م/١٣٦٨هـ واجتمع مع جلالة الملك عبد العزيز كما اجتمع الوفد البحرينى المرافق لسمو الامير بوفد المملكة فوضعوا الحدود وفي قول جلالة الملك للوفد السعودى (ان

(٦٤) ١٦/ ب ر/١/١/ ٧٨٠١ ص١٢٦ في ١٩٤١/١٢/٢١ .
(٦٥) فالانتاين ، امارة البحرين المستقلة ، ص١ و ٢٧ و ٣٠ و ٤٠ و ٤٥ .

املاكنا مشتركة والحلال واحد وان الذى يريده الشيخ سلمان اعملوه)[٦٦] .

وهكذا كانت المصلحة الاخوية بين الاشقاء تستند على المحبة والاخوة وحسن الجوار .

وسار الخلف على سيرة السلف بالتضـامن والتعاون ويتمثل ذلك فى الصلة بين البحرين في عهد صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وبين المملكة في عهد آل سعود وقد اثمر ذلك التعاون الى قيام مجلس للتعاون لدول الخليج العربيـة واصبح المؤرخ حـين يكتب عن تاريـخ البحرين والمملكة كأنه يكتب عن بلد واحد تربطه روابط متينة حكومة وشعبا . وتوج تلك الروابط الروحية والسياسية روابط اقتصادية تمثلت فى جسر الملك فهد جسر المحبة جسر الاخوة فاخذ سكان البلدين الشقيقين ينتقلون من البحرين الى المملكة والعكس وكانهم انتقلوا فى بلاد واحدة كما انتقل عليه ابناء الخليج العربي عموما فزاد في وحدتهم وتقاربهم ولازالت الروابط الاخوية تزداد متانة وتقاربا ومحبة بين الاشقاء يوما بعد يوم .

---

(٦٦) وثيقة رقم ١٥٦٥ مؤرخة في ابريل ١٩٥٠م الموافق فى ٢٢ جمادى الثانية ١٣٦٩هـ .

نظرة فى رسائل الامام عبدالرحمن بن فيصل والملك عبدالعزيز آل سعود

لاشك ان الوثائق من المصادر الاولى في كتابة التاريخ وان اختلفت في أهميتها وفقا للزمان والمكان الذى وقعت فيه الحوادث أوبما تحويه من معلومات عن اشخاص أومواضع أو وقائع تاريخية فمن الوثائق : التقارير والرسائل التى يكتبها الحكام والسفراء والقناصل والمعتمدون السياسيون والوكلاء اعتمادا على مخبريهم وهنا يدخل فيها عامل التحيز المقصود أو غير المقصود لانهم يكتبون والحالة هذه وفقا لمنظورهم أوسياسة البلاد التى ينتمون اليها . واحيانا يكتب لهم الخبر شخص لايتحرى الدقة في كتاباته فتأتي مخالفة للحقيقة أوبعيدة عنها . ولما كان الباحث في التاريخ يبحث عن الحقيقة اينما كانت ليصل الى القرار النهائى . فالوثيقة هي التى تكشف عن حقيقة الماضى سواء كانت مكتوبة بالحروف أوكانت خريطة أوصورة على ورق أومصورة على شريط مرئي أو مسموع أو محفورة على حجر أو نحو ذلك فهى التى تدل الباحث على الحقيقة المنشودة ومن هنا ظهر الاهتمام بالوثائق والحفاظ عليها وتخزينها على ميكروفيلم وعمل فهارس لها . وكلما كانت الوثائق أو الرسائل مكتوبة بخط

اصحاب الشأن أو مختومه باختامهم وقد كتبت بنفس الزمان موضوع البحث وبنفس المكان كانت في الغالب اكثر دقة واعتمد عليها الباحثون الى حد كبير لأنها تؤرخ احداثا وتصف وقائع وصفا قريبا من الحقيقة ان لم تكن هى الحقيقة نفسها لأنها تمتاز والحالة هذه بالدقة في التوقيت والوضوح في الوصف وكتبت من شاهد عيان . وبين ايدينا عشرات من الوثائق والرسائل الاصلية (غير المصورة) والمختومة بختم الامام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراهما وبعد دراستها وجدنا ان في بعضها اشارة الى اشخاص ارسلت معهم الرسائل وتم استلام الجواب من يد آخرين ولدى تحقيقنا وجدنا ان اولئك الرسل الذين حملوا رسائل الملك عبدالعزيز أو الذين سلموا له الرسائل من الشيخ عيسى بن على آل خليفة شيخ البحرين كانوا اشخاصا ثقاة يعتمد عليهم بدليل ان بعض الرسائل تشير الى ان المرسل (بفتح السين) متروك له تفاصيل ما أوصي به بينما يحمل رسالة لاتعدو كلماتها عن عبارات المجاملة فقط . وكان اولئك الرسل في مستوى المسئولية لتبليغ الرسالة الى الملك او لشيخ البحرين ومنهم محمد بن ذهيبان وسالم المطوع[1] ومحمد

---

(١) الرسالة مؤرخة في ١٠ محرم ١٣٢١هـ الموافق في ٩ ابريل ١٩٠٣م و٢٨ شوال ١٣٢٥هـ / ٥ ديسمبر ١٩٠٧م .

بن ثنيان[٢] وعبد الله بن جلوى[٣] وعبد الرحمن السويلم[٤] ومحمد بن عبدالله بن دهيش[٥] وعبدالعزيز القصيبي[٦] فقد جاء فى رسالة نقلها عبدالعزيز القصيبي قوله : ان ما اوصيتم به عبدالعزيز القصيبى قد بلغنا اياه واوصينا المذكور بما يلزم . وورد في رسالة حملها زيد بن ربيعة وفيها : ان حامل كتابنا هذا من آل ربيعة المقيمين في الزبير واعرف حضرتكم به لينوب عني بمعرض احتراماتي فالرجاء استبقاء توجهاتكم لنحوى[٧] ونقل عبدالرحمن القصيبي رسائل من الملك الى شيخ البحرين[٨] وفي جواب من شيخ البحرين الى الملك نقله بشر بن رحمة الجلهمي[٩] . وعبدالعزز الرباعي[١٠] .

وسوف استعرض طرفا من تلك الرسائل مقارنا ماورد فيها مع ما ذكر فى الوثائق والتقارير الاجنبية اومع مانشر في كتب كتبها كتاب اعتمد بعضهم على اقوال من شهد أو اشترك فى الاحداث التاريخية فى عهد الامام عبدالرحمن بن

---

(٢) رسالة فى ٢٧ رمضان ١٣٣٤هـ .
(٣) ورسالة مؤرخة فى ذى القعدة ١٣٣٤هـ .
(٤) ورسالة مؤرخة في ٢ شوال ١٣٣٥هـ و ٢٢ شعبان ١٣٣٧هـ .
(٥) ورسالة مؤرخة في ٨ جمادى الاولى ١٣٣٨هـ .
(٦) الرسالة مؤرخة فى ١٢ رجب ١٣٤٠هـ واخرى فى ٢ رجب ١٣٤٣هـ .
(٧) الرسالة مؤرخة فى ٢٦ رجب ١٣٤٠هـ الموافق فى ٢٦ مارس ١٩٢٢م .
(٨) الرسالة مؤرخة في ٢٤ صفر ١٣٤٧هـ .
(الرسائل محفوظة فى مركز الوثائق التاريخية في البحرين) .
(٩) الرسالة مؤرخة فى رجب ١٣٤٧هـ .
(١٠) الرسالة مؤرخة في ١٨ جمادى الاولى ١٣٤٨هـ .

Telegram- Code.

From Political, Bahrein,

To Resident, Bushire

No.182

Dated 12th June 1928.

News reached Bahrein of death of Bin Saud's father on 1st June.

برقية من المعتمد السياسي في البحرين (بارت) برقم ١٨٢
الى المقيم البريطاني في الخليج (بوشهر) هاورث بتاريخ ١٢ يونيه ١٩٢٨م
(وصلت الاخبار الى البحرين عن وفاة والد الملك ابن سعود في اول شهر يونيه ١٩٢٨م)
الموافق التاسع من ذى الحجة ١٣٤٦هـ

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل
الى حضرة حميد المكارم ..

بسم الله الرحمن الرحيم



عدد ٦١٦

في ٠٦٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٦ / ٦ يونيو ١٩٢٨م

...عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى حضرة حميد المكارم والشيم الوالد المكرم الشيخ عيسى بن علي بن خليفه
...نخم دام بقاه امين. اما بعد اهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن رفاهيتكم دمتم
...ور النعم وعن مودكم بشكر الله على مزيد نعمه بخير. ثم نهنيكم بحلول عيد النحر السعيد اعادنا الله واياكم على
...ثاله اعواماً عديده متمتعين باليمن والايمان والسعادة والرضوان. وعن اخبارنا فهي من كرم الله على ما يرم
...جميع الوجوه. الحج يوم الثلاثاء والصحة عامة والراحة شامله والماء متوفر للغايه والوقت بارد جداً والناس
...انين نحمد الله على ذلك ونرجوه ان يوفقنا واياكم لما فيه الخير والصلاح من امر الدنيا والدين هذا ما لزم بيانه
...نر نكم وما يبدو من اللازم تشرفون مع ابلاغ سلامنا الاولاد ومن عندنا الاخوان والاولاد يسلمون والله
...فظكم والسلام

ملحاق خير وسرور ان شاء الله ..

عدد
١٠٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحاق خير وسرور ان شاء الله

... كتابكم المؤرخ في ٢٤ ذى الحجه وصل وما ذكرتم به كان عندنا معلوم خصوص...
... ذكرتم عن ما وقع في قلبكم من الحزن الشديد عند ما بلغكم خبر وفاة والد الجميع ...
... الأيام فلاشك ان هذا من شفقتكم الخالصه وهو لا شك بكم لا اراكم الله ما تك...
... الحقيقه ان المصاب عظيم ولكن لا يسع الجميع الا الصبر والتسليم لما دبره الغ...
... هذا شأن الدنيا ومصير كل حي هذا ونسأل المولى ان يتغمد الفقيد برحمته وان ...
... فسيح جنته وان يعظم لنا ولكم الأجر والثواب ويجعلنا واياكم ممن اذا اصابته...
... مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

فيصل وابنه الملك عبدالعزيز كما اعتمد البعض الاخر على تقارير سنوية من حكومة الهند البريطانية[١١]ونحن لدينا الرسائل المختومة بختم الامام عبدالرحمن وابنه الملك عبدالعزيز وقد وجدنا ـ على سبيل المثال ـ رسالة كتبها المعتمد البريطانى في البحرين الي المقيم في الخليج يخبره بوفاة الامام عبدالرحمن بن فيصل رحمه الله ويحدد تاريخ وفاته فى اول يونيو ١٩٢٨م الموافق للعاشر من ذى الحجة ١٣٤٦هـ[١٢] . بينما نجد من ضمن الرسائل التى بعثها الملك عبدالعزيز الى شيخ البحرين رسالة مؤرخة في ١٦ من ذى الحجة ١٣٤٦هـ الموافق في ٦ يونيو ١٩٢٨م وفيها : بعد السؤال عن رفاهيتكم دمتم بموفور النعمة وعن مودتكم يشكر الله على مزيد نعمه بخير ثم نهنئكم بحلول عيد النحر السعيد اعادنا الله واياكم على امثاله اعواما عديدة متمتعين باليمن والامان والسعادة والرضوان . وعن اخبارنا فهي من كرم الله على مايرام من جميع الوجوه الحج يوم الثلاثاء والصحة عامة والراحة شاملة والماء متوفر للغاية والوقت بارد جدا والناس مطمئنون بحمد الله على ذلك . ومن عندنا الاخوان والاولاد يسلمون والله يحفظكم والسلام[١٣] هذه

---

(١١) أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية . جـ١ ص١٣ ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض (٩)

(١٢) ميك ١٨٢ ص ٢٣٣ / أر/١٥/٢/١/٦ الرسالة من (بارت) الى هاورث) المقيم البريطاني في بوشهر .

(١٣) رسالة من الملك عبدالعزيز الى الشيخ عيسى بن على آل خليفة برقم ٥١٦ وتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٣٤٦هـ .

الرسالة مورخة كما اوردنا في ١٦ من ذى الحجة ولم يذكر الملك شيئا عما يدل على وفاة والده فاذا كان قد توفي في العاشر من شهر ذى الحجة لابد وان تتغير صيغة الرسالة لا أن يقدم التهاني لشيخ البحرين بعيد الاضحى ولم يمض على وفاة والده سوى خمسة ايام . وفي رسالة اخرى سبقت هذا التاريخ وردت من جلالته وفيها يهنيء شيخ البحرين بعيد الفطر المبارك ويختم الرسالة بقوله : ومن عندنا سيدى الوالد الامام والاخوان والاولاد يسلمون[١٤] .

وان ارجح تاريخ لوفاة الامام عبد الرحمن بن فيصل كان في ٢٤ ذى الحجة ١٣٤٦هـ الموافق في ١٤ يونيو ١٩٢٨م بناء على الرسالة التى ارسلها جلالته الى شيخ البحرين يشكره فيها على رسالته المؤرخة في ٢٤ ذى الحجة والتى ذكر فيها تعزيته بوفاة الامام عبد الرحمن فقال جلالته : وان ماذكرتم عن ما وقع في قلبكم من الحزن الشديد عندما بلغكم خبر وفاة والد الجميع سيدى الامام ..[١٥] . ومن هنا نخرج بنتيجة على ان الوثائق الاجنبية ليست من الدقة بمكان ولا اقول كلها بل بعضها وانما في تراثنا ووثائقنا ماهو اكثر دقة وصحة منها خصوصا اذا كان كاتبها معروفا بالامانة والصدق وكتبت في نفس الزمان والمكان . ولدى السؤال من كبار السن في

---

(١٤) الرسالة برقم ١٧١٣ وتاريخ ٥ شوال ١٣٤٦هـ .
(١٥) رسالة جلالته برقم ١٠٦٣ وتاريخ ٢٨ ربيع اول ١٣٤٧هـ .

البحرين علمت ان خبر وفاة الامام عبدالرحمن وصل الى البحرين من الرياض عن طريق التلغراف الذى مـركزه الرئيسى البحرين فابلغ شيخ البحرين بالخبر فارسل بدوره تعزية الى الملك عبدالعزيز الذى يؤدى فريضة الحج فى مكة المكرمة قبل ان يصله الخبر من الرياض . اما لوريمر فقد اشـار الى ولادة الامام عبـدالرحمن بن فيصـل في عام ١٨٥٦م[١٦] واورد جون فيلبي ان الامام توفى عن عمر يناهز الثامنة والسبعين[١٧] وتصبح وفاته والحالة هذه ١٩٣٤م وهذا خطأ واضح . خلاصة القول فان في رسائل الامام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز وشيوخ الخليج وحكام العرب جميعا ما قد يلقي الضوء بعد تحقيقها ويصحح ما كتبه الاجانب على ضوئها .

ولما كان التاريخ في اللغة تعريف الوقت وارخ الكتاب وقّته[١٨] اى جعل له تاريخا فاننا سوف نستعرض رسائل الملك عبدالعزيز ونطابقها مع ما كتبه الكتاب ونترك لهم وللباحثين مزيدا من التحقيق لا في دقة التواريخ فحسب بل في مجريات الاحداث والوقعات ووصفها لقناعتنا بان ما كتبه الملك عبدالعزيز عن تلك الاحداث اقرب الى الصحة أو اصح

---

(١٦) لوريمر ، دليل الخليج . شجرة ال سعود جـ٣/٣/١٤ .

(١٧) جون فيلبي . العربية السعودية (الطبعة الانجليزية) ص ٢٣٩ / ١٩٥٥م .

(١٨) ابن منظور ، لسان العرب ١/٤٤

مما كتبه الاخرون الى حد كبير لاعتمادهم على مصادر اجنبية او بعيدة عن مجريات الاحداث .

فمن رسائل الملك عبد العزيز انه يخبر شيخ البحرين عن احوال الشريف وانشغاله بحربه في اليمن ومع القبائل هناك التى اخذت تنضم لجلالته(١٩) وواصل الملك الاخبار عما قام به الشريف مع رعية الملك ثم يتطرق الى استيلائه على الاحساء ١٣٣١هـ وكيف أمن العسكر هناك وترك حلالهم وسلاحهم الذى بايديهم قال الملك : تركنا ذلك شيمة عربية واحتراما للدولة وجهزناهم الى البحرين ونحن نبشركم بما منَّ الله علينا من استرجاع املاكنا السابقة لما نعهد من محبتكم(٢٠) ثم توالت الانتصارات لجند الملك نحو انحاء المدينة المنورة(٢١) وتطورت الاحوال فقد اخبر ابن جلوى شيخ البحرين بان مكة المكرمة وجده قد اخليت من الترك وان عسكر الطايف الان محصورون ثم توالت انتصارات الملك على عربان الشريف(٢٢) .

وفي ٢٣ محرم ١٣٤١هـ ١٦ سبتمبر ١٩٢٢ وصل الملك عبد العزيز الى الاحساء فقدم الشيخ حمد بن الحاكم الشيخ عيسى بن علي واخوته للسلام عليه فرحب بهم وقدموا له

(١٩) الرسالة بتاريخ ١٢ رجب ١٣٣٠هـ .
(٢٠) الرسالة بتاريخ ٢ جمادى الثانية ١٣٣١هـ .
(٢١) الرسالة بتاريخ ٢٧ رمضان ١٣٣٤هـ .
(٢٢) الرسالة بتاريخ ٢٢ شعبان ١٣٣٧هـ .

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل
الى الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب الاكرم الافخم الاخ الاكرم الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفه المكرم دام بقاه امين
بعد اهدى مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام والسؤال عن تلك الذات البهيه والاخلاق المرضيه
وعنا ولله الحمد والمنه طيبين وللوازم المحبة والصداقة مراعين. واحوالنا من كرم الله جميله تسركم من كل فرد الى جهتكم
لدينا كتابكم رقيم ٥ ؟ جماد الثاني سرنا سلامتكم وما ذكرتم هاذي الحب سلوم خصوص اشتراك جنابكم معنا
بالسرور بما من الله به علينا من الانتصار على العسكر الذي هاجم العقير ورد الله كيدهم بنحورهم فاسرني
الحمد لله رب العالمين والبارى تعالى يبقي لنا حياة جميعكم ولا يعدمنا شفقتكم هذا ما لزم واكثر زحو ودمتم محروسين
والتصال اخبار سلامتكم والسلام على الوالد اكرم والاخوان والاولاد ومنا الاخوان والاولاد يسلمون والسلام ٢٩ ب

وثيقه رقم ١٨ / ١٣٣١ مؤرخه في ٨ رجب ١٣٣١ هـ الموافق ١٣ يونيو (حزيران) ١٩١٣ م
من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفـــــــه .
(وفيها تبادل الاخبار والانتصارات في العقير) .

الاطلس التاريخى للدولة السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

الرقم	الوقائع حسب ما وردت في كتاب تاريخ الدولة السعودية صفحة ؟ ج٢ / تأليف امين سعيد
١٤	وقعة تربه في ٢٥ شعبان عام ١٣٣٧ هـ .
١٥	الاستيلاء على عسير في شوال عام ١٣٣٨ هـ .
١٦	وقعة الجهراء في ٢٦ محرم عام ١٣٣٩ هـ .
١٧	سقوط حائل في ٢٩ صفر عام ١٣٣٩ هـ .
١٨	سقوط الطائف في ٧ صفر عام ١٣٤٣ هـ .
١٩	دخول مكة في ٧ جمادى الاول عام ١٣٤٣ هـ .
٢٠	تسليم المدينة في ١٩ جمادى الاول عام ١٣٤٤ هـ .
٢١	تسليم جدة في ٦ جمادى الثاني عام ١٣٤٤ هـ .



الدكتور إبراهيم جمعة / ص ١٦١

١٣	١٩٢٢	[illegible]
١٣	١٩٢٤	[illegible]

الدعوة فرحب بالدعوة ويتـزامن هذا التـاريخ مـع مافي البحرين من احداث اثارها الميجر ديلي وذلك في اول صفر يوم السبت من عام ١٣٤١هـ .

كما نلاحظ بعد هذا الاجتماع تم احتلال عسير[٢٣] فقد وردت رسالة مطوله من جلالته تحوى تفاصيل فتح عسير على يد الامير فيصل بن عبدالعزيز الذى نزل بجيشه وارسل سرية مؤلفة من اربعة بيارق ووصل خميس مشيط وأبها عاصمة عسير فدخلها وقتل من يقاوم فطلب اهل عسير العفو والامان من الابن فيصل اما حسن بن عايض فزبن الحرمله فامنه الامير فيصل . وفي الرسالة اخبار هامة اخرى وبعد ثلاثة ايام من ارسال هذه الرسالة الى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين ورد جواب الى الملك يهنئه بالانتصارات في عسير[٢٤] ولدى استقراء ماكتبه طائفة من المؤرخين حول الاستيلاء على عسير بانه حدث في شوال عام ١٣٣٨[٢٥] اى قبل ما كتبه الملك عبد العزيز بنفسه بثلاث سنين[٢٦] واضاف آخرون ان الامير فيصل بن عبدالعزيز أتم الاستيلاء على عسير في ٢١ جمادى الاولى ١٣٤١هـ[٢٧] وهكذا اصبحنا

---

(٢٣) رسالة مؤرخة فى ٢٥ محرم ١٣٤١هـ واخرى في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ .

(٢٤) رسالة فى ٢٨ صفر ١٣٤١هـ .

(٢٥) امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ص ٢٠

(٢٦) رسالة مختومة بختم الملك عبدالعزيز مؤرخة فى ٢٥ محرم ١٣٤١ واخرى فى ٢٥ صفر ١٣٤١ ورسالة ثالثة فى ٢٨ صفر ١٣٤١هـ .

(٢٧) العقيد محمد ابراهيم رحمو ، اضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه ص ١١٧ .

نقرأ من يجعل تاريخ الاستيلاء على عسير قبل مادونه الملك عبدالعزيز وختمه بخاتمه ببضع سنين بينما نقرأ من يجعل تاريخ الاستيلاء بعد مادونه الملك بنحو ثلاثة اشهر .

وفي رسالة وردت من جلالته حيث شرح فيها الاسباب التى دفعت الملك الى تحرير الحجاز باستيلائه على الطائف وكان باستطاعته التقدم الى مكة المكرمة ولكن احتراما لحرم الله وحرصا على عدم اراقة الدماء فقد اخذ يدعو الناس للحق حتى خُلع الشريف وخرج وابنه ليلا بدون ان يَعلم بهما احد فأسرع اهل مكة وارسلوا للملك بالخبر وهنا دعا اهل مكة الملك للقدوم اليهم فاحرم الجند وقدم خيلا الى مكة لتأمين الناس وتطمينهم ودخلوها محرمين رافعين اصواتهم بحمد الله وتمجيده وسعوا وطافوا بالحرم مع الناس وكان الاهالي يبيعون ويشترون في اسواق مكة فلم يُسفك دم ولم يؤخذ مال ولم تُغير حال من الاحوال ويستطرد الملك عبدالعزيز في رسالته بقوله : ان قصده بأن يكون بيت الله وحرمه حرا لكل قاصد ولما فيه راحة وأمان حجاج بيت الله وساكنيه ومجاوريه والقادمين اليه(٢٨) .

هذه الرسالة التى تفيد بان الجيش السعودى دخل مكة المكرمة وكان تاريخها في ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٣هـ الموافق ٨ اكتوبر ١٩٢٤م بينما كتب البعض بان الملك دعا العلماء

---

(٢٨) رسالة بتاريخ ٢٨ / ربيع اول ١٣٤٣هـ .

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الى جناب الوالد الشيخ عيسى بن على

بسم الله الرحمن الرحيم

...العزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم [illegible] حضرة الاكرم الوالد الشيخ عيسى بن علي الخليفه المحترم سلمه الله تعالى امين
...هدا مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لا زلتم بكمال الصحة واتم السرور
...نحمد الله على نعمه نخبركم لنا مدة عن كتبكم جعل الله انها خير اخبار ناصحة ولا جد ما يوجب افادة حضرتكم فقط ليس خافيا
...رتكم افعال الحسين ابن علي ومنعه اهالي نجد عن حج بيت الله مدة سبع سنوات وما اتى به من الظلم والجور تجاه
...ج بيت الله مما لا يخفى على احد فلما رأى اهل نجد اصراره على اسره وتماديه في ظلمه لم يروا بدا من تجريد السيف
...ـه وبعد مشيئة الله عزموا على تمشاة جيوش المسلمين لتطهير بيت الله من دولة الجور والظلم وفعلا اث...
...وا الى الطايف بمعونة الله وتوفيقه وكان في استطاعته التقدم الى مكة المكرمة ولكن احتراما لحرم الله وحرص
...ـهم اراقة دما جعلهم يسايرون الامور ويدعون الناس لاتباع الحق والتخلي عن اهل الجور والعسف حتى
...الله امره وخلع الحسين ثم تبعه ابنه فاراد بنفسه ليلا بدون ان يعلم به احد وقد اسرع اهالي مكة المكر...
...لوا الجند المسلمين بالخبر بفراره ويدعونهم للقدوم اليهم فاحترم جند المسلمين وقدم خيلا الى مكة لتامين الناس
...ـنهم ودخلوها محرمين رافعين اصواتهم بحمد الله وتمجيده خاضعين رؤسهم ذلا وهيبة لجلاله تعالى وقدرته
...ظيما لبيته الحرام واتباعا لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يسعون ويطافون والاهالي يروحون ويغ...
...يعون في اسواقهم ويشترون لم يسفك دما ولم يؤخذ مال لم تغير حالة من الاحوال فلله سبحانه وتعالى الحمد والمنة
...تتابع نعمه وتطهير بيته الحرام الذي غاية قصدنا ان يكون لكل قاصد على ما فيه راحة وامان لحجاج بيت الله
...اكنيه ومجاوريه والقادم اليه وفقنا الله واياكم لما به الخير هذا ما احببنا بشارتكم به وارجو ابلاغ السلام الاولا...
...لام كما منا سيدي الوالد والاخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين الموافق ٨/اكتوبر ١٩٢٤ م

٢٨ ربيع

ورؤساء العشائر الى اجتماع في الرياض عقب فشل مؤتمر الكويت وذلك في ذى القعدة ١٣٤٣هـ الموافق ٦ يونيو ١٩٢٥م لتقرير موقف الشريف من الحجاج وكان يرأس ذلك الاجتماع الامام عبدالرحمن بن فيصل اما الملك عبدالعزيز فقد جلس بينهم وقد تكلم الشيخ سعد بن عتيق في ذلك الاجتماع وبعد مناقشة انتهت الى ان نادى الى خردق توكلنا على الله الى الحجاز .. الى الحجاز[٢٩] فكيف يتفق ذلك مع ان الملك كتب قبل اكثر من ثمانية اشهر انه دخل الجيش السعودى الى مكة المكرمة وفتحها الله سلما . كما ان من اشار الى انه دخول مكة حدث في السابع من جمادى الاولى ١٣٤٣هـ[٣٠] وهذا يأتى بعد اكثر من خمسة اسابيع من تاريخ رسالة الملك لشيخ البحرين . هذا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الرسالة كتبت وارخت بعد الفتح بايام . وفي مصادر اخرى ان الجيش السعودى دخل مكة بدون حرب في يوم ١٧ ربيع الاول ١٣٤٣هـ[٣١] وهنا يؤكد ما ذهبت اليه الرسالة التى بعثها ابن سعود لشيخ البحرين وفيها خبر دخول مكة المكرمة في وقت ما بين ١٧ ـ ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٣هـ . وفي مستهل رجب ١٣٤٣هـ اتجه جند الملك نحو

---

(٢٩) امين سعيد . تاريخ الدولة السعودية ص ١٤٦ .

(٣٠) نفس المصدر السابق ص ٢٠ .

(٣١) محمد ابراهيم رحمو . اضواء على الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه ص ١٣١ ود . ابراهيم جمعة ، الاطلس التاريخى للدولة السعودية ص ١٧٨ . وتاريخ الدولة السعودية ، ص ١٦٥ .

(جـدة) ونصب المدافع على ثلاث جهات ووفق خطة رسمها جلالته فقد قسم جنده الى قسمين :

● الاول : جعلهم في جهـة الشمال (اليسـار) وهم اهل الغطغط ومن تبعهم من هجر الجنوب بينما وضع القسم الثاني من جنده في جهة اليمين وهم اهل دخنة والداهنة والشبيكة ومن تبعهم . اما أهل جدة فقد بقوا في بلدهم دون ان يقاوموا . وكان لمدينة جدة رتبة عسكرية احتلت المحلة اليمانية وهي تبعد عن جدة وقئتذ ربع ساعة وقد استطاع جيش الملك عبدالعزيز من الاستيـلاء على هـذه الرتبـة العسكرية وفيها نحو خمسمائة مسلح وبهذا التاريخ الثاني من رجب ١٣٤٣هـ تم السيطرة على الرتبة العسكرية ولما كانت قناصل ورعايا الاجانب فيها من الانجليز والفرنسيين والطليان . والمسقوف والهولنديين والعجم وكانوا يكاتبون على ان لايصير على رعاياهم خلاف وخشية ان يصيبهم ضرر اذا صار هجوم على البلد لذا فقد أخرنا ذلك رغم ان طائراتهم تأتينا كل يوم طائرتان وان كانت لم تضر احدا من فضل الله وقد ضرب احدهما المدفع واخل بها وذهبت ولم ترجع واما الثانية فقد القت قنبلة فثارت عليها واحـرقتها فسقطت الطائرة وقد شوهدت وهى تحترق ووجدوا ان فيها ثلاثة اشخاص .

اما مكة واطرافها فمن فضل الله ساد الامان وتأتيها الارزاق من كل مكان وكل عربان الحجاز نزلوا علينا من

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم ذي الشيم حضرة الشيخ الأكرم عبد الله بن جاسم آل

ادام الله بقاه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن [illegible] شريف خاطركم الخاطر

بكمال الصحة وان تفضلتم بالسؤال عنا فالحمد لله على جليل [illegible] وايامكم [illegible] قبل تقدم منا الخط

قبل هذا كتاب يدري الشريف ما يلزم [illegible] قبل اخبارنا تسركم ولله الحمد من جميع الجهات

جميع المسلمين من فضل الله بخير والله ان الانسان اذا شاف ما عطا الله المسلمين انه يشكر الله على [illegible]

اما المسلمين استعانوا الله على جميع من فيه نفاق من [illegible] الحجاز واخذوه وجاهم غنايم المسلمين من

فضل الله ابل وغنم وبقر وحمير وجبيه وجا المسلمين من فضل الله شي كثير من الغنايم والله ان الحرب [illegible]

باليمن و[illegible] وامامهم جهة [illegible] والله ما [illegible] منهم ولله الحمد [illegible] والله لا [illegible]

جيده وعقب ما ركبنا عليهم [illegible] من ثلاث الجهات خذلهم الله وبان عجزهم والمسلمين [illegible]

قسمين اهل الطايف ويتبعهم من هجر [illegible] و[illegible] واهل [illegible] واهل [illegible] واهل

[illegible] ويتبعهم [illegible] وامامهم اهل جده فهم لهم ترتيب [illegible] في محل يقال لها [illegible]

[illegible] وهي تبعد عن جده ربع ساعة او ثلث ساعة ويقصدها المسلمين [illegible] الترتيب التي فيها [illegible]

رجال وهي بيد المسلمين الآن ومضيقين المسلمين عليهم [illegible] المنه ومن قبل باقي المسلمين

كل ليلة [illegible] وكل يجي [illegible] والله اعلم [illegible] منهم ولاكن [illegible] من فضل الله [illegible]

لانهم عن الخروج و[illegible] في الديرة [illegible] انهم انشا الله [illegible]

[illegible] وامامهم جهة تأخرنا عنهم هالمدة فهي ولله الحمد ما [illegible]

بالمسلمين الا انهم انشا الله تعالى ضعيفين لاكن لا يخفى جنابكم انها ديرة بها اجانب [illegible]

بالانكليز وفرنسه وطليان و[illegible] وهلندا وعجم [illegible] كلهم [illegible] على انهم [illegible]

[illegible] فيها [illegible] رعايانا [illegible] خلاف [illegible] المسلمين فيهم [illegible]

لو يصير [illegible] لابد يصير على رعايا الأجانب خلاف ويصير الأمر مشكل ولاكن هذا اخرنا المسلم [illegible]

الله [illegible] الطلب والآخر الأمر [illegible] انشا الله تعالى ونستعين الله عليهم و

من طرف [illegible] مكة وهي [illegible] والله ما [illegible] انها [illegible] لا آدمي ولا [illegible]

فضل الله وحده [illegible] واهل [illegible] والله انها [illegible] الديرة ولا [illegible]

منها واما [illegible] وسط المسلمين [illegible] وثارة [illegible] عليها [illegible]

و[illegible] المسلمين [illegible] الذي فيها [illegible]

من قبل مكة والمراد انها من فضل الله [illegible] كل مكان ومن قبل [illegible]

الحجاز عقب [illegible] المسلمين [illegible] من المدينة [illegible] والله ما [illegible] فيها [illegible]

شي ولله الحمد والمنة [illegible] وكل آمن وذا كله من فضل الله وانا [illegible]

[illegible] المكرم [illegible] الحقيقية هذا هي ما [illegible] من قبل المسلمين والله ما [illegible]

الحبيه والنيه الا [illegible] وثلاثة من الأخوان [illegible]

[illegible] لكم الأخبار الحقيقية لاجل [illegible] المكرم [illegible]

بين صلاح الاسلام والمسلمين هذا ما لزم بلغ السلام الوالد والاخوان والاولاد من عندنا الأخوان و

والأولاد يسلمون ودمتم محروسين

٢٨

١٣٤٣/٥

المدينة الى القنفذة وهم سامعون مطيعون وكل آمن من فضل الله هذه هي الحقيقة ولاغيرها شيء ومن جهتنا ما انتقص الا واحد من عبيدنا وغلام للاخ محمد وثلاثة من الاخوان قتلوا واربعة مجاريح وها نحن نشرح لكم الاخبار الحقيقية لاجل اطمئنان خواطركم نرجو الله ان ينصر دينه ويعلي كلمته(٣٢). هذه اخبار موثوقة لم نجدها في ما اطلعنا عليه من المصادر التاريخية وهى تروى حصار جدة والاحداث التي واكبت ذلك الحصار ومهدت لدخول الجيش السعودى بقيادة السلطان عبد العزيز الى جدة بعد نحو سنة .

ولدى البحث في ماتيسر لنا من المصادر نجد ان (جدة) سلمت في ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ(٣٣) أو غرة جمادى الآخرة(٣٤) فكيف يتفق ذلك مع رسالة الملك التى تذكر ان خطة عسكرية رسمها جلالته واوردها مفصلا برسالته المؤرخة في الثاني من رجب ١٣٤٣هـ واكدها في ٢٤ رجب ١٣٤٣هـ وانها سلمت جدة بدون قتال قبل غرة شهر جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ لان رسالة الملك التى ذكر فيها ذلك كانت مورخة في ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ فلابد وانها ارسلت قبل

---

(٣٢) رسالة من الملك عبدالعزيز في ٢ رجب ١٣٤٣هـ وانظر رسالة مؤرخة في ٢٤ رجب ١٣٤٣هـ بواسطة عبدالعزيز القصيبي . ورسالة مؤرخة في ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ .

(٣٣) تاريخ الدولة السعودية ص ٢٠ و ١٧٧ .

(٣٤) اضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه ص ١٤٢ والاطلس التاريخي للدولة السعودية ص ١٨٠ .

هذا التاريخ . ان تلك المصادر ينقصها دقة في التوقيت اذا ما اعتبرنا ان رسائل الملك عبدالعزيز هي القاعدة التى نبني عليها تاريخ الاحداث والوقائع التى حدثت في عهده وتحت قيادته أو قيادة اخوانه وابنائه .

وكتب الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه لوالده الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قال فيها نبشركم ان البعض لفوا علينا وهم (يريدون) ينبع واخبروهم بان شاكر ومن معه في البادية قرب ينبع على ماء يقال له (ملحة) ولكن في يوم الجمعة السابع عشر في الشهر الماضي (شعبان) صبحوهم وانتصروا عليها ولم يسلم منهم الا من انهزم امام جيشنا فقد انهزم شاكر ومعه خمسة خيالة زبنوا في ينبع وان شاء الله يخرجهم الله بحوله وقوته . وكان قتلاهم كثيرين واخذ جيشنا بيارقهم وغنموا جميع ما كان معهم من خيل واغنام وماشية وسلاح وذخيرة ونحمد الله لم يفقد من جيشنا أحد وختم رسالته بقوله : واحببنا بشارتكم[٣٥]

ويخبر جلالته شيخ البحرين بان العدو محاصرينه وخذلانه وعجزه ظاهر وقريبا ان شاء الله يأتيكم الخبر السار[٣٦] .

وشهد حج عام ١٣٤٣هـ الامن والراحة . وبلغ عدد الحجاج نحو مائة الف والغريب حج منهم ما بين ستة الى

---

(٣٥) في ٨ رمضان ١٣٤٣هـ .

(٣٦) في ٢ ذى القعدة ١٣٤٣هـ .

سبعة الاف حاج وان الحجاز من فضل الله تعالى في رخاء وامان وربيع وقال جلالته : وبعد ان انقلبنا من جدة ارسلنا سعود بن عبدالعزيز وخالد بن لؤى يقودان جيشا بسبعة بيارق الى جهات (ينبع) واطرافها واعادوا أهل بدر الى ايزهم بعد ان قاتلوهم وقتلوا نحو خمسمائة رجل وغنموا سلاحهم وارزاقهم وخلفنا وراءنا لحصار جدة الفين وبعد ثلاثة ايام حدثت معركة قتل فيها عشرة من الخيل وفرسانها وخمسة عشر رجلا وفي صباح اليوم التالى ظهر منهم حوالى اربعمائة من العسكر وكانوا يتوجهون الى قلعة يكمنون فيها لخيلنا فلما رآهم جندنا قاتلوهم والله لم يرجع منهم الا ثلاثة وخيال معهم وقتل الباقون اما قتلانا فكانوا اربعة وثلاثة مجروحين واربعة من الخيل . وان القصد احببنا بشارتكم[٣٧] وفي وثيقة اخرى ان اغلب اهل جدة خرجوا الى مكة المكرمة وخرج معهم بعض الرعايا الاجانب من المسلمين وكل يوم يصل بعض الجند الفارين من عسكر الخصم افرادا وجماعات وهم يذكرون سوء الحالة والضيق الشديد من اجل الحصار الذى ضربه الاخ عبدالله بن عبدالرحمن على العسكر في جدة اما سعود فقد نزل ينبع النخل وحاصر ينبع البحر وله همته مباركة ندعو الله ان ينصره[٣٨] وكتب

(٣٧) في ١٤ ذى الحجة ١٣٤٣هـ .

(٣٨) الوثيقة مؤرخة فى ١٨ صفر ١٣٤٤هـ .

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الى الشيخ عيسى بن على

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاجل الاكرم الافخم ابن الشيخ حضرة الوالد المكرم الشيخ عيسى بن علي

سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن حالكم احوالنا الحمد لله جيلة ومكاتيبكم وصلت
وما عرفتم كان لدينا معلوما خصوصاً من قبل اخبارنا ا... ه على ما تحبون ، المسلمون حجوا حج
هنيئاً ولا يعلم الله اخبر فيهم عاصب الرأس ولا والله جر... ا يكدر خواطرهم .حج الناس حج
ما يقاس على اقل تقدير مائة الف والغريب حج منهم من الستة الى السبعة آلاف . والحجاز من
فضل الله تعالى رخاء واما نا وربيما . كذلك بعد ان اقلبنا ارسلنا سعود بن عبد العزيز آل سعو
وخالد بن لوى ومعهم من المسلمين سبعة بيارق الى جهات ينبع واطرافها حيث ان اهل بدر ارتدو
على اميرها واخرجوه منها . ايضاً خلفنا وراءنا لحصار جدة من المسلمين قدر الفين وكنوا عن المد
وبعد شدبدنا فى ثلاثة ايام ظهر لهم خيل وموتر اعان الله المسلمين عليهم فقلعوا منهم عشراً من الخيل
وذبحوا خمسة عشر وجميع اهل الخيل المذكورة لا القلايع ولا المذبوحة اهلها ذبحوا فيوم جامع
بأكر اظهروا لهم قدر اربعمائة رجال من عسكرهم قصدهم يحملونهم فى قلعة يسكنون بها لخيلهم
وشافهم المسلمون واستعانوا بالله عليهم ولا والله رجع منهم الا ثلاثة وخيالهم والباقي جيمهم
ذبحو والمسلمون بالاولى والاخرى قتلاهم اربعة وثلاثة صوباً وا ربعا من الخيل
أما من قبل سعود وقومه فصبحوا اهل بدر وهم مستنذرين بهم واعانهم الله عليهم ذبحو
ذبحة ما جرت مقدار الذين ذبحو منهم نحو خمسمائة رجال واغلب كبارهم وغنموا ما عند
من سلاح وجبخان وارزاق وغيرها وبعد يومين اخذوا لهم حملا جيدا معه جبخان وارزا
ظاهر لهم من ينبع والقصد من ذلك احيينا بشارتكم بما ذكر وبحج المسلمين وذل عدو
ولابد انشاء الله قريبا يأتيكم منا الخبر الذى يسركم نرجو أن الله تعالى ينصر دينه ويعلى كل
و بوفقنا واياكم لما فيه الخير هذا ما لزم تعريفه مع ابلاغ السلام الاولاد ومن عندنا الاخو

والاولاد ينهون والسلام عليكم

١٣٤٢

١٤ ذي الحجة

الامير محمد بن عبد العزيز يخبر شيخ البحرين انه توجه الى (المدينة المنورة) لاستلامها من اهلها ولكن بعد وصوله كشف له انهم مستعدون للحرب فحاصر البلد اياما فطلبوا الامان وظهر خمسة من الضباط فاعطيناهم الأمان واستلمنا اسلحتهم التى هي للحكومة مع الذخائر ودخلنا المدينة المنورة بدون حرب نهار يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى ١٣٤٤هـ[٣٩] . بينما ذكر الملك عبد العزيز ان الله فتحها في التاسع عشر من جمادى الاولى وان تسليم الاسلحة والذخائر ودخول المدينة كان فى العشرين منه .

ففي رسالة ختمها جلالته بختمه وفيها انه في التاسع عشر من شهر جمادى الاولى فتح الله المدينة على يد الابن محمد وبعد ما فتحها الله ذهبت قوة الشريف واتباعه وصار معهم رعب عظيم وطاحت (العلا والوجه وتبوك والحجر) على الابن محمد فآمنهم وقبض جميع المهمات والقوات التى عندهم وبعد ذلك صار بيننا وبين بعض القواد الذين هم في (جـــدة) بعض المخابرة فعزمنا على الهجوم على جدة وخرجنا الى المخيم الذى قد خيم فيه جيوشنا التى مع العيال الاخ عبد الله والابن فيصل ولكن فى اثناء هذا (طاح) على واتباعه على قنصل الدولة الانجليزية بجدة . وفي هذه الرسالة تفاصيل استسلام جدة بدون قتال كما سلمت ينبع[٤٠] .

---

(٣٩) الرسالة كتبت في ٢٤ جمادى الاولى ١٣٤٤هـ .

(٤٠) الرسالة مؤرخة فى ١ /جمادى الثانية ١٣٤٤هـ .

والى شيخ البحرين يصف الامير سعود بصورة اكثر تفصيلا كيف تم دخول المدينة المنورة على يد الامير محمد بن عبد العزيز الذى توجه الى المدينة المنورة وبعد ما وصل قريبا منها كاتبهم الاخ محمد وطلب منهم الدخول فى حوزتهم فابوا الا المصابرة على الحرب والامتنـاع عن ذلك فـاستعان المسلمون بالله وحاصروهم وضيقوا عليهم جميع المسالك الداخلة والخارجة مأخوذ وبعد ان استقاموا ثمانية عشر يوما كتبوا للاخ محمد يطلبون الامان وظهر اكابر اهل المدينة وعاهدوا على السمع والطاعة ودخل الجيش المدينة المنورة في ٢٠ جمادى الاولى منْ غير قتال ولله الحمد والمنة وسلموا جميع ما عندهم في القوة من اطواب ومكاين واسلحة وتفجان وغيره ورتبوا جميع حصونها وخططوها ودقوا (قيل) لاهل العلا والحجر وتبوك فاجابوا لذلك واخذ عليهم عبد المجيد باشا الامان على رقابهم وأموالهم التى عندهم ويصيرون في محلهم وعجل لنا الاخ محمد هالطروش في المدينة يخبرنا بما منَّ الله به على المسلمين .

فاما مكاتيب سيدي الوالد وبشراهم فلم تصل الينا بعد من مكة المشرفة فلما رأينا ما منَّ الله احببنا تعجيل الخبر لحضرتكم بذلك . ومن لدينا سيدى الامام الوالد وآل سعود يسلمون[٤١] .

---

(٤١) فى ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ /و ١٠ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ .

ووردت رسالة من الأمير سعود وفيها خبر فتح المدينة المنورة ثم حصار جدة وخروج الشريف منها بعد توسط مندوب الحكومة البريطانية وسلمت جدة ودخلها الجيش السعودى بهدوء وسكون ودعة وبدون حرب وتفرق عسكر الخصم كل الى وطنه ثم سلمت الاسلحة والمراكب البحرية والذخائر في جـدة وينبع الى الملك عبد العزيز[٤٢] وترد رسالة اخرى من جلالته بعد اسبوع تبشره بان جميع بلدان الحجاز واهله في غاية الامن والراحة والامور من فضل الله وكرمه جارية علي غاية المطلوب[٤٣] ثم تتوالى الرسائل وهي تخبر شيخ البحرين بما منَّ الله به على المسلمين من أمن الى جميع الحجاج والسكان والمجاورين وكان الحج يوم الخميس من عام ١٣٤٥هـ وقد بلغ مجموع الحجاج مائتين وخمسين الف حاج[٤٤] .

ومعلوم ان تاريخ الاعلان الرسمي بان مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها (المنطقة الشرقية والجوف ووادى السرحان وبلاد عسير) قد اصبحت دولة واحدة بـاسم (المملكة العربية السعودية) ادام الله عزها تحت ظل اسرة آل سعود كان ذلك حسب ما اورده طائفة من المؤرخين في ٢١

---

(٤٢) في ٢٦ / جمادى الثانية ١٣٤٤هـ .

(٤٣) فى ٣ شعبان ١٣٤٤هـ .

(٤٤) رسالة الملك الى شيخ البحرين برقم ١٠٤٦ /وتاريخ ١٦ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ورسالة من الامير سعود مؤرخة فى ٢ جمادى الاولى ١٣٤٥هـ .

جمادى الاولى ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢م .[٤٥] ولكن لدينا وقفة امام رسالة وقد تكون اكثر من رسالة تحمل عنوان (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها) ومؤرخة في ١٥ شعبان ١٣٥١هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٣٢م[٤٦] أي بعد الاعلان المذكور باربعة وخمسين يوما أي بعد حوالى ثمانية اسابيع قد حررت هذه الرسالة وختمت بخاتم جلالته وعليها عنوان (مملكة الحجاز العربية وملحقاتها) فاذا كانت قد اصبحت تدعى (المملكة العربية السعودية) في ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١هـ فلماذا نجد بعد هذا التاريخ مثل هذه الرسائل . وان كان هناك احتمال عن استخدام تلك الاوراق المطبوعة حتى بعد اعلان تكوين المملكة ولكن ذلك الحدث التاريخى العظيم وهو توحيد المملكة يجعل من الاهمية بمكان عدم استخدام تلك الاوراق في وقت اعلنت فيه المملكة الموحدة . ثم نتساءل ماهو المصدر الذى اعتمده المؤرخون الذين يقولون ان اعلان الدولة الواحدة باسم المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادي الاولى ١٣٥١هـ فلو أنهم كتبوا ذلك المصدر أو الوثيقة لرجحنا الاحتمال المذكور باستخدام جلالته اوراقا تحمل عنوانا سابقا للاعلان .

---

(٤٥) الاطلس التاريخى للدولة السعودية . ص ١٩٢ . وتاريخ الدولة السعودية ٢ / ١٨٤ واضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه ص ١٤٣ .

(٤٦) رسالة من الملك عبدالعزيز الى الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة رقم ٧٤٣ مؤرخة فى ١٥ شعبان ١٣٥١هـ (ومرفق صورتها) .

بسم الله الرحمن الرحيم



عـــدد
— ٧٤٣ —

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة الاجل الامجد الاخ المكرم الشيخ محمد بن
... آل خليفه حفظه الله
... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عنكم دمتم بخير وهنا من فضل الله باتم الصحة
... والعافيه . وبعد فقد تقدم منا لكم برقية تعزية بوفاة والد الجميع رحمه الله
... فقده لم يكن فقيدة علينا فقط بل فقيدة على العرب اجمعين ولكن لا يسعنا
... موقف الا الصبر والتسليم لما دبره وقضاه العزيز الحكيم نسأل الله ان يتغمد الفقيد
... ان يسكنه فسيح جنته وان لا يريكم مكروها بعد ذلك . هذا ما لزم بيانه وشرفونا بما
... لزم وسلموا لنا على حضرة اخ الجميع الشيخ حمد والاخوان والاولاد ومن عندنا الاخوان والاولاد
... يسلمون والله يحفظكم والسلام حرر في ١٥ شعبان ١٣٤٩ الموافق ١٥/ديسمبر ١٩٣٠م

١٩.. | أنشئت وكالة المالية العامة في الرياض.
أنشئت مديرية الشئون العسكرية للإشراف على إعادة تكوين الجيش السعودي.

١٩.. | أنشئت وزارة الخارجية وأسندت إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز.

١٩.. | صدرت جريدة صوت الحجاز، وهي الجريدة الثانية بعد «أم القرى» التي صدرت في مكة سنة ١٣٤٣ هـ.

١٩.. | أنشئت في جدة مصلحة خفر السواحل.

١٩.. | أعلن رسمياً أن مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها (المنطقة الشرقية والجوف ووادي السرحان وبلاد عسير) قد أصبحت دولة واحدة باسم المملكة العربية السعودية.

١٩.. | عقدت اتفاقية تمثيل سياسي مع الولايات المتحدة الأمريكية وصفت بأنها اتفاقية مؤقتة (لإمكان إعادة النظر فيها)

٢٢ ايلول (سبتمبر ١٩٣٢)
الموافق ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١هـ

١٩.. | عقدت مع العراق اتفاقية خاصة بطريق الحج البري.

١٩.. | عقدت اتفاقية نفط مع شركة «ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا» تمنحها حق التنقيب عن البترول.

١٩.. | أقيمت في «ينبع» أول مدرسة لتعليم أبناء البادية.
وأنشئت في مكة مدرسة تحضير البعثات لتأهيل الدارسين للالتحاق بالمعاهد العالية والجامعات الأجنبية.
عقدت اتفاقية خاصة بتجارة «الترانزيت» مع البحرين.

(٤٧) الاطلس التاريخي للدولة السعودية ص ١٩٢ . وتاريخ الدولة السعودية ٢ ص ٢٠ و ١٨٤ واضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز ص ١٤٣ .

وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الفضل الى جناب الاجل الامجد الافخم الشيخ الاكرم عيسى بن علي آل خليفة سلمه الله تعالى وابقاه آمين بعد هد[illegible]

ونبدي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن صحتكم الاحب بحال خير وسرور [illegible] لنا بحمد الله جل [illegible]

بعام الله [illegible] علينا امر [illegible] خبر توجهنا الى المدينة [illegible] وبعدها وصلنا [illegible]

على انهم مستعدين للحرب ولاكنهم [illegible] واستعنا بالله عليهم وحاصرنا البلد وضيقنا عليهم وبعدما اخذنا مدة ايا[illegible]

كتبوا لنا يطلبون الامان [illegible] علينا [illegible] وانه على [illegible] وسلمنا منهم جميع السلاح [illegible]

والحكومة [illegible] ودخلنا [illegible] الله [illegible] وانه ينصر[illegible]

[illegible] هذا ما لزم [illegible] بلغ السلام [illegible] ودمتم محروس[illegible]

١٣٤٤

٢٤ جا

وثيقة

[illegible]

... عبد [illegible] الأجل الأمجد الأفخم [illegible] حضرة [illegible] الشيخ عيسى [illegible] سلمه الله تعالى [illegible]

... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible] على الدوام [illegible] عن شريف خاطركم العاطر [illegible] بكمال الصحة [illegible]

... [illegible] كرم [illegible] لابد بلغ حضرتكم توجه الأخ محمد الى المدينة وبعد ما وصل قريباً منها [illegible]

... [illegible] الدخول في حضرة المسلمين [illegible] على الحرب والقتال [illegible]

... منهم [illegible] وضيقوا عليهم جميع المسالك الداخل ما عدا [illegible] الخارج [illegible] ماخوذ [illegible]

... عشر يوم كتب الأخ محمد يطلبون [illegible] اهل المدينة [illegible] على السمع والطاعة ودخول المسلمين المدينة

... [illegible] ٢٠ جماد الأول [illegible] بغير قتال [illegible] الحمد لله وسلموا جميع ما عندهم من القلاع [illegible]

... [illegible] معتبرة [illegible] جميع حصونها [illegible]

... عبد المجيد باشا الأمان [illegible] المدينة [illegible] الأخ محمد [illegible]

... [illegible] الذي عندهم [illegible] الأخ محمد [illegible] المدينة [illegible]

... مكاتيب سيدي [illegible] مكة المشرفة [illegible]

... [illegible] هذا ما لزم [illegible]

[illegible]

١٣٤٤

٦ ج

وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم بهاء الشيخ الوالد المكرم عيسى بن علي الخليفة المحترم سلمه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لازلتم بحال الصحة والسرور وإن سألتم عنا فضل الله جـ

من قبل أخبارنا الحمد لله تسركم الله المحمود على ذلك نعرف حضرتكم بما من الله به على المسلمين انه في (١٩) جماد الأول فتح الله المدينة على يد الابن

وبعد ما فتحها الله ذهبت قوة الشريف وأتباعه وصار معهم رعب عظيم وطاحت العلا والوجه وتبوك والحجر على الابن محمد وأمنوا منـ

وقبض جميع المهمات والقوات التي عندهم وبعد ذلك صار بيننا وبين بعض القواد الذي في جدة بعض المخابرة وعزمنا على الـ

على جدة وخرجنا إلى المخيم الذي مخيم فيه جيوشنا التي مع العيال الأخ عبد الله والابن فيصل ولكن في أثناء هذا طاح علي وانـ

على قنصل دولة الانكليز بجدة وطلب توسطه لدينا على أنه يخرج من جدة وفعلاً واجهنا القنصل المذكور في المخيم وأخـ

أن الحالة حرجة في جدة وأنه يخشى من فتنة تحدث في جدة يحصل منها ضرر على رعاياهم ورعايا الدول الأجنبية وعلى الأهـ

وطلب منا قبول وساطته في ترك علي وأذنابه الذي يريدون الخروج معه يذهبون إلى حيث يشاؤون وأن نسمح لعلي بالأ

الخاصة به التي لا تتعلق للحكومة بها وأن نصدر عفواً عاماً عن جميع المجرمين الموجودين بجدة وهم يتعهدون لنا بجميع الموجودات

من مدافع وأسلحة ورشاشات ودبابات وطيارات والمراكب والسيارات وجميع الذخائر وجميع ما هو متعلق بالحكومة و

ـسينا ذلك موجب محبتنا للسلم وعدم سفك الدماء وأيضاً ما هو حال والعياذ بالله من الضنك والضيق والضعف بـ

جدة وخوفاً من حدوث فتنة يحصل منها ضرر على الرعايا الأجنبية لهذا أجبناهم لذلك وقبل تاريخه سلمت جدة وينبع و

جميع ما فيها من المهمات الحربية من مدافع وأسلحة ورشاشات ودبابات وطيارات ومراكب بحرية وجميع الذخائر والآ

العائدة إلى الحكومة وسافر علي من جدة والعسكر تفرقوا كل إلى وطنه الحمد لله رب العالمين والبلاد من فضل الله جرت فيها العدا

والأمن والطمأنينة والحقيقة أن المدينة وجدة وينبع بريئات مما جرى فيهن من الظلم والضنك ولكن الله سبحانه وتعالى حـ

لا يخشى الفوت والظالم من ظلم نفسه وأسأل الله عباد الله نرجو أن الله يعافينا مما ابتلاهم وهو المسؤول أن

ينواصينا عن موجبات غضبه وينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداء دينه ولما كتبنا ما من الله به أحببنا أن

بذلك هذا ما لزم تعريفه مع إبلاغ الإخوان والأولاد ومنا الإخوة والعيال يسلمون

١٣٤٤

٢ ج ١

وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل [illegible] حضرة الوالد الأكرم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة سلمه الله تعالى

[illegible] أهدي مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم إن كان لتم بكمال النعيم [illegible]

[illegible] من كرم الجميل الحمد لله رب العالمين كذلك لابد بلغكم خبر فتح المدينة المنورة ومن بعد سقوطها سلمت العلا [illegible]

[illegible] فتوكل والتجأ على يد الأخ محمد [illegible] وقبض جميع ما عندهم من المهمات وحصل مع الشريف علي واتباعه رعب عظيم و[illegible]

[illegible] ثم حصل بين سيدي الوالد بين بعض القواد الذين في جدة بعض المخابرة وعزم المسلمين على مهاجمة

البلد والهجوم عليها وخرج سيدي من مكة المشرفة مع جنود المسلمين الذين محاصرين لجدة لتدبيرهم على الهجوم

[illegible] تحقق الشريف علي وأهل جدة هذا الخبر دخلهم الرعب وطلب الشريف من مندوب الحكومة البريطانية

[illegible] سعى في ذلك وأن يرحل من جدة بنفسه ويترك لهم جميع ما فيها من القوة فقط على أن يتفضل سيدي بإصدار

[illegible] عن جميع أهل [illegible] الموجودين في جدة وأن يسمح له على أن يخرج بما يخصه بنفسه مما لم يكن للحكومة فيه أدنى

[illegible] المندوب المذكور عرضه على سيدي ما ذكر الشريف علي وذكر أنه [illegible] من أهالي جدة

[illegible] حال وأضيق عيش وأنه يخشى من ضرب يلحق سعاياهم ورعايا الدول الأجنبية بواسطة

[illegible] وطلب منه العفو والموافقة على ذلك وأنه يتعهد بإتمام ما ذكر الشريف فبموجب شفقة سيدي [illegible] لعله أن يحقن

[illegible] يحقن دماء المسلمين وافق على ذلك وأصدر العفو العام بجميع من في جدة [illegible]

[illegible] وسلمت جدة وسافر منها الشريف علي ودخلها المسلمون بهدوء وسكون [illegible]

[illegible] وتسلموا جميع ما في جدة [illegible] من مدافع وأسلحة ومدرعات وطيارات ودبابات

[illegible] بحرية بجميع ما فيها من الذخائر والأمتعة العائدة للحكومة وتفرق عسكر الشريف كل إلى وطنه وبلده

[illegible] والأمان بعد ما حصل من أنواع الظلم والجور والضيق الحمد لله رب العالمين على نعمه

[illegible] إعلاء كلمته [illegible] بإنعام الله عز وجل به علينا وعلى المسلمين [illegible] بهذا الفتح العظيم

[illegible] تكم بذلك وحسبنا المحمود [illegible] غيره [illegible] هذا ما لزم [illegible] والسلام [illegible]

[illegible] سيدنا الإمام الوالد [illegible]

١٣٤٤

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب حضرة الوالد المكرم الاخ بهي الشيم الشيخ عيسى بن علي بن خليفة المحترم سلمه الله …
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن احوالكم السارة لازلتم في كمال الصحة والسرور …
من كرم الله جميله خطكم المكرم وصل وما عرفتم كان معلوم اسرنا صحتكم جعلها الله صحة دايمة على الجميع امين …
لله الحمد والمنه سالمين من كافة الوجوه ولم يستجد ما نعرفكم به سوا دوام الخير والعافية. جميع بلدان الحجاز …
في غاية الامن والراحه والامور من فضل الله وكرمه جارية على غاية المطلوب الله تعالى المحمود على ذلك …
كثيرا وهو المسؤول ان يديم علينا وعليكم سوابغ نعمه ويرزقنا جميعا شكرها ويوفق الجميع لما يحبه الله ويرضاه …
هذا ما لزم تعريفه مع ابلاغ السلام الاولاد ومنا الاولاد والاخوان يسلمون ودمتم محروسين والسلام

١٣٤٤

٣ ن ش

التعاون بين البحرين والمملكة في المجال الصحى

تشير الوثائق المرفقة صورها عن تعاون صحي كما تذكر انتشار بعض الامراض فى بعض القرى ففي الوثيقة المؤرخة في رمضان عام ١٣٣٥/ ٢٤ جون ١٩١٧م[٤٨] وفيها طلب جلالة الملك عبدالعزيز حضور بعض الاطباء الحاذقين للكشف عن اسباب ظهور هذه الامراض ومنع انتشارها . كما يذكر جلالته عن موافقته على طلب الامريكاني في البحرين والذى رغب في زيارة المملكة ويحتمل ان يكون هو الدكتور (هاريسون) وقد طلب الملك من أمير الاحساء تسهيل قدومه الى نجد . وتشير رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز بتاريخ ٣ ربيع الثاني ١٣٣٩/٢٦ ديسمبر ١٩١٩م عن وصول الطبيب الامريكاني من البحرين وانه باشر المداواة للمرضى واجراء العلميات الجراحية على المعلولين فعمل منه تأثير ونفع كثير .كما ان انحراف صحة جلالته بسبب مكوثه في الاحساء وتغير الهواء وزيادة الرطوبة ثم علاجه وشفاءه فكتب يشيد بعناية الله واهتمام الطبيب هاريسون بالعلاج اللازم حتى عافاه الله . كما ان الرسالة تخبر عن الاحوال

(٤٨) وثيقة رقم ٢٣/ ١٣٣٥ من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ال الكابتن لوخ

وثيقة

From, H.E. Shaikh Sir Abdul Aziz bin Abdur Rahman al Faisal as Saud K.C.I.E. Ruler of Najd

To. Captain P. G. Loch, I.A., Political Agent, Bahrain

D/ 4th Ramadhan 1335
24th June 1917.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود الى جناب الأجل الأكرم ذو المكارم والشيم محب الجميع صاحب السعادة قبطان لوخ [illegible]

قنصل الدولة الفخيمة البريطانية في البحرين دامت معاليه آمين

بعد التحية والاكرام لجنابكم الكريم هذه الأيام حدثت بعض الأمراض العادية في بعض القرى والنواحي ولأجل ذلك استحسن [illegible]

[illegible] من الاطباء الحاذقين لكشف أسباب ظهورها والتوسل لمنع انتشارها [illegible]

[illegible] الامريكاني في البحرين [illegible]

[illegible]

Translated by [illegible]
10/7/17

After Compliments,

In these days some of the usual diseases have broken out in some of the villages and the outskirts for which I desire the presence of an expert doctor in order to examine the causes of the outbreak and to adopt measures to prevent their spread.

I have herewith sent you enclosed a letter for the American Doctor who is at Bahrain and to say that he has been wishing since sometime to come to our side. I have informed the Americ...

وثيقة رقم ١٣٣٥/٢٢ مؤرخة في ٤ رمضان ١٣٣٥هـ الموافق ٢٤ يونيو (عنوان ١٦١٢)

من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الى القنصل البريطاني في البحرين .

وفيها يطلب جلالته ارسال طبيب حاذق لعلاج المرضى في بعض القرى والنواحي كما يستحسن

قدوم الطبيب الامريكاني في البحرين لزيارة المملكة .

وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

...د العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى جناب الأجل الأكرم ذو المكارم العلية والشيم المرضية حضرة صاحب السعادة الميجر...

...ل الدولة الفخيمة البريطانيا الناظر بالبحرين دامت معاليه آمين ،

...م السلام والتحية والاكرام بما يليق لذلك المقام الباعث لتحرير كتابنا الوداد الفحص عن مزاج سعادتكم احوالنا من فضل الله...

...ما تحبونه من كل الوجوه فان حدث امر ذو شأن يستحق ذكره لسعادتكم في ربوع ممالكنا النجدية وتوابعها بعده انه...

...ي الناحية الدكتور الامريكاني وباشر لمداواة المرضاء واجراء العمليات الجراحية على المحتاجين فحصل تأثير ونتيجة...

...يش شي سعادتكم انحراف المزاج الذي حصل في محبكم في اثار مكثنا بالاحساء من التغيرات الهوائية والرطوبات شخصه...

...ب الأدوية اللازمة فبإذن الله وجدت تأثير وفي كل يوم بزيادة عافية . فاما الاحوال الصحية فحيث بعض...

...ورايناها بلاد الوشم وسدير والقصيم والعالي احتياجات كلية للطب فكتبنا للدكتور مستر هاريسون الوصول ا...

...ونه ان كان ما له موانع ترخصونه للتوجه الى طرفنا بغاية العجلة وان كان له موانع فيعرفنا ويعرف بقية الدكتو...

...ر ولاولياتنا لمداواة المرضاء ولاجراء العمليات الجراحية من عندنا سمو الوالد والابنا سعود وفيصل واخوانهما هذا ما...

...ي سعادتكم وتم حرر في ٣ ربيع الثاني ١٣٣٨

...شيقه ٤ /١٣٣٨/١٥ـ٢ـ٤٧ مؤرخة في ٣ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ الموافـــق ٢٦ ديسمبر ١٩١٩م من الملك ...بد العزيز الى قنصل بريطانيا في البحرين وفيها يخبره عن وصول الطبيب الامريكاني ومباشرته علاج المرضـــى ...يطلب جلالته ان يتوجه الدكتور هاريسون . ويلاحظ ان الملك عبد العزيز يوجه رسالته هذه الى القنصـــل البريطاني بخصوص طلب الاطباء الامريكيين لانهم اجانب وتكون المخاطبه بشأنهم مع القنصل البريطاني ...ي البحـــرين .

الصحية في بلاد الوشم وسدير والقصيم وحاجة اهاليها للطبيب وقد ارسل جلالته في طلب حضور الطبيب هارسون باسرع وقت ممكن وان تعذر حضوره فليخبر رفيقه الدكتور الاخر لزيارة ومداواة المرضى واجراء العمليات الجراحية .
ويلاحظ ان جلالة الملك يكتب الى القنصل البريطانى في البحرين حين يطلب اطباء لعلاج المرضى في بلاده لان هؤلاء الاطباء من الامريكيين فهم من الاجانب وتكون المخاطبة بشأنهم مع القنصل البريطانى وقد اوضحت الرسالة ان الامام عبد الرحمن كان على قيد الحياة(٤٩) وفي وثيقة ارخت وفاة الامام عبد الرحمن عام ١٩٢٨(٥٠) .

الصلة العلمية :

لاشك ان من يبحث تحت هذا العنوان سيجد مايكوِّن مجلدا أو اكثر وسوف اترك للباحثين ذلك واكتفي في ختام هذا البحث بصفحة استعرض فيها بالعرض السريع بعض اولئك الذين درسوا فى الحرمين الشريفين أو درَّسوا فيهما من علماء البحرين هم ولاشك كثر ومنهم : السيد عبد الرحمن بن احمد الزواوي المالكي ، وقد هاجر من مكة المكرمة مع

(٤٩) وثيقة رقم ٢٤ /١٣٣٨ I.O.R. - R/15/2/47
(٥٠) برقية رقم ١٨٢ /ميك م ٢١٧ ص ٢٣٣ مؤرخة في ١٢ يونيو ١٩٢٨م .

والده الى الاحساء في عهد بني خالد واليه تنسب (عين الزواوي) بالمبرز من بلاد الاحساء وتوفى ١١٢٣هـ . وقد اخذ عنه ابن عفالق وابن كثير ومحمد العمرى الموصلي وابو بكر البصرى الزبارى وابن فيروز ومحمد بن على بن بسلوم الذى أخذ الحساب والفقه والاداب والفرائض والانساب عن الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز المتوفى ١٢١٢هـ في الزبير ومن تلاميذ السيد عبدالرحمن احمد الزواوي الشيخ محمد بن احمد عبداللطيف الشافعي الاحسائي الاديب الشاعر قرأ العلوم اللغوية حتى صار فيها كالقاموس واخذ في مكة عن ادبائها وتوفى ١٢٢١هـ . والشيخ عبدالعزيز بن موسى الهجري المتوفي ١٢٢٣هـ شاعر واديب ونحوي رحل للحرمين واخذ عن علمائها . والحاج عثمان بن سليمان بن داوود البصرى المتوفى ١٢٢٦هـ كان أدبيا شاعرا زار الحرمين وصحب معه محمد بن عبداللطيف الشافعي فحصل مع ابن عبداللطيف على اجازات في البلاغة والفصاحة .

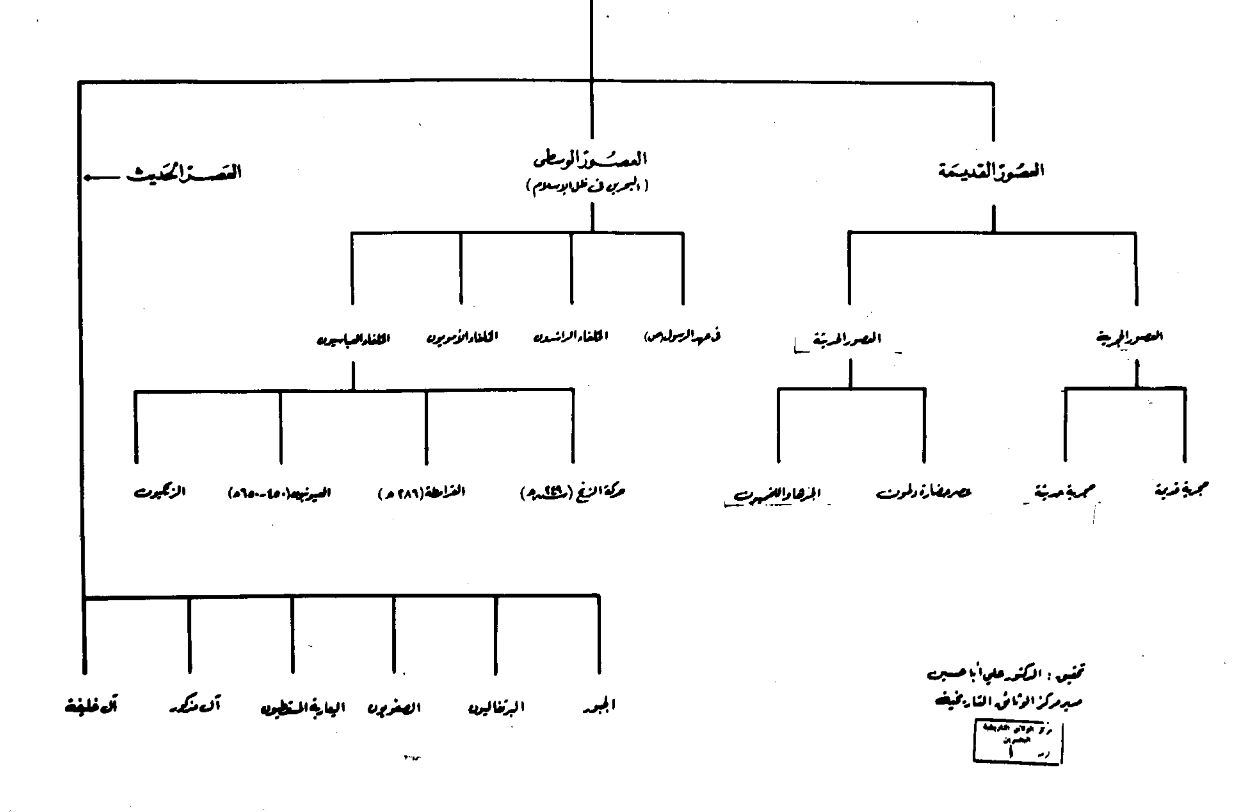
وأبو الحسن السندى الحنفى : المتوفى ١٢١٦هـ وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق المتوفي ١١٦٤هـ اجازه وسمع عنه بعض العلوم من منثور ومنظوم حتى وعي بامام بعض المدرسين في الاحكام وقد اخذ عن علماء مكة المكرمة وتخرج عليه جملة من العلماء وقد استخلص الزواوي عنه جدوله الفلكي لمنطقة الاحساء .

وعثمان بن جامع الانصارى الخزرجي الزبارى دارا قرأ

كابنه على ابن فيروز وتصدر المذهب الحنبلى وولي القضاء لآل خليفة في الزبارة ١٢٠١هـ وقرأ في مكة المكرمة الفقه والاداب والمواريث والحساب ورحل ابنه الى اليمن ومكة والمدينة وتوفي ١٢٠٢هـ اما ابنه عبدالله فهو من علماء البحرين وهو الآخر قد رحل الى مكة المكرمة والمدينة فأدرك من معاني القرآن ما أدرك وولي ابنه احمد القضاء في البحرين وتوفي ١٢٥٨هـ[٥١] .

---

(٥١) عثمان بن سند . سبائك العسجد ص٨٧ والوثيقة ٤/٤٨ و ٤٩ .



العصور القديمة
العصور الحجرية
جمجمة قديمة
جمجمة حديثة
العصور المعدنية
عصر حضارة دلمون
العصور الوسطى
(البحرين في ظل الإسلام)
في عهد الرسول (ص)
الخلفاء الراشدون
الخلفاء الأمويون
الخلفاء العباسيون
القرامطة (٢٨٦ هـ)
العصر الحديث
الجبور
البرتغاليون
الصفويون
آل مذكور
آل خليفة
تحقيق : الدكتور علي أبا حسين
مدير مركز الوثائق التاريخية

المراجـــع

١ - الاحسائى ، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن الانصارى ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد . دمشق ، ١٩٦٣م .

٢ - البلاذرى ، فتوح البلدان . طبع مصر .

٣ - الخصوصي ، الدكتور بدر الدين عباس ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر . الجزء الاول . ط ١ ١٩٧٨م . الكويت .

٤ - الرميحي ، الدكتور محمد . التغيرات السياسية في البحرين ، ط٣ الكويت ١٩٧٩م .

٥ - الريحاني ، امين . ملوك العرب . الجزء الثاني . ط ٥ . بيروت . ١٩٦٧م .

٦ - الزايد . عبدالله . البحرين . ١٩٣٩م .

٧ - الرزكلي . خير الدين . الاعلام . طبع بيروت .

٨ - الزياني . د . أمل أبراهيم . البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي القاهرة ١٩٧٦م .

٩ - سعيد ، امين تاريخ الدولة السعودية . الجزء الثانى . مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز الرياض .

١٠ - سنان محمود بهجت . البحرين درة الخليج العربي ، ط ١ ، بغداد ١٩٦٣م .

١١ - ابن سند ، عثمان ، سبائك العسجد ، طبع بومباى ، ١٣١٥هـ .

١٢ - عبدالباقى ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم . طبع بيروت .

١٣ـ عسّـــه . احمد . معجزة فوق الرمال . ط٢ ، ١٩٦٦م .

١٤ ـ قاسم . جمال زكريا . الخليج العربي دراسة لتاريـخ الامـارات العـربيـة من ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ القـاهـرة ، ١٩٧٣م .

١٥ ـ لوريمر ، دليل الخليج . طبع الدوحة .

١٦ ـ ابن منظور ، لسان العـرب . الجزء الاول ، بـيروت ، ١٩٥٥م .

١٧ ـ النبهانى ، محمد خليفة . التحفة النبهانية . ط٢ . مصر . ١٣٤٢هـ .

١٨ ـ وهبـه ، حافظ ، جـزيرة العـرب في القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٦١م .

١٩ ـ ياقوت الحموي . معجم البلدان . الجزء الاول . بيروت ، ١٩٥٥م .

٢٠ ـ امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية الرياض ، ١٩٧٩م .

٢١ ـ محمد ابراهيم رحمـو . اضواء حـول الاستراتيجيـة العسكرية للملك عبدالعزيزوحروبه . الرياض١٩٧٨م .

٢٢ ـ الدكتور ابـراهيم جمعة . الاطلس التـاريخى للدولـة السعودية ، الرياض ١٣٩٨هـ .

٢٣ ـ وثائق عربية .

٢٤ ـ وثائق بريطانية .

٢٥ ـ وثائق عثمانية .

٢٦ ـ مراجع انجليزية .

٢٧ ـ مقابلات وتسجيلات لبعض المعمرين .

ooo

REFERENCES

AI Mana, Mohammed . Arabia Unified - A Portrait of Ibn Saud .
Revised Edition . London – 1982 .

Arabic Documents .

Arabic Sources – Printed & Manuscript .

Lacey, Robert . The Kingdom – Great Britain . 1982 .

Lorimer, Gazetteer of the Gulf . Historical – Part 3 .Maps .
ENGLAND . 1970

Ottoman Sources .

Philby, St . John .Sau,di Arabia .New York. 1955 .

Records of Personal Interviews With Oldtimers .

Troeller Gary . The Birth of Saudi Arabia . London — 1976 .

Tuson, Penelope . The Records of the British Residency & Agencies in the Gulf .I.O.R. R/15.London 1979 .

Valentine. Paper entitled The Independent State of Bahrain, .

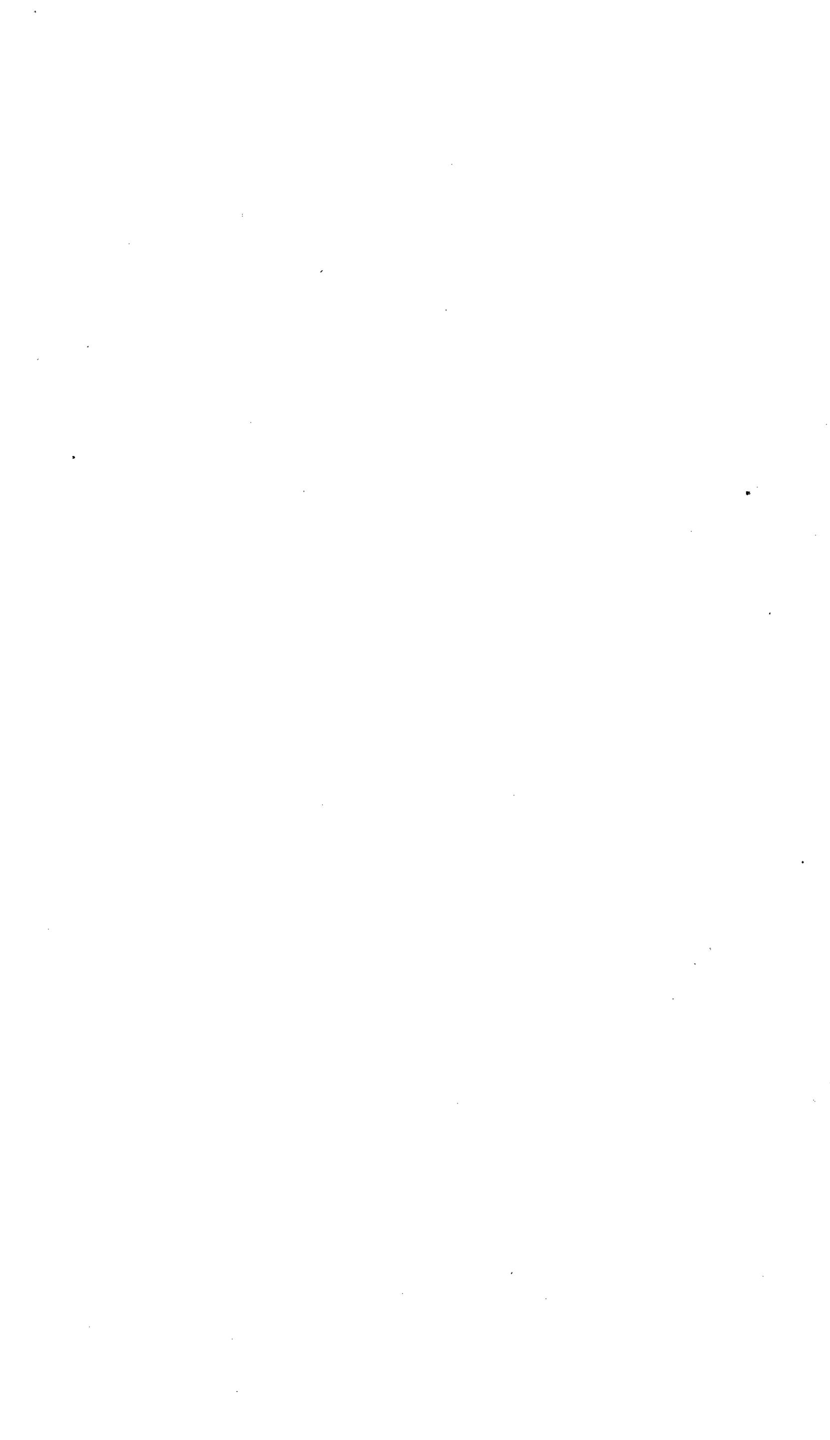
OOO



نظرية المعنى فى التراث العربي
وأثرها في فهم وظيفة الصورة

الدكتور / حمادى صمود

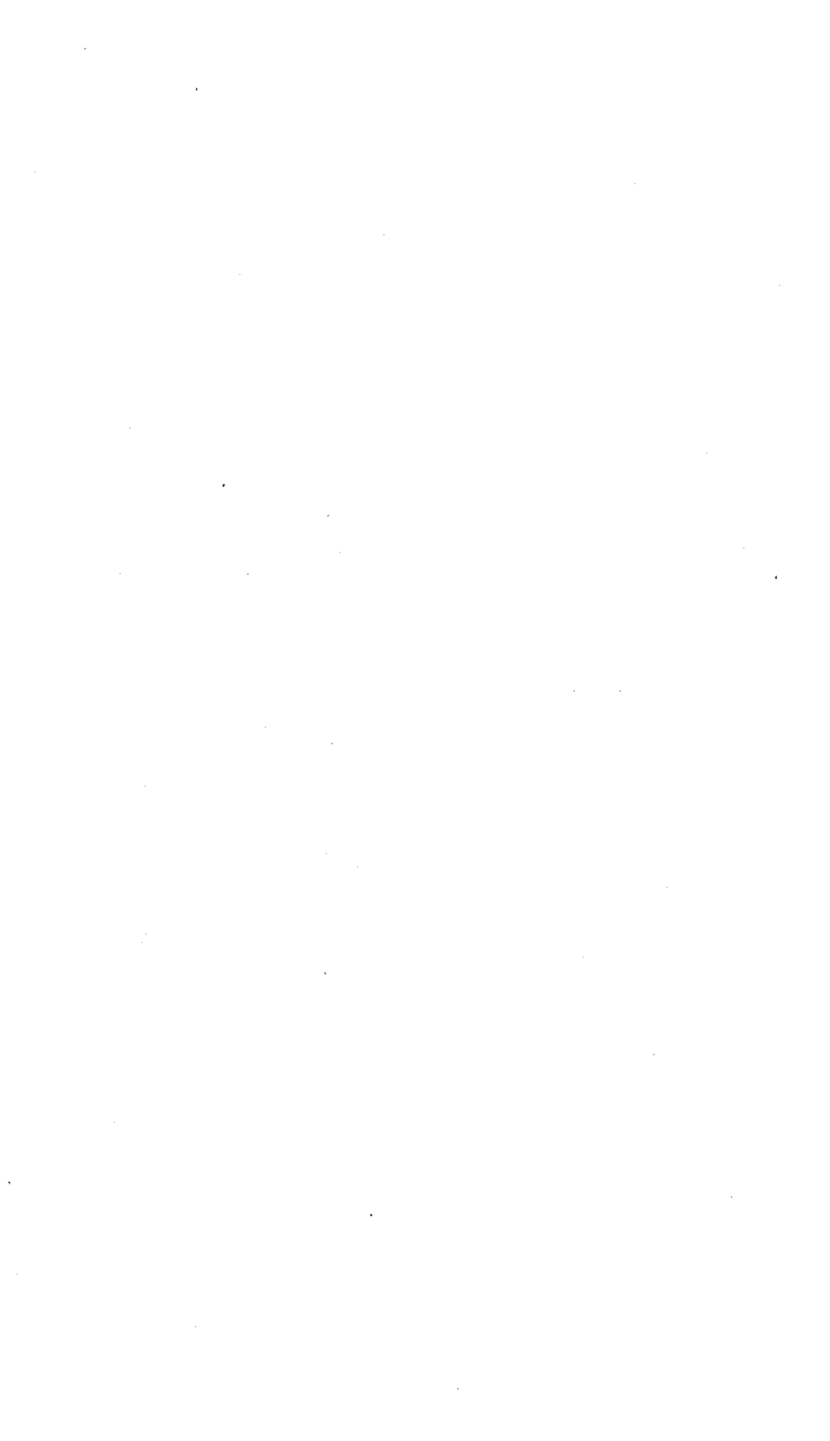
الأحـــد ١٢ / ٥ / ١٤١٠ هـ
الموافق ١٠ / ١٢ / ١٩٨٩ م





● الدكتور حمادى صمود

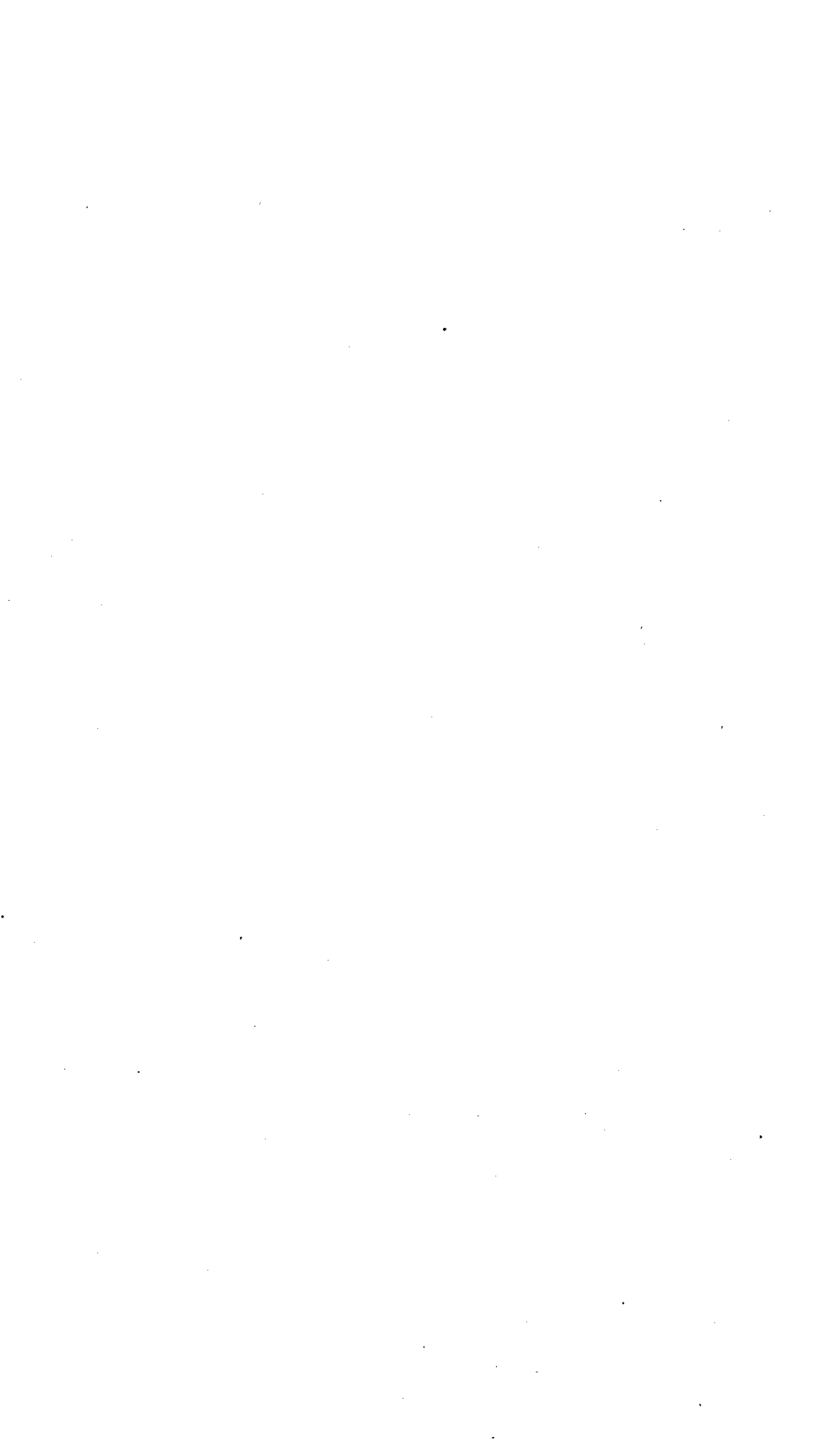
ـ أستاذ بكلية الآداب بتونس .
ـ عمل سنوات ثلاثا استاذاً زائراً بالجامعات الفرنسية ـ باريس الثامنة وباريس الثالثة . دار المعلمين العليا .
ـ شارك بالتدريس في بعض الجامعات العربية .
ـ يعمل استاذا مشاركا في المعهد العالمى للسانيات في دورات مختلفة .
ـ له اكثر من مؤلف منها :
ـ التفكير البلاغى عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري . .
ـ الوجه والقفا ـ في ثلاث منشورات .
ـ شارك في اخراج أكثر من كتاب منها :
ـ دراساته الشعرية الشابى نموذجا . والقطرية اللسانية والشعرية في التراث العربى من خلال النصوص . وقضايا الأدب العربى .
ـ له مساهمات بالفرنسية منها كتاباته الفرنسية في مجلة بوتيك ، وكذلك فصلاً مطولاً عن الأدب العربى في دائرة المعارف العالمية .



إشـــارة :

● هذه المحاضرة نشرت في كتاب الدكتور حمادى صمود ، الذى صدر عن النادى الأدبي الثقافي بجدة بتاريخ ١٤١١/٥/٢٥هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٩٠م ، الذى اسماه المؤلف «في نظرية الأدب عند العرب» ، برقم «٦٤» في تسلسل اصدارات النادى ، وقد استأذن الدكتور صمود في وضع محاضرته هذه في كتابه ، فوافق النادى على ذلك وعليه وجبت الاشارة إلى ذلك .

«النادى»



○

من الواضح أن المقصود بنظرية المعنى جانب من جوانبها ، والا فليس بالإمكان في مقال موضوع لمقام أن يحيط المرء بالمسألة ويستوفي في الموضوع القول ، كيف وكل شيء في التراث عالق بمعنى ولكل علم من منظومة علومه به صلة . أليس المعنى هو آلفكر يتدبر ما في الكون من علامات وسمات ويتعقل ما تختزنه من دلالات لفهم أسراره والوقوف على دقة نظامه . فالكون مجمع أدلة ، ومستودع معنى ، والإنسان باحث لايني عن معنى ، وقارىء لايمل النظر في الأشياء حوله حتى يفهم ويفهم ويعلم ويعلم . فهو دليل يستدل بمعارف العقل ونتائجه أولا وبتواصل العلم والمعرفة بينه وبين غيره ثانيا[١] .

---

(١) لنا في التراث العربى عن القضية نصوص لافتة تؤكد أن الكون بأسره مغرق في الدلالة وأن الوجود بما فيه أدلة بعضها يستدل وبعضها الآخر لايستدل . وجعلوا البيان للانسان ميزة وسبباً يدل به على وجوه استدلاله .

انظر : الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ،ط-٣ ، ١٩٦٩ ، ١/٣٣

وابن حازم ، الاحكام في أصول الاحكام ، مطبعة الامام بمصر ١/٣٧ .

والجانب الذى اخترنا البحث فيه يتعلق برأيهم في طرق وقوع اللفظ على المعنى وتصورهم للكيفية التي بها يتم الاقتران بين الدال والمدلول لحظة ميلاد العلامة اللغوية حتى لاسبيل إلى الفصل بين وجهيها الدال والمدلول ، الحامل والمحمول ، وحتى لكأن المعنى اللغة ذاتها والمدلول مع الدال يولد ومنه ، ولكأن الدلالة من كون اللغة ووجودها فلا مجال لتصور وجود خارجها لأنه لاسبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا بتوسط اللفظ كما كان يقول العلماء .

يجرنا هذا القبيل من البحث إلى زمن البدايات عندما كان الوجود ساكنا تلفه الوحشة ويخيم عليه الصمت والسكون زمن كانت فيه الأشياء متجاورة لاينتظمها رسم ولا يأتى عليها اسم . إنه زمن ماقبل اللغة ماقبل الفكر . (ماقبل اللوغوس Logos) .

وهو لعمرك زمن سحيق ، صعب المسالك ، عزيز المنال لايتسنى الحديث عنه إلا بمحض التصور ومجرد النظر ، بل إنه لزمن عجيب لأن المفكر فيه هو أداة التفكير والذات تطابق الموضوع ، فاللغة تحاول في منطق ارتدادي ، أن تشهد ميلادها وتسير قدرتها على أداء الكون وقوله لتعرف ما إذا كانت تنشىء بالاسم ماتسمى إنشاء أم أنها تكشف عنه وتحيط به وتأتى عليه .

تلك هي قضية القضايا وواحدة من أعسر المسائل التي حيرت الفكر اللغوي والفلسفي منذ أقدم العصور وعلى

أساس الموقف منها والنظر إليها تختلف قراءتنا لتاريخ الفكر وتاريخ المعرفة بل وتاريخ الإنسان عامة . فكيف عالجها العرب القدامى وما هي النتائج الحاصلة عن ذلك التصور في حقل الدراسة الأدبية ؟.

ولابد في البدء من تحديد الاختيار المنهجي وزاوية النظر التي منها تمارس قراءة التراث في هذه المسألة ذلك أن تناول قضية الدلالة يمكن أن يتم بطريقتين على المشهور عند علماء اللسان :

ـ تناول المسألة تناولا علاميا تتسع بموجبه دائرة مايدل لتشمل كل الأنظمة الدالة لفظا كانت أو غير لفظ قادرة على الاستدلال أو غير قادرة عليه فيكون المبحث تبعا لذلك مبحثا علاميا يسمى في المصطلح الأعجمي « سيميوطيقا » ولا شك أن التراث العربي قابل لهذا النوع من الدارسة لأنه لم يقتصر في الأدلة على اللفظ ولم يزل ينطق مختلف العلامات ويقرأ في السمات والأحوال ما به يقيم البرهان على حكمة الخالق وجلال الخلق . وفي علوم الباطنية أيضا من ذلك الشيء الكثير .

لكننا نعتقد أنهم وإن اعتبروا الدلالة باللفظ وجها من وجوه العبارة وأسلوبا من أساليبها ، وقالوا بأن المعنى يؤدى بطرق مختلفات توحد بينها عباراتهم الجارية المشهورة بأن الكل سمات وعلامات وخلق مواثل فقد ألحوا إلحاحاً واضحاً على أن النظام اللغوي هو أهم الأنظمة التي

وضعها الإنسان للتعبير عن حاجاته . فمنذ القرن الرابع هجريا نجد في القضية مواقف واضحة تنم عن فهم عميق لخصائص الظاهرة اللغوية يمكن أن يعتبر مساهمة جديدة في اكتشاف مناهج الأدلة على ميزة اللفظ على غيره من طرف الأداء(٢) .

---

(٢) جاء الحديث عن فضل النظام اللغوي على بقية الأنظمة في مواقع مختلفة من المدونة التراثية الا أن النص الوارد في مقدمة شرح فخر الدين الرازى ٦٠٦ الموسوم بمفاتيح الغيب أو الشرح الكبير ، المسألة الحادية والأربعون ، يعتبر أدقها وأعمقها على اقتضابه . فقد ذكر فيه صاحبها ثلاث خصائص لانفان أن العلماء باللغة وجدوا بعد ذلك مكاناً لاضافة ، الخاصية الأولى تتمثل في تهيء الانسان خلقة لانتاج اللفظ فلقد ركب قادراً على أن تكون منه اللغة بلا استعانة أى أنه مجهول على أن يكون مخلوقاً لغوياً .

والخاصية الثانية : متصلة بالأولى وتفصيل لما جاء فيها مجملا غامضاً فيمكن أن يفهم من الأولى أن الانسان قادر على انتاج الأصوات في حين أن المسألة لاتتعلق بذلك بل ان اللغة لايمكن أن لايمكن أن تنحصر في الأصوات المفردة فخاصيتها الأساسية الالتحام والتراكب أى قدرة النظام على التأليف وهى قدرة عجيبة تمكن المتوسل باللفظ من أن يركب ويؤلف بعدد محدود من الأصوات من الألفاظ والصور والعبارات مالا يحيط به حصر . وامكانية التولد الذاتي بالتأليف مقصورة على هذا النظام دون غيره من الأنظمة وهي التي أعطته القدرة على أن يجد لكل معنى لفظاً مما جعله في جرئه الأكبر يقوم على دلالة الافراد أو الاختصاص أي افراد كل معنى بلفظ واختصاصه به .

أما الخاصية الثالثة : فهي انبناء اللغة على مبدا الزمنية فهي تقوم على التتابع الخطي في الزمان بحيث يكون التالي متخلفاً عن السابق ما حياً له ، فليس في الاستطاعة النطق بالأصوات المؤلقة للفظ دفعة واحدة وكل صوت تتلفظ به ينحل نسقه ونظامه ويعود إلى سالف وضعه . لذلك لاتشغل اللغة حيزا هي ميلاد موت ، تولد لتغنى .. ومتى أدت انقضت وعفا رسمها الا ما انطبع منها في ذهن المتلقى وما بقى عالقاً كالوشم بالذاكرة الجماعية . فاللغة عود على بدء .

ولم يعتبروا أيضا في دراستهم مؤسسة اللغة العلامة مكون نظامها ، ولم يعتدوا بالبحث عن أنساقها وأنظمتها معزولة عن وجوه إجرائها ، ومعزولة عن السياق الذي فيه تتحرك وبه يكتمل وجودها ، فكان الغالب على دراستهم طريقة ثانية في التناول تسمى في المصد'ح اللساني الطريقة المعنوية « سيمنتك » Semantique ِامها الكلام المؤلف والجمل منخرطة في سياق وأداة تحقق التواصل بين المتكلمين بنفس اللغة .

والفرق بين الطريقتين جوهري بل إنه من القضايا الخلافية الكبرى بين علماء اللغة . فأصحاب الطريقة الأولى يستهدفون من اللغة نظامها والنسق العلائقى القائم بين مكوناتها بينما يهتم أصحاب الطريقة الثانية باللغة الفعل واللغة الإجراء . فليس الشأن عندهم تعيين مختلف العلاقات القائمة بين مكونات النسق باعتبار اللغة بنية قائمة بذاتها لاتتأثر بموجود خارجها وإنما الشأن في اللغة موزعة وقد خرجت من سكون النظام إلى حركية الفعل المؤثر في غيره المتأثر بالسياق ، ومختلف الظروف المقالية التي تتظافر لبناء المعنى .

لقد كان الغالب على القدامى اعتبارهم اللغة وسيلة وأداة تنشأ عن الحاجة إلى الإفهام وتبليغ الآخرين ما في الضمير والتعريف به « ليمكنه التوسل به إلى الاستعانة بالغير » ليتم المراد بالاجتماع الإنساني وتمكن للناس الحياة إذ « لولا

حاجة الناس إلى المعاني وإلى التعاون والترافد لما احتاجوا إلى الأسماء »[٣] .

يقول ابن مسكويه[٤] تأكيداً لهذا المعنى :

«إن السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام هو أن الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في حياته ولا بالغ حاجاته إلي تتمة بقائه مدته المعلومة وزمانه المقدر المقسوم ، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره ووجب بشريطة العدل أن يعطى غيره عوض ما استدعاه فيه بالمعاونة التي من أجلها قالت الحكماء إن الإنسان مدني بالطبع» .

فما سنقوله ينخرط ضمن هذا المشعل مع التأكيد مرة أخرى على أن هذه الطريقة في الاعتبار لا تنفي إمكان الدخول إلى التراث في قضية المعنى من مداخل أخرى .

يهمنا من نصوص المدونة ما موضوعه المعنى أو اللفظ أو العلاقة بينهما ، شريطة أن يكون الطرح لغوياً لا بلاغياً . فمختلف المقاييس الدائرة على النسبة التي تجب مراعاتها في العلاقة بين الطرفين مقاييس ترتد إلى مسألة القيمة ونجاعة

---

(٣) الجاحظ، الحيوان ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ص/٢٠١ ويمكن للقارىء أن يجد صدى لهذه الفكرة في كثيرة في كثير من المواطن في مختلف الاختصاصات نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر :
- أبو نصر الفرابي ، كتاب الحروف تحقيق محسن مهدى ، دار المشرف ، بيروت ، ١٩٧٠ الفصل الحادى والعشرون : أصل لغة الأمة واكتمالها . - ابن حزم الأندلسى ، الاحكام مج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) الهوامل والشوامل ، نشر أحمد امين وأحمد صقر ، القاهرة ١٩٥١ ص ٦ .

الخطاب وفضل طريقه في القول على أخرى وهذا مشغل بلاغي نقدي لايتسنى الخوض فيه إلا بعد أن توضح الألفاظ للمعاني وتصبح « راتبة على التي جعلت علامات لها » . على حد عبارة الفارابي وهي المرحلة التي يسميها هو نفسه بـ « أصل اللغة » .

ويهمنا منها بوجه خاص ما دار على حدي المعنى واللفظ وهي نصوص كثيرة جاءت في غضون مؤلفات مختلفة المشارب متباينة الاهتمام إلا أنها على مايفصل بينها من زمن تبني على نفس الأصول وتنويعها عليها محدود إن لم يكن معدوماً لذلك نقتصر في التحليل والاستدلال على مايبدو لنا منها أكثر إحاطة وأقوى دلالة على المراد(٥) .

---

(٥) يمكن الرجوع في حد المعنى إلى :
ابن سينا : كتاب الشفاء ـ العبارة ، تحقيق الأستاذ محمود الخضيرى ط . الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٠/ ١٩٨٠ ص ١/ ٤ الشفاء ـ المدخل من قسم المنطق ، تحقيق الأب قنواتى ومحمود الخضيرى وفؤاد الأهوانى ، المطبعة القومية سنة ١٩٥٢ ص ١ .
أبو نصر الفرابى : شفرح كتاب العبارة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت د . ت . ص ٢٧ وص ٥٠ وما بعدها .
أبو حامد الغزالى : معيار العلم ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٨ ص ٥١ وما بعدها .
فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، الطبعة البهية ، مصر ١٩٣٨ المسألة الخامسة والثلاثون من المقدمة .
ابو يعقوب السكاكى ، مفتاح العلوم ، ط ١ القاهرة ١٩٣٩ وما بعدها .
حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ط ١ ، دار الكتب الشرقية ١٩٦٦ ، تحقيق الاستاذ محمد الحبيب بلخوجة . =

في نص متميز يعرف صاحب المنهاج المعنى تعريفاً نعتقد أنه من أوفى التعريفات وأشملها في التراث يؤلف فيه بين طريقة أهل اللغة وأهل المنطق في الحد لذلك اخترناه ليكون مدخلنا إلى المسألة ومعتمدنا في تحليلها وتفريعها . يقول حازم :

إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان . فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه

= أما مايتعلق بعلاقة اللفظ بالمعنى وهي صورة من صور علاقة اللغة بالفكر فالنصوص كثيرة نذكر منها :

الجاحظ ، الرسائل ، مطبعة الخانجي . ١٩٤١/٢٦٢ الفاربى ، كتاب الحرف ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، شرح العبارة ص ٥٠ ابو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، دار الهدى ، بيروت (د . ت) ٦٥ / ١ ومابعدها ، ١١/١٦٢ ، ٣٤/١١١ .

ابن وهب الكاتب ، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق خديجة الحديثى واحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٦٧ ص ١٥٢ .

القاضى عبدالجبار ، المغني في ابواب التوحيد والعدل الجزء الخامس (الفرق غير الاسلامية) تحقيق محمود الخضيرى ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٧٥ .

المجلد السابع (خلق القرآن) ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٥٤ وما بعدها .

المجلد السادس عشر (إعجاز القرآن) ، تحقيق أمين الخولي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠ ص ١٦ ومابعدها .

أبو حيان التوحيدى ، الامتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ١٠ - ١/٩ .

ابن حزم الاندلسي : الرسالة الشافية ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق أحمد صقر ، ط ٢ دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ ص ١٤٣ ومابعدها .

إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الادراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم . فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ . فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من التلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها(٦) .

وقد ورد هذا النص في المنهج الثاني من القسم الثاني الذي تحدث فيه عن كيفية التصرف في المعانى التي لها وجود خارج الذهن أو التي وجدت بمنزلة ماله وجود خارج الذهن وهو يستثني من ذلك ما هو أمور ذهنية تحصل في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالة عليها . وهذا يؤكد أن نصنا يقع في قطب الرحى من مسألتنا ذلك أنه يدور على أصول اللغة وبواكير وضعها ومبتدأ اتصالها بالمعاني ، ودلالتها عليها ، وهي المرحلة التي تكشف أكثر من غيرها عن المواقف والتصورات التي على أساسها أرخ لتلك النشأة وضبطت معالم الميلاد .

---

(٦) منهاج البلغاء ص ١٨ ـ ١٩ ، وانظر ايضا : المهيري ، المسدي صمود ، النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص ص ١٩٩ .

والنص على إيجازه شامل لمختلف المراحل التي تفصل بين الوجود المتعين القائم بنفسه وجود الأشياء خارج الذات العاقلة بعيداً عن إسار الانظمة الرمزية وتحولها بالتعقل إلى صور وأمثلة وتكفل الأنظمة الرمزية كاللفظ والخط بأداتها وإقامة هيئاتها .

وهو دقيق العبارة لطيف الإشارة يختزل مجهودات سلفه في الموضوع مؤلفاً بينها تأليفاً يدل على فكر متخلص من ربقة النقول والترجمة ، لاينسج على منوال أحد وانما تنتهي إليه المعرفة وتصب في مؤلفه التجارب فيصهر ذلك صهراً بديعاً .

وقد جاء التعريف يتصدر النص في جملة اسمية تقريرية تنبني على قطبين اثنين هما « الأعيان » و« الأذهان » يرتبط بهما مشتقان تمثلا في اسم المفعول الذي جاء ينعت « الأشياء » ويشير من ثم إلى واجد وجودها أو إن شئت فهو يشير إلى أن البحث في موضوع المعاني يفترض سلفا هذا الوجود بقطع النظر عن النقاش الذي يمكن أن يثيره ذلك الوجود ذاته ، وفي الصفة المشبهة باسم الفاعل التي جاءت تنعت الصور . والنظر في الصيغة الصرفية وأصل المادة اللغوية التي قُدَّ منها النعتان يبين عمق التحول الذي يفصل بين القطبين فـ«الأشياء الموجودة في الأعيان»، أصبحت صوراً حاصلة في الأذهان « ولقد كان هذا التحول ممكناً بفضل تدخل قوى الانسان المدركة والمتخيلة التي لها طاقة تحويلية هائلة تصوغ بها الأشياء صياغة جديدة وتكسبها

وجوداً آخر يختلف عن أصل وجودها وإن تولـد عنه . فالأشياء أصبحت صوراً ، والموجود بغيره أصبح حاصل عمل ونتيجة فعل والأعيان حلت محلها الأذهان . فعن كل طرف تولد طرف وأتى عن كل وجود وجود يختلف عنه طبيعة وفعلاً وظرفاً . ولئن تقدم الطرف المتولد «الصور الحاصلة في الأذهان» على الطرف المولد «الأشياء الموجودة في الأعيان» فإن في النص من الأدوات مايبين عن أصل الترتيب في سلم الموجودات «فالحاصل في» هو «حاصل عن» . وحرف الجر هنا يدل صراحة على المأتى والأصل .

فالمرتبة الأولى للأشياء والمرتبة الثانية للصور التي هى المعانى والصور والمعاني ليست أصلية وإنما هى مشتقة تحصل عن التعقل والتفهم والإدراك .

والصورة كما يقول الفلاسفة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً لكن الحس الظاهر يدركه أولا ويؤديه إلى النفس(٧) وهي الكفيلة ببقاء الإحساس في النفس بعد زوال المؤثر الخارجي وعودته إلى الذهن بعد غياب الأشياء التي تثيره . فـالمعنى متصور ذهني بينـه وبين الموجودات العينية علاقة طبيعية لكنه مع ذلك يختلف عنها . فالمعنى ليس الشيء وإنما هو صورة ورسم تحصل عنه بالتجريد وبناء المدركات عن المحسوسات ، لاتطابقه وإنما

---

(٧) ابن سينا ، لنجاة ، ٢٦٤ .

تطابق ما انتقش في الحس ثم أسلمـه الحس إلى القوة الباطنة .

فمطابقة الصورة للموجود مطابقة غير كاملة ، لأن التعقل تحويل واشتقاق وفي المشتق نحتفظ بالأصول والجواهر ونهمل الأعراض . وفي هذا فتح لباب الاختلاف اختلاف المدرك باختـلاف المدرك . فصـور الأشياء ليست نمطـا مطردا . نعم إنها في الأعم متشابهة للعلاقة القائمة بين الأصل والمشتق لكن يجب ألا يحجب التشابه الاختلاف مهما دق واختفى فيصير الأمر إلى وهم المطابقة .

ولئن كان في الأمر مطابقة فليست بين الموجود الخارجي والصورة الحاصلة عنه وإنما هي بين الصورة و ما أدرك من الشيء .

إن اسم الموصول والجار الدال على المصدر والتبعيض في العبارة السابقة يؤكدان عـلى أن المعنى صيرورة للشيء وإعادة صياغة له ووجود ثان .

وذلك هو مآل الكون في الفكر وتلك هي صورته نظنها له طبقا وليست كذلك وإنما هي بناء لمعانيه وتجريد لها عن ملابسات الأعراض . فمتى ماوقعت الأشياء في مجال المدرك وتوفر شرط الادراك .. تحركت تلك الطاقة لتصوغها صياغة جديدة . فالمعاني وجود ثان عن وجود أول .

بعد التحقيق في أمر المعنى والتأكيد علي أنه حاصل تفاعل المدركات بقوى الادراك ينفتح النص على مرحلـة ثانيـة

مدخلها الشروط والظرف : « فإذا عبر عن تلك الصورة » ، وهذا الانفتاح المشروط متعدد الدلالات ، مثير ، متى حملناه على المتن السابق عليه في قضية الحال ، لجملة من الأسئلة .

أولى الدلالات ، القول ضمناً بإمكانية أن يقوم المعنى في الذهن ولا نشعر بالحاجة إلى العبارة عنه ، بناء على تصور معقول للكون والوجود تتصل فيه الجواهر بالجواهر بلا وسائط وفي غياب الأشكال والصور(٨) أو يعيش فيه الإنسان منعزلاً مكتفياً في غنى عن أدوات الكشف والبيان المفهمة لضروب الحاجات التي تقتضيها منزلته البشرية .

فهل أن العبارة ، كما قد يفهم من النص ، اختيار وإمكان أم هي ضرورة واقتضاء ؟

رغم أن الإجابة عن هـذا السؤال ليست من جوهـر قضيتنا ، وإن اتصلت بها ، فلا بد من الإشارة إلى موقف التراث العربى وإن بايجاز واقتضاب(٩) .

---

(٨) ان هذا يناقض مفهوم اللوغوس (Logos) وهو الفعل ـ العقل أو العقل المنغرس في الفعل ، ومن اللوغوس اشتقوا عبارة السياح المركوز في الفعل ـ العقل (Cloture Logocentique) وهي تعنى في الاعم استحالة أن ينكشف العقل لذاته أو لغيره خارج توسط اللغة .

انظر في هذا المعنى : محمد اركون ص ٥/٥١ ، ١٩٧٢ (Studia Islamica, xxxu) وقد اكد المفكرون العرب القدماء في أكثر من موضع على هذه الحقيقة التى احتلت من تفكيرهم محل المصادرة وعبروا عنها بأشكال مختلفة اشهرها قولهم : «لاسبيل إلى معرفة حقائق الاشياء إلا بتوسط اللفظ» .

(٩) انظر لمزيد من التفاصيل في هذه المسألة : عبدالسلام لمسدي ، التفكير اللسانى في الحضار العربية ، الدار العربية للكتاب . تونس ١٩٨١ الفصل الأول ، المسألة الأولى . ص ٤٦ ـ ٥٦ .

منذ طلائع التفكير في مسألة اللغة وجملة وسائل البيان يصادفنا موقف مطرد ثابت يكاد يعود في الغالب بنصه مهما اختلفت البيئات الفكرية وتباينت النوازع المختلفة ، وهذا الموقف يربط ربطاً اقتضائياً اللغة بالاجتماع الإنساني ويعتبرها الأداة اللازمة لقيام هذا الاجتماع الذي لا مناص للإنسان منه لأنه خلق بحيث لايستقل بتحصيل جميع مهماته فاحتاج إلى أن يعرف غيره مافي ضميره ليمكنه التوسل به إلى الاستعانة بالغير(١٠) .

على مثل هذا الاعتبار أقاموا الأسس النظرية لتفكيرهم في مؤسسة اللغة وعلى ضوئه نظروا في مختلف القضايا المتصلة

---

(١٠) فخر الدين الرازى ، مقدمة التفسير لكبير ، المسألة الحادية والأربعون . وقد أفاض في هذا المعنى القدماء ويعد ما كتبه الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان من النصوص المؤسسة لهذا النهج في التفكير لما فيه من وضوح في الرؤية وبيان في العبارة واطراد في ربط الحاجة إلى البيان بالحاجة إلى قضاء المآرب .

يقول في نص متميز من هذه النصوص : ثم اعلم رحمك الله تعالى ان حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم وخلقه قائمة في جواهرهم وثابتة لاتزايلهم ومحيطة بجماعتهم ومشتملة على أدناهم وأقصاهم (...) لم يخلق الله احدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له فأدناهم مسخر لأقصاهم وأجلهم ميسر لأدقهم (...) ثم تعبد الانسان بالتفكير فيها والنظر في أمورها ولاعتبار بما يرى ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير وبالتنقيب والتنقير والتثبيت والتوقف ، ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها «ص ٤٢ ـ ٤٤» .

بها وقد قادتهم طبيعة هذا التصور إلى نتيجتين هامتين نعتقد أن لهما أكبر الأثر في بنية الفكر العربي قديماً وحديثاً .

النتيجة الأولى وقد كنا ألححنا عليها في أعمال لنا سابقة[11] وهي إدراج اللغة في نظرية للبيان تتسع بالضرورة لضروب أخرى من العبارة لأن الكشف عن الحاجات ورفع الحجاب دون الضمير والفهم والإفهام كلها قد تحصل باللغة وبغير اللغة وان أكدوا على فضل النظام اللغوي على بقية الأنظمة .

والنتيجة الخطيرة الثانية ، وهي متولدة عن الأولى ، تنزيلهم اللغة منزلة الأداة والوسيلة فغلب على وظيفتها عندهم أداء المعنى وتوضيحه وتقريبه من الأفهام ، فكان الشرط في كل المخاطبات أن تجلى اللغة عن المغزى وكانت أرفع قيمة أدبية عندهم البيان ، فسنم الفن والغاية التي ليست بعدها غاية أن تشف اللغة عن المعنى وتكشف عن المقصد . وعلى هذا الأساس تأسس سلطان البيان في الثقافة العربية الإسلامية الذي يرد المختلف إلى المؤتلف والمفترق إلى المتفق ويؤول المشكل والمشترك والمترادف والمتضاد[12] .

---

(١١) انظر : التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ ، القسم المعنون بالحادث الجاحظي ص ١٣٦ ـ ٣٠٧ .

(١٢) نقتطف من التراث هذا النص الذى نراه عميق الدلالة على مانقول ولانعتقد أن نزعة ابن جزم الظاهرية تفسر وحدها ايراده هذا النص في =

وألصق الدلالات ببحثنا وأقربها مأخذا اعتبار حصول الصورة في الذهن شرطاً ماقبليا لحصول العبارة فيكون المعنى ، على ذلك شرط حصول اللغة ويكون وجوده منفصلاً عن وجودها ، سابقا المعرفة التي تحصل لنا عنه[١٣] .

فمتى عنت الحاجة إلى العبارة استدعى المتكلم اللغة لما لها من قدرة فائقة على التمثيل والتصوير ورسم الهيئات والخروج بالمعنى من حالة الكمون والسكون إلى الحركة والحياة بإيقاعه في ذهن السامع بحيث إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[١٤] .

= مؤلفه . يقول : «ولو كانت اللغة أوسع حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص به لكان أبلغ للفهم وأجلى للشك وأقرب للبيان» .

انظر : رسائل ابى حزم ، المجموعة الأولى ، نشر احسان عباس ، ص ٦٥ . وقد نبهنا إلى هذا النص العالم الجليل سعيد الافغاني في كتابه «نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي» ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٩ ص ٢٨ .

(١٣) هو المعنى الجارى عند أغلب المعتزلة فهم يدلون بلفظ المعنى عن شيء يسبق في الوجود المعرفة به . وهي طريقة اخرى لتأكيد سبق المعنى اذا اعتبرنا اللغة واسطة الكشف والاخبار والمعرفة .

انظر في ذلك الدرسة التي صنعها Guy Monnot عن قطب الاعتزال القاضي عبدالجبار الأساد باى .

Penseurs muslmans et religions iraniennes: Abdal-Jabbar et ses devanciers. Paris-le Caire. Beyrouth, 1974.

وانظر خاصة تحليلة لمفهوم المعنى عنده انطلاقا من الجزء الخامس من مؤلفه المشهور «المغنى» ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(١٤) ابن سيناء ، الشفاء (العبارة) ، ص ٤ .

فنسبة اللفظ إلى المعنى كنسبة المعنى إلى الموجود العيني وجود جديد مشتق من وجود سابق متحول عنه ، فالمعنى صورة الشيء واللفظ تمثيل للمعنى وبناء لصورته في ذهن المتلقي .

على هذا النحو تكبر الفجوة بين اللغة والأشياء المراجع وتندس الوسائط بين الكون واللفظ الموضوع لأداء معناه . فليست اللغة انعكاساً ومحاكاة تامة وإنما هي طريقة في الكون وأسلوب في الوجود يؤدي مايؤدي بصفة غير مباشرة ترق فيها العلاقة بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول بحيث لا تحيل إلا على التصورات والأخيلة والابنية التي يقيمها الإنسان بفكره وينقل إليها عالم الحس نقلا مغيـراً من طبيعتها بحسب مراتب القدرة التي جبل عليها .

فالكون معطى موضوع والمعنى صورة عنه واللفظ وصل وتوسط ورسم لصورة في ذهن المتلقي فليس هو انعكاساً للأشياء ومرآة تنطبع عليها الموجودات كما هي وإنما هي نظام رمزي ونسق تمثيلي قادر على إيقاع المعاني في ذهن من لم تحصل له واعطائها وجوداً جديداً يختلف عن وجودها .

هي علامات وسمات وضعت بإزاء المعاني لتثير صورها ويقع بها إخطارها بالبال .

يقول الفارابى معرفاً اللفظ : «وأما الألفاظ فإنها علامات مشتركة إذا سمعت خطر ببال الإنسان بالفعل الشيء الذي

جعل اللفظ علامة له وليس لها من الدلالة أكثر من ذلك وذلك شبيه بسائر العلامات التي يجعلها الإنسان لتذكره مايحتاج (...) فليس معنى دلالة الألفاظ شيئاً أكثر من ذلك»[١٥].

فلم تحدث اللغة مقصودة لذاتها وإنما لتكون علامة على غيرها ودليلاً عليه وأداة في حوزة الإنسان يبين بها عن مراده ويكشف لخليطه والمعاون له عن ضميره . فاللغة وسيلة في خدمة مقصد لذلك اعتبرت تبعاً لتلك المقاصد وخدماً للمعاني ، مقدار نفعها ومدى نجاعتها على قدر إبانتها عن الخفي وتجيلتها المستور . وعلى هذا الأساس شاركها غيرها في هذه الوظيفة وإن اعترف لها بالفضل على غيرها من الوسائل :

«الألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كانت بإشارة أو كتابه أو بايماءة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية»[١٦] فبين العالم واللغة يقف الانسان قوة مدركة تلتقط الأمور وتنتزع صورها انتزاعاً تبني به كينونة مجردة تكفلها أنظمة وأنساق يمكّن لها الاصطلاح في الدلالة على ماوضعت لتدل عليه .

---

(١٥) شرح العبارة ، ص ٢٥ .

(١٦) ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين عن رب العاملين ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ١ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٥ ، ١/١٨ .

ويواصل النص بناء « شبكة الكفالة » واستعـراض المواضعات فينتقل من الاسم إلى الرسم باعتبار الخط حاجة تعرض من اختلاف أوضاع التواصل وجريانه على صور لايكون فيها السامع في حضرة المتكلم دائماً وإذ ذاك بتحول التواصل من عملية خطاب مباشر تقوم على مراسم معلومة في البث والتقبل إلى اتصال غير مباشر يكون المقصود فيه بالكلام غائباً ولاسبيل إلى جعله كالشاهد إلا بالكتابة والخط فيصير المتكلم كاتباً ويصير السامع قارئاً وتتحول القناة من المشافهة إلى الكتابة وتتغير تبعاً لذلك مراسم القراءة وأساليب الفهم لأن الكتاب « للنازح من الحاجات » ـ على حد عبـارة الجاحظ[١٧] . فالرسم مواضعة تقع على مواضعة وطريقة في الوجود تقع على طريقة فتغير منها وتضيف إليها ففضاء النص المكتوب يختلف عن فضاء الخطبة وما يوفره النص لكاتبه من إمكانات أمر تصعب مقارنته بمقتضيات الخطية . على هذا النحو في الترتيب نفهم بعمق الفارق بين النص ومرجعه بين المكتوب وسياقه فبين المبتدأ والمنتهى وسائط وأوضاع وأنساق لايمكن السهو عنها في عمليـة الفهم والتحليل .

إن نصوص التراث الدائرة على هذه المسألة تصدر كلها تقريباً عن أساس نظري واحد وترى في ترتيب المراحل

---

(١٧) الحيوان ، ٤٨/١ .

والربط بينها نفس الرأي . فأنت واجد في المدونة السابقة على نصناً جمهرةً من الحدود والتعريفات والنصوص لا تختلف عنه محتوى ونصا أحياناً .

جاء عند الغزالي :

«اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع واللفظ في الرتبة الثالثة . فإن للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة . فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذى في النفس والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان» [١٨] .

وعرف فخر الدين الرازى المعنى في لغة أكثر تجريداً بقوله :

«المعنى اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد وذاك بالذات هو الأمور الذهنية وبالعرض الأشياء الخارجية ، فإذا قيل إن القائل أراد بهذا اللفظ هذا المعنى فالمراد أنه قصد بذكر ذلك اللفظ تعريف ذلك الأمر المتصور» [١٩] .

---

(١٨) معيار العلم ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(١٩) مقدمة الشرح الكبير ، المسألة التاسعة والثلاثون .

فأقصى ما تستهدف اللغة من الوجود ه الإبانة عنه وكشف مايختزن من الحكمة ووضع الاسماء بإزاء مايقع في دائرة شعورنا وإدراكنا والسعي إلى جعل اللفظ مطابقاً لحقائقه . فلا تخبر إلا عن معلوم ولا تحيط إلا بما كان مشعوراً به فهي تكشف ولا تكتشف وتحاكي ولا تبتدىء ، تخبر ولا تنشىء «لأن مالم يكن موجوداً فلا سبيل إلى استبانته» .

ولاشك أن الفلاسفة المسلمين ساهموا بنقولهم عن أرسطو وشرحهم له وردهم عليه في تدعيم هذا التصور وترويجه في الأوساط العربية فلم يكتف الفارابي مثلا بإقرار سبق المعاني اللفظ في الوجود وحصر دوره في المحاكاة بل إنه رأى في نظام اللغة محاكاة لنظام المعاني وشبها يقوم بين أبسط مكونات النظامين إلى أشدها تركيباً حتى أنه وجد لضروب الاشتقاق في العربية وتداول الزيادة على الأصل الواحد بنية معنوية سابقة تبرر وجودها بما أنها تحاكيها .

يقول الفارابى في نص مشهور من كتاب الحروف :

« (٠٠٠) فإن كانت فطر تلك الأمة على اعتدال وكانت أمة مائلة إلى الذكاء والعلم وطلبوا بفطرهم من غير أن يتعمدوا في تلك الألفاظ التي تجعل دالة على المعاني محكاة المعاني (٠٠٠٠) ونهضت أنفسهم بفطرها لأن تتحرى في تلك الألفاظ أن تنتظم بحسب انتظام المعاني (٠٠٠) وكما أن في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدل عليها أعراض تتعاقب عليها ، كذلك تجعل في الألفاظ حروفا راتبة وحروفاً

كأنها أعراض متبدلة على لفظ واحد بعينه كل حرف يتبدل لعرض يتبدل»[٢٠] .

وفي حدود ما اطلعنا عليه من نصوص لم نشعر بأن هذا المنطلق النظري كان مدعاة لتساؤل أو سبباً في حرج فكري إلا في النادر جداً من النصوص ، نشير بشيء من التوسع إلى واحد منها نعتبره أشدها دلالة على ذلك الحرج وإن لم تنتج عنه في مؤلفات صاحبه نتائج تسمح بتمييز موقفه في الموضوع عن مواقف غيره . صاحب النص هو الجاحظ والنص من كتاب البيان والتبيين في مطلع باب البيان .

يقول :

«(٠٠٠) المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة . لايعرف الإنسان ضمير صاحبه ولاحاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . وإنما

---

(٢٠) الفصل الحادي والعشرون ص ١٣٧ ومابعدها . وقد أشرنا في «النظرية السانية والشعرية ...» وقد اشتركنا في تأليفه مع الاساتذة الاجلاء عبدالقادر المهيرى وعبدالسلام المسدي إلى هذا النص مرارا واستغللناه وجوها من الاستغلال ، انظر على سبيل المثال ص ١٠٠ ـ ١١٥ وغيرها .

يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها . وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً ، وهي التي تخلص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقاً والمجهول معروفاً والوحشي مألوفاً والغفل موسوماً والموسوم معلوماً (٠٠٠)» .

بنية النص ومنهج الجاحظ في الربط بين أجزائه تبرز الحرج أكثر مما يبرزه منطوق لفظه لذلك لابد من التوسع قليلاً في إنطاقه بغية الوقوف على الأساس النظري الذي يقوم عليه .

ينخرط النص ، وموضوعه المعنى ، في مشغل التعريف والتحديد من وجهة عامة يغلب الطابع الأدبي واللجوء إلى الأساليب البيانية كالاستعارات والمقابلات لمحاصرة ظاهرة عزيزة المنال مغرقة في التجريد لم تكن قبل هـذا النص موضوعاً مطرداً يدور عليه الكلام . فنحن هنا في مستهل البحث وما سبق هذا النص في موضوعه نزر قليل ليس فيه قاطع يعتد به ولا كثير يشفي الغليل .

والنص قسمان واضحان يندس بينهما قسم مجاز أو قسم واصل يفسر أصول النظرية اللغوية التي يبني عليها تصوره في علاقة المباني بالمعاني وبها يتسنى العبور من الوجود الأول إلى الوجود الثاني .

ينتهي القسم الأول عند قوله « موجودة في معنى معدومة » ويبدأ القسم الثاني من قوله : « وإنما يحيى تلك المعاني » وبين هذين القسمين تقوم الوسائط ، فالكلام الذي يبدأ بقوله : (لايعرف الانسان) وينتهي عند قوله : إلا بغيره سند نظري عنه ينشأ القسم الثاني وبه يكون في عداد الاقتضاء والضرورة .

القسم الأول بتمامه تحتويه جملة واحدة امتدت واتسعت عن طريق الصفات والأخبار . جملة اسمية خالية من الفعل تماماً المسند إليه فيها واحد والمسند جمع كثير والمسند إليه هو موضوع النص المقصود بالتحديد والتعريف ، لذلك كثرت الأخبار وتعددت . وبين المسند والمسند إليه توسطت نعوت كثيرة تتظافر مع تلك الأخبار حتى تحيط بالموضوع حداً وتعريفاً .

فالنص يدخل مناطق دقيقة لطيفة تقوم على المدركات والتعقل وتتصل بالصور الذهنية التي يجردها الفكر من الأعيان تجريداً ، إنه دخول في فضاء حدوده خفية ليس من السهل وضعها في اسم والإحاطة بها برسم إنها منطقة المعنى .

والكاتب هنا في مطلع باب البيان يحاول أن يحيط بهذا المفهوم إحاطة يعتمد فيها على المعقول أكثر مما يعتمد على المنقول ، فليس في الموضوع منقول كثير ، لذلك جاءت الجملة

غارقة في الصفة تحاول أن تعرف الشيء بعد صفاته وتكثير الإخبار عنه .

هذه النعوت هي : القائمة ـ المتصورة ـ المتخلجة ـ المتصلة ـ الحادثة : خمسة نعوت يتكرر في ثلاثة منها حرف الجر الدال على المكان ، ويتصل الرابع والخامس بحرفي جر مختلفين : «ب» ويدل على المكان و«عن» ويدل على المأتى والمصدر .

في هذه النعوت حاول الجاحظ ـ وهو يعتمد على عقله أكثر من النقول[٢١] ـ أن يستعرض مختلف مآتي المعنى وأصناف ذلك المعنى ، ويحاول أن يدقق المكان الذي ينغرس فيه ذلك المعنى . فنجده قائماً متصوراً متخلجاً ، والربط بين معاني هذه الكلمات الوجود على هيئة ماتحدد ماهية المعنى بأنه صورة عن موجود خارجي ممتد في أعطافها . كما يمكن لهذه المعاني أن تحدث حدوثاً في الفكر ولا تستند إلى حدوثها على أساس خارجي . بالصفات بيّن عن مختلف المعاني ما منها لموجود خارج الذهن وما منها حادث في الذهن لا وجود له خارجه .

---

(٢١) نلح على هذه الناحية رغم أن النص جاء في قالب رواية لسببين :
١ ـ انه من الصعب الفصل في «البيان والتبيين» بين ماهو للمؤلف وما هو لغيره .
٢ ـ ان الجاحظ بنى بتلك النقول ان صح انها نقول تصورا متماسكا متناسقا رغم ماقد يبدو على ظاهر تآليفه من تشويش في المنهج .

وبالنعوت أيضا حدد المناطق التي تدور فيها تلك المعاني فإذاً هي قوى الإنسان الباطنية في الذهن كانت أو في النفس أو في الصدر ، فكلها مصدر خفي وكلها موجود ولكننا لا نراه ، موجود ولا دليل على وجوده .

وهكذا مهدت الصفات بصفة طبيعية إلى الخبر الأول ، فالخبر إنطاق للنعوت والقول صراحة بما كانت توحي به إيحاء : « مستورة خفية » وإذا بالأخبار مجتمعة تؤكد على بعد هذا المعنى واحتجابه وصعوبة الوقوف عليه .

ولم يدخر الجاحظ استعارة ليؤكد هذا المعنى ويلح عليه . فاستعار من لغة الجواهر اختفاء الدر المكنون الذي يقف دون الظفر به حجب الصدفة وحجب البحر واستعار من عالم الحيوان توحشه ورفضه للقيد والألفة ولابد ليسلس قياده من سياسة ومهارة . فكل هذه الأخبار تتضافر لخلق بؤرة معنوية (isotopie) تصب في معنى واحد هو معنى الاختفاء والاحتجاب والإضمار .

وتنتهي سلسلة الأخبار بخبر قفل تتركز في رحابه الحيرة المنهجية والتردد النظري الذي يتحرك عليهما النص : إن وجوداً تلك صفته لاتجليه إلا بتأكيد تستُّره ، ولا تظهره إلا بما يزيد في احتجابه ، إنما هو وجود بلا وجود ، وجود ساكن لاحياة فيه ولا فعل ، متوحش لا ممنهج ولا متشكل ، إنه هو في منزلة بين منزلتين سماها ، ليصل القارىء بحيرته ، وجودا ـ عدما .

تلك هي حيرة المؤلف تستوي أمام ناظريه موجبات الإثبات وموجبات النفي ، فيدرك أن « الإمكان » و الوجود بالقوة بنى عقلية لادليل عليها إلا الحياة وأن المعنى وإن سلمنا فرضا بوجوده على الهيئة التي بنتها جملة التعريف في القسم الأول من النص في حاجة ، ليكون إلى كفالة اللغة ، وعلى هذا النحو سيخرج في النص الضد من الضد : ينتهي القسم الأول بحديث العدم والموت ويبتدىء القسم الثاني بفعل القسم الثاني بفعل أصل مادته اللغوية الحياة .

وبين الضد وضده تقف الضرورة . فالانسان لايختار أن يكون لغوياً بل إنه مضطر الى ذلك ومحتاج لأنه مفطور على نقص لايكتفي بذاته فلا بد له من الأخ والمعاون والشريك والخليط ، وهي كلمات تؤكد التوجه الاجتماعي في اعتبار قضية اللغة وبمقتضاها تكون اللغة وسيلة كشف عن الحاجات وأداة للتواصل والتوافد والإبانة عن المضمر . فحياة الانسان رهينة أن يبين ، فلا مناص من أن يكون لغوياً بالضرورة إذ اللغة وسيلة لاخراج المعاني من العدم إلى الحياة ، ولها قدرة فائقة على توليد التقابل لأنها فعل وحركة وحياة . ما إن تحط بالمعنى حتى تبعثه من عدمه حياً .

على هذا النحو ينتقل النص من فضاء أول إلى فضاء ثان مقابل له مقابلة تامة .

فماذا يطرأ عندما تتشكل المعاني وتنخرط بفضل اللغة في التاريخ وتصبح مادة قابلة للتواصل والتبادل ؟

إنها تحيى أولا ، ودائرة الحياة تتسع وتنتشر من الذكر إلى الاخبار إلى الاستعمال ، فالذكر حديث ، واحتفاظ ، ومحاربة للغفلة والنسيان ، والإخبار نقل ومحمـول على موضوع ومد للجسور بين الأنا والغير ، هذا الغير المكمل للأنا المساعد له ، الشريك والخليط كما رأينا . والاستعمال انتشار وتداول وجريان على الألسنة إذ ذاك تجري المقابلات في مستويات ، فالعدم يصبـح حياة ، والإمكـانية تعـدو فعالية ، والبعيد الوحشي قريباً مألوفاً .

وكمـا انبنت في القسم الأول بؤر تؤكـد الاحتجـاب والاختفاء انبنت في هذا القسم بؤر تؤكد الوضوح والبيان والجلاء :

للخفي ــــــــــــــ ظاهر
الغائب ــــــــــــــ شاهد
البعيد ــــــــــــــ قريب (...)

فاللغة منظومة تمنهج الفكر وتنظمه . إنها شكل وقيد ونسق يخرج الموجودات من التسيب والانتشار والانطلاق والغفلة ليصنع منها معرفة وعلما . فنرى الجاحظ ينهي القسم الثاني من النص بزوج غاية في الأهمية يربط فيه العلم بالوسم . فلا معرفة إلا بتوسط اللغة ولا سلطان للانسان على الأشياء والكائنات إلا سلطان اللغة فبواسطتها يستطيع هذا الكائن المتميز أن يمد نفوذه على الوجود وأن يحتويه شيئاً

فشيئاً . ويمتد سلطانه على قدر علمه ومعرفته ولا يتسع علمه إلا بقدر ماتتسع لغته .

فالوجود الحق ، كما يتبين في النص ، وجود اللغة فكأنها تنشىء الأشياء إنشاء بما تنفخ فيها من الحياة وبما تكسبها من قدرة على الفعل .

لقد أجمع العلماء على تقدم المعنى وعلى أساس من ذلك الاجماع بنوا جل تصوراتهم اللغوية والأدبية وفي طليعتها نظرية المواضعة والاصطلاح التي بها فسروا نشأة اللغة وميلاد الأسماء .

ففي أصل المواضعة لغة ما يدل على الانفصال والسبق والاصطلاح . فوضع لشيء أو بإزاء شيء يتضمن أن بينهما مسافة وبوناً يغطيهما الفعل القائم على النقل والحركة كما يتضمن سبق الموضوع له للموضوع باعتبار أن الثاني متعين للأول ، ولا يتسنى ذلك الا بأن يسبق في الوجود شيء يستفيد من فعل التعيين ولا يكون التعيين في حالة الا نفصال وانعدام الروابط الذاتية ، إلا اتفاقاً واصطلاحاً .

والناظر في السجلات اللغوية الدائرة في كتب التراث على مسألة الوضع هذه يلاحظ أنها تجري كلها لتأكيد المعاني المتضمنة في الأصل اللغوي للكلمة : فالوقـوع والتعيين والجَعْل والتخصيص والوضع والاطلاق ، تفيد كلها ما أشرنا إليه من أمر السبق والتقدم .

ومختلف التعريفات الموضوعة للوضع والمواضعة وما يتصل بهما في مجال نشأة اللغة تؤكد هذه المعاني تصريحاً وتضميناً .

فالوضع في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى وفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثانى [(٢٢)] .

وهو : عبارة عن تعيين اللفظة بإزاء معنى بنفسها [(٢٣)] . فالوضع نسبة بين طرفين وإضافة على معنى «أن المخترع قال إذا أطلق هذا أللفظ فافهموا هذا المعنى » [(٢٤)] لذلك اقتضى فهم المعنى من اللفظ العلم بالوضع .

ولقد حرص العلماء ، في تحديد هذه النسبة ، على حصر الفائدة منها بضرورة تقدم العلم بالمعنى لأنه لايصح الاصطلاح على شيء إلا لشيء ، فالمعلوم يجب أن يكون سابقاً في الوجود المعلوم به فالاسم « لايصح استعماله على وجه يفيد إلا بعد تقدم العلم بالمعنى أو الاعتقاد له » [(٢٥)] .

على هذا النحو لا يكون للاسم تأثير في المتعلق به ، لأنه عنه خبر وعليه دلاله وبه علم وكلها محمول على موضوع لا ينجر

---

(٢٢) الجرجانى ، أبو الحسن علي بن محمد ، التعريفات ، الدار التونسية للنشر ، ص ١٣٧ .

(٢٣) السكاكى ، مفتاح العلوم ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ١٦٩ .

(٢٤) التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٤٨٩ .

(٢٥) القاضى عبدالجبار ، المغنى ص ١٧٢ .

عنها تغيير في حال من أحواله . كذلك اللغة على هذا التصور لا تأثير لها في المعنى لأنها موضوعة لمطابقته والاحاطة به والوقوع عليه لا موضوعه لتبدل من ذاته . فالقانون المتحكم في العلاقة من هذا الوجه يعبر عنه أحسن تعبير قولهم :
«(...) اللغة المبتدأة لم تكسب المعاني أحوالا لم تكن عليها»[٢٦] .

فكيف أثر هذا التصور في فهم العرب لمسألة المجازات ؟

لهذا التصور في النظرية الأدبية ، وفي غيرها ، أثر عميق يكتنف أصولها ويمتد إلى فروعها .

ولئن اقتصرنا هنا على مسألة الصورة فلأننا نقدر صعوبة الالمام بكل القضايا دفعة واحدة ونعرف ما يتطلبه إعادة بناء النظرية ، من هذه الزاوية ، من جهد ووقت .

ولابد في مطلع هذا القسم من التأكيد على أن عملنا وصفى لايروم أكثر من ربط الظواهر الجارية في تعامل المدونة النقدية والبلاغية مع الأدب بأصولها النظرية أوما نعتقد أنه كذلك . فليس في الأمر حكم ولا تقييم ، بل إننا قد لا نراهن على وجود بديل عن تلك الطريقة في تصور علاقة الألفاظ بالمعاني أو اللغة بالفكر رغم أننا ندرك تمام الإدراك أن تجارب الشعر الكبرى فى عصرنا تسعى جاهدة لتقويض هذا الأساس وذلك بتحويل فضاء القصيدة من فضاء يؤدي

---

(٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

معنى ويؤكده ويشهد بوجوده إلى فضاء يبنى معنى لا وجود له خارجه ويجرب بشيء من الشبق متعة الإنشاء والخلق .

إن اعتبار اللغة ، من منطلق الفصل بين الألفاظ والمعاني وتقدم هذه الأخيرة في الوجود ، أداة لابراز المعاني والكشف عنها حتى يمكن تداولها وتصريفها طبق مقاصد المتكلمين وغايتهم ، ترتب عنه دخولها في خدمة المعنى واتصالها به اتصال الجواهر بالأعراض .

ومن ثم كانت قيمة البناء اللغوي على قدر أدائه المعنى والإحاطة بجوانبه لا بما قد يولد في متقبله من متعة شكلية ، وفي هذا منع للنص من أن يكون غاية في ذاته . فالنص موجود نرى من خلاله ولا نراه ، يستمد أهميته من قدرته على وضع المتلقي في حضرة المعنى المراد والغرض المقصود لا من وقع شكله وجمال بنائه .

فغاية النص التي ليس بعدها غاية إفادة المعنى وحصول النفع حتى لكأن الجميل النافع المفيد .

عن هذا تصدرت الإبانة والافهام سلم الوظائف التي تؤديها اللغة في مختلف المخاطبات والنصوص لانستثني من ذلك النصوص الأدبية لأن الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه [٢٧] . فكل ضروب الفن القولي ومختلف

---

(٢٧) الآمدي ، الموازنة ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط . ١ القاهرة ١٣٦٣/١٩٤٤ ، ص ١٧٨ .

الأساليب المعدولة عن الطرق المألوفة في التعبير تلحق بالوسائل والأدوات والآلات الخادمة للمعنى التابعة له فيكون الإبلاغ والإفهام سعي مستويات اللغة كلها . وأما مختلف الوظائف الأخرى كالوظيفة الأدبية مثلاً فوظائف مساعدة دورها تدعيم الوظيفة الرئيسية والاجتهاد لجعلها أكثر تمكناً في الدلالة على الغرض وأشد تأثيراً في المتلقي . أدرك العلماء ذلك منذ وقت مبكر وصاغوه صياغة لم يبدل منها تبدل الوقت شيئاً كثيراً :

فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها فلا ترينّ أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها ، ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته إنما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعي عليه وجواره بما يعطر بشره ولا يعر جوهره [٢٨] .

وعن هذا التصور تولد الحرص عند النقاد والبلاغيين على الإبانة ووضوح المعنى وأصبح البعد من التعقد والقرب من أفهام الناس مقياساً من أهم مقاييس اختيار النصوص ونقدها . فالبلاغة لاتعبأ بالغرابة ولا تعمل بها شيئاً [٢٩] .

---

(٢٨) الخصائص ، دار الهدى ، بيروت ، (د . ت) . ١/ ٢١٥ .

(٢٩) الخطابي ، بيان اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، ط . دار المعارف ، القاهرة . ١٩٦٨ ، ص ٣٧ .

وعلى هذا كانت وظيفة الأساليب والصور الإبانة عن المعنى وتقديمه إلى السامع في أحسن صورة من اللفظ ، فلا يزيد التعبير المجازي على كونه إمكانا من جملة إمكانات يمكن إخراج المعنى على مقتضاها وينحصر دورها في تجميله أو إضافة بعض الخصوصيات له كالتأكيد والمبالغة وما إليهما بدون أن تؤثر في جوهره وتغير من أحواله السابقة . ولم يستطع رجل كالجرجاني ، على أهمية مساهمته في تطوير مباحث الصورة التخلص من سلطان هذا التصور بل نراه يؤكده بصفة نهائية بترويجه مقولة « الإثبات » محدداً لوظيفة الصورة . ومعناها عنده أن لاتأثير للصورة في المعنى وإنما تأثيرها في كيفية إثباته . وقد عبر في مواطن مختلفة من مؤلفاته عن ضيقه بالشعراء الذين يبالغون في تعهد النص وتزيينه بصنوف البديع ويسهون عن أن الانسان « إنما يتكلم ليفهم ويقول ليبين » (٣٠) .

وقد امتد سلطان البيان إلى المجازات والاستعارات وضروب الأساليب المعدول بها عن النهج العادي في تصريف الكلام فكان أن أجمعوا تقريباً على أن وظيفة الصورة هي التمثيل الحسي للمعنى و « قلب السمع بصرا » (٣١) على حد عبارة ابن رشيق . ورأوا أن المعاني التي يعدل من أجلها عن

---

(٣٠) أسرار البلاغة ، ط . خفاجي ، ١/ ١٠ .
(٣١) العمدة ٢/ ٢٩٥ .

الحقيقة لا تعدو ثلاثة وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه ، كما ربطوا نشأة المجازات بسبق الحقائق فالتعبير الحقيقي متقدم في النشأة على التعبير المجازي ومن ثم حملوا الحقيقة على أنها الأصل واعتبروا المجاز فرعاً عنها لذلك فهي أولى به في الاستعمال إن لم يتضمن مالا تتضمنه من المعاني التي أشرنا إليها .

وقد برز الحرص على الإبانة أشد ما برز في تقديرهم لدور الاستعارة ، فمع اقرارهم بأهميتها في العملية الشعرية وتقديمها لها على أصناف البديع ، واعتبارهم الكلام الخالي منها بعيداً عن الفصاحة بريّا من البلاغة (٣٢) ، كان تقديرهم لدورها في النص يتحرك في شروط فضل الإبانة ومنطق الفصل بينها وبين المعنى الذي تصوره وتنحت معالمه ، فلقد ربطوا استعمالها بغرض « وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه » (٣٣) واستقروا في وظيفتها على أنها حيلة وزخرف وكسوة وأن الكلام الموشح بها إنما هو على مشهور تشبيههم كالجارية الحسناء فى المعرض الحسن .

وعلى كل فقد ضبطوها بحدود وأحاطوها بنطاق إن تجاوزته فسدت وقبحت ، والناظر سرعان ما يلاحظ أن

---

(٣٢) أمالي المرتضى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة الجلي ، القاهرة ١ / ٤ .
(٣٣) العسكري ، الصناعتين ، تحقيق على محمد البجاوي وابو الفضل ابراهيم ، ط ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٤ .

دواعي التسييح والمحاصرة لاتخرج عن التصور العام المتحكم في نظرتهم إلى اللغة مهما كان وجه إجرائها .

ومن أبرز الحدود التي وضعوها اشتراطهم أن يقوم بين المستعار والمستعار منه معنى مشترك تنبني بموجبه الاستعارة على أساس من التناسب العقلي بين الطرفين إذ « تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقارنة [٣٤] .

وفي ظل منه النظرة تتحدد صحة الاستعارة بوضوح العلاقة بين الأطراف وسهولة الاهتداء إلى المعنى لذلك تراهم إن أرادوا التعبير عن نهاية الحسن في الاستعارة شبهوا دلالتها بدلالة الحقيقة فابن رشيق شديد الاعجاب ببيت طفيل الغنوي (كامل) :

فوضعت رحلي فوق ناجية
يقتات شحم سنامها الرحل

لأن جعله شحم السنام قوتاً للرحل « استعارة كأنها الحقيقة لتمكنها وقربها» [٣٥] . وقرب هذه الاستعارة هو السبب عنده ، في تناقل أصحاب المختارات هذا البيت ومحاولة كثير من الشعراء النسج على منواله .

---

(٣٤) القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٤١ .
(٣٥) العمدة ، ١/ ٢٧٥ .

والحرص على المناسبة وقرب المأخذ كان باباً تفتح على كثير من المبالغة في التضييق من مجال الاستعارة ومركباً سهلا للتشدد على الشعراء وافتعال المقاييس التي إن أخذنا بها اطرحنا أغلب الشعر وصادرنا العملية الشعرية ذاتها لما تتضمنه تلك المقاييس من سوء م لطبيعة الكتابة الشعرية . فمن النقاد من كان يقسم الاستعارة إلى « قريب مختار » و « بعيد مطرح » والقريب ماكان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح أما البعيد المطرح فهو ماباعد فيه الشاعر بين الطرفين إما بالبناء على معنى غير واضح في الأصل وإما لاقحامه بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي وسائط وهو ماسماه العلماء في وقت لاحق الاستعارة المرشحة .

إن التمسك بالإبانة جعل مقاييسهم تضيق أحياناً عن كل الصور والاستعارات التي يتطلب الوقوف على معناها « أن تخرق إليه ستراً وتعمل تأملا وفكراً وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحذو الأول» [٣٦] .

ooo

(٣٦) أسرار البلاغة ، ١/ ١٤١ .



شاعرية الغياب

الدكتور
عبدالله الغذامي

الأحـــد ١٦/ ٥ / ١٤١٠ هـ
الموافق ٢٤/ ١٢/ ١٩٨٩ م





● الدكتور
عبدالله محمد الغذامى

● تاريخ الميلاد : ١٥/٤/١٣٦٥ هـ ـ ١٦/٢/١٩٤٦ م
● الشهادات : الدكتوره ـ جامعة اكستر ـ بريطانيا ١٩٧٨ م
● العمل : أستاذ مشارك في الأدب والنقد بقسم اللغة العربية ـ جامعة الملك سعود بالرياض
● النشاط الثقافي : نائب رئيس النادى الأدبى الثقافي بجدة .
عضو الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط .

الكتب والأبحاث المنشورة :

١ ـ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (النادى الأدبى بجدة ١٤٠٥ هـ)
٢ ـ بحث : الشعر الحر والموقف النقدى حول آراء نازك الملائكة ، مجلة كلية الآداب ، جدة ١٤٠١ هـ
٣ ـ بحث آراء العواد العروضية ، دراسة ونقد ، مجلة كلية الآداب ـ جدة ١٤٠٢ هـ

٤ ـ بحث تحرير الأوزان في الشعر القديم ، مجلة الدارة ، الرياض ١٤٠٢ هـ

٥ ـ بحث الموقف من الحداثة ، مجلة الشعر تونس ١٩٨٤ م

٦ ـ بحث كيف نتذوق قصيدة حديثة ، مجلة فصول ، القاهرة ١٩٨٤ م (العدد الرابع)

٧ ـ بحث : ارسال الروى في الشعر العربى ، مجلة كلية الآداب ، جدة ١٤٠٤ هـ

٨ ـ بحث قراءة سيميولوجية لقصيدة ارادة الحياة للشابى ، مجلة الفكر ، تونس ١٩٨٥ م .

٩ ـ الصوت القديم الجديد ـ كتاب .

١٠ ـ تشريح النص ـ كتاب .

١١ ـ الموقف من الحداثة ومسائل اخرى ـ كتاب .

● عضو في لجنة التعريب بوزارة التعليم العالى .

الخبرات السابقة :

ـ رئيس قسم الاعلام لمدة سنتين من ٧ / ١٠ / ١٣٩٩ هـ

ـ رئيس قسم اللغة العربية لمدة سنتين من ١٥ / ١٠ / ١٤٠١ هـ

ـ عضو (ومؤسس مشارك) لمجلة كلية الآداب بجدة

ـ أسهم في تأسيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز ، وشارك في وضع مناهج القسم وتجديدها

ـ أسهم في تجديد مناهج قسم الاعلام في الجامعة

ـشارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية في بريطانيا والهند والولايات المتحدة ومصر وتونس . وقدم ابحاثا نشرت في حينها ، منها الأبحاث الموضحة في الفقرة التالية :

ـله اسهامات متعددة في الاذاعة والصحف السعودية ، كما نشر في عدد من المجلات العربية المتخصصة مثل مجلة (فصول) المصرية ومجلتى (الفكر) و (الشعر) التونسيتين .

ooo



تقــــدمة

● أرحب بأخى الاعز الأستاذ الدكتور عبدالله الغذامى في ناديه ، لأنه نأى بجسمه عنا . اما روحه فهى معنا لاتفارقنا ولاتغيب عنا . وهى تحية استقبال ، ليكون المتحدث فوجب ان نحييه ونرحب به ، ولاغرابة في ذلك ، إنه ميسم طبعنا عليه ونحب أن نمارسه . فمرحبا بالزميل الكريم الذى برناديه بحديثه الليلة ، لأن هذا المنبر افتقده منه عام ، فترك فراغا لايملؤه غيره .

وائذ نوالى ان أحمله مسؤولية موضوعه الليلة ، الذى آثر أن يكتم عنوانه ، وهو قادر إن شاء الله أن يجعل محاضرته الليلة مثيرة ، لقاء أخفاء عنوانها ، واذا اخفقت لاسمح الله وهذا ما استبعده . فانتم الذين تحملونه تبعة ذلك ، ولكنى أدرك أن صاحبى بارع ، وعضب

اللسان ، يملك ناحية الرأى ، وزمام الكلمة ، وقادر أن يصيغ المبدع الذى نستسيغ ، لانه مثقف ، يملك الدليل ، ويحاور بالحجة ، ويمارى بالبرهان ، ومرد ذلك ثقافته الواسعة ، وهو موضع تقدير . ومحل حسد في وقت واحد . يقدره المنصف المقسط ، ويظلمه القاسط الحاسد ، وهو قد يتعب من يتعامل معه او قل من ينازله اذا كان من أولى الرأى والبصيرة ، أما الذين يحتطبون بليل فهم يضربون في حديد بارد ، لن ينالوا منه شيئا ، لان سيوفهم مفلولة ، وهم أعجز من أن يلحقوا بركبه ، لأنهم قاصرون ، وسيظلون حيث اختاروا لانفسهم ، لانه لايصح الا الصحيح ، ذلك أن ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، والذى لاخير فيه عبء على صاحبه يطوق به ، وهو لايغنى فتيلاً .

واذا كان لنادينا نجح وشيء من تميز ، فالفضل فى ذلك أولا وآخرا لله سبحانه وتعالى ثم للصديق الأخ عبدالله الغذامى ، صاحب الرؤية البصيرة ، والرأى الصائب ، والنصح الصادق ، لان الرائد لايكذب أهله ، واولى خصائصه الوفاء ، وكل نجح يرجع اليه تحقيقه ، وكل خطأ أتحمل وحدى تبعته ، فانا انسان

متعب مع من أعمل ومن يعمل معى ، ولكن اخى عبدالله تعود معى أو اصطلح مع التعب الذى أحمله إياه ، في المشورات والحوار ، لنبعد عن التعثر ، لان لنا قضية وهاجسا ، هو النقد والرقى بالمعارف ما استطعنا الى ذلـك سبيلا ، لايـرضينا القليـل ، كـل منالـه طموح . . يسعى إلى تحقيقه ، متكلا على الله ، صادقا فى عزمه وأدائه ، والخصال المثلى تقود بعون الله الى النجح ويثمر السعى حتى بالجهد القليل ، فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين علي نعمه وتوفيقه وله الفضل والمنهَ والثناء الجميل .

أصدقكم القول أن النادى يؤدى رسالته بانفاس وتوجيه أخى ، ولولا ذلك لكنـا في المؤخرة ، فنعم الناصح هو ، ووفاؤه هو الرصيد الكبير الذى يقود مسيرة نجحنا ، وتطور نشاطنا عبر سنينا التسع ، ومن الشجاعة والعدل ، أن يرد الشىء إلى أهله ، ويذكر الفضل لذويه ، ولن ينقص منا شيء ، لانى مؤمن ان المشورة والشورى أساس النجح والتقدم وتحقيق الآمال والأحلام .

ومهما قلت فلن أوفى أخى الغذامى حقه ، لان دوره عريض بما وهبه الله من نور المعرفة ورجاحة العقل ، وقوة البصيرة ، وسجاحة الرأى ، وسجاعة القلب ، وتحمل المكاره ، والصبر فى الضيق ، والحمد عند النجح . مزايا لايرقى إليها الا أعاظم الرجال من أولى العزم ، ولن يكون من أولى عزم الا الصابرون المخبتون .

وفي غير هذه المناسبة لا استطيع أن اتعرض لمحاسن أو بعض محاسن أخى الودود .

والشكر للزملاء وفيهم ومنهم سعيد ، وأنا سعيد به ، ثم الذين يتحملون معى مسؤولية اتخاذ القرار ، عبدالمحسن ومحمد على والشريف ، ولا أنسى مواقف أخى الدكتور عبدالله المعطانى ، وهو رجل محب ناصح وصادق ، يقول ويفعل ، والذين ينبغى أن احييهم كثير ، لانهم كرام أوفياء ، لهم مواقف لاتنسى ، اذكر أخى الوجيه عبدالمقصود محمد سعيد خوجة ، السند والدرع والمعين في حوازب الأمور . وذلك الشاب الذى يضج حماسة وحركة وولاء عبدالله الخشرمى ، والحديث يطول ، وأخشى أن أمضى فيه فتضيع مفاجأة

حديث الليلة ، الذى نريد ان ندرك مداه . ماذا يريد ان يقول لجمهور جدة ؟ الأستاذ عبدالله الغذامى ، ابن النادى والبانى لنجحه وازدهاره وتميزه بشهادة المقسطين ووجب علينا ان نحمد الله على عونه وفضله ، ونرجوه جلت قدرته ان يجعلنا من الشاكرين لانعمه ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ﴾ ، فاللهم اجعلنا من القليل ، أنت أنت المنعم ، وأنت ولى النعم ، لك الحمد حتى ترضى .

وأكرر الترحيب بأخى ، ليس على أنه ضيف علينا ، ولكن لانه خص جمهوره في جدة بهذه الليلة التى نرجوا ان تكون ابداعا وامتاعاً ، لان محدثنا بارع ورجل متميز بخلقه ، وواسع الثقافة ، همه المعرفة ، وهاجسه التطور والجد والتحصيل الذى لايتوقف عند حد ، نرجو الله له مزيد المعارف وتحقيق أمانيه ، وان يعينه ويأخذ بيده الى الحق والخير والى طريق مستقيم ، انه نعم المولى ونعم النصير ، وهو سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا . وهو يعين العاملين ، لان العمل جهاد وعبادة ، وقد

أمرنا أن نعمل ونعمل ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، والله المستعان .

وليفضل أخى الدكتور عبدالله فيقدم الينا مفاجأته التى شغلنا بها خلال اسبوعين ، مرحبين به مرة ومرة لانه أهلا للمكارم والود ، والاحترام والوفاء ، ذلك أننا نذكر اليه بعض خصاله . وهيئنا له بما انعم الله به عليه . نسأله من فضلة مزيد الإنعام والبركات والرحمات والعون . انه هو البر الرحيم .

● عبدالفتاح ابومدين

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأصلى على رسوله الكريم . لعل من أخطر المفارقات أن تحاول أن تقول لمن تحب بأنه غير صادق . حقيقة لا أعتقد أن القيمة التى فى نفسى لاستاذى الكريم الاستاذ عبد الفتاح أبو مدين وللنادى إلا بمنزلة عظيمة إلى حد ان أقول أن الكلام الذى قاله الأستاذ لا يمكن بأى حال من الأحوال فى حقى أن يكون صحيحا ولكى أثبت لكم بأنه غير صحيح سأبين لكم اننى لا أستطيع الاجابة على كلامه . لو كنت بتلك الصفات التى ذكر لاستطاعت فصاحتى أن تنقذنى وتواجه فصاحته بفصاحة مثلها ان لم تكن أحسن منها وهى قاصرة عن أن تكون أحسن منها فعلى الأقل أن تكون مثلها . لا أستطيع بأن أواجه ذلك . رجل عظيم فى تاريخنا واجهه موقف مثل هذا الموقف فردد :

لا خيـــل عنـــدك تهـــديهـــا ولا مـــال
فليسعـــد النطق ان لم تسعـــد الحـــال

ماذا عن وضعى أنا لا خيل بكل تأكيد ولا مال وهو وانتم أكبر من الخيل والمال ، وحينما آتي للقول فليس لدى قول بذلك الحجم . فقدت كل الخيارات الثلاثة. حينما بعث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان «أخوه معاوية الأكبر» إلى الشام ليكون واليا على الشام وقف فى أهل الشام لكى يخطب وكان عمرو بن العاص فى ذلك الوقت قبل فتح مصر كان فى الشام وكان يرغب فى امارة الشام ويتطلع إليها وكان يظن أن يزيد بن أبي سفيان قد يفشل في تلك الإمارة فتتاح الفرصة اذن لعمرو بن العاص . جاء يزيد ووقف أمام الناس حاول أن يخطب فارتج عليه . كنت أقرأها أرتج ثم تعلمت انها أرتج من الرتج اغلاق الباب فارتج عليه ولم يستطع . فقال قولته المعروفة فى التاريخ : انكم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال حينما سمعها عمرو قال : هن مخرجاته من الشام يقصد الكلمات . سأجرب وحاولت أن أجرب فى محاضرة الليلة أن أبعد عنها كل شيء اسمه الفصاحة قد يكون فيها كل شيء إلا الفصاحة . سيكون فيها الفعل ولهذا السبب فهى مكونة من جزئين . جزء شفوى سألقيه ثم جزء آخر على اللوحات . المحاضرة هي الاستفهام ولن أجيب على هذه العلامة إلا في نهاية المحاضرة وبعد النقاش .

لكن المحاضرة مصممة على أن تكون تحريضا أكثر مما هى تقرير فالمحاضرة هى من صنع الجمهور وليست من صنع المحاضر . فالمحاضر سيضع فقط بعض الاثارات والأسئلة التى ستحرك الجمهور من خلالها . المحاضرة تقوم فى البدء بما انني غيبت

عنصر القول وعنصر الفصاحة فهى تقوم على عنصر الغياب وان الغياب له فصل أكبر من الحضور وسآخذ ببعض الأشياء التى قد توضح هذه المقولات كمدخل نظرى صغير ليس متوسعا ولكنها ستساعد على فهم هذه الفكرة لاننى بعد ذلك سأعتمد على السلايدات . تعرفون معى بيت النابغة :

ولا عيب فيهم غيـــــــــر أن سيـــــــــوفهم
بهن فلـــــــول من قـــــــراع الكتـــــــائب

بيت أجمع البلاغيون في القديم على أنه بيت جميل ، ووصفوه بالبلاغة ، وحينما نبحث عن بلاغة هذا البيت على مستوى الحضور ونجرب الحضور الذي في البيت ، وهل البلاغة نبعت من الحضور كسؤال والافتراض أنها لم تنبع من الحضور لكن سنقف على الحضور ، وسنقسم البيت إلى ثلاث جمل رئيسية : الأولى : لاعيب فيهم ، الثانية : أ سيوفهم بهنَّ فلول ، الثالثة : قراع الكتائب .

لو قال قائل لا عيب فيهم وزعم أنه شاعر لوصفناه حينئذ بأنه مُدَّعٍ لأن لا شعر فيها ، ولو قال الجملة الثانية أن سيوفهم بهنَّ فلول لأعطيناه نفس الصفة أيضا ولو قال قراع الكتائب لوجدناه شبه جملة عادية تماما لا شعر فيها اذن نحن أمام ثلاث جمل أو جملتين وشبه جملة ، ثلاث جمل لا شعر فيها ولكن مع ذلك البيت فيه شعر ، نلاحظ الذى استبعدناه من هذا البيت هو واو العطف «الواو» وغير أداة الاستثناء ومن . هذه الحروف لو نظرنا اليها

معزولة متفرقة عن البيت لوجدنا أنها لا شعر فيها أيضا . لا أحد يستطيع يقول «واو» ، غير . من يقول إنه شاعر . لكن لو قمنا بضم الروابط على هذه الجمل ثم قرأنا البيت لوجدنا الشعر .

اذن الشعر هو شيء فى هذا الالتئام . الالتئام العجيب الذي لابد أن نستدركه ونجد أن الواو واو ربط البيت فى سياق غائب . على الأول القصيدة ليست بين أيدينا . لكن مجرد أن نقول ولا عيب فيهم تعلق البيت بشيء يجعلنا نحن نرتبط بشيء غير موجود ثم تأتى غير وهى جملة كسرت الجملة الأولى نلاحظ أن الجملة الأولى فيها كمال مطلق قد لا يتوافر فى البشر حينما تقول : لا عيب فيهم فهو يعطى مقولة فيها كمال يأتى من خلال غير . يكسر هذا الجمال كسرا اعتباطيا أو كسرا عنيفا فيقول غير أن سيوفهم بهن فلول ، نفى العيب ثم أثبت العيب فوقعت الجملة فى مأزق الآن بين عيب منفى وعيب مثبت ، تأتى شبه الجملة لتنقذ هذه الأزمة وتضع المعادلة فى أن العيب ناتج عن الكمال فالنقص الذى حدث فى السيوف هو الذى أنتج العيب اذن نحن فى صراع ما بين الكمال المهشم المرفوض والنقص المفترض الذى هو بالتالى جمال ، اذن النقص صار جمالا فى حين أن الكمال لم يكن جمالا والحضور منح الشعر وجوده النظمى لكن الغياب منحه الوجود الشعرى . هذه مسألة تناولها البلاغيون من قبل وكأنهم يشيرون إلى عناصر الغياب ويسمونها مجاز الحذف ولكن الإشكال عند البلاغيين أنهم كانوا يشيرون إلى البلاغة للمفردة أو بلاغة للجملة ولكنهم لم ينتقلوا إلى بلاغة النص . لم ينظروا

إلى مجاز الحذف فى النص وهذا جعلهم غير قادرين على استبيان ما يمكن أن يحدث فى النصوص . سأعرض عليكم بيتا ردده البلاغيون ووصفوه بأن بلاغته نابعة من مجاز الحذف . البيت هو بيت المتنبى :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم

قال البلاغيون إنه فيه مجاز حذف لأنه فى الشطر الثانى حينما قال : وأتيناه على الهرم أراد فساءنا ، ووقفوا عند هذه النقطة . لكنهم لو انتقلوا نقلة أكثر من ذلك إلى مجاز الحذف على مستوى النص وتأملوا فى هذا البيت لوجدوا أن البيت يقوم على عناصر التغييب وليس على عناصر الحذف فقط . نلاحظ فى الشطر الأول حينما يقول : أتى الزمان بنوه فى شبيبته . هنا ارتباط بين البنوة والشبيبة . الشاب والفتوة تحدث انجابا وينتج عنها ذرية ينتج عنها بنين . فى الشطر الثانى قال وأتيناه على الهرم ، هنا فى الشطر الثانى ليس هناك وصف للبنوة . ليس هناك وصف للذرية كأن الزمن هرم فأصبح عقيما غير منجب غير قادر على الانجاب بينما فى شبيبته كان قادرا على الانجاب فأنجب جيلا سماهم المتنبى بأنهم بنوه . بعد أن هرم ولم يستطع أن ينجب فالزمان فى فتوته كان مهيئا لأن ينجب من جهة وبالتالى لأن يكون هو معينا ومساعدا لبنيه ، أما حينما هرم فأصبح عاجزا عن الانجاب فالمعادلة تكون معكوسة وهى المعادلة الأخلاقية التى تقول ان الرجل فى فتوته يخدم بنيه وفى

شيخوخته يصبح هو محتاجا إلى خدمتهم ، فكأن المتنبى يشير إلى أن الدهر أصبح محتاجا اليهم إلى هؤلاء الذين جاءوا ولم يعودوا ابنائه ولكنهم صاروا أشياء من الممكن أن تكون بمثابة الابوة للدهر ، انعكست المعادلة الدهر حينما عجز لم يستطع أن ينجب أبناء فى الشطر الثانى قال اتيناه بضمير الغائب قام بتغييب الدهر . أيضا نحن الذين أتيناه لم يصفنا بالبنوة حينئذ غيب الزمن . غيب الدهر وبالتالى فى شعره الآخر جعل الدهر خادما له تذكروا بيته الذى يقول :

إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

تحول الدهر من أن يكون ، الدهر والزمن واحد ، تحول الدهر من أن يكون أبا ينجب إلى أن يصبح خادما للشاعر يقوم برواية قصائده . هذا البيت يقوم على فكرة الكمال فى الأصل ثم يؤول إلى النقص التى هى المبدأ المعروف عادة أو يطلق عليه فى الفكر الاسلامى بسنة التناقص . ان الأصل هو الكمال ثم يؤول إلى النقص ولكن النقص على يدى الفنان على يدى الشاعر يمكن أن يوظف توظيفا جماليا ويكون مفيدا ، فكرة النقص وأن النقص جميل لمسها عدد من المفكرين العرب الأوائل . الخليل بن احمد . ابن سلام الجمحى . ابن جنِّي . الجاحظ . كان الجاحظ وابن سلام يشيران إلى اللثغة فى الحسناء وان اللثغة فى الحسناء صفة من صفات جمالها . الجارية الحسناء إذا هى تلثغ بحرف من الحروف يزيد من جمالها ورونقها لكن هذه الصفة فى الرجل تصبح عيبا ، واصل بن عطاء كان يلثغ فى الراء

لذلك كان يتجنب الراء عندما يخطب فى الناس ، وهو رجل خطيب ورئيس المعتزلة وكان بحاجة إلى أن يقف فى المحافل ويتكلم فكان يتجنب كل كلمة فيها حرف الراء لكى لا يتضح النقص فالنقص أو اللثغة اذن هى من نواقص الرجولة ان صح التعبير . لكنها فى الحسناء تصبح جمالا وبالتالى فهى مصدر لجماليات وصار النقص نفسه جمالا . الحور أيضا فى العيون هو فى أصله عيب يمس العين ولكنه صار جمالا . وأبيات جرير تشير إلى فكرة الجمال والضعف والنقص :

إن العيـــون التى فى طـــرفهـــا حـــور
قتلننـــــا ثم لم يحيين قتـــلانـــا
يصـــرعْن ذا اللب حتى لا حـــراك بـــه
وهن أضعف خلق الله أركـــانـــا

يشير إلى هذا الضعف . الضعف القاتل . ان العيون التى فى طرفها حور قتلننا ، الشطر الآخر أضعف . هذا الضعف الذى يقتل هذا النص الذى يقتل هذا الكمال الذى يتهشم وينقص ويصبح عيبا ثم يتحول هذا العيب إلى جمال . وبالتالى يصبح قوة . هذ هو المدخل الذى يمكن أن تتحرك عليه فكرة المحاضرة وبرأى الفن بعامة أنه يقوم على أساس أن الكمال هو معادل نثرى . لو عدت لبيت المتنبى مرة أخرى وقلت :

أتى الـــزمـــان بنـــوه فى شبيبتـــه
فسرهم وأتينـــاه عـــلى الهـــرم فســاءنـــا

حينئذ سأقول كلاما نثريا وبالتالى يصبح البيت نثرا وليس شعرا لأنه كامل . لأنه قام على معادلة كاملة تعطى السبب والنتيجة مباشرة لكنه حينما جاء واسقط فى الشطر الثانى السبب وغير النتيجة وجعل النتيجة مجرد احتمال يستطيع القارىء أن يضيف إن شاء أو أن يتكىء على الشطر الأول ويصنع دلالاته .. حينما أحدث هذا النقص صنع الشعر . اذن صنع الجمال . صنع ما أشار إليه جرير بأنه الضعف القاتل من خلال هذا المدخل سآتي الآن إلى الشعر الحديث ، وكان النقص والغياب فى القصائد القديمة وكل الأمثلة التى ذكرت هى على مستوى الدلالة . مستوى الاستقراء الاستنتاجى الذى نستحدثه نحن لكن الشاعر الحديث جاء وبدأ يتعمد احداث النقص . يوجد الكمال أولا ثم يحدث النقص لكى تتضح المعادلة بشكل صارخ وبشكل تحريضى وبشكل يجعل القارىء والمستمع يشعر بهذا النقص . اسمعوا إلى قول السياب :

أصيح بالخليج : « يا خليج
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى !
فيرجع الصدىٰ
وكأنه النشيج :
«يا واهب المحار والردى ..»

اسقط اللؤلؤ فى البدء وضعه . أصيح بالخليج يا خليج . يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى ، فيرجع الصدى كأنه النشيج . يا

واهب المحار والردى . قام باسقاط اللؤلؤ متعمدا وقاصدا وهو هنا يثير ويحرض القارىء لكى يدرك ما حدث ، ويبدأ بالسؤال ما الذى جعل اللؤلؤة تغيب ، أو يلقى على القارىء مسئولية البحث عن هذه اللؤلؤة التى كانت موجودة فى الصوت لكن الصدى حينما عاد أسقطها وضاعت ،كانت موجودة فى الخليج ولم تعد موجودة فى الخليج أين هى ؟ إذا كان الشاعر يعبر عن حس جماعى وعن حس للأمة كلها فلتصبح اذن مسئولية كل قارىء . بما أنه جزء من هذه الأمة لكى يبحث ولكى يستنتج ولكى يبدأ مشواره فى البحث عن هذه اللؤلؤة فى هذه القصيدة ابتدأ بالكمال . يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى . وانتهى بالنقص يا واهب المحار والردى .

اذن معادلة الكمال والنقص واضحة جدا . هذا المقطع درسه اثنان من الدارسين احدهما معنا الدكتور على البطل فى كتابه عن الشعر الحديث « المضمون » وربما كانت كلمة المضمون تبرر الطريقة التى فسر بها الدكتور القصيدة وقرأها مالك المطلبى بطريقة بنيوية شكلانية . الاثنان فى رأيى .

الدكتور البطل أخذ بفكرة المضمون . الدكتور مالك المطلبى أخذ بفكرة الشكل . من حيث فكرة الشكل لم نلحظ السبب فى السقوط . سنلحظ فقط أن اللؤلؤة كانت موجودة ثم سقطت .

لكن ما الذى جعلها تسقط هذا سؤال . لا تتناوله الدراسة الشكلية لأنه سؤال ما بعدى يعتبر فكان سؤالا ميتافيزيقيا

متنازلا عن الدخول فى الدلالة . القراءة المضمونية ربما تبعد الأسباب المتحركة داخل البيت وتنظر للقصيدة من خلال ظرفها السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى وهذا ما فعله الدكتور على البطل لكن الذى أراه انا اننا لا ننظر إلى القصيدة من هذا المقطع . وكل قصيدة من حيث شكلها ولا من حيث مضمونها ولكن ننظر إليها من حيث البنية . لو فكرنا بالبنية لوجدنا انها لا تفصل بين الشكل والمضمون ولكنها توحد بينهما لأن المضمون ناتج ضرورى للشكل ولا يمكن الجمع بين الشكل والمضمون إلا من خلال تصور النص على أنه بنية ، بما أنه بنية فهو يتشكل من عناصر حضور تشير إلى عناصر الغياب والعلاقة ما بين عناصر الحضور والغياب هى التى ستحدث العلاقات داخل البنية . السياب فى هذه القصيدة كان يبنى قصيدته فعلا على فكرة الكمال الذى يؤول إلى نص . كان يشير فى العناصر إلى كلمة مطر ثلاث مرات ثم يئول به الحديث إلى مطر . أعطيكم مقطعا يقول فيه :

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة فقطرة تذوب فى المطر
وكركر الأطفال فى عرائش الكروم
ودغدغ الصمت العصافير على الشجر
انشودة المطر .
مطر .
مطر .
مطر .

تثاءب المساء والغيوم ماتزال
تسح ما تسح من دموعها الثقال
كأن طفلا بات يهذى قبل أن ينام
بأن أمه التى أفاق منذ عام
فلم يجدها ثم حين لج فى السؤال
قالوا له بعد غد تعود .
لابد أن تعود
وان تهامس الرفاق انها هناك
فى جانب التل تنام نومة اللحود
تسف من ترابها وتشرب المطر
كأن صيادا حزينا يجمع الشباك
وينثر الغناء
حيث يأفل القمر
مطر .
مطر

فى البدء كان يقول «مطر» ثلاث مرات . هنا يقول : «مطر» مرتين . وكرر مقطعا مماثلا أيضا لا داعى من قراءته . أو لابأس من قراءته لأنه يضىء النص . أنا تعلمت أن جمهور جدة صبور ويستمع كثيرا فأستغل هذا الظن فى نفسى .

وفى العراق جوع
وينثر الغلال فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشوان والحجر
رحى تدور فى الحقول
حولها بشر
مطر .
مطر .
مطر .
وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع
ثم اعتللنا خوف أن نلام فى المطر
مطر .
مطر .

ثلاث مرات ثم مرتين يتعمد إحداث الكمال بإحداث النقص وحينئذ تصبح مسئولية الذى يستقبل هذا النص بأن يتساءل ما الذى جعل الكمال الماثل الكمال الموجود . ما الذى جعله يئول إلى نقص وهو سؤال ليس بهين وليس ببسيط . ممكن أن يكون سؤالا فلسفيا . ممكن أن يكون سؤالا نفسيا . ممكن أن يكون سؤالا اجتماعيا إلى آخره لكن النص هو الذى يطرح هذا السؤال . أى أن النص هنا لا يعطى تقريرا ولكنه يعطى تحريضا يفرز تحريضا يستثير النفس . القصيدة ستدخل إلى قصائد أخرى لكن هناك نقطة أحب أن أشير إليها لأنها نقطة

مهمة ممكن الاتكاء عليها كثيرا وأشرت إليها قبل قليل بإشارة خفيفة وهى سنة التناقص . سنة التناقص هذا مفهوم أتى به الدكتور محمد أبو السعود فى كتابه « فقه الزكاة المعاصر » لا أدرى إذا كان أحد اطلع على الكتاب . كتاب ، الحقيقة رائع جدا . كتاب أعتقد شخصيا أنه من أهم الكتب التى قرأت . فقه الزكاة المعاصر للدكتور محمد أبو السعود يشير إلى مفهوم سنة التناقص وأن الأصل فى الأشياء الكمال ثم تبدأ تنقص . يتكىء هو على آيات قرآنية كريمة يشير إليها . منها قوله تعالى « كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » الأصل أنه موجود ثم يفنى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » الاستثناء طبعا هنا يشير أنه حتى المؤمن إذا ارتد إلى أرذل العمر . بما أنه له أعمال صالحة يحاسب على أعماله الصالحة قبل أن يصل إلى مستوى ضياع القدرة . الآية الكريمة الأخرى « كل شىء هالك إلا وجهه » الدكتور أبو السعود يستند على هذه الآيات فى ذلك المفهوم ويبنى مفهوم سنة التناقص . سنة التناقص قاعدة كونية ، الله أوجدها فى حياتنا لكن النص يتمثلها بما أن النص فى زعم النصوصيين وأنا منهم هو صورة للكون هو كون مصغر نستطيع أن نستكشف الحياة من خلال النص . السياب ضيّع اللؤلؤة وأعلن ضياعها . جاء صلاح عبد الصبور كقارىء لتلك القصيدة التقط هذا الموضوع موضوع الضياع قال : جبت الليالى باحثا فى جوفها عن لؤلؤة ،

لؤلؤة السياب الضائعة الآن تصدى صلاح عبد الصبور للبحث عنها . ما الذى حدث له .

جبت الليالى باحثا فى جوفها عن لؤلؤة
وعدت فى الجراب بضعة من المحار
وكومة من الحصى وقبضة من الجمار
.. وما وجدت اللؤلؤة
سيدتى إليك قلبى أبيض كاللؤلؤة
وطيب كاللؤلؤة ولامع كاللؤلؤة . هدية الفقير
وقد ترينه يزين عشك الصغير

اللؤلؤة التى ضاعت عند السياب وتحولت إلى محار وردى . هنا بالضبط تكررت الصورة . اذن اللؤلؤة أصبحت قضية فى الشعر . أصبح الشاعر السياب الذى ضيعها أحالها إلى عبد الصبور وصار يبحث عنها عبد الصبور ولم يجدها . مازالت ضائعة . لكن صلاح عبد الصبور فى الوقت الذى بحث عن اللؤلؤة أضاف إضافة ربما تكون رئيسية وقد تكون مضرة لأنه أعطاها ثلاث صفات «أبيض وطيب ولامع ». اذن نحن أمام عنصر رمز يشير إلى مرموز اليه . هذا الرمز له هذه الصفات الثلاث أنه أبيض وطيب ولامع . يأتى غازى القصيبى وقد زود بهذه الصفات . قيل له انها فى الليل أو فى الليالى . قيل له انها بيضاء لامعة وانها طيبة . جاء فى قصيدته أغنية فى ليل استوائى . لاحظوا صلاح عبد الصبور جاب الليالى كلها ، تاه . ضاع . غازى القصيبى جاء ليبحث عن واحدة من هذه الليالى .

وجعلها ليلة استوائية وأخذ يبحث . اللؤلؤة عند غازى القصيبى فى الأصل هو مزود انها بيضاء ولكن ما الذى حدث وجد لؤلؤة سمراء .

أيا لؤلؤتى السمراء . يا أجمل ما أفضى له سفر
خطرت فماجت الأنداء . والأهواء والأشذاء والصور
فيا لؤلؤتى السمراء . ما أعجب ما يأتى به القدر
انا الأشياء تحفظه . وأنت المولد النضر
فقولى انه القمر

فظلت القصيدة تطلب فى جمل متكررة ومترددة قولى انه القمر ، ولكنها لا تقول وانتهت القصيدة ، آخر بيت فى القصيدة فقولى إنه القمر ، لم تتكلم ما الذى جعل اللؤلؤة تتحول من أبيض إلى أسود أو أسمر هذه نقطة ، الحقيقة انا استفدتها من الأستاذ عابد خزندار وأظنه ليس موجودا . ربنا يعيده مشافى إن شاء الله من رحلة علاجية . استفدتها منه أشار فى أحد مقالاته فى مقاله الأخير فى الرياض . مقال رائع كعادة مقالاته كلها فى رأيى . مقاله الأخير ربما أكثر روعة . أشار إلى العلاقة ما بين البياض والموت ، ان البياض موت وان السواد حياة . من استقراء النصوص ليست مقولة هو يقولها ، استقراء النصوص عند الرمزيين وعند غير الرمزيين البياض رمز للموت والسواد رمز للحياة . اذن غازى القصيبى ادرك ان الذى ضيع

صلاح عبد الصبور هو أنه بحث عنها بيضاء اذن حكم عليها بالموت وهو يبحث عنها فهو سيجدها ميتة وفى الحالة هذه . هذا يعنى أنه لم يجدها أو أنه لن يجدها حينئذ غير غازى القصيبى اللون وأتى بلون الحياة السمراء الذى هو من أنواع اللون الأسود والسواد عند العرب لون الحياة . وأرض العراق كانوا يسمونها أرض السواد أرض الخضرة ، بحث عنها كسمراء ولكنه أيضا لم يجدها لأنه عنده تحولت إلى خرساء والخرس بما اننا نتعامل مع الأدب إذا لم توجد اللغة فالشىء اذن يكون ميتا من دون لغة يكون الموت بما ان اللؤلؤة بعد أن وصفها الحياة السمراء جاءت خرساء اذن هو لم يجدها لانها لم تنطق له بكلمة السر بكلمة الحياة هذا أحاله لأن يقول :

وهل تدرين ما الكلمات :
زيف كاذب اشربه تتحجب الشهوات أو يستعبد البشر
فيالؤلؤتى السمراء كيف يطيب لى السمر وكيف أقول أشعارا
عليها يرقص السحر قصيدى خيره الصمت .

آل هو إلى الصمت بعد ان كانت هى التى قررت عليه الخرس . هذا هو الجزء الأول النظرى . سآتى للجزء الثانى الذى من أجله سأضطر إلى اطفاء الأنوار وأبدأ باللوحات .

ooo

مداخلات محاضرة
الدكتور عبدالله الغذامى

الدكتور عبدالله المعطانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أعتذر إلى الدكتور عبد الله الغذامى فى ترحيبه وفى الاشادة به لأنه يضيق ذرعا بذلك ولكننى من منطلق كونى فى قسم اللغة العربية أود أن أبين أن الدكتور عبد الله الغذامى من مؤسسى هذا القسم وله فضل كبير إذا كان على النادى فأيضا على قسم اللغة العربية ، وعرفناه صادقا فى عمله وصافيا فى نيته ومخلصا وجادا فى فكره فله منى التحية قبل أن أبدأ فى أى تعليق أو أى مداخلة وأيضا لا أريد أن أرحب به فهو بين أهله واخوانه وجمهوره الذى يعرفه أكثر منى . أود أن أتحدث عن نقطتين ولا أريد من الدكتور عبد الله الغذامى أن يجيب عليّ فيهما . أما الأولى فهى الاتفاق معه تقريبا أو ما أثارنى وأردت أن أفصح عما فى نفسى من قضية البياض والسواد وكيف أن البياض بمعنى الموت هذا فى الواقع يؤيده كثير من الشواهد العربية وخاصة أن الكفن أبيض وكذلك فى الأندلس هم يحدون على الميت بالأبيض ، ويقولون إذا كان البياض لباس حزن فاندلس فذاك من السواد . السواد بمعنى الحياة فى الواقع وجد هوى فى نفسى

أيضا لأن العرب تسمى الشخص القادم جاء سواد من بعيد فمعناه أن هذا الشخص فيه حياة أو يتحرك وكذلك الأسود ان كما هو موجود فى الحديث . لؤلؤة السياب وصلاح عبد الصبور والقصيبى . نجد أن اللؤلؤة عند السياب بيضاء وعند صلاح عبد الصبور بيضاء وعند القصيبى سوداء ولكن ماذا أضاف هذا السواد ؟ إذا كان القصيبى لم يجد هذه اللؤلؤة فما هو التميز فى نص القصيبى من أن تكون بيضاء هناك وتكون سوداء فى نص القصيبى وفى النتيجة انه لم يجدها . النقطة الثانية أن تعمد غياب الكمال عند الشاعر القديم كان كما أشار الدكتور كما فهمت أنا كان عن طريق تلقائية شعرية . لم يكن متعمدا . لم يكن الشاعر القديم يتعمد غياب الكمال وان كان استشهد الدكتور ببيت المتنبى . أما عند الشاعر المحدث فهو متعمد فهل هذا امتداد للصنعة فى مفهومها النقدى الذى يفهمه الدكتور أكثر منى وانها اتسعت فى أطرها وفى أبعادها ولاسيما انهم قالوا ان الصنعة هى تذبذب ومرونة ، وكانت الصنعة قبل أن تكون هى من المحسنات البديعية كانت تلقائية كما هى تلقائية غياب الكمال عند الشاعر القديم ثم أصبحت متعمدة بعد مسلم بن الوليد وبعد أبى تمام فلعل هناك صنعة تأخذ ابعادا أخرى غير غياب الكمال ولذلك فالبحث مفتوح فى هذه النقطة وأشكر الدكتور على هذه المحاضرة التى أثارت شيئا كثيرا وأترك الفرصة لكى لا تكون المحاسبة من الأستاذ أبي مدين محاسبة عسيرة . وشكرا لكم .

الدكتور الغذامي :

التعمد أتاح فى الشعر الحديث التغيير الفنى فى الأوزان . قصيدة الشعر الحر تسمح بوجود بيت كامل ثم بيت ناقص . فى قصيدة عمودية لا يمكن للسياب أن يحدث هذا التغيير ، مما يعنى أن تغير الشكل يفضى إلى تغير با ـمون ، وان هذا التغير المضمونى كان مرتبطا ارتباطا عض ـيا بهذا التغير الشكلى ويأتى مفهوم البنية ، الشاعـر القديم لايستطيـع أن يأتى ويقول : ياواهب اللؤلؤ والمحار والردى .

ثم يكرر البيت ويقول يا واهب المحار والردى ، هناك نقص فى التفعيلات لا تسمح به التجربة القديمة . التجربة الجديدة تسمح بدخوله ، للتجربة الجديدة دخل على فنيات جديدة مما يعنى أن التجربة الجديدة جاءت ولها مبررها الفنى الذى يحدث تغييرا واضحا فى تشكيل الدلالة . أما الأبيض والأسمر بين غازى والذى قبل أشرت بأن عنصر الموت لكن الذى جعل غازى القصيبي لم يجد اللؤلؤة انه جعلها خرساء فى الوقت الذى أحياها من جهة اخرسها من جهة فبالتالى ضاعت .

الدكتور محمد الكردي :

بسم الله الرحمن الرحيم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أود قبل أن أبدأ حديثى أن أبدى اعجابى وحبى الكبير للأستاذ الدكتور عبد الله الغذامى فهو صديق عزيز وأعتقد أنه من كبار النقاد فى المملكة العربية السعودية . أولا أود أن أظهر اعجابى بالاخراج المسرحى الذى بدأ به هذه المحاضرة فهو فكرنى بكتاب عبد الغفار مكاوى عن قصيدة وصورة . توجد القصيدة وتوجد الصورة ويحاول أن يوجد علاقات بين الاثنين . هناك نقطة ثانية فكرتنى أيضا بصورة من صور المسرح الحديث وفكرت فى بريخت حينما يلغى المسافة بين الجمهور وبين المشهد . غير ذلك توجد نقطة أود أن أوضحها بالنسبة للرمزية التى استخدمتها . فهنا ناس أعتقد أنهم يظنون أن هناك شيئا موضوعيا أوحقيقة ما وراء الرمزية . ليس هناك حقيقة موجودة بالفعل وراء الرمزية . هذه الرمزية تتغير وفقا للسياق الشعرى ففكرة البياض هنا وارتباطه بالموت هو ارتباطه بشحوب الموت وهذه الفكرة ربما يتخيل لى بالنسبة للسياب والشاعر المصرى صلاح عبد الصبور أنه جاز فى نظر القصيبى . أنا أرى فى اللؤلؤة البحث عن هوية الأمة العربية مثلا أونهضة الأمة أوروحها فيجوز فى نظره انهم بحثوا خطأ . إنهم بحثوا بطريقة خاطئة بمعنى أن البياض ليس هو الذى يمثل هوية العربى فالسمار أقرب إلى العربى وفكرة السمار

موجودة فمثلا حتى فى كلمة ايجبتوس ملكة الأرض السمراء فالسمار فى الشرق العربى هو رمز الخصوبة ورمز النماء ، فالشاعر القصيبى من الجائز يبحث هنا عن فكرة اللؤلؤة السمراء التى هى البحث عن أصالة وهوية الأمة العربية . النقطة الثانية بالنسبة للكمال والنقص أعتقد أن فكرة الكمال والنقص فكرة شرقية ومن الجائز يوجد جزء يونانى حتى عندنا فى التراث العربى ان الكمال موجود فى فترة معينة والتاريخ يتدهور بعد ذلك ولكن لابد تفترض فى نفس الوقت رؤية رأسية للمجتمع والحياة . أنا أعتقد ينقصنا فى الفكر العربى فكرة الزمن المتصل إلى المستقبل . فهى تعارض مثلا فكرة التقدم بالنسبة للمجتمع الغربى . بالنسبة لارسطو . الكمال أعتقد أنه يرتبط بالسكون والدائرة . فسعادتك أشرت فى الصورة إلى كسر الدائرة ففى الفكر اليونانى النظرة إلى العالم العلوى والعالم العلوى هو العالم القمرى ما حول القمر . فينظر إلى أن الدائرة أشبه إلى السكون لأن الدائرة فى حركتها مقلقة فتشبه السكون بينما الحركة الموائمة للتغير فى العالم التحت القمرى هى عبارة عن تشويش لانها حركة لا تتجه إلى مكان محدد أو إلى اتجاه محدد . المهم أريد أن أؤكد على فكرة النسبية فى استخدام الرموز . فالرموز الشعرية أو الرموز في الأدب استخدامها لايدل على أنها تعبر عن حقيقة مطلقة ، فأنا أخشى أن الدكتور المعطاني عندما قال : السمار هو رمز ، ممكن السمار عند شاعر معين رمز الوحل والانحدار مثل بودليرمن جان ديفال معشوقته

السمراء كانت تمثـل بالنسبـة له الانحـدار والانغماس فى الشهوات والسقوط والتدنى بينما معشوقته مدام سابتييه الشقراء كانت تمثل له عالما مثاليا . عالما يسمو اليه ويحلق ، وارتبط شعره بهذا التنازع بين العالم السفلى عالم الشهوات وبين الارتقاء إلى العلو والتحليق فى الفضاء الذى يمثل بالنسبة له البحث عن الكمال وأعتقد هنا موضوع البحث عن اللؤلؤة هذا موضوع البحث والسعى ، وهذا موضوع موجود أيضا فى الأدب الغربى ، دائما الشاعر أو الأديب يبحث عن شىء لكن ليس مهما ما هو الشىء ؟ المهم هذا البحث فى حد ذاته يصبح الموضوع نفسه لأنه يسعى إلى نوع من الكمال والارتقاء ليس المهم أن نصل إلى شىء . المهم أن السعى فى حد ذاته يصبح موضوعا للشعر أو موضوعا للأدب أو موضوعا للفكر . وشكرا .

الدكتور الغذامى :

شـكرا للدكتـور محمـد الكـردى . طبعـا أنـا موافق عليه وإضافة إلى ما قلت . فقط إيضاح موقف صغير . أنا أتفق معه فى الكثير . أنا حينما قلت أرسطو أشرت إلى الغياب عند أرسطو فقط ما كان إشارة إلى الكمال ، مسألة الفكرة فى أن الكمال الذى يفضى إلى نقص واننا بحاجة إلى أن ننظر نظرة مستقبلية تبحث عن الكمال . طبعا أنا أتفق معه فى هذا كله . لا نريد أن نشيع فى أنفسنا فكرة الخضوع بمعنى الاستسلام . لكن القضية هى فى تحريض القارىء كمستقبل . أى تجعل الفعل القرائى فعلا تحريضيا . هذا كل ما هناك ، كيف نجعل

القارىء فاعلا داخل القراءة ، هذه القضية . بعد ذلك ماذا ينتج عن علاقته مع العالم . وبالتالى ما قلته هو يتفق فعلا ما قلت سواء إننى جاهرت به أو أضمرته . شكرا .

الدكتور بكر باقادر :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

مرحبا بك يا دكتور عبد الله بين اخوتك وأصدقائك . فى الواقع مجموعة من النقاط . النقطة الأولى : لتعريف الغياب عند بعض المعاصرين وعلى وجه الخصوص فى بالى « جلبير دوران » وبعض الأشخاص الذين يتكلمون عن الغير منطوق به الذى هو خارج النص كأن إذا كان الغياب فى الطرح النظرى الذى تقوله هو ما يمكن أن يستدرك من ا لنص مباشرة من خلال الكسر أو من خلال الكمال ، ومعروف لدى القارىء أو لدى المتلقى ثم بعد ذلك ينقص بصورة واضحة الفنان فلا أدرى هل هذا يسمى غيابا ؟ المصطلحات التى يتكلم عنها الأشخاص الذين يتكلمون عن نفس الفكرة يتكلمون عن المتخيل . اللامرئى . إذا كان هذا كذلك فمازالت الفكرة غير واضحة عندى خاصة عندما تنطلق إلى انطلاقات كبيرة مثل الغياب أهم من الحضور . الغياب هو الكمال والحضور هو اللاكمال وتصبح التناقضات ثنائيات متعددة لكن ماتزال عندى فكرة ما معنى الغياب ؟ هل هو هنا غياب فلسفى أم غياب حسى . مقولة الدكتور محمد أبو السعود وهو لو تعرفه شخصيا فهو ظريف أيضا جدا . هى مقولة فى الواقع من المقولات المنتشرة بين المسلمين وبين المسيحيين

وأقول من المقولات لأنها تنافى بالذات موضوع الحداثة وتقول هى فى الواقع ترتكز على بعض النصوص الدينية . منها مثلا : «أفضل القرون قرني» ثم بعد ذلك تتلاشى حتى يبقى موحدا ولهذا فانه امتداد الفكرة على أنه لابد من نهاية وان الكمال الأول سينحدر إلى نهاية ونفس هذه الفكرة موجودة عند الكنيسة الارثوذكسية الشرقية . بطبيعة الحال كما ذكر الدكتور محـــمد الكردى عندئذ ما الذى يمكن أن يفعله المتأخر . وهذه إحدى المقولات التى تنادى بها بعض الجماعات الدينية . يقولون المطالب بالاصلاح فى آخر العصر هو ينفخ فى قربة مثقوبة لأنه أصلا مكتوب على أن العصور المتأخرة عصور هى فقط النهايات لما سيأتى ، بطبيعة الحال هذه مثلما قلت فكرة من الأفكار . هنالك فى المسلمين طروحات أخرى تشير إلى أن تجديد الدين واعادة الضخ الدموى لكل جيل تنفى تلك المرحلة . بطبيعة الحال أيضا هذه تشير إلى خطية التعريف بمعنى أن التاريخ لا تكون له بداية ومن ثم يسير مسارا انحداريا إلى نقطة نهائية ومن ثم يقولون ان التاريخ بهذه النظرة كأنه حافر قبره لأنه بدءا منذ أن ولد يعرف أنه سيكون له نهاية . أقول بأن مثل هذا الطرح سيقلق من يفكرون فى امكانية عملية التقدم « الحداثة » فى الواقع وأنا أستمع إليك أقول كأن النظرية تلبستك بحيث إنك تستنطق تعسفيا هذه الشواهد . ودعنى أبـدأ من آخرهـا موضوع الثلاثية ودعنى أقول لك لو انك استنطقت الثلاثية بدلالات أخرى ربما تكون أكبر مثلا من الفلكلوريين بالذات فيما

يتعلق بالحكاية الخرافية يؤكدون على أن الثلاثية واحدة من اللوازم للقصة الخرافية ، ولهذا اما تكون لعنات ثلاثا أو رغبات ثلاثا أو كذا . وتحليل بروب لها يكون فى هذا السياق جميلا جدا . نعود مثلا فى الأساطير حينما يتكلم جيم زيل فى المساطير المقارنة بأنه فى الواقع نجد أسطورة التثليث أسطورة تكاد تهيمن على قطاع كبير من التفكير الأولى أو الفطرى لدى الشعوب ولهذا فانه يمكن النظر إلى موضوع مطر مطر . ان احسنا الظن فى السياب وأنه متألق . أنا أقول إنه مسكين . واحد من الاحتمالات ان الحبر نقص فى وقت مطر مطر لما كررها فلم يكتب الثالثة . فى الواقع أيضا ملاحظتان وأرجو أن الاستاذ عبد الفتاح يعطينى الفرصة . ليس واضحا عندى لماذا الغياب أهم من الحضور . أحيانا التغيب أهم من الحضور وعندئذ لما نتكلم عن التغييب نتكلم عن الفعل ولهذا حينما يتكلم الروائى رايت عن تغييب الزنجى الذى كل الأحداث تكون موجودة فمثلا نعرف أن المجتمع الأمريكى متعدد الألوان ثم بعد ذلك نلحظ تعسفا من الروائى بأنه يغيب وجود زنجى فى أحداث كلها تدور فى بيئة زنجية . عندئذ تصبح عملية التغييب قضية وهاجسا لماذا حدث ؟ أعتقد أنه إذا أردت أن تقول التغييب فمايزال لدى ملاحظات . أخيرا أود أن أقول ذكرت كل الأشخاص الذين لهم علاقة بملعوبك الذى لعبته معنا ولم تذكر شخصا بينى وبينك كانت مودة له وهو عبد الفتاح كليطو الذى عكس القصة وليس الغياب فى مقامات الحريرى الغائب فى المقامات ولكن أيضا

الغائب فى قضية المؤلف والمؤلف فى كتابه « الكتابة والتناسخ »
وهو يديل محاضرتك بصورة أخرى وهى ماذا إذا أحضرنا النص
ولنقل إن العنوان هو النص وغيبنا المحاضر ولهذا فان عكسية
هذه اللعبة تستجدى أسئلة أكثر من إجابة أرجو أن يسمح لى
الأستاذ عبد الفتاح من وقتى الاضافى أن أشرب بعض القطرات
من الماء .

الدكتور عبدالله الغذامى :

هى خمس نقاط . النقطة الأولى تتفق مع النقطة الرابعة
فمسألة الغياب والتغييب كانت ممكن تدمجها أنت . أنا
أدمجها . طبعا كان يوجد اختلاط وأنا أعرف فى فكرة الغياب
وفكرة فضاء النص . لا أقصد فضاء النص إنما المقصود هو
جزء من أجزاء النص الذى هو الغياب المتعمد ، اللعبة
المقصودة من المنشىء أصلا لكى تحدث فى ضمير أو وجدان
القارىء ويستجدى القارىء فعلا لكى يدرك هذا مثل ما يفعل
امرؤ القيس ويقول « وليل كموج البحر » هو يتخيل ما فى
ليل . أو حينما يقول شاعر :

وكأنها بين النساء اعارها عينى أصور من جآذر جاسم

إلى آخر الأبيات يريدك أن تشعر أصلا بأنه لا يقول الحقيقة
يقول الخيال . إذا لم يشعر المستقبل بما يدعوه المؤلف اليه
حينئذ سيسقط النص . الغياب الذى أقصد هو هذه الحالة التى
يتعمد المنشىء تغييب عنصر من العناصر وليس فقط المتخيل .

لست أقصد المتخيل هى ستكون جزءا من المتخيل بالتأكيد لكن أقصد فى هذه المحاضرة بالتحديد فضاء النص الذى يشمل كل هذه العناصر الكبرى التي قد يحدث من خلالها أشياء لم تخطر فى بال المنشىء على أنها جزء من الرسالة . الجزء الذى غيب من الرسالة وقصد من خلال هذا التغييب أن تتحقق الرسالة من خلال ادراك هذا العنصر الذى تعمدنا تغييبه . لهذا سميتها الغياب . البلاغيون القدماء يقولون مجاز الحذف . أريد تطويرا لمصطلح مجاز الحذف ليصبح حذفا على مستوى النص وليس على مستوى الجملة أو المفردة فقط . هذه القضية . طبعا أنا أعرف أن الدراسات - كثير من الدراسات الحديثة - غربيا وعربيا - دخلت فى أعماق فضاء النص بكل أبعاده . أنا أريد أن ألمس واحدة بما اننى نصوصى ملتزم . النصوصية الملتزمة التى تقول بأن الشكل أصلا الماثل هو صانع المضامين التى سيتم استجلابها . الشكل الماثل الآن حدث فيه عيب متعمد قصد مثل ما فى اللوحة كسرت الأشكال وكسر كل شىء فى أصله خارج الصورة كامل جاء فيها ناقصا كأنه قطع من الخارج وضعت وللمت مع بعضها والمطلوب هنا أن نشعر بهذا الذى تم تغييبه عن قصد . حينئذ النقطة رقم «١» والنقطة «٤» تداخلت مع بعض والتغييب كما مثلت أنت فى مثال الزنجى يصبح هو بالضبط اللؤلؤة التي تم تغييبها . لماذا غابت ؟ هنا يأتى السؤال . إجابتنا على هذا السؤال ستكون بالضرورة إجابة صحيحة حتى لو خرجنا بخمسمائة إجابة ستكون كل واحدة

منها صحيحة . القضية هى أن أجعل من هذه القراءة قراءة تحريضية مثلما سألت نفسى لماذا غابت اللؤلؤة ؟ لابد لكل واحد أن يسأل وحينئذ سيجيب وإجابته هو صناعة لنص يضاف إلى هذا النص ولكنه من انجاز النص وليس من انجاز ثقافة القارىء . قولك عن مسألة سنة التناقص وكلام الدكتور أبو السعود صحيح أنا أعرف أنها توقع فى مأزق كبير لكن أنا استأنست بها لا لكى أمضى معها إلى آخر مداها . أنا آخذ أجزاء منها فقط التى تخدم فكرة الكمال والنقص والحوار بين الاثنين . لا الكمال الذى يفضى إلى النقص مطلقا ولا يتحقق حينئذ الكمال على الاطلاق . لا .. أنا قصدى أن هناك علاقة جدلية وعلاقة حوار بين الكمال والنقص لابد أن يشارك المستقبل فى إدراك هذه العلاقة لا لكى يقبل ويستسلم للنص ويرى أنه سنة أو أنه قانون كونى . قانون طبيعى لا نملك إلا أن نستسلم له .. لا . ولكن ولكى يثير فى نفسى هذا التحدى لاحداث الحس بالناقص الغائب ماهو إلا محاولة استحضاره . هذا الذى يجعلنى أقول إن عناصر الغياب أهم من عناصر الحضور لأن عنصر الحضور مثول راهن مثول واقع . وبالتالى لن يتحقق شىء من ادراكنا لها لأنها موجودة ستحقق ادراكنا ويكون ادراكا فاعلا إذا كان هذا الادراك ينصب على هذا الغياب الذى سنقوم باستحضاره ونحصره إلى النص ونقويه ونتقوى به حينئذ . هذا الذى يجعلنى أقول إن الغياب أهم من الحضور لأن الحضور حقق نفسه أما الغياب فيحتاج الينا لكى

نستحضره ، فعلنا لاستحضاره هو الذى يصنع أهميته . طبعا كلامك عن الثلاثية فيه فارق بين أن نسعى إلى بناء الثلاثية أو إلى تحطيم الثلاثية الذى فعلته هو تحطيم الثلاثية . ادراكها من أجل تحطيمها وأنا أزعم ان السياب أدركها فحطمها وأيضا بكر شيخون أدركها ليحطمها والاثنان لم يدركوها لكى يؤسسوها وإنما أدركوها لكى يحطموها وأنا أفعل فعلهم ادركها لكى أحطمها . هذا المنطلق كلامك عن كليطو طبعا هو يستحق كل تقدير وأنا أعتقد أنه من أعظم من كتب لأنه من أنجز شيئا وقف على النصوص ، هو عبد الفتاح كليطو . عنده خيال رهيب . لكنه يشتغل على المتخيل . يشتغل على النص الآخر الذى يسير مثل القرين الذى لا يدرى فعبد الفتاح كليطو ساحر ما فى ذلك شك . أنا لا أستطيع أن أقترح قراءة سحرية للنص كما يفعل كليطو وإن كنت معجبا بها وأتمنى أن أفعل لكن الذى أريده فى الواقع هو قراءة انتظامية للنص تستند على براهين من النص نفسه .

عبد الفتاح كليطو عنده قدرة على أن يهشم النص ويشتت فى آفاق عظيمة جدا ولعبة الذكاء لها دور كبير فى فعل كليطو بكل تأكيد عنده خيال راق استطاع أن يوافقه لكن تتفق معى أن معظم استنتاجاته لا شأن لها بما هو موجود فعلا فى النص . هى لها أشياء بافتراض متخيل يوقعه ويحدثه هو على النص ثم ينطلق معها وهذه مهارة راقية جدا لكن الشغل الذى تم الليلة ليس بهذه المهارة على الأقل . أقل تواضعا بكثير .

الدكتور الصادق أبو نفيسة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

لم تسعدنى الظروف من قبل بالاستماع إلى الأخ العالم الأستاذ عبد الله الغذامى واستمعت إليه الآن وأعادنى إلى المرحلة التى كانت تدرسنا فيها الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسى . وهى فلسطينية تدرس لنا الشعر الحديث ومن الناحية الأخرى البروفيسور عبد الله الطيب من أنصار الشعر القديم فكانت تحدثنا عن قصائد السياب وغيره من الشعراء المحدثين . حقيقة الأمر هنالك ألفاظ جميلة أحيانا نسمعها لكن كنا نخرج من المولد بدون حمص ، لم نكن نفهم شيئا عن الموضوع بصورة كبيرة . أنا لست متخصصا في اللغة العربية ولكن محب . مسألة الغياب وأنه ممكن يكون عنصرا مهما فى تقديرى الشخصى انها مسألة فكرتها غربية وحتى مجاراة الشعر الحديث لها مجاراة غربية والمجتمع الغربى مجتمع مبنى على الفردية . نحن فى عالمنا العربى عالم مبنى على الجماعية ومبنى على الحس الجماعى والتكافل ومسألة الارتباط سواء كانت ما قبل الدين الاسلامى مربوطة بالقبيلة . بعد الدين الاسلامى أصبحت مربوطة بالعقيدة ، ولذلك فى تقديرى أن الشاعر العربى سواء كان فى العصر الجاهلى أو العصر الاسلامى ما احتاج اطلاقا إلى عملية التغييب لأن رسالته الأساسية أن

يوصل رسالته باللغة التى هى مفهومة لدى الجميع وكان فى
قصيدة وفى كلمت يكاد أن التفسير يأتى مرسوما فى اللوحة
نفسها . لكن لاحظت اننى حاليا لم أستطع أن أفهم هذه الشغلة
إلا بعد ما أتى لى بالفن التشكيلى وشرح لى القصة بالفن
التشكيلى استفدت . لكنى أتصور أن مهمة الشاعر فى تقديرى
الشخصى وأنا بعيد عن هذا الجمال أنه يوصل الرسالة بأسرع
وأسهل طريق إذا كان التغييب والغموض والمسائل هذه
تعطل الرسالة . أنا في تقديرى أنها ليست صحيحة .
لابد ان يكون الشعر الحديث شعر حضارى وفي مرحلة متقدمة وطيبة ،
لابد أن يكون ليس للخاصة لأن الدكتور قال هنا « كل
جيل له لغته الخاصة وغيابه الخاص وتنم هذه اللغة عن فنونه
وقال : القارىء يبحث عن كمال ينتهى إلى نص » أنا فى مجتمع
بالصورة التى نعيش بها أنا أعتقد أن مهمة الشعر الحديث لكى
يثبت وجوده والمجال مفتوح أمامه إنه لابد من إعطاء رؤية
واضحة وقصة الغياب والثلاثية . والثلاثية أيضا مسألة
مرتبطة بالعالم الغربى فى مسألة الثالوث وأعتقد أن الاقتباس
والمسار حول المسائل عقائدياتها مختلفة . حضاراتها حتى
التكنولوجية والمادية مختلفة . أنا لا أعتقد أنه سيوصلنا
بالصورة التى نريدها مع احترامى الكامل للأداء والله
استمتعت بحديثه وطريقة شرحه وبادائه وبكثير من الأشياء .
فآمل أن نستطيع أن نصل معكم بصورة أخرى شكرا جزيلا .

الدكتور عبدالله الغذامى :

أنا لا أعتقد يا دكتور انك خرجت من مولد بصحن حمص واحد فأنت أخذت الكيس كله . شكرا يا دكتور

الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين :

أنا أريد أن أسأل الدكتور الصادق أبو نفيسة . أعتقد أن فى الجغرافيا الكثير من الغموض ومن التعقيدات وإن أردت أن نتحاور فى هذا فأنا مستعد أن أحاورك .

الأستاذ عزيز ضياء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قضية الدوار التى عايشناها فى هذا النادى فى كل مرة سمعنا فيها الدكتور الغذامى والدكتور السريحى أعتقد أنها ماتزال إن لم تكن فى أذهان الكثيرين فهى على الأقل فى ذهنى أنا ولكن أشهد ـ ويسرنى أن أقولها ـ أشهد أن الدكتور الغذامى قد بلغ مرحلة من القدرة على إحداث هذا الدوار فى أذهاننا مرحلة تكاد تكون نادرة بالنسبة لما قرأت وما أقرأ من فنون النقد بالأدب العربى القديم والحديث ، وكان بجانبى الدكتور اليمانى وسألنى سؤالا ماذا ترى ؟ هل حضرت أم غبت ؟ فقلت له الواقع انى كنت أتمنى وأنا فى هذا صادق أن تلقى محاضرة الدكتور الغذامى باسلوبه وبفلسفته وبقدرته على إدارة الأذهان والعقول فى مجتمع غربى حبذا لو كانت فى باريس أو فى لندن وبلغة انجليزية أو فرنسية ، وبهذه القدرة على أن يصل إلى غرضه من فلسفة النقد ، عجيب جدا أن تسمع منه عن الغياب

لا أدرى ماذا قال لأنى مصاب بالدوار . الغياب أهم من الحضور وان القراءة ينبغى أن تكون تحريضا النص يحرض القارىء على أن يفهم شيئا كثيرا . صديقنا الدكتور أبو نفيسة وبالمناسبة أقول لست أنت الوحيد الذى أو السودان الوحيد من هم الذين يعتزون بالبنت ويقولون أبو فلانة . فالملك عبد العزيز بن سعود رحمة الله عليه كان يعتز بأن يقول إنه أبو نوره أو أخو نوره . ما أريد أن أقول هو أن المحاضرة بما استطاع أن يشرحه لنا الدكتور أفادت كثيرا وأعلنت أن المملكة العربية السعودية وأن المثقفين فيها قد بلغوا مرحلة ينبغى لهم معها أن ينطلقوا إلى آفاق أخرى ليس لأن المثقفين هنا أقل من المثقفين فى الغرب وإنما لأن الغرب أو فلأقل لأن بعض البلدان العربية المجاورة تنظر إلينا نظرة تحتية ماتزال تشعر اننا مبتدئون وربما أحس بعضهم اننا مانزال فى بيوت الشَّعر وليس الشِّعر فحبذا ولو أن مثل هذه المحاضرة وبهذا الاسلوب الرائع تلقى ان لم يكن فى لندن وباريس ففى مصر مثلا وفى مجتمع مثقف يدرك كثيرا جدا من هذه المفاهيم أكثر مما يدركها أمثالى .

والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور عبدالله الغذامى :

الحقيقة اننى من طموحاتى الشخصية أن أتمكن يوما من إزالة الدوار الذى بينى وبين استاذى الجليل الأستاذ عزيز ضياء لكننى والله، أكبر فى هذا الأستاذ الكبير الجليل الذى فى الوقت الذى يعترض على مقولاتك يعطيك حقك . هذا درس أخلاقى كبير أعتقد أن مجتمعنا كله بحاجة إلى أن يتعلم هذا الموقف ، الأستاذ عزيز ضياء يختلف معى فى أمور كثيرة وأمور جذرية فعلا لكن فى الوقت ذاته لا يقلل من حق الانسان على الاطلاق . يعطيه حقه . أشكر الأستاذ عزيز على كلماته التى أعتقد أنها وقعت فى نفسى موقع المحبة ، الحقيقة التى يكنها لى هذا الأستاذ الكبير مرة أخرى وثالثة وألف فعلا أقول له ليس فقط عن هذه الليلة ولكن عن ليال كثيرة ومواقف كثيرة بعضها معلوم وبعضها خفى يقول فيها كلمة الحق الصادقة فى حين أنه يجعل محبته للشخص تلغى محبته للحق أيضا أنه يجمع بين حبين حب الحق وحب الشخص . شكرا يا أستاذ .

الدكتور عبدالمحسن القحطانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محاضرنا الكريم أظن أن الترحيب فرض عين لا فرض كفاية فأقول لك مرحبا بك فمن وكرك طرت وإلى وكرك رجعت ولعلى فى هذه المحاضرة كان هناك همٌّ يشغلنى ويشغل أمثالى وهو النص الغائب المتمثل عند البلاغيين فى الاستعارة فى المجاز والاستعارات وأحيانا التشبيه ولكنك هذه الليلة لم تقف عند

النص الغائب بل ذهبت إلى الغياب أو التغييب الذى قال به الدكتور بكر باقادر وقبل أن أبدأ فى مناقشة هذا الموضوع آتي على قضية النقصان والكمال ، ولعلى أتكىء على موضوع شغلنى كثيرا ودرسته لطلابى فى العروض وأنت من أنت بابحاثك التى قرأتها عن العروض ، فحينما تأتى القاعدة كاملة فى التفاعيل تأتى أقرب إلى النظم منها إلى الشعر لانها تفقد الشاعر المفاجأة والخصوصية وكأنه يقلد غيره فى هذا النموذج المكتمل فلو أخذنا أى بحر من أبحر الشعر لوجدنا ان الزحافات والعلل بقدر ما تكثر فى البيت بقدر ما تكون حركة الشاعر ومرونته أمام هذا النص ، فإذن النص الغائب أو النظرة إلى النقصان أو عدم الكمال لأن الشعر كما تعرفون ضرب من الخيال ، علامة استفهام ، فإذا تحقق اننى أعطى نموذجا أعلى فماذا يبقى للآخرين ؟ عليهم أن يتجهوا يمينا أو شمالا لينقلوا بصورة أخرى أو بنص غائب آخر فاذن اللغة إذا كانت لا مجاز فيها ولا استعارة ولا كناية قربت إلى وسائل الاقناع والجملة الخبرية أقرب منها إلى الجملة الانشائية . آتي إلى قضية السواد والبياض وقضية النهاية وقد يكون البياض هو النهاية والسواد هو بداية الحياة وقد يكون السواد هو التعاسة الذى يظل يعيش مع الانسان مدة طويلة فمع هذه التعاسة يبنى نفسه كأنه يتخذ قول الشاعر :

وإذا تفاضلت القلوب حماسة

فأرق قلب بينها القلب الشقى

لنأتِ لقضية الاستمرارية فى النظرة إلى الكمال دائما وهو أن القضية نسبية فهل حينما أعطانى السياب «مطر مطر مطر» هل هذا هو الكمال ؟ لا .. أعطانى ثلاثا ليريد أن يرفعنى إلى الرابعة فإذا بها يكسرها إلى اثنتين ليعطينى مفاجأة أخرى من مفاجآت الشعر أو ضربا من التخييل . لا أدرى الموضوع متشعب كبير جدا ولكنى أقول لماذا اخترت اللؤلؤة أأختيارك لها لضرب مثل بأنها حسية لماذا لم تختر الموت فرضا والموت لا يعنى الموت الحقيقى قد يعنى موتا وبداية حياة ودرسته فى الشعر العربى قديمه وحديثه . أقول إن هذه المحاضرة كانت همًّا فى أذهان المشتغلين بالأدب ومازالت همًّا فى أذهاننا نرجو أن تتبلور الرؤية وأن تجلو عن مواقف أخرى وشكرا لمحاضرنا الكريم فهو دائما يسبق إلى مثل هذه اللمحات وشكرا لكم .

الدكتور عبدالله الغذامى :

شكرا على أجزاء التعليقات التى عند الدكتور . السؤال الأخير الذى قال لماذا اخترت اللؤلؤة ولم تختر الموت ؟ الحقيقة اللؤلؤة هى التى اختارتنى والحمد لله ان الموت لم يخترنى . تعرف يا دكتور عادة الموضوع هو الذى يفرض نفسه على صاحبه . فى استقرائى للنصوص العربية أنا وقفت كثيرا ولكن كثيرا من الذين قرأوا لى يعرفون اننى وقفت كثيرا على نص

السياب وتغيرت وقفاتى قلبته على وجوه كثيرة مثل ما قلبت بيت النابغة . قلبته على وجوه كثيرة والغريب أنا حاولت أن أتحرر من هذين النصين فعلا لأنى أشعر أن الذى يقرأ ويستقبلنى قد يظن اننى أكرر ما سبق أن قلت لكن لم يحدث . بيت النابغة ومقطع السياب تلاحقنى بشكل عجيب وعندى الآن أشياء أخرى عن هذين غير ما قلته هنا كل مرة أجد هذين النصين العجيبين كل واحد منهما يعطينى شيئا غير ما أعطانى فى السابق وأنا أجد الحقيقة بما اننى اشتغلت كثيرا بالنظرية إلى أن بلغت حد الملل من النظرية فعلا وأعتقد ان الذى يتابعنى أيضا ملَّ من مطاردتى الكثيرة للنظرية . يبدو لى أن النصوص الآن بدأت تسهم عندى على الأقل فى تطوير النظرية التى كانت بين يدى وأعتقد أن النصوص ستفضى بى أخيرا ليس أنا الذى أفضى بالنصوص . النصوص هى التى ستفضى بى أخيرا إلى تصور فهم لما نسميه القراءة . يغرينى أنا على الأقل وما يغرينى أطرحه على الناس ربما يغريهم أو ربما لا يغريهم لكننى سأحرضهم وهم سيحرضوننى . هذا ما أنا متأكد منه .

الدكتور منذر العياشى :

بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سيدى الفاضل تكلمت عن الكمال وعن النقص . لا أدرى كيف أقول . خلفتك فى تدريس مادة وأنت الكامل وهذا موقف صعب وجدت نفسى فيه وأنا أدرس المادة التى كنت تدرسها وأنا

أيضا الآن أجد نفسى فى موقف صعب لأخاطب رجلا من قامتك فاعذرنى إذا تلجلجت قليلا . إلا انى أود أن أناقشك فى قضية أبدؤها كالتالى: النص حضور تقوله لغة والنص يحققه حضور النص . المسألة التى تدور فى ذهنى الآن كيف يمكن لنص تحقق بحضور اللغة أن تنشد الكمال فيه عبر بحث عن غيابه هذه مسألة . المسألة الثانية ثمة أربعة مواقف من النص الأول وهو الذي يفترض وجود مرسل ورسالة أو نص ومستقبل . الموقف الثانى قام على مرسل ورسالة . الموقف الثالث قام على رسالة ومستقبل . والموقف الرابع الذى تبناه ريكور بوجه خاص قام على النص نفسه وأنا أسمعك أين أضع ما تفضلت به علينا . هل أضعه فى الموقف الأول أم فى الثانى أو فى الثالث أم فى الموقف الرابع . فكرة اللؤلؤة والدائرة فى الشعر الحديث وأنت عرضت اللوحات . الدائرة تدل ربما على الرحيل وليس بالضرورة أن يكون ارتباط اللؤلؤة بالدائرة هو عملية كسر للدائرة . ممكن أن تكون عملية خروج ، ولادة اللؤلؤة من الرحم فى الدائرة كما عبر عنها الشعر الحديث فى كثير من النصوص . القضية الأخرى التى أريد أن أتكلم عنها ورد فى كلامك يا سيدى الفاضل أنك قلت أن الغياب أكبر على صيغة أفضل وأهم . ألا تعتقد معى إن الغياب فى دراسة النص يساوى الحضور وليس هو أكبر أو أفضل أو أهم ، القضية الأخرى وهى قضية تمس شيئا فى فلسفة الفكر العربى المعاصر . أوضح : الفكر العربى المعاصر فى لحظته يعانى أزمتين . الأزمة الأولى أزمة نقص أمام نص

تمامه مطلق والأزمة الثانية أزمة غياب أمام نص حضوره تام أو دائم وعبر صيغة أفضل أكبر الدعوة إلى الغياب ألا تعتقد أنها تضعنا فى صراع مع الأساسيات التى قام عليها نص الحضور ونص الكمال لثقافتنا ولحضارتنا . وشكرا جزيلا وأعذرنى يا سيدى الفاضل .

الدكتور عبدالله الغذامى :

شكرا يا دكتور . الحقيقة أسئلة أقل ما أقول عنها اننى أعتز بها وأعتقد أنها أسئلة أكون نجحت فى التحريض حينما أعثر على أسئلة مثل هذا السؤال الأول : كيف ننشد الكمال فى النص عبر غيابه ؟ ثم يدخل ويندمج هذا السؤال فى فكرة القراءات من مداخلها الأربعة . أنا أدرك تماما المأزق الذى أشرت إليه سبب المأزق الذى أنت أشرت إليه هو اننى كنت أعيش فى هذا المأزق وحاولت أن أخلص منه فالذى تشهده هو محاولة الخلاص من ذلك المأزق الذى أنا أحاول الافضاء اليه هو استكشاف البنية المفتوحة وإن كانت البنية مغلقة سأهشمها لكى أفتحها وهذا الذى حدث . الدكتور نذير العظمة مرة كان يعلق على عمل من أعمالى وقال : أنت تقوم بتجويق الشعراء . تجعلهم جوقة . فعلا هذا صحيح أنا أنظر اننا أمام نص واحد . العالم كله يجتمع لكتابته . فى اللغة العربية أقلها لأن النص عربى . كلنا نحن كعرب نتجه ونحاول ونكدح ونعرق من أجل أن نكتب ذلك

النص الواحد . لم نكتبه بعد . العرب بلا ملحمة يقال . طبعا ممكن يكون فيه ملاحم إلى آخره دعنا نقول مع من يقولون بأن العرب ليس لهم ملحمة . نحن نضع الملحمة خطوة خطوة من جملة من وامعتصماه إلى أنشودة المطر إلى السلام عليكم إلى تعليق الأستاذ عزيز . تعليق الأستاذ أبو نفيسه . كلنا نسهم هذا الاسهام . القضية هى فى شىء . هل نستطيع أن نجد الوحدة فى الشتات أم نرى الشتات فى الوحدة ؟ أنا أعتقد اننا نرى الوحدة فى الشتات وبامكاننا ذلك . الأشياء التى تبدو لنا متناقضة ومتصارعة وغير متقابلة وغير متكافئة وغير متجانسة إذا صدقنا نستطيع أن نجد الوحدة . هذا الذى يجعلنى أرى أن السياب وصلاح عبد الصبور وعبد الله الصيخان وبكر شيخون وغازى القصيبى وآخرين . النص أدخلنى إلى آخره لا أريد أن أتكلم عنهم لأنه سيدخلنى إلى كلام كثير . يدخل بعضه على بعض،أنا أومن فعلا إيمانا كاملا بفكرة التداخل . تداخل النصوص . تداخل الأزمنة ، تداخل الحقائق ، تداخل كل شىء ، أومن بها لانها فعلا حقيقة كل شىء يفضى إلى شىء . الله أوجدنا على هذا الشكل . أنا نتاج كامل لكل اسلافى حتى فيما أحب وأكره حتى فى أن أشم رائحة لم أشمها من قبل أبدا فأكرهها لأن واحدا من أسلافى قبل ألف سنة قد يكرهها أؤمن بهذا .

مثلما أنفي وعيناى تشبه أنف وعيني أحد من أسلافي كذلك خلقي . النص أيضا يحمل هذه الجينات هو نص مفتوح حينما تطرح تلك الأزمة أنا أعيها وفعلا لذلك لم أغرق المحاضرة بمدخل نظري لكن أنا الذى أسعى إليه هو أن السياق الآن حتى السياق الذهنى حتى السياق اللغوى حتى فى السياق النفسى والاجتماعى والسياسى وكله كلها موجودة داخل النص والنص يدخل فيها ويخرج منها ، أنا الذى أستطيع أدخله وأخرجه وحينما استشهدت أنا بمطر ثلاث مرات ومطر مرتين لكى أبعد فكرة اننى عزلت مقطعا من السياب عن النص وأدخلته إلى سياق آخر غير هذا السياق . الواقع سياق السياب مستمر على هذا حتى فى النهر والموت حتى فى كل قصائده . غازى القصيبى فى مجمل شعره الذى هو غير شعر المناسبات مجمل الشعر الذى نسميه الشعر فى قصيدة اللؤلؤة السمراء . هذه قصيدة نموذجية تمثل شعرا فكأنها هى القضية التى حاول غازى كل عمره أن يكتبها فى زعمى اللهم إلا لو كتب واحدة متطورة أكثر من هذه لكن إلى الآن أنا أعتقد أن غازى القصيبى أمضى عمره كله يكتب هذه القصيدة والنقص الذى عنده هو محاولة لكتابة قصيدة أخرى أو استدعاء شاعر آخر لكتابة قصيدة أخرى . هذه الفكرة تتعلق بالسؤال الأول . الدائرة والرحم صحيح . تفسيرك ممكن يكون صحيحا لكن يظل داخلا فى نفس السياق لأنه أفضى بالبحث عنها فاستخرجها من الرحم بدلا من أن يستخرجها من الليالى أو من البحر وتكون الفتاة حينئذ

استخرجت وبقى أن تخرج كلها . هذا جزء منها بدأ يتخرج من الرحم والفارس الذى فوق الحصان ممكن هو الذى يكون القابلة التى تخرجها فعلا لكن لم يحدث ، يظل اذن المعنى واحدا وان كانت الدال نفسه أو المحرك الباعث عن الدلالة اقتنع لكن ما فى شك أنا أوافقك على فكرة الدائرة والرحم وهى إضافة جميلة فعلا . النقطة الثالثة : الغياب يساوى الحضور . أنت تقول كذا الحقيقة أنا لا . أنا مازلت أرى أن الغياب أهم من الحضور والسبب فى ذلك أن الحضور موجود أما الغياب فيحتاج إلى فعل لكى يوجد . الشيء الذى يحتاج إلى فعل لكى توجده سيصبح أهمَّ حينئذ لأنه موجود . لو واحد غائب منا الآن وسعينا للبحث عنه سيكون أهمَّ . فبحثنا عن عناصر من النص هذا هو الذى يعطيها هذه الأهمية . الأخرى : قانون الاستبدال كما طرحه رولان بارت لو ألغينا هذا الغياب ما الذى سيحدث للنص أنا فى رأيى يسقط . بما أن النص يسقط فى حالة الغائب للغياب معناه أن الحضور لم يستطع أن يستحضره . نقطتك الرابعة مهمة جدا . الحضور الكامل والكمال المطلق لكنه تبرير عملى اننى أتعامل فى مادة مخلوقة لمخلوقين فهى ناقصة لناقصين تحاول أن تستعين بذلك الكمال تستبصر بذلك الكمال لكنها ليست بمستواه .. وشكرا .

الدكتور محمد فتيح :

سلام الله عليكم . بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فشكرا للمحاضر الكريم على محاضرته وابدأ فأقول لى ثلاث ملاحظات . الملاحظة الأولى مبنية على هذه المقولة التى أطلقها سيادته فهو ان البلاغيين العرب لم يدركوا الغياب . النقطة الثانية : تتعلق بتفسيره للؤلؤة ومفهوم النصوصية الذى قال سيادته انه متمسك بتطبيقه تطبيقا حرفيا . النقطة الثالثة : تتعلق بأنه أحيانا يمكن الا يكون هناك كمال بل يكون هناك زيادة على النص وتكون هناك مبررات فنية لتلك الزيادة تستوقف مفسر النص أقول إن البلاغيين العرب وعلى رأسهم المفسرون هم قراء للنصوص قد أدركوا فكرة الغياب وقد اهتموا بها اهتماما كبيرا . أدركوا فكرة الغياب وملأوا هذا الغياب بالرجوع إلى النص اللغوى أو ملأوا هذا الغياب بالرجوع إلى البيئة والسياق الثقافى العام وأبدأ بطرح مجموعة من الأمثلة لتأكيد ذلك فى العملية الاحسانية غياب للمحسن ، غياب للمحسن به ، غياب للمحسن عليه . أنت الآن هنا تملأ وتملأ متقيد بالنص اللغوى فأنت نصوصى . يقول آخر هل جزاء الاحسان على عباد الله يأتى بالمحسن عليه الا الاحسان بالجنة ثم يأتى رابع ثم يأتى خامس والكل ينطلق من الفكرة اللغوية وهو ان عملية الاحسان تتطلب مجموعة من الأطراف وقد كنت اقرأ اليوم فى مقال حول الجهود اللغوية لجاكيسون تؤكد ان اللغويين العرب والبلاغيين منهم عندما كانوا يبدأون من النص لملء الفراغ كانوا يبدأون من معطيات اللغة الثابتة أولا فهم عندما ينحرف الأديب سواء أكان ناثرا أو شاعرا عن استخدام لغوى حقيقى فهو ينحرف

عنه عمدا ويقصده لذاته . هذه نقطة ، مفسرو القرآن كانوا نصوصيين وبهذا نؤكد انهم أدركوا فكرة الغياب عندما نعثر على هذه الاشارات الرائعة والدقيقة لما يسمى فى علم اللغة الحديث بالبدائل اللغوية ومن بينها الضمائر فالضمير بديل هو بديل عن عليّ وإبراهيم وأنا بديل عن محمد فتيح أو خالد أو عن أو عن أو عن . عندما يفطنون إلى ذلك فيأتى الزمخشرى مثلا فى تفسير قوله تعالى : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) هنا حضور وهو الفعل مادة الفعل وهناك غياب مدلول هذا الفعل فيقول فان لم تفعلوا أى ان لم تأتوا بآية من مثله . أقول أيضا البلاغيون العرب حتى فى دراستهم للايجاز أدركوا فكرة الغياب وملأوه والأمثلة على ذلك يعرفها دارسو البلاغة العربية والمثال المشهور (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه) فالانفجار ليس عن القول . فقلنا له اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجر . هذه كلها محاولات لملء الفراغ فى النص . نعود إلى الملاحظة الثانية . ربما أقدم ملاحظة على أخرى وهو أنه ربما يمتلىء النص بكل معطياته وزيادة فماذا يصنع الفنان وماذا يصنع النصوصى أمام ذلك ؟ وأظن هذا المثال مشهور جدا « وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى » كل ما تحتاجه الاجابة قد تم لأن السؤال بما أنه سؤال عن الحقيقة فقد تم بقوله هى عصاى ، ولكن موسى قال «اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى» وفاض المفسرون فى تفسير كنه هذه المسألة . القضية الأخيرة هل من النصوصية

ومن الالتزام الحرفي بها ان نربط بين اللآلىء بهذا الشكل ؟
أعتقد ان سؤالى وملاحظتى ساقطة عندما قال الأستاذ المحاضر الكريم ان مما يساعد على ملء الغياب السياق الثقافى والسياق الحضارى . ان كان الأمر كذلك فنحن متفقون فقد ربط بين لؤلؤة السياب ولؤلؤة صلاح عبد الصبور ولؤلؤة غيره لانهم جميعا يعيشون الجو الثقافى العام يقرأون الشعر ويشعرون بهذه الصورة ويحاولون أن ينموها . وشكرا .

الدكتور عبد الله الغذامى :

طبعا الشكر للدكتور محمد الفتيح لكنه قولنى ما لم أقل فى شيئين أولا : قال اننى قلت إن العرب لم يشيروا إلى دلالة الغياب أنا لم أقل هذا بل العكس قلت إنهم أشاروا . قلت إنهم قالوا عن مجاز الحذف ودلالة الغياب هى تطوير لهذا المصطلح . أما الملاحظة انهم وقفوا فى مجاز الحذف عند بلاغة المفرد أو بلاغة الجملة ولم ينتقلوا إلى بلاغة النص . أيضا حينما بدأت الأمثلة عند الدكتور اتضح أن هناك فارقا بين ما كنت أقول وما ظن اننى قد قلت . أنا كنت أقول الغياب بمعنى التغييب وهو المصطلح الذى تم توضيحه واستيضاحه من خلال الحوار بينى وبين الدكتور بكر باقادر . التغييب غير الغياب الذى أوردته فى الأمثلة التغييب هو تعمد لاسقاط جزء من النص تعمد حقيقى من المنشىء يقصد استثارة أو تحريض القراءة فالمقصود التغييب وليس فقط ان النص يحتمل معانى كثيرة أى نص . طبعا النص القرآنى هو أبلغ النصوص والاحتمالات فيه

أكبر وأرقى لكن أيضا النص العربى بكل قدراته البيانية يتجلى ويكبر ويعلو فى أن تكون البنية قادرة على التحول للمستمر وتعدد الدلالات . حينما سأل الدكتور عن الزيادة طبعا حتى البلاغيين وضعوا مجاز الحذف فى مكان ووضعوا مقابله فى مكان آخر . مجاز الزيادة وقالوا عن مثل الآية الكريمة (ليس كمثله شىء) وأنا كإنسان ينتمى إلى النصوصية أقول ان لكل نص بلاغته . فبلاغات هذه النصوص لا تنسحب على كل نصوص العالم هى تنسحب على هذه الشريحة . هذه العينة من النصوص بحيث ان من الممكن أن نجد نصوصا أخرى تقترح لنفسها جماليات أخرى علينا أن نستكشفها فأنا لا أحمل معيارا واحدا ممكن هذا المعيار يلبس على أى جسد نصوصى هذه لا يمكن أن يقال بها أصلا . الملاحظة الثالثة : الدكتور كرر مرتين باننى نصوصى أتقيد بها تقيدا حرفيا . أنا لم أقل التقيد الحرفى أصلا ضد أن يكون للانسان رأس يفكر به . أنا لا أتقيد حرفيا بأى شىء على الاطلاق . أنا نصوصى فقط ومن شأن النصوصية ألا تكون حرفية لأنها إذا كانت حرفية لم تصبح نصوصية حينئذ . والنصوصية لا تعنى الوقوف على نص واحد واغلاق الذات أمام هذا النص هى النصوصية مجموعة من النصوص . العوالم كلها تجتمع وتتآلف وتتعاون لكتابة نص واحد ومن أهم أجزاء النصوصية وهذا ورد فى اجابتى على الدكتور منذر العياشى فى مسألة السياق . السياق أساسا هنا سياق شعرى ينتمى إلى جنس شعرى واحد فعلا يتداخل نص مع نص خلال هذا

السياق فليس هناك اخراج فى أخذ اللؤلؤة لأن اللؤلؤة دالة والدال يبحث عن مدلول ومن شأن المدلول أن يكون عائما أما الدال فهو حضور يبحث عن ذلك الغياب فالمداليل أصلا غياب نقوم باستحضارها من شأن النصوصية أن تفتح نصا على نص إذا وجدنا عملا من الأعمال يقف عند نص فقط فهذه ليست نصوصية وان زعمت انها نصوصية . هناك سوء فهم كبير عن مصطلح النصوصية والظن أن النصوصية هى الحرفية أمام نص ما هذه قراءة الشرح كما يسميها « تيدوروف » فى مقابل قراءة الاسقاط أو قراءة الشاعرية . أنا آخذ بقراءة الشاعرية القراءة التى تأخذ بالبنية المفتوحة وتأخذ هذه البنيـة على سياقات وهذه السياقات تشكل . طبعا حينما قال الدكتور عن مسألة السياق وقال ان الشعراء يعيشون فى وجود واحد .. لا . القضية أنا لا أقول الجو الواحد . امرؤ القيس والسياب يتحدثان بلغة واحدة امرؤ القيس يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

عليّ بأنواع الهموم ليبتلى

هذا الليل المختلط مـع البحر متسـاويان تسلطت عـلى الشاعر . السياب يأتى بعده فى نفس انشودة المطر ويقول :

(كالليل صرح اليدين فوقه المساء) نفس الصورة نفس الحركة . لم يعيشا فى جو واحد ولا فى ظرف واحد ولا فى أرض واحدة ولا فى همّ واحد ولا فى وضع واحد على الاطلاق لكن هنا سياق شعرى يفرض وجوده ما بين هذين النصين . هنا تداخل

نصوص . الصورة هى هى . السياب سيطر على الليل وجعل الليل ضعيفا . (كالبحر صرح اليدين فوقه المساء) كان البحر عند امرىء القيس معادلا لليل كلاهما سلطة عظيمة (وليل كموج البحر) كلاهما قوة خطيرة جدا . حيوان خرافى مخيف يهيمن على امرىء القيس (وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ) يأتى السياب (كالبحر صرح اليدين فوقه المســاء) أضعف البحر قلل من شأنه . صار البحر هو المستعمر . صار البحر فى موضع الشاعر . الشاعر تحول من انه هو المهيمن عليه من ذلك العنصرين . صار البحر امتزج هو والشاعر وظل الليل هو المهيمن . صورة متداخلة لا يوجد جو ولكن يوجد سياق . والسياق أيضا ليس فقط سياق النص ولكن سياق الذهن . ذهن القارىء . أنا لو قرأت فى السياب من دون أن يكون فى ذهنى امرؤ القيس سيكون فهمى للسياب مختلفا عن ذلك الفهم . الذى سأخرج به حينما يكون امــرؤ القيس على رأسى وأنا أستقبل السياب تتداخل صورتان . السياب سيفسر امرأ القيس وأيضا امــرؤ القيس سيفسر السياب . هذا الفعل النصوصى . هذه ليست حرفية أبدا وليست وقوفا على نص وليست فى جو عام ، هى المسألة فى قضية النصوصية هى أن النص نفسه دال يبحث عن مدلول عائم والمدلول العائم متحرك وبالنص حضور والمدلول غياب والفعل سيكون للقارىء ولذلك أهمية القراءة طبعا المفسرون كانوا يقولون تفسير القرآن ونحن نقول بتفسير بالشعر ابتداء بالاصوليين .

الدكتور احمد النعمى :

بسم الله الرحمن الرحيم

لى ثلاث نقاط أو ثلاث ركائز ولى اعتراض على الأستاذ عزيز ضياء أظن ابدأ بالاعتراض قبل الثلاث نقاط . الاعتراض هو انه طلب من زميلنا الأستاذ الناقد عبد الله الغذامى أن تكون المحاضرة فى أوروبا كأن فيها انتقاصا للعقلية العربيـة مع احترامى لك وللعقلية الاوروبية أحب أن أشير إلى أن تراثنا العربى يمتلك مواهب وعقولا ومفكرين وأنت منهم لا يقلون عن الاوربيين كثيرا بل يمكن أن يفوقوهم أيضا .

النقاط الثلاث التى أريد أن أناقش حولها . النقطة الأولى هى حول الغياب والتغييب وسأكون قاضيا هنا ان اخطأت فلى أجروان اصبت فلي أجران قضية الغياب والتغييب وقف فيها الزميل الفاضل الذكى حقيقة الدكتور باقادر والدكتور أبو نفيسة . قضية الغياب والتغييب ليست الغاء للعقل بالعكس بل عمد اليها الشعراء العرب قديما وحديثا ولعل الشعراء الصوفيين أهم من اتخذ هذه الوسيلة لقضية الغياب لماذا على أساس يترك لعقلك . لابتذال ذكائك ولا يبتذل انسانيتك يجعلك تفكر معه وعندنا شواهد كثيرة ولعل شاعرا قديما جاهليا هـــو الحطيئة أو غيره لا أدرى . يعطيك الخط مثلا وعليك أن تغوص معه إذا تعبت أن تغوص فى أعماق نص الشاعر فهو انك لا تستحق أن تكون دارسا للشعر أو على الأقل كن متلقيا ولا تكن دارسا أو ناقدا . هذه المرحلة الأولى . والشعراء الصوفيون

العرب لهم فى هذا المجال باع طويل مثل قضية الاشارة والرمز دون أن يغوص فى الأعماق ويترك النص مكشوفا مفضوحا كصوتى الآن الذى مجروح من أربع محاضرات اليوم فى الجامعة وأيضا مقابلتكم ولكن مقابلتكم عندى تساوى كل شىء حقيقة ورؤيتى للزميل الفاضل عبد الله الغذامى وهو دائما يطرح أسئلة بل أنا أسميها علامة استفهام كبرى ولكن هى علامة استفهام مفيدة ومثيرة . عتابى طبعا للاستاذ عزيز ضياء هو ليس عتابا .

القضية ان عقولنا أيضا نحن نتحدى الاوربيين بها إن شاء الله . النقطة الثانية هى النقص والكمال . النقص والكمال فى المبدأ الاسلامى قضية فكرية وفقهية وأدبية ومنهجية وأيضا نقدية . دائما الانسان يسعى إلى الكمال.لكن إذا ما توافر الكمال وبدأ الانحدار نحو النقص لا يلوم نفسه . بل يلوم الظروف التى قادته إلى النقص . أيضا لو نظرنا إلى شعر المتنبى وهو يعتبر شاعرا عالميا بكل معنى الكلمة ومقاييسها ولى الحق إذا وضعته وقارنته بكبار شعراء العالم فى أى عصر من العصور . حتى الآن يعيش معنا المتنبى لم يمت أبدا . شعره معى سواء درسته من الناحية النصوصية أو من داخل مجتمعه . أجده يقول :

« كعجز القادرين عن التمام » مسألة الكمال والوصول إليه كفعل بشرى ناجم عن لحظات احتار فيها علماء النفس وعلماء الأخلاق وأيضا حتى لا أقول قضية الأنبياء طبعا معصومون

فهم موحى اليهم لكن فى القضايا التى ما فيها وحى يتوقفون لكن حينما يأتى الالهام من الله يرفعهم إلى مستوى من الكمال البشرى يصيرون فيه قدوة ، اذن قضية العجز والكمال قضيتنا نحن البشر . لان الكمال للخالق عز وجل فأى شاعر مهما حاول أن يصل للكمال وقد حاول شاعر العروبة الأكبر المتنبى أن يصل إليها فلم يصل . توجد بعض خطرات شعرية فى أثناء قصائده فيها إضاعة ثقافية وفكرية . أيضا مثل قضية النقص والكمال قضية السياب واللؤلؤة والمحارة وأشياء كثيرة . اللؤلؤة لماذا لا تقولون ان السياب يعنى بها الكرامة . فهو فى الخليج العربى والخليج العربى ثائر بكل معانى المقاومة ومعانى الكرامة فلماذا لا نقول ان اللؤلؤة هنا يعنى بها الكرامة . اما صلاح عبد الصبور فهو تقليدى نظر أيضا إلى السياب واقتدى به . وكان بودى ان الدكتور عبد الله الغذامى قرأ لنا القصيدة كاملة لاكتشفنا أيضا لكن هو اكتفى . وأنا آسف اننى أزعجتكم بصوتى المبحوح هذا ولكن يشرفنى أن أرى هذه الوجوه الكريمة وأيضا أشكر الزميل الدكتور الناقد عبد الله الغذامى وهو من هو ويمتاز بالذكاء والمقدرة واستيعابه للثقافة العربية والغربية وهو أيضا فاعل وهو منا وفينا وسنعيده إلى جامعة الملك عبد العزيز بأى قوة والا نسميه الابن العاق . أما شكرى للأستاذ عبد الفتاح أبو مدين فهو راعى الفكر وهذا النادى قام على أكتافه وله الفضل الكبير فى هذا بعقله وحصافة رأيه ولو انى أكره المدح وهو يكرهه كما يكرهه الغذامى وأنا لست مادحا ولكن

أقول كلمة الحق . أما عتابى للأب عزيز ضياء فاعذرنى فيه . لأن الثقافة الآن قاسم مشترك ولو قارننا فى أى عصر حتى فى عصرنا هذا فان لدينا مفكرين جنبا إلى جنب مع أكبر مفكر فى العالم . عندى مالك بن نـبي يكتب عن أى مفكر غربى . تقبل منى ما قلت ولو أن فيه إساءة أدب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور عبدالله الغذامى :

شكرا جزيلا للدكتور احمد والشعر لمح للبحترى . الحقيقة الدكتور احمد أتى بفكرة نبيلة جدا لانه فى اشارته للأستاذ عبد الفتاح أبو مدين وان النادى قام على أكتافه هذا الظلم الذى أطالبكم أن ترفعوه عن كاهلى حينما يقول انه هو لم يفعل وإنما أنا الذى فعلت والله لم أفعل . كل وجودى فى النادى . دخولى للنادى أصلا دخول قدمى كحركة حسية كانت بسبب هذا الرجل . هذا الرجل قيد لسانى لدرجة اننى لا أستطيع فعلا حتى أن أتكلم جعلنى أمام مقدمته وغير هـذه المقدمـة فى مناسبات كثيرة لذلك فعلا اشتكى اليكم هذا الرجل انصفونى من ظلمه عليّ حينما ينسب إلى فضلا والله العظيم أتمنى أن أكون بمستواه ولكن لست بمستوى ذلك الفضل الذى ينسبه إليّ وهو حينما يظلمنى أيضا يظلم نفسه لان هذا الرجل حقيقة لو جرى ظرف من الظروف وكنت أنا رئيسا للنادى بدلا من عبد الفتاح أبو مدين أنا أقسم لكم بالله اننى لن أستطيع أن أفعل لأنه امتحان صعب وسيتضح اننى فعلا ما أنا الذى كنت أعمل

وانما هو الذى كان يعمل . أرجوكم أنقذونى من ظلمه . رجل ظالم فعلا ولم تجربوه . أنا أعرف ظلم هذا الرجل . أرجوكم تطالبونه انه من الآن وصاعدا لا يظلم نفسه ولا يظلمنى لأنه كيف اتبرأ من هذا الثناء الكبير كيف يتبـرأ الانسان من الجميل . كيف يأتيك الجميل والمعروف وتقول لا أريد الجميل ولا أريد المعروف .صعب ما تطيق .لذلك ألتمس فى أن ينصفنى هذا الرجل الكريم وينصف نفسه . أشكر الدكتور احمـد النعمى لانه جعلنى فعلا أستطيع بعد وقت أن أتكلم . كنت عاجزا أنْ أقول . جعلنى أتكلم . تعليق الدكتور جلّه فى انه جعلنى « الخرس ذهب » جعل شهرزاد تتذكر الكلام المباح . وشكرا .

الأستاذ السريحى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لست ببعيد العهد عن سماع أخى الكريم الاستاذ الدكتور عبد الله الغذامى فقد كنا معا فى بغداد وكنت اصغى لما يقول . غير انى حينما كنت اصغى إليه هنا .حينما كان صوته يتردد فى جنبات النادى كنت أشعر أن الزمن الموغل فى الوحشة يفصل بيننا وبين صوته . كنت أشعر اننا نسترد عـافيتنا ثـانية مداخلتى فى ثلاث مسائل . الأولى : بالنسبة لفكرة الكمال لكى نجعل الفكرة أكثر شمولية من ان ترتهن لوضع أولفكر محدد فى زمن محدد ومنطقة محددة فأود أن أخرجها من أن ترتبط يالرؤية الاسلامية فحسب ذلك انها أكثر شمولية فترتبط بالشعر

العربى حتى فى جاهليته وبالفكر الانسانى خارج إطار الفكر الاسلامى . مسألة أخرى أيضا أريد أن أجعلها لا لأمر متحقق يتم التراجع عنه كما ظهر لبعض الاخوة فتحدثوا عن فكرة الزمن المقلوب . فكرة الكمال هنا تظل نموذجا عقليا يتجه نحوه العقل فى بنائه لفكرة الانسجام والتكامل واغلاق الدائرة وما إلى ذلك ، ومن هنا فان ما يحدث فى الشعر هو كسر بنية التوقيع لهذا الكمال . كسر بنية الانسجام والتكامل والتعادل والتوازن وما إلى ذلك فالكمال قائم فى العقل أو أن العقل متجه نحو الكمال وليس وجودا متحققا يتم التراجع عنه . لذلك مطرٌ مطر هى لا تنحرف عن النموذج السابق وإنما تنحرف عما يتوقعه العقل لها من أن تكون متوازنة مع السابق ومن هنا أود أن أضيف فكرة كسر التوقيع أو كسر بنية التوقيع إلى جانب فكرة الكمال ويبدو لى أن الدكتور عبد المحسن أشار إلى شىء من هذا فى مداخلته .

النقطة الأخرى : بنية اللؤلؤة . اخال ان الكلمة المفتاح للنصوص التى وردت تكمن فى طبيعة اللؤلؤة نفسها فاللؤلؤة قائمة أساسا على فكرة تعدد الأوجه وقائمة أساسا على الظهور والاختفاء ومنها لألأ الضوء أى ظهر واختفى فالكلمة نفسها تقوم على الظهور والغياب ، كذلك علاقة الانسان باللؤلؤة تقوم على نقيضين اثنين فالوصول إلى اللؤلؤة يعنى الحياة أو الموت فى آن واحد . يعنى الحياة فى أجمل صورها بما سيتحقق للانسان من هذه اللؤلؤة أو الموت فى أعنف صوره وهو الموت تحت هذه الأعماق الموغلة فى العمق . فاللؤلؤة نفسها تشتمل على الحضور

والغياب . الظهور والخفاء وما إلى ذلك . ومن هنا تتحـرك النصوص لكشف البنية الكامنة فى الكلمة نفسها فتُظهر فيها الخفاء والتجلى فى آن واحد .

النقطة الثالثة تتعلق بالبياض والموت . أثنى على ما ذكره الدكتور عبد الله الغذامي وما قاله الأستاذ عابد خازندار ذلك أن العرب لم تكن تسمى الأبيض أبيض كما يقول ابن دريد وانما كانت تسميه الأحمر . منذ ذلك الوقت منذ أن كمنت هذه الفكرة فى الذهن العربى أو فى العقلية العربية حتى جاء أمل دنقل مثلا ليقول لنا « كل هذا البياض يذكرنى بالكفن » وبين الاثنين نجد النصوص المختلفة ، تفضل الدكتور المعطانى فذكر شيئا منها وأذكر أشياء قد لا تبدو واضحة تمام الوضوح . ابن المعتز حينما يرصد القمر (انظر إليه كزورق من فضة قد حملوه حمولة من عنبر) كأنما هو ينقد بياض القمر بهذا السواد فالحمولة من عنبر هى تخرج القمر عن أن يكون أبيض فقط فيلطخه بشيء ينتزع منه هذا البياض القاتل أو هذا البياض المميت . ولأمر ما كانت العرب تتحدث عن جمال النمش فى القمر بيت حسان (بيض الوجوه) ويظهر كأنما هو شاهد يناقض ما أقول غير انى أقول بيض الوجوه وكأنما حسان يفر من هذا المأزق حينما تتوالى الصفات « كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الأول » وكأنما بياض الوجه بحاجة إلى كل هذه المقومات ليصبح قابلا أن يوصف به الناس . ما جاء به حسان هو إنقاذ للوجوه من بياضها . فى القرآن الكريم « تخرج بيضاء من غير سوء »

من غير سوء هذه الثلاث نقاط ولكم شكرى .

الدكتور عبدالله الغذامى :

الثلاث نقاط . الثالثة مسألة البياض والسواد لا تعليق لى عليها لانها ليست نقطة خلاف . الأولى فقط : أقول ان كلام الأستاذ سعيد فى مسألة شمولية الكمال ظل فى نفس الاطار لأنه ظل يحيل إلى النموذج السابق . إنما فى وضعى أنا السبق ماثل فى النص . فى وضع الأستاذ سعيد يفترض سبقا موجودا ذهنيا . لكن فى الغالب طبعا فى حالة النص إذا وجدنا النموذج السابق فى النص نفسه تكون قوة الدلالة أكثر لأن الصراع يكون أقوى . اسمح لى فعلا فى النقطة الثانية أن أختلف معك لابد . أخشى ما أخشاه ان الدلالات الخارجية للؤلؤة تسقط امكانات الدلالات المتولدة . طبعا نحن نقسم الواقع إلى واقعين هناك واقع معطى وهناك واقع مبنى . الواقع المبنى هو الذى نستنتجه من التجربة نفسها . أخشى أحيانا من التورط حينما آخذ الدلالات الخارجية للؤلؤة فالذى سيحدث عندى هو ما حدث عند الأستاذ نفسه لأنه قال : إن النصوص تكشف الدلالة الخفية للؤلؤة نفسها . صارت النصوص كأنها تخدم اللؤلؤة بدلا من أن تكون اللؤلؤة نفسها دالا يبحث عن مدلول عائم . فالذى أريده أن النص نفسه يولد معجما بدلا من أن أستنجد بالمعجم الخارجى . فى أوقات نعم نحتاج إلى المعجم الخارجى إذا استدعاه النص من الداخل . إنما أعتقد فى دلالات اللؤلؤة هنا بالذات لأن اللؤلؤة تحولت إلى رامز . رامز إلى مرموز إليه .

المرموز إليه هو الشىء وليس هو الرامز . الرامز فقط مثير وباعث وحافز فهو الحضور فهو يدفعنا إلى ذلك . أخشى أن يحيلنا إلى الواقع المعطى فحينئذ فى زعمى أنا طبعا وفى امكانك أن تحمل زعمك الخاص لكن أنا أخشى فعلا من تداخل الواقعين المعطى والمبنى لذلك أتجنب فعلا إلا فى حالة فقط الوقوف المعرفى على دلالة اللؤلؤة لكى يعيها الإنسان وإنما يعيها لكى يستبعدها من باب التعريف بالسلب أكثر مما هو التعريف بالاثبات ، لو أنا نهجت التعريف بالاثبات مع اللؤلؤة هنا سأحيل النصوص كلها لكى تكون ، جاءت لتتحرك من أجل اللؤلؤة والواقع ان اللؤلؤة جاءت لتتحرك من أجل النصوص . هذا الذى أراه . اسمح لى أختلف معك فى النقطة الثانية فى حين اتفق معك فى الأولى والثالثة وترحيبك أيضا مثل الترحيبات الأخرى نسيت أقولها . الحقيقة ليس لكم حق فى أن ترجعوا لانكم تشعرونى انى فعلا بالغياب إلا إذا كان الغياب أهم من الحضور .

الأستاذ محمد العمرى :

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل العذب كثير الزحام والذى أريد أن أقوله إنه يصعب أن تريش سهما فى حضور باريه ولكنى سأفعل . أريد أن أقول إنه إذا كانت اللغة من حيث هى وعاء للاحتشاد أعنى بالاحتشاد تلك الحركة العاتبة داخل النفس الانسانية إذا كانت وعاء لذلك الاحتشاد فانها ستكون خفاء وستكون لطافة ذهنية ومن هنا فإنه لابد ان نعالجها بخفاء مقابل وبلطافة

ذهنية مقابلة وهذا فى ظنى ما يفعله استاذنا الغذامى فى تفاعله مع فن القول وتفاعله ايضاح فن اللون كما تبدى هذه الليلة وأريد أن أقول أيضا إن الشاعرية كمون داخل اللغة وقد قلت ذلك من على هذا المنبر من قبل وأكرره الآن . ذلك الكمون لا يجلى إلا من خلال هيئة الصياغة وهيئة تلك الصياغة أيضا لا تؤدى إلا من خلال صور يرسمها الذى هو الصائغ الذى هو الشاعر الحق . سأورد ثلاثة نماذج لأبى العلاء المعرى وائذن لى يا أستاذ أبو مدين الله يسلمك .

قال فى بيت مرة :

ليلتى هـــذه عـــروس من الـــزنـــج
عليهـــا قـــلائـــد من جمـــان

وقال فى بيتين آخرين :

ويؤنسنى فى قلبى كـــل مخـــوفـــة
حليف ثـرى لم تصحو منـه الشحائـل
من الـــزنـــج كهـل شـاب مفـرق رأسـه
واوثق حتى خطـــوه متثـــاقـــل

وفى بيتين آخرين يقول :

وليلـــة سرت فيهـــا وابن مـــزنتهـــا
كميت عـــاد حيـــا بعـــد مـــا قبض

واستغفر الله من هذا ...

كـــــأنمـــــا هى اذ لاحت كـــــواكبهـــــا
خوض من الزنــج تجلى وشحت خضخضـــا

تلك الأبيات اتفق فيها عند أبى العلاء احالة الليلة إلى زنجية إلا فى إحداها أحال الليل وليس الليلة إلى زنجى كهل والذى أريد أن استجلبه من هنا أن هناك ملازمة متينة بين الصـــورة الشعرية من حيث هى تخيل عند من يصوغها وتخييل عند من يستقبلها ، هناك ملازمة بين تلك الصورة الشعــرية وبين جغرافية الصياغة اللغوية لها . المقام لا يسعف بالحديث أكثر من هذا . فيما يتعلق بمسألة الغياب والحضور التى تحدث عنها أستاذنا أريد أن أقول إنه فى ظنى أن الغياب الذى يعنيه الدكتور هو الغياب المعنوى وليس المادى ، والغياب مرادف لما هو خارج فهو مقابل للحلم والحلم دائما أكثر ايعازا وأكثر أملا . هناك نقطتان يا دكتور أريد أن تعالجهما . الأولى نريدك أن تتحدث عن الحداثة الشعرية كيف تنبعث من داخل اللغة وليس من خارجها لاننا سنتخطى بذلك إلى جلى كثير من اشكالات التلقى .

النقطة الثانية قرأت مرة أن علم الاسلوب هو علم الانحرافات . كيف نضىء الانحراف لكى لا يتحول الاسلوب فى الصياغة الشعرية إلى خرافة وإلى عبث وأشكر صبركم وعفوا يا أستاذ عبد الفتاح .

الأستاذ باهيثم :

السلام عليكم ورحمة الله

وأنت تناقش قضية السياب وقضية صلاح عبد الصبور ذهبت إلى الصفات والنعوت ولكنك لم تجرؤ على البحث عن دلالة تلك النصوص أقصد الدلالات الحقيقية مثلا خذ عبد الصبور وخذ السياب وهو يقول :

أكاد أبصر العراق وهو يذخر البروق والرعود فى السهول والجبال حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال لم يبق من تموت فى المهاد الأكبر .

تملك هذه اللغة دلالة لا أتخيل انك تريد أن تصل اليها . أنت لا تريد أن تصل إلى هذه الدلالة ولكن لا بأس . ثم أحييك يا دكتور وأنت ترد على الدكتور العياشى حينما سألك عن حضور اللغة عبر البحث عن الغياب فى اللغة ،كنت تريد أن تقول أشياء كثيرة وقد سمعتك من داخلى وأنت تريد أن تقول أشياء كثيرة فى الحقيقة ولكن لا بأس . قلت شيئا كثيرا . أعترض فقط على أن السياب وامرىء القيس يتحدثان بلغة واحدة هذا ليس صحيحا . امرؤ القيس عاش ظروفا اجتماعية معينة والسياب عاش ظروفا اجتماعية معينة ثمة فرق زمنى واجتماعى وتاريخى هائل بين الاثنين ولا يمكن أن يقول امرؤ القيس ما قاله السياب . السياب قال أشياء تتعلق بزمنه ومرحلته وظروفه والعلاقات السائدة فى ذلك الوقت ولكنه ربما تكون صادقا فى أن

الاثنين قالا شيئا واحدا من حيث بعض الدلالات اللغوية ولكن ذلك لا يصبح شاملا . أشكركم جميعا .

الدكتور عبدالله الغذامي :

يا أخ عبد الله سماع الصوت ضرورى . حق الاختلاف أيضا مشروع أن تقف هنا وتختلف معى هذا حقك حق كامل . أنا أيضا أختلف مع ما قلته أنا فى الواقع لا أعتقد أن هناك شيئا كنت أريد أن أقوله ولم أقله . أنا قلت ربما تخوننى اللغة نعم لكن لم يخنى العقل ولا الارادة . العقل والارادة متوفران . اللغة تخون .. يحدث . عبد الملك بن مروان أصابه الشيب . وبكر أصابه الشيب خشية أن يلحن على المنابر وأنا لهذا السبب حلقت لحيتى لكى لا تشيب .

الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين :

هل وجد عندنا الدكتور الغذامى ما يفتش عنه . هل نحن فى غياب أم حضور هو يفتش عن شيء من هذا . هذا فيما بعد يرد علينا . الكلمة الأخرى هى ما قاله الأستاذ سعيد السريحى نسترد عافيتنا ثانية . معنى ذلك أن الغياب أفقدنا العافية فنحن نبحث عن غائب وهو أهم من الحاضر وهو منطق الدكتور الغذامي فأنا أخاطبه بلغته بالمضمون والدال والسياق . يتوالى بيننا اذن نحن متعبون بالبحث عن الغائب الحاضر أو الغائب غير الحاضر .

الأستاذ أبو الحسن فكاك :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اللهم لك الحمد ولك الشكر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فعلا الدكتور الغذامى مهما اختلفنا فى الآراء والاتجاهات ومشرق ومغرب هو كائن أدبى بلاغى موجود لا انكار فيه ولا استنكار ، ولذلك أرحب به حتى إذا عاد إلى هذا المنبر ذكر أرتج وقال من الرتاج رتاج الباب . رتاج الباب هذا وحده . أما أرتج بالتشديد فهو حدوث اهتزاز وارتجاج فى جسم الانسان من اللجلجة ومن الخوف أو الخجل أو الكذب فهى فى اللغة العربية من معنيين وليست من رتاج الباب أغلق على يديك ما أغلق عليه انما تلجلج مثلا هذا هو الارتجاج وهذه قضية معروفة لا أدرى كيف غابت عن فطانته وعن رأيه أما الأبيض والأسود ففى العقيدة الاسلامية البياض نص فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قال « البياض لنا والسواد لغيرنا » وفى علم النفس الإنسان الذى يرى السواد ويراه حياة يعتبرونه معتوها لانه ليس متفائلاً أما البياض الذى يراه فهو متفائل دائما . هاتان ناحيتان . كذلك البياض ، النهار أبيض لان الحركة تبدأ فيه والحياة والنور والحركة تبدأ فيه وضده الظلام فما كنت أظن مفاهيم وقاموس الحداثة وصل بنا إلى درجة قلب أشكال الألوان وتفسيرها وأنواعها . هذه مشكلة كبيرة حيرتنى وشكرا لكم على حسن استماعكم .

أستاذ لم يعلن أسمه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا أنا هاو ولست محترفا لصناعة الأدب والنقد ولكن يجدر بى أن أشكر الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين لمحاولاته الدءوبة من أجل تفتيق ينابيع الثقافة والعطاء فى هذا البلد ، كما أشكر الأستاذ عبد الله الغذامى لاتحافه ايانا بهذه المحاضرة الشيقة وإذا جاز لى أن أشارك بشيء هامشى فسأوجز بيان موقفى من الألغاز فقد استثرت ربما كغيرى عندما استلمت بطاقة الدعوة بعنوان أقول اللاعنوان أم أقول انها بعنوان العدم والحيرة فالصفر يرمز إلى العدم وعلامة الاستفهام توحى بالحيرة ، ومبرر الاستثارة إنما هو ما نعرفه فى سعادة الأستاذ الدكتور من صفات النبل فهو فارس مقدام يغير ضحى وليس فى الغسق ويلقى السهام بصدره مقدما لا بعقبه مدبرا وكنت أراه يردد قول الشاعر :

لست بليـــلى ولكنى نهــــــر
لا أدلـــج الليـــل ولكن ابتكـــر

حملت فى الأصفار وقد ذكرنى الأستاذ الدكتور عبد الله المعطانى بانها عشرة أصفار فرأيتها تسعة هنا فسافرت فى عالم التيه . الدليل حيرة والظلام دامس والصمت رهييب وكنت وحيدا فى تلك الرحلة أول الأمر ، ثم ما لبثت أن أخذت اصطدم بأجساد وجماجم كبيرة تسبح فى ذلك الفضاء السحيق وكان الاختلاف يمتد بابعاده بين المسافرين لا مشترك بينهم سوى

الضياع ونظرة ذاهلة لا يرمش لها جفن ولبث ردحا من الزمن وحساب الزمن هناك يختلف إلى ما وراء التناقض وإذا بأعمدة النور تفشىء الظلام وتخلب الألباب بسناً أخاذ وإذا بالصمت يردد ليس « مطر مطر مطر » وإنما كان يردد « أحد أحد أحد » كانت مرحلة مضنية أول الأمر ومزعجة فاستحالت إلى رحلة شيقة رائعة جاءت روعتها من فصلها الأخير زمن السباحة فى عالم النور فى تلك الأثناء المفعمة باللذة شكرت لك ايحاءك لحظة ضياع ليس من أجل الضياع ولكن من أجل تجديد روعة اللقاء بالحب والخير والجمال وأنا الآن أشكر لك سابق ابهامك كما أشكر لك لاحق تبيانك وشكرا .

الدكتور عبدالله الغذامى :

هذا من التعليقات المسكنة . شكرا يا دكتور

الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين :

الكلمة الأخيرة الرد على الظلم . دعونا من المتنبى يقول : « والظلم من شيم النفوس » لكن الأستاذ زيدان أعلن أكثر من مرة أن الدكتور الغذامى قد أتعبه بالثناء عليه ولست أقول : والظلم من شيم النفوس كما قالها المتنبى ، وإنما أقول كم يسعدنى أن أقول كلمة وفاء وحب لانى أرد اليه بعض حقه لانه ظلم فى مرات كثيرة فدعونا ندفع ظلما لا بظلم ولكن بجلاء ظلام . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ عزيز ضياء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحب أن أصحح مفهوما علق بذهن الدكتور النعمى إذا لم أكن مخطئا بالاسم عندما ظن أن دعوتى إلى أن تلقى محاضرة كهذه فى باريس أو فى لندن ان الموجودين فى المملكة لا يفهمون منها ما يريد أن يقوله المحاضر . الواقع أن الذى أردت أن أقوله هو أن المحاضرة فيها من عمق الآراء ومن فلسفة النقد ومن القدرة على الجمع بين الفن التشكيلى واستيعاب الصورة فيها ما ينبغى أن تعلم أوروبا مثلا أو أن تعلم مصر أو غيرهما ان فى المملكة هذا المستوى الضخم الجميل الرائع من العلم والفهم والاستيعاب لقضايا ظنوا أو يظنون انهم مختصون بها ، فلعلى أوضحت للدكتور النعمى ما كان غامضا فى ذهنه ولعله غامض فى ذهنى أنا أيضا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الفهــرس

موضوع المحاضرة	رقم الصفحة

ooo

من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة

١ ـ قمم الاوليمب «شعر» للاستاذ محمد حسن عواد ـ نفد .
٢ ـ الساحر العظيم «شعر» للاستاذ محمد حسن عواد ـ نفد .
٣ ـ عكاظ الجديدة «شعر» للاستاذ محمد حسن عواد ـ نفد .
٤ ـ الشاطىء والسراة «شعر» للاستاذ محمود عارف ـ ضم الى مجموعة الشاعر الشعرية .
٥ ـ من شعر الثورة الفلسطينية «شعر» للاستاذ احمد يوسف الريماوي ـ نفد .
٦ ـ أنين وحنين «شعر شعبي» للاستاذ منصور بن سلطان ـ طبع .
٧ ـ محرر الرقيق «سليمان بن عبدالملك دراسة للاستاذ محمد حسن عواد ـ نفد .
٨ ـ من وحي الرسالة الخالدة «إسلاميات» محمد علي قدس ـ طبع .

٩ ـ المنتجع الفسيح «آداب وعلوم» للاستاذ محمد حسن عواد ـ نفد .

١٠ ـ طبيب العائلة ـ د . حسن يوسف نصيف ـ نفد .

١١ ـ مذكرات طالب (ط٣) د . حسن يوسف نصيف ـ نفد .

١٢ ـ شمعة على الدرب «نثر» للدكتور عارف قياسة ـ طبع .

١٣ ـ أطياف العذارى ـ «شعر» للشاعر الاستاذ مطلق الذيابي ـ طبع .

١٤ ـ كبوات اليراع «تصويبات لغوية» للشيخ ابي تراب الظاهري ـ طبع .

١٥ ـ عندما يورق الصخر «شعر» ـ للاستاذ ياسر فتوى ـ طبع .

١٦ ـ ورد وشوك «مطالعات» للاستاذ حسن عبدالله القرشي ـ طبع .

١٧ ـ في معترك الحياة «مجموعة آراء» ـ للاستاذ عبدالفتاح ابومدين ـ طبع .

١٨ ـ المجموعة الشعرية للاستاذ محمد ابراهيم جدع ـ طبعت .

١٩ ـ الوجيز في المبادىء السياسية في الاسلام «نظرات اسلامية» للاستاذ سعدى ابو جيب ـ طبع .

٢٠ ـ أوهام الكتاب «تعقبات مختلفة» ـ للشيخ ابي تراب الظاهري ـ طبع .

٢١ ـ علي احمد باكثير حياته وشعره الوطني والاسلامي ـ دراسة للدكتور احمد السومحي ـ طبع .

٢٢ ـ نغم وألم «شعر» ـ الشريف منصور بن سلطان ـ طبع .

٢٣ ـ الكلب والحضارة «قصص من البيئة» للاستاذ عاشق الهذال ـ طبع .

٢٤ ـ شواهد القرآن ـ للشيخ ابي تراب الظاهري ـ طبع .

٢٥ ـ التشكيل الصوتي في اللغة العربية ـ للدكتور سلمان العاني ـ طبع .

٢٦ ـ أريد عمراً رائعا ـ «شعر» ـ للشاعر عبدالله جبر ـ طبع .

٢٧ ـ ترانيم الليل «المجموعة الشعرية الكاملة» ـ للشاعر الاستاذ محمود عارف ـ طبع .
٢٨ ـ حروف على أفق الاصيل ـ «شعر» ـ للاستاذ حمد الزيد ـ طبع .
٢٩ ـ من أدب جنوب الجزيرة ـ «دراسة» ـ للاستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلي ـ طبع .
٣٠ ـ غناء الشادي ـ «شعر» ـ للشاعر الاستاذ مطلق الذيابي ـ طبع .
٣١ ـ الذيابي تاريخ وذكريات إعداد الشريف منصور بن سلطان ـ طبع .
٣٢ ـ محاضرات النادي «القسم الاول» ـ طبع .
٣٣ ـ محاضرات النادي «القسم الثاني» ـ طبع .
٣٤ ـ محاضرات النادي «القسم الثالث» ـ طبع .
٣٥ ـ المتنبي شاعر مكارم الاخلاق ـ للاستاذ احمد بن محمد الشامي ـ طبع .
٣٦ ـ هموم صغيرة ـ «أقاصيص» ـ للاستاذ محمد علي قدس ـ طبع .

٣٧ ـ أمواج وأثباج ـ «دراسة أدبية» ـ للاستاذ عبدالفتاح ابو مدين ـ طبع (الطبعة الثانية) .

٣٨ ـ الخطيئة والتكفير ـ من البنيوية الى التشريحية ـ للاستاذ الدكتور عبدالله الغذامي ـ طبع .

٣٩ ـ التجديد في الشعر الحديث ـ «دراسة أدبية» للدكتور يوسف عز الدين ـ طبع .

٤٠ ـ التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا ـ «دراسة علمية» ـ للدكتور عبدالعليم عبدالرحمن جعفر ـ طبع .

٤١ ـ فلسفة المجاز ـ «دراسة لغوية» ـ للدكتور لطفي عبدالبديع ـ طبع .

٤٢ ـ بكيتك نوارة الفال ، سجيتك جسد الوجد ـ «شعر» عبدالله عبدالرحمن الزيد ـ طبع .

٤٣ ـ مصادر الادب النسائي في العالم العربي الحديث للدكتور جوزيف زيدان ـ طبع .

٤٤ ـ أحبك رغم أحزاني ـ «شعر» ـ الدكتور فوزي عيسى ـ طبع .

٤٥ ـ أبو تمام ـ «دراسة»ـ للاستاذ سعيد السريحي - طبع .
٤٦ ـ عبقرية العربية ـ «دراسة لغوية» ـ للدكتور لطفي عبدالبديع ـ طبع .
٤٧ ـ أحاديث ـ الدكتور محمد سعيد العوضي - طبع - طبعة ثانية .
٤٨ ـ اغتيال القمر الفلسطيني للاستاذ/ احمد مفلح - طبع .
٤٩ ـ التضاريس ـ «شعر» ـ للاستاذ محمد الثبيتي - طبع .
٥٠ ـ ٤ صفر ـ للاستاذة رجاء عالم ـ طبع .
٥١ ـ علم اجتماع اللغة ـ «ترجمة عن الانجليزية» - الدكتور أبو بكر باقادر ـ طبع .
٥٢ ـ أقضية وقضاة في الاسلام ـ للدكتور/ كمال محمد عيسى ـ طبع .
٥٣ ـ علم الاسلوب ـ للدكتور صلاح فضل ـ طبع .
٥٤ ـ دليل كتاب النادي ـ طبع .
٥٥ ـ ديوان دمر ـ «شعر» للاستاذ علي دمر ـ طبع .

٥٦ ـ أحبك . . ولكن ـ «مجموعـة قصص قصيرة» ـ للاستاذة مريم محمد الغامدي ـ طبع .
٥٧ ـ مدخل إلى الشعر العربي الحديث ـ الدكتور نذير العظمة ـ طبع .
٥٨ ـ **بقايا عبير ورماد « شعر » للشاعر محمد هاشم رشيد ـ طبع**
٥٩ ـ محاضرات النادي ـ الجزء الرابع ـ طبع .
٦٠ ـ محاضرات النادي ـ الجزء الخامس ـ طبع .
٦١ ـ محاضرات النادي ـ الجزء السادس ـ طبع .
٦٢ ـ محاضرات النادي ـ الجزء السابع ـ طبع .
٦٣ ـ اللغة بين البلاغة والأسلوبية ـ الدكتور مصطفى ناصف ـ طبع .
٦٤ ـ جزر فرسان ـ العقيد متقاعد صالح بن محمد بن مشيلح الحربي ـ طبع .
٦٥ ـ شواهد القرآن ـ «الجزء الثاني» ـ للشيخ أبي تراب الظاهري ـ طبع .
٦٦ ـ الفكـر السيكولـوجي المعاصر ـ للدكتـور حمـد المرزوقي ـ طبع .

٦٧ ـ مذنّب هالي ـ للدكتور محمد عبده يماني ـ طبع .
٦٨ ـ مورفولوجيا الحكاية الخرافية ـ الدكتور ابو بكر باقادر ـ طبع .
٦٩ ـ طه حسين والتراث ـ مصطفى ناصف ـ طبع .
٧٠ ـ ذاكرة لأسئلة النوارس ـ «شعر» عبدالله الخشرمي ـ طبع .
٧١ ـ قراءة جديدة لتراثنا النقدي ـ «المجلد الاول» ـ والمجلد الآخر ـ طبع .
٧٢ ـ الوحوش ـ للاصمعى ـ تحقيق أيمن محمد علي ميدان ـ طبع .
٧٣ ـ في مفهوم الادب ـ ترجمة الدكتور منذر عياشي ـ طبع .
٧٤ ـ محاضرات النادي ـ الجزء الثامن ـ طبع .
٧٥ ـ في نظرية الأدب عند العرب ـ الدكتور حمادي صمود ـ طبع .
٧٦ ـ محاضرات النادي ـ الجزء العاشر ـ تحت الطبع .

٧٧ ـ فى النص الأدبي ـ دراسة أسلوبية إحصائية ـ الدكتور سعد مصلوح ـ طبع .

٧٨ ـ شعر حسين سرحان ـ دراسة نقدية أعدها الاستاذ احمد عبدالله صالح المحسن ـ طبع .

ο ο ο

البلاد

طبعت بمطابع دار البلاد - جدة

ت : ٦٧٠٠٣٣٣ ص . ب : ٧٦١٤ جدة ٢١٤٧٢